

تاريخ مصر الحديث

مع فُزُلُكته في تاريخ مصر القديم

المجلد الثاني

تأليف

جرجي زيدان

الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة

صَفَحَاتٌ مِنْ تَارِيخِ مِصْرَ

⑪

تَارِيخُ مِصْرَ الْحَدِيثِ

من الفتح الاسلامي الى الآن

مع

نذلك في تاريخ مصر القديم



تأليف

عمرجي زيدان

منشء الهلال



الجزء الثاني

وهو يشتمل على تاريخ مصر من الفتح العثماني الى الآن
اي في عهد الدولة العثمانية وحملات بونابرت
والدولة المحمدية العلوية او الاسرة الخديوية ولا

الناشر

مكتبة مدبولي

١٩٩٩

بيان

انتهى الجزء الاول من هذا الكتاب في طبعته الاولى بانقضاء الدولة الايوبية فبدأنا الجزء الثاني بدولة المماليك الأولى . ونظراً لتوسعنا في مواضع الكتاب وإضافة ما جدد من الحوادث المصرية بعد الطبعة الاولى جعلنا الجزء الاول من هذه الطبعة ينتهي في آخر دولة المماليك الثانية . فاصبح الجزء الثاني هذا يبتدئ بدخول مصر في سيادة الدولة العثمانية وينتهي بالعام الماضي . ولذلك كان أكثر توسعنا في تاريخ الدولة الحمديّة العلوية من زمن مؤسسها محمد علي باشا الى الان . ويدخل في ذلك بيان ما حدث في هذا العصر من التهضات السياسية والعلمية والمالية والصحافية وما تقلب على مصر من الاحوال السياسية اشهرها الحوادث العراية والحوادث السودانية . واقتضى ذلك ان نخص هذا الجزء بدرس خاص فطالعنا اهم المؤلفات التي صدرت عن احوال مصر وتاريخها بعد صدور الطبعة الاولى او ما لم نكن اطلعنا عليه من قبل وهما :

مصر الحديثة	في مجلدين	تأليف اللورد كرومر	في الانكليزية
انكلترا في مصر	» » » » »	ملتر	» » »
الاسماعيلية . رحلة الى خط الاستواء	» » » » »	للسير صهوئيل باكر	» » »
مصر والخديوي	» » » » »	لداسي	» » »
تاريخ السودان	في ٣ مجلدات	لنعوم بك شقير	» العربية
تقارير اللورد كرومر	» » » » »	للاورد كرومر	» » »
مصر في حكم محمد علي	في مجلدين	لهامون	في الفرنسية



منشأ الدولة العثمانية

قبل التقدم الى تاريخ مصر في سلطة الدولة العثمانية يحسن بنا ان نأتي على فذلركة في اصلها ومنشأها

يتصل نسب العثمانيين بالتر الذين كانوا يقطنون ما يحاور جبال التاي عند حدود الصين الشمالية ويغلب على الظن انهم الاسكثيون المعروفون قديماً بالشجاعة وشدة البأس . ويقال ان جماعة منهم ينتسبون الى جد يقال له « ترك » نزحوا غرباً في الجبل الاول للميلاد واقاموا فيها هو الآن بلاد تركستان ومجدها شمالاً سبيريا وجنوباً بخارا وشرقاً حدود الصين وغرباً بحيرة اورال وهي مشهورة بجودة الاقليم وخصب المرمى وجمال السكان وقوة ابدانهم

وما استتب لهم المقام في تركستان حتى اخذوا يمدون سلطتهم وهم لا يزالون في حالة الجاهلية . ولم يعتنقوا الديانة الاسلامية الا في اواسط القرن الرابع للهجرة واشهرهم طائفتان كبيرتان تعرفان بالاغوزية والسلجوقية

وكان الاتراك السلجوقيون يقيمون في ما يحاور بخارا ثم اشتدوا وانشأوا مملكة مستقلة شاسعة الاطراف يحدها بحر قزوين من جهة وبحر الروم من جهة اخرى عواصمها فرسبوليس (اصطخر) وقرمان ودمشق وحلب ورومية في آسيا الصغرى . ثم افتتحوا جانباً من بلاد فارس . ثم هددوا امبراطور الروم وتغلبوا عليه حتى اضطر الى تقبيل الارض بين يدي الب ارسلان ملك السلجوقيين

وفي القرن الثالث عشر الميلاد كانت سلطة السلجوقيين منتشرة في آسيا الصغرى وسلطانها علاء الدين ومقره مدينة قونية

وظهر في اثناء ذلك جنكركخان القائد المغولي وغزا قبائل الاتراك المقيمين في تركستان فاذاعنوا له الا قبيلة اوغوزية من قبائل خراسان هاجرت تحت قيادة امير يدعى سليمان تطلب مقاماً لها ومرعى لمواشيتها . وما زالوا يسرون غرباً حتى حدث وهم يعبرون الفرات ان اميرهم سقط بجواده في النهر ومات فدفنوه هناك . وهو جد ساكن الجنان السلطان عثمان الغازي فاصبحوا بعده جماعات متفرقة فالتخذ ابنه ارطغرل قيادة جماعة منهم وسار بهم يفتقرق آسيا الصغرى . وهو في بعض السهول شاهد عن بعد غباراً متصاعداً وحرماً قائمة فتقدم على نية الانتصار لاضعفت الفتيين ففعل وهو لا يدري

لمن ينتصر فقيض الله النصر له وتقهقرت الفئة الاخرى ثم علم انه انتصر للسلاجوقيين وقهر المغوليين فشكر الله على ذلك

فقال بذلك منزلة رفيعة لدى علاء الدين فاقطعه بقعة كبيرة يقيم فيها برجاله على حدود فريجييا ويثينا وكانت ارضاً جيدة ذات مرعى خصب . وفي تلك البقعة نشأ ابنه عثمان وشب وترعرع . وما زال ارطغرل تحت رعاية علاء الدين حتى توفي هو وخلفه عثمان . ثم توفي علاء الدين بغير ولد فاقتسم امرأوه مملكته فاستقل عثمان بما لديه سنة ١٣٠٠ م وهو اول امراء دولة آل عثمان



السلطان عثمان الغازي

ومن التقاليد الماثورة بين العثمانيين ان عثمان هذا عشق وهو شاب فتاة تدعى « مال خاتون » وكان والدها شيخاً تقياً ورعاً طاعناً في السن اسمه ادبالي فلهذا شعر بمحبة عثمان لابنته خاف العاقبة وصار يحاول ابعادها الواحد من الآخر وبالف في حجاب ابنته لانه لم يكن يطعم بمصاهرة ابن حاكمه

لجاء عثمان ذات ليلة ليبيت في منزل ادبالي وقضى معظم الليل هاجساً بمحبيته حتى غلب عليه النعاس فرأى في الحلم كأن القمر خارج من صدر ادبالي ثم رآه يتسع بسرعة حتى غطى كل ما كان واقفاً تحت نظره من الارض . ثم اخذ في التقلص حتى عاد الى حجمه الاول وارتد الى صدر ادبالي كما كان . ثم رأى شجرة عظيمة خارجة من صلب ادبالي واخذ ظلها يمتد حتى غطى البر والبحر وتراى له ان انهر دجلة والفرات والدانوب والنيل خارجة من اصل تلك الشجرة . وجبال قوقاس واطلس وطورس وهيبوس

يستظل باغصانها ورأى أوراقها تستطيل وتستدق حتى صارت كالسيوف ورؤوسها مصوبة الى اشهر عواصم العالم وخصوصاً القسطنطينية الواقعة عند ملتقى القارتين ومجمع البحرين . وخيل له انها جوهرة بين زمردتين وياقوتتين مصطنعة في فص ختم وانه هم ان يجعل ذلك الخاتم في اصبعه فاستيقظ مبعوثاً . فاخبر ادبالي في الصباح بما كان فاستبشر بما سيكون من مستقبل ذلك الشاب وانه سيملك القسطنطينية وما انفك خلفاء عثمان كلما ادع سلطانهم يزدادون ثقة بمآل ذلك الحلم وقد حاول بعضهم فتح القسطنطينية فرجع ولم يزل وطراً حتى ظهر محمد الفاتح السلطان السابع من سلاطين آل عثمان وبينه وبين صاحب الحلم نحو ١٦٠ سنة ففتحها بعد ان يس المسامون من فتحها



السلطان محمد الفاتح

يوم دخوله القسطنطينية بعد فتحها سنة ١٤٥٣

وحارب العثمانيون اعظم ملوك اوربا وطاردهم الى بلاد المجر وحاصروا فينّا
عاصمة النمسا واخذوا الجزية من الارشيدوق فردينان واكتسحوا البحر الابيض
الى شواطئ اسبانيا - ووجهوا مطامعهم من الجهة الاخرى نحو الشرق
ففتحوا العراق والشام ومصر على يد سليم الفاتح كما تقدم وبسلطنته يبدأ هذا الجزء
من تاريخ مصر الحديث



الدولة العثمانية

من سنة ٩٢٣ — ١٢١٣ هـ أو من ١٥١٧ — ١٧٩٨ م

سلطنة سليم بن بيازيد

من سنة ٩٢٣ — ٩٢٦ هـ أو من ١٥١٧ — ١٥٢٠ م

امر السلطان سليم بدفن طومان باي قرب قبر قنسو الغوري وبعد دفنه بثلاثة ايام دخل السلطان سليم عاصمة الديار المصرية ظافراً في غاية ربيع اول سنة ٩٢٣ هـ . وبعد يسير نزل الى الاسكندرية في فرقة من جيوشه لوضع الحماية عليها . ثم عاد الى القاهرة ومكث فيها الى ٢٠ شعبان من تلك السنة فبرحها قاصداً الرومي . ويقال انه نقل معه الف جبل محملة ذهباً وفضة فضلاً عن اسلاب اخري وهدايا قدمت له . وقبل خروجه من مصر جعل فيها حكومة منظمة فاصبحت مصر ايلة عثمانية وكان فيها من الخلفاء العباسيين اذ ذاك محمد المتوكل على الله (الثالث) الخليفة الثامن عشر من الدولة العباسية بمصر . وكيفية وصول الخلافة اليه ان الامام المستنجد بالله الخليفة الخامس عشر الذي تولى الخلافة في ايام ينال سنة ٨٥٩ هـ كما تقدم توفي في ٢٤ محرم سنة ٨٨٤ هـ بعد ان تولاها ٢٥ سنة وولي مكانه الخليفة عبد العزيز بن يعقوب حفيد الخليفة العاشر المتوكل على الله ولقب بلقب جده . ثم توفي يوم الجمعة في ٢ صفر سنة ٩٠٣ هـ خلفه الخليفة ابو صابر يعقوب الملقب بالمستمسك بالله . ثم خلف هذا نحو الفتح العثماني الخليفة محمد المتوكل على الله المتقدم ذكره . فلما فتح العثمانيون مصر راي السلطان سليم الفاتح ان مصر لا يؤيد الا اذ قبض على الازمة الدينية . فاستخرجها من ايدي الخلفاء العباسيين فصارت الخلافة الاسلامية الى العثمانيين واول خلفائهم السلطان سليم . واما الخليفة العباسي فانه نقل الى الاسطانة وخصص له راتب معين لبقائه وقبل وفاة السلطان سليم يسير عاد المتوكل الى مصر وعاش فيها منفرداً الى ان توفاه الله سنة ٩٤٥ هـ وهو آخر للخلفاء العباسيين

الخلافة والعرب والترك

ويحذر بنا ان نقول كلمة في الخلافة ونسبتها الى العرب او غيرهم . افضت امور المسلمين الى ملوك وسلاطين من الفرس والأتراك والاكراذ والبربر والجر كس وغيرهم ومع ما بلغوا من سعة الملك وعز السلطان ومع حاجتهم الى السيادة الدينية لتستقيم دولهم وتحقق الرعية على طاعتهم لم يخطر لاحد منهم ان يطالب الخلافة لنفسه قبل انتقال الاسلام الى طوره الثاني بعد تفضعه بفتوح المغول . ولا ادعاها احد من العرب غير قریش . واول سلطان غير عربي بويج بالخلافة السلطان سليم العثماني ولا تزال الخلافة في دولته الى الان

على ان الذين قويت شوكتهم في عهد ذلك التمدن من الامراء المسلمين او القواد غير العرب كانوا اذا طمعوا بالسيادة الدينية او الخلافة انتحلوا لانفسهم نسباً في قریش كما فعل ابو مسلم الخرساني لما رأى من نفسه القوة على انشاء الدولة وربما طمع بالخلافة فاتحل لنفسه نسباً في بني العباس فقال انه ابن سليط بن عبد الله بن العباس واما الملوك او السلاطين الاعاجم فلما ضمت دولهم في اواخر العصر العباسي وراوا انحطاط الخلافة وتقهرها وتمنوا الاستغناء عنها ولكنهم لم يروا سبيلاً الى ذلك الا ان يستبدلوها بخلافة اخرى . على ان بعضهم طمع بالتفوذ الديني من طريق الانتساب الى الخليفة بالمصاهرة . واول من فعل ذلك عضد الدولة بن بويه المتوفى سنة ٣٧٢ هـ فانه حمل الطائع لله الخليفة العباسي في ايامه ان يتزوج بابنته وغرضه من ذلك ان تلد ابنته ولداً ذكراً فيجعل له ولي عهده فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب ولم يوفق الى مراده

ولما افضت السلطة الى السلاجقة تقدموا في هذا الطريق خطوة اخرى فعمدوا الى التقرب بالمصاهرة ايضاً ولكن على ان يتزوج السلطان طغرل بك السلجوقي ابنة الخليفة وهو يومئذ القائم بامر الله فخطبها اليه ووسط قاضي الري في ذلك فانزعج الخليفة لهذا الطلب ايما انزعاج اذ لم يسبق ان يتزوج بنات الخلفاء الا اكفاؤهم بالنسب وكانت يد السلطان قوية والخليفة لا شيء في يده فاخذ في استعطافه ليعفيه من الاجابة على طلبه فابى السلطان الا ان يجاب . وحدثت امور يطول شرحها خيف منها على الدولة فاضطر الخليفة الى القبول — فعقد له عليها سنة ٤٥٤ هـ وهذا ما لم يجر مثله قبله لان آل بويه لم يطمعوا بذلك ولا تجاسروا على طلبه مع مخالفتهم للخليفة في المذهب اذ يكفي من الخليفة تنازلاً ان يتزوج بنات الملوك لا ان يزوجهم بناته ولم

ينل هذا الشرف احد قبل طغرابك . ومع ذلك فانه لما دخل الى عروسه في السنة التالية قبل الارض بين يديها وهي جالسة على سرير ملبس بالذهب فلم تكشف الحمار عن وجهها ولا قامت له . وظل اياماً يحضر على هذه الصورة وينصرف . على انه لم يوفق لاتمام ما اراده لانه توفي في تلك السنة . اما المبايعات بالخلافة لغير العرب فلم تنلها دولة اسلامية قبل العثمانيين

نظام الحكومة المصرية ايام العثمانيين

واخذ السلطان سليم في تأييد سلطته في مصر ليأمن من تمرداها وتلاعب ذوي الاغراض فيها . فجعل عليها حاكماً يلقب بالباشا اليه مرجع الحل والعقد . وكان من جملة الذين انحازوا الى العثمانيين في واقعة مرج دابق امير يقال له خير بك من كبار رجال قنسو . فلما فتح الله على العثمانيين ولاء السلطان سليم على مصر بلقب باشا . ثم خشي من تفرد هذا الحاكم بالامر مع بعد مصر عن الاستانة ان يكون داعياً لعصيانه . فاعمل الفكرة فيما يكفيه مؤونة هذا الخطر فاهتدى الى طريقة تضمن له ذلك . وهي ان يجعل في مصر ثلاث ادارات كل منها تراقب اعمال الآخرين فلا يخشى من اتحادها وتمرداها فالقوة الاولى « الباشا » وهم واجباته ابلاغ الاوامر السلطانية لرجال الحكومة وللشعب ومراقبة تنفيذها

والقوة الثانية « الوجاقات » فانه اقام في القاهرة وفي المراكز الرئيسية من القطر ستة آلاف فارس وستة آلاف ماش بالبنادق جعلها ستة وجاقات « فرق » تحت قيادة واوامر خير الدين احد قواد العثمانيين العظماء وامره ان يقيم في القلعة ولا يخرج منها لاي سبب كان . وواجبات هذه الوجاقات حفظ النظام في القطر المصري والدفاع عنه وجباية الخراج . وقد رتبها على الوجه الاتي :

- ١ وجاق المتفرقة . وهو مؤلف من نخبة الحرس السلطاني
- ٢ وجاق الجاويشية . وهو مؤلف في الاصل من صف ضابطان جيش السلطان سليم فعهد اليهم جباية الخراج
- ٣ وجاق الهيجانة
- ٤ وجاق التفججية . وهم ناقلو البنادق
- ٥ وجاق الانكشارية . وهم اخلاط من نخبة القبائل الخاضعة للدولة العثمانية وكانوا يعرفون ايضاً بالمستحفظين لاناطة محافظة البلاد بهم
- ٦ وجاق العزب

وكان كل من هذه الوجاقات مؤنفاً من افراد يقال لهم « وجاقية » واحدهم « وجاقي » على كل وجاق منها ضابط يلقب بالآغا يصحبه الكخيا والباش اختيار والدفتردار والخزندار والرزناجي . ومن اجتماع هؤلاء الضباط من سائر الوجاقات يتألف مجلس شورى الباشا فلا يقضي امراً الا بمصادقتهم . اما هم فلم ان يوقفوه عن الاجراء وان يستأنفوا الى ديوان الاستانة عند الاقتضاء . ولهم ايضاً ان يطلبوا عزله حالما يشتهون بمقاصده

الانكشارية

واهم تلك الوجاقات « الانكشارية » وهم يشملون الجند العثماني في ذلك العهد . انشئ هذا الجند في زمن السلطان اورخان ثاني سلاطين آل عثمان (سنة ٧٢١ هـ) على يد قره خليل احد كبار رجال الدولة ونظر في تنظيمه الى خلوه من عصبية تبعث على التمرد . وكان العثمانيون يومئذ يفتحون البلاد واكثرها لها مسيحيون فيدخل في حوزتهم جماعة من غلمان النصارى الذين قتل آباؤهم واصبحوا لا نصير لهم ولا مرجع لا ملهم - فارتأى ان يربي اولئك الغلمان تربية اسلامية ويدربهم على الفنون الحربية ويجعلهم جنداً دائماً لا يخشى منه التمرد لانه لا يعرف عصبية غير الدولة ولا عملاً غير الجندية ولا ديناً غير الاسلام . فجندهم وسار بهم الى الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية باماسية ليدعوهم . فدعا لهم وسماهم « يكي چري » الجند الجديد وقسم هذا الجند الى وجاقات واحدها وجاق والوجاق يقسم الى اورط احداها اورطة ولكل اورطة عدد تعرف به ولبعضها اسماء خاصة . ويختلف عدد الجند في كل اورطة حسب العصر من ١٠٠ الى ٥٠٠ ويختلف عدد الاورط في الوجاق وعدد الوجاقات بمقتضى ذلك . واكبر ضباط الوجاق او قائدها الاكبر يسمى « آغا » تحته سكبان باشي تحته غيره فغيره على هذه الصورة :

قائد الوجاق ويقابل اللواء في هذه الايام	الآغا
ينوب عن الآغا في الاستانة ويقابل القائمقام اليوم	سكبان باشي
نائب الآغا او السكبان باشي	قول كخيا او كخيا بك
قائد اورطة نمرو ٧١	سمسونجي باشي
قائد الاورطة نمرو ٦٤	زغر جي باشي
ينوب عن الانكشارية عند الصدر الاعظم	محضر آغا
ينوب عن الآغا في القيادة على الحدود	خصكي

باشجاويش
كنيا كري
الافندي
قائد الاورطة الخامسة
ينوب عن الوراق لدى الآغا
الكاتب
ولكل اورطة ضباط يقتسمون قيادتها وادارة شؤونها مما يطول شرحه



ش ١ : آغا الانكشارية ونائبه وخادمه
١ ٢ ٣ ٤

كان للانكشارية رواتب يسمونها العلوفة كانت تدفع يومياً باعتبار درهم واحد لكل انكشاري ثم ارتفعت الى خمسة دراهم غير الهدايا التي كانوا ينالونها في الاعياد وعند تولية السلاطين ويسمونهم « بنخشيش الجلوس » وغير ما يصرف لهم من الاطعمة كاللحم والخبز او القمح

ملابس الانكشارية وطعامهم

المقصود من البسة الجند التفريق بين رتبهم . فكان لكل طبقة من الانكشارية لباس خاص يقتصر على وصف بعضها بالتصوير (انظر ش ١)
فالصورة الوسطى التي تحتها نمرة (٢) هي صورة آغا الانكشارية وعمامته كبيرة منقوشة وعليه القفطان والجبّة وحول وسطه الحزام وفيه الخنجر وفي قدميه نعال مكشوفة . والى يمينه في الطرف نمرة (٤) نائبه المسمى « قول كنيا » وقاووقه يختلف عن ذلك اختلافاً عظيماً وفي قنته شبه المروحة من الريش وبجانبه نمرو (٣) خادم الاغا

وعمامته كالمهائم المعروفة . والى يسار الآفانجرو (١) الباشجاويش ويختلف لباسه عن أولئك من كل جهة وخصوصاً قلاووقه وقفطانه وازارده ونعاله
وترى مثل هذا الاختلاف في صفار الانكشارية ايضاً على تفاوت في الرتب والاعمال
فترى في الشكل الثاني ان نمرة (٣) صورة جندي انكشاري واقف وعليه الجبة
والقفطان بشكل خاص والقلاووق مثنى الى الوراء ونمرة (٤) انكشاري واقف وقفة
الاحترام و (١) ضرب آخر من الانكشارية يعرف بسلاق و (٥) نوع آخر جيولك .
وانتبه الى (٢) فاتها صورة احد الفلمان الاعاجم الذين يخرج الانكشارية منهم ونمرة
(٦) انكشاري مدرع



٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

ش ٢ : اقمار الانكشارية

ويمتاز الانكشارية بعبادات خاصة في طعامهم واهم اصنافه الشورباه فقد كانت تصنع
في حلال خاصة ترسل الى الاجناد في قنور كبيرة يحملونها معلقة باعواد مستعرضة كما
ترى في الشكل الثالث

يحمل الحلة اثنان من الجنود يقال لهما « قراقول الحجي » يتقدمها ضابط اسمه باش
قراقول الحجي يحمل على كتفه ملعقة كبيرة من الحديد . فيمر بالاماكن التي فيها عساكر
من اورطتهم وهم في انتظار وصولهم فيحيطون القدر على الارض ويعرفون منها بالملعقة
لمن يأتي بطبقه على قدر حاجته

وللطعام شان كبير عند الانكشارية وفي مطبخ كل اورطة قدر كبيرة هي مثال لقدر
يحترمونها اعتماداً على حديث يتناقلونه بينهم عن الحاج بكطاش صاحب الطريقة



ش ٣ : توزيع الشورباء على الانكشارية

البكطاشية التي ينتسب اليها الانكشارية انه طبخ شوربائه فيها ويعتقدون انهم اذا نقلوا هذه القدر من مكانها صبوا هناك ماء زلزلت الارض . وكانت هذه القدور ملجأ للمجرمين فمن اتى اليها وجب على الانكشارية حمايته والدفاع عنه كما كان يفعل العرب في حامية من يستجير بهم . وفي الحوادث الكبيرة التي تتفق لهم كقيامهم بثورة او مفاوضاتهم في امر يهمهم يجتمعون حول هذه القدر للمفاوضة بجانبها تبركاً بها

الامراء للماليك

اما القوة الثالثة فالماليك . وهم بقايا الدولتين السالفتين والفائدة منهم حفظ الموازنة بين الباشا والوجاقات لانهم في الاصل اعداء لكلا الفريقين ومن غرضهم الانتصار للفريق الاضعف لينعوا القوي من الاستبداد . وقد كان القطر المصري منقسماً الى ١٢ « سنجقية » (مديرية) يحكم كل منها حاكم يقال له « سنجق » او (بك) يعينه الديوان (وهو مجلس شورى الباشا) من امراء الماليك . ولا غرو ان تقاطع المصالح على هذه الصورة واختلاطها مع تعداد الامرين مما يقود الى القلاقل والانتاعب اما الدولة العثمانية فقد اجتنبت راحة من هذا التعب لانها كانت على نقية من استبقاء الديار المصرية في حوزتها وبقي خير بك باشا والياً على مصر الى ان ادر كته الوفاة بمرض جلدي سنة ٨٩٢٨ هـ ودفن في جامعته المعروف باسمه في شارع درب الوزير تحت القلعة . وبعد وفاته لهجت اللسنة بدمه لعظم استبداده فكانوا يقولون انه كان ينهض من لحده ليلا ويستغفر الله على ما اتاه من الشرور في حياته

سلطنة سليمان القانوني

من سنة ٩٢٦ - ٩٧٤ هـ أو من ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م



ش ٤ : السلطان سليمان القانوني

وقبل وفاة خير بك باشا بسنتين توفي السلطان سليم وخلفه ابنه السلطان سليمان سنة ٩٢٦ هـ وسنه ٢٦ سنة ويعرف بالقانوني لانه سن قانوناً . فكك على كرسي الخلافة نحواً من نصف قرن وقد أكثر من الاهتمام بمصر وتنظيمها . وكان ابوه قبل وفاته قد رسم الخطة التي يجب ان تسير عليها مصر في حكومتها وادارتها لكنه توفي قبل ان يبرزها الى حيز الفعل فلما تولى السلطان سليمان جعل اهتمامه اتمام مشروع ابيه

نظام الحكومة المصرية ايضاً

وكان من رأي السلطان سليم ان ينفشء ديواناً تحت رئاسة الباشا حفظاً للموازنة اما السلطان سليمان فاتم الموازنة بانشاء ديوانين عرفا بالديوان الكبير والديوان الصغير « او الديوان فقط » واناط رئاستهما بالباشا وعليه ان يجلس عند انعقاد الجلسة وراء ستار المنبر . وعلى الكرخيا والدفتردار استئذانه قبل المفاوضة ومتى اقر الديوان على امر ابلفاه ذلك القرار واپس له الا المصادقة والامر بالتنفيذ . وجعل اقامة هذا

الباشا بالقلعة تحت ملاحظة الآغا الذي هو قومندانها ويجدد تعيين الباشا في كل سنة اما واجبات الديوان الكبير فهي المفاوضة والاقرار على ما يتعلق بالاشغال العمومية التي لا تتعلق ادارتها بالباب العالي نفسه . اما اعضاء هذا الديوان فهم اغوات الوجاقات الستة ودفترداريوها وروزنامجيوها . ونواب من جميع فرق الجيوش وامير الحج وقاضي القضاة واعيان المشايخ والاشراف والمفتون الاربعة والائمة الاربعة والعلماء . اما المحاطبات التي ترد الى هذا الديوان فتعنون باسم الديوان الكبير لكنها تسلم للباشا وله وحده الحق ان يأمر بعقد جلساته ولم تكن كثيرة . اما جلسات الديوان الاصغر فكانت تعقد يومياً في قصره واعضاء هذا الديوان هم نكيا الباشا ودفترداره وروزنامجييه ونائب من كل من الوجاقات والاغاكبار ضباط وحاك منتفركة . ومن واجبات هذا الديوان النظر في الحوادث اليومية ومن اختصاصاته البحث في الادارات الثانوية

وانشأ السلطان سليمان فضلاً عن الستة الوجاقات التي انشأها ابوه وجاقاً سابعاً دعاه وجاق الشراكة وهم بقية جند الممالك . ومن هذه الوجاقات السبعة تتألف حكومة مصر وحمايتها . اما صفقاتها فمن مخصصات يتولى ضبطها وتقريرها « افندي » من كل وجاق . وجعل لكل وجاق مجلساً مؤلفاً من ضباط ذلك الوجاق وبعض صف ضابطاته لمحاسبة الافندية والنظر في الدعاوي الخصوصية وعرض التزيات للباشا للمصادقة عليها ومقامهم في القاهرة ولكل منهم لباس خاص برتبته وعليه علاماته ومجموع رجال الوجاقات معاً عشرون ألفاً وقد يزيد او ينقص حسب الاقتضاء . اما مقررهم ففي القاهرة على انهم كثيراً ما كانوا يخرجون منها للمهمات في المديرية . وكان لوجاق الانكشارية امتيازات على سائر الوجاقات وقائده (الآغا) مفضل على سائر القواد وله نفوذ عليهم

وجعل السلطان سليمان للبكوات الممالك الذين اقامهم السلطان سليم امتيازات خصوصية وحقاً بالارتقاء الى رتبة الباشوية . واذاف اليهم ١٢ يكا آخرين لمهمات فوق العادة . وهاك اسماء الموظفين الذين ينتخبون من البكوات الممالك وهم : الكنخيا او نائب الباشا والقباطين الثلاثة وهم قومندانث ثغور السويس ودمياط والاسكندرية ويسمى واحدهم قبطان بك والدفتردار وامير الحج وامير الخزنة وحكمنداريو اومديرو المديرية الخمس الآتي ذكرها وهي جرجا والبحيرة والمنوفية والغربية والشرقية . ولم يكن لغير الكنخيا والدفتردار وامير الحج الحق في دخول

الديوان فالدفتردار كان عليه ضبط الحسابات وحفظ الدفاتر والسجلات ولا ينفذ امر ببيع عقار الا بعد توقيعه عليه اشارة الى تسجيله في دفتاره . وامير الحج يحمل الهدايا والصدقات التي كانت يرسلها السلطان سنوياً الى مكة او المدينة وعليه حماية قافلة الحج ذهاباً واياباً . واما امير الخزنة فيحمل القسم المختص بالقسطنطينية من حاصلات مصر برأً وعليه حمايته . وينتخب من البكوات الممالك ايضاً شيخ البلد » وسنعود اليه

وكانت مديريات القليوبية والمنصورة والجيزة والفيوم في عهده كشف لا فرق بينهم وبين البكوات في النفوذ . ولا يعمل باقرار احدهم الا بعد مصادقة الشريحية وغيرهم من الوجاهة الذين يتألف منهم ديوان خاص في كل مديرية

ثم ان تعيين نكيا الباشا وقيباطين السويس ودمياط والاسكندرية متعلق رأساً بجمالة السلطان فيرسلونهم من الاستانة ويستدعونهم اليها في آخر كل سنة . اما البكوات الاخرون فيعينهم الديوان ويوليهم الباشا ويثبتهم الباب العالي ومرا كزهم ثابتة الا ان واجباتهم تتغير الا الدفتردار . وقد ينتخب البكوات من وجاق المتفرقة ومتى انتخبوا لا يعودون تابعين لذلك الوجاق . وكان من هم الباب العالي الالتباء الى السويس ودمياط والاسكندرية على الخصوص لانها الابواب التي يدخل منها الى مصر فكان يرسل حاميها راساً من الاستانة تحت قيادة القباطين ويجدها كل سنة وهو لاء القباطين لم يكونوا يحسبون من جند مصر الا باعتبار اقامتهم فيها وبما ينالونه من الامدادات المالية لتفقاتهم . اما فيما خلا ذلك فكانوا يحسبون احاب في اعتبار الباشا وديوان مصر ولم يكونوا تحت اوامر حكومة البلاد في شيء فاوامرهم كانت ترد اليهم من ديوان الاستانة رأساً

حاصلات البلاد

هنا من قبيل الادارة . اما من قبيل حاصلات البلاد فان السلطان سليمان صرح بانه المالك الحر لارض مصر فكانت له ملكاً وكان يفرقها اقطاعات على مزارعين كان يدعوهم « الملتزمين » على انه لم يكن له ان يمنح اقطاعها او يوقفه فلم يكن بالحقيقة فرق بين هذه الاقطاعات والملك الحقيقي . والفلاحون الذين كانوا يحرثون الارضين كانوا يتبعون بنصيبهم منها ويورثونها لاعقابهم ولكنهم كانوا مجبورين على العمل فيها بدون حق التصرف بها وعليهم خراج لامناص من دفعه للملتزمين فاذا توفي فلاح بلا وريث تعطى ارضه للملتزم وهو يعهد بمرائتها الى من يشاء واذا مات الملتزم بلا وريث تعود الارض للسلطان . وكان على كل من الملتزمين والفلاحين خراج يدفعونه اما نقداً واما عيناً فاذا تاخر الفلاح عن الدفع يمنع من نيل نصيبه واذا تاخر الملتزم تؤخذ الارض منه . ونظراً لاتساع ارض مصر لم يمكن حصر املاك كل من الملتزمين

فلم يكن ممكناً تعيين مقدار خراجها فأرسل السلطان سليمان مساحين مسحوا الارضين المصرية فقسموا المديرية الى اقسام دعوها بالقراريط ومسحوا كلاً منها على حدة وحدوده

باشوات مصر او ولاتها ايام السلطان سليمان

كل هذه المنظمات الادارية والمالية اجراها السلطان سليمان بالتتابع بواسطة الباشوات الذين اقامهم على مصر مدة حكمه وعددهم ١٤ . اولهم مصطفى باشا تولى بعد وفاة خير بك باشا في ذي الحجة سنة ٩٢٦ هـ وبعد تسعة اشهر و ٢٥ يوماً ابدل باحمد باشا وكان عدواً للصدر الاعظم ابراهيم باشا فأرسل الصدر سنة ٩٣٠ هـ الى امراء القاهرة ان يقتلوه فعلم هو بالدسيئة فقبض على الكتب الواردة بذلك قبل ان تصل الى اصحابها ثم استدعاهم واعلمهم انها اوامر من جلالة السلطان بقتلهم ولم يطلعهم عليها فابوا الاذعان الا ان اباهم لم يمنع قتلهم

ولما تأكد احمد باشا انه صار في مأمن من المقاومين صرح باستقلاله وامر ان يخطب له وان تضرب النقود باسمه - وهو اول من طمع بالاستقلال من ولاة مصر في عهد الدولة العثمانية . لكنه بالغ بالعسف فاختمت ممتلكات البعض وحبس البعض فثارت الافكار عليه حتى اصبحت حياته في خطر . وبينما كان ذات يوم في الحمام فاجاه اميران من امرائه كان قد امر بسجنهما وهما جهم الخزاوي ومحمود بك فكسرا باب السجن وخرجوا رافعين العلم الشاهاني يستنصران الناس حتى اتيا الحمام فعلم الباشا بذلك ففر من السطح والتجأ الى احد مشايخ عربان الشرقية واسمه ابن بقر فتعقبه اعداؤه حتى ادركوه وقطعوا رأسه وعلقوه على باب زويلة ثم نقل الى الاسطانة سنة ٩٣١ هـ

فأرسل السلطان عوضاً عنه قاسم باشا وفي نيته تقصير مدة هؤلاء الولاة اثلاً لثور في خواطرهم حب الاستقلال فبعد تسعة اشهر و ١٤ يوماً استبدله ابراهيم باشا وكان نشيطاً محباً للإصلاح والنظام الا ان قصر مدته لم تمكنه من اتمام ما كان شارعاً فيه فعزل واقيم بدلاً منه سليمان باشا سنة ٩٣٣ هـ وكان السلطان راضياً عن هذا الباشا واثقاً به فابقاه في الحكم تسع سنوات و ١١ شهراً

وفي سنة ٩٤١ هـ استقدمه الى الاسطانة ليسامه قيادة حملة اعددها لمحاربة الفرس والهند وقد اقام في اثناء حكمه بنايات كثيرة من جمله جامع سارية في القلعة . وناب عنه في غيابه خسرو باشا نحو سنة وعشرة اشهر فعاد سليمان باشا الى مصر وبقي عليها بعد ذلك نحو سنة وخمسة اشهر

وفي سنة ٩٤٥ هـ عهدت باشوية مصر الى داود باشا فبقي عليها ١١ سنة و ٨ اشهر

وكان رجلاً مستقيماً كريم الاخلاق محباً للعلماء آخذاً بناصرهم كلفاً بالمطالعة وعلى نوع خاص مطالعة المؤلفات العربية فجمع منها عدداً وافراً واستنسخ كل ماظفر به من الكتب غير المطبوعة فجمع مكتبة جميلة جداً . وكان الاهلون في مدة حكمه في مجبوحه السعادة والامن وتوفي في القاهرة سنة ٩٥٦ هـ فتولى مكانه علي باشا وهذا ريم وبني عدة بنايات عمومية في القاهرة وفي قوة ورشيد واقندى به غيره من بكوات مصر فجعلوا يشيدون الجوامع منها الجامع الذي ابتناه عيسى بك في ديروط . وكان علي باشا محبوباً مكرماً عند المصريين بمنزلة الاب لكنه مع ذلك لم يحكم الا اربع سنوات وستة اشهر . ففي سنة ٩٦١ هـ تولى باشوية مصر محمد باشا وكان الناس يبغضونه فلم يحكم الا ثلاث سنوات ولما زاد التشكي منه عزل واستقدم الى الاسنانة للمحاكمة فحكم عليه بالقتل سنة ٩٦٣ هـ

وبعد محمد باشا تولى اسكندر باشا فحكم ٣ سنوات و٣ اشهر ونصف وفي سنة ٩٦٨ هـ تولى علي باشا الخادم . وبعد ١٧ شهراً خلفه مصطفى باشا (الثاني) في سنة ٩٦٩ هـ ثم في سنة ٩٧١ هـ تولاه علي باشا الصوفي سنتين و٣ اشهر . وكان علي الصوفي قبلاً حاكماً في بغداد مشهوراً فيها باعوجاج الاحكام والخيانة فلما تولى مصر كثرت فيها السرقات والتعدييات حتى غصت ضواحي القاهرة باللصوص واخترت قلة منهم المدينة حتى الجامع الابيض . فاضطرت الحكومة ان تقيم سوراً من قنطرة الحاجب الى هذا الجامع منعاً لمثل ذلك

وفي شوال سنة ٩٧٣ هـ ابدل علي باشا الصوفي بمحمود باشا وهو آخر من تولى مصر في ايام السلطان سليمان قجاء من الاسنانة بموكب عظيم فاهدي اليه في اثناء مروره من الاسكندرية الى القاهرة هدايا عظيمة . فلما وصل القاهرة لاقاه الامير محمد بن عمر متولي الصعيد على قارب فيه جميع انواع الهدايا وخمسون الف دينار فاخذ الباشا الهدايا منه وأمر بمنخقه حال خروجه من مجلسه . وأمر ايضاً بمنخنق القاضي يوسف العبادي لانه لم يات لملاقاته ولم يهده شيئاً واستقر على هذه المظالم حتى قتل معظم اعيان القاهرة فكان لا يمر الا ومعه الشوباصي (رئيس الجلادين) فاذا مرّاً باحد واراد قتله اشار بيده الى الشوباصي فيعمد حالاً الى ذلك السيء الطالع فيعدهم الحباة باسرع من لمح البصر وفي ٣ رجب سنة ٩٧٤ هـ توفي الامير ابراهيم الدفتردار وكان اميراً للحج فاستولى محمود باشا على مارك من المال والماليك والجواري وجملة ذلك مائة الف دينار ضمها الى المال الذي يرسل الى الاسنانة سنوياً وبعث معها هدايا ثمينة للسلطان ووزرائه استجلاباً

لجأ طرهم . لكنه لم ينتفع من ذلك قبل ان قتل في يوم الاربعاء غاية جمادى الاولى سنة ٩٧٥ هـ وهو ماراً في موكبه الاعتيادي بين البساتين . ولم تقف الحكومة على القاتل فاتهمت اثنين من الفلاحين وقتلتهما ظلماً لانهما وجدا بقرب مكان القتل . وكان السلطان سليمان قد توفي قبل ذلك بسنة (صفر سنة ٩٧٤ هـ) وسنه ٧٤ سنة ومدة حكمه ٤٨ فتولى بعده ابنه سليم شاه « الثاني » في ٩ ربيع اول من تلك السنة



ش هـ : نقود سليمان القانوني

وترى في الشكل الخامس نقود السلطان سليمان ضربت في القسطنطينية سنة ٩٢٦ هـ . وبما يحسن التنبه اليه ان سلاطين آل عثمان لا يورخون نقودهم الابسة جلوسهم على السلطنة وليس بسنة ضربها

سلطنة سليم بن سليمان

من سنة ٩٧٤ — ٩٨٢ هـ او من ١٥٦٦ — ١٥٧٤ م

فلما بلغ السلطان سليم شاه موت محمود باشا امر بنقل سنان باشا من باشوية حلب الى باشوية مصر . وبعد وصوله اليها بتسعة اشهر اتفذه لمحاربة البين فسار سنان من مصر في ٤ شوال سنة ٩٧٦ هـ ومعه حمزة بك ومماي بك وغيرهما من امراء مصر واستخلف على مصر اسكندر باشا الشرکسي . ومكث سنان باشا في تلك الحملة سنتين و٤ اشهر ففتح البين وعاد ظافراً الى مصر فراى الاحوال هادئة والنظام مستتباً بدراية اسكندر باشا المذكور لانه كان حكيماً محباً للرعية فرفع الضرائب عن الفقراء والعاجزين والقسم الاعظم من طلبه العلم وكان شديد التعلق بالعلم وذويه فلما عاد سنان باشا الى مصر (اول صفر سنة ٩٧٩ هـ) عادت احكامها الى يده فاهتم بتأييد النظام وحفظ رونق البلاد فاعاد حفر ترعة الاسكندرية وروم وبني فيها جامعاً وشارعاً وعدة حمامات . وبني في بولاق بمصر شارعاً ووكالات وجامعاً لا يزال معروفاً باسمه . وما زال على مصر الى ذي الحجة سنة ٩٨٠ هـ خلفه حسين باشا وكان على جانب من اللطف والبدعة وحب العلم والادب ولا يعاب الا لكثرة حلمه الامر الذي آل الى تكرار الاصوص في ولايته ولم يحكم الا سنة وتسعة اشهر . وفي ايامه توفي السلطان سليم

شاه (سليم الثاني) في ٢٨ شعبان سنة ٩٨٢ هـ بعد ان حكم ثمانى سنين وخمسة اشهر و ١٩ يوماً



وترى في الشكل ٦ صورة نقود السلطان سليم الثاني مضروبة في حلب بتاريخ سنة ٩٧٤ هـ

ش ٦ : نقود السلطان سليم الثاني

سلطنة مراد بن سليم

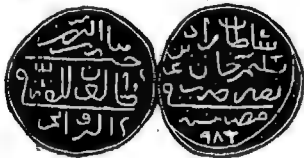
من سنة ٩٨٢ — ١٠٠٣ او من ١٥٧٤ — ١٥٩٤ م

وفي ١٠ رمضان بويغ ابنه مراد خان (مراد الثالث) وحال جلوسه على كرسي السلطنة ولى على مصر بدلاً من حسين باشا مسيح باشا وكان خزنداراً عند السلطان سليم الثاني فحكم في مصر خمس سنوات وخمسة اشهر ونصف ووجه اهتمامه خصوصاً الى ابطال السرقات والتعديات فكان يقبض على اللصوص ويقتلهم بدون شفقة حتى بلغ عدد من قتل من اللصوص عشرة آلاف فارتاحت البلاد من شرورهم . ثم عكف على اصلاح شؤون الرعية وكان نزيهاً لا يقبل الرشوة ولا الهدية . ومن آثاره مسجد عظيم في ضواحي القرافة لا يزال يعرف باسمه . وقد بناء على اسم الشيخ نور الدين القرافي وجعله له ونسله ملكاً حراً وخصص دخلاً معيناً للنفقة عليه . وامر مسيح باشا ان تستهل الاوامر والكتابات الرسمية والاحكام بهذه العبارة « الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا وآله وصحبه ان المؤمنين اخوة فاحفظوا السلام بين اخوتكم واتقوا الله »

وفي سنة ٩٨٨ هـ ولى مصر حسن باشا الخادم خزندار السلطان مراد الثالث فلم يكن همه الا جمع الاموال باية وسيلة كانت واعادة ما كان حظره سابقه من الرشوة والهدايا . فبقي على ولاية مصر سنتين وعشرة اشهر . ولما عزل عنها سار من القاهرة خفية وطلع من باب المقابر لثلاثين متقم منه اهلها . وفي سنة ٩٩١ هـ خلفه ابراهيم باشا فاخذ يستطلع ويحرى ما اتاه سابقه من الاختلاس فجعل في جامع السلطان فرج بن برقوق موظفاً خصوصياً لاستماع تشكيات المتظلمين على الوالى السابق من ١٠ رجب من تلك السنة الى غاية رمضان فاطلع على مظالم لا تحصى من جلثها ١٠٠٤٤٢

اردب قح من الشون العمومية باعها حسن باشا واستولى على قيمتها فرفع ابراهيم باشا تقريراً مدققاً بشأن ذلك الى السلطان فامر بقتله خنقاً . ثم طاف ابراهيم باشا بنفسه يتفقد احوال المديرية ويتحقق حالتها وزار ايضاً آبار امرود في الصحراء ورمم بعضها . وفي عودته الى القاهرة استقال من منصبه سنة ٩٩٢ هـ وتولى مكانه سنان باشا الثاني وكان دفتر داراً . وبعد ستة اشهر وعشرين يوماً برح مصر هارباً وسبب ذلك انه ساء التصرف فاشتكاها الناس الى الاسنانة فجاء اويس باشا الى مصر ليتحرى تلك التشيكات فحالما علم سنان بمجيئه فرّ هارباً

فتولى اويس حكومة مصر سنة ٩٩٤ هـ وكان صارماً في الاحكام . وكان في اول امره قاضياً ثم صار دفتر داراً في الرومي ثم نقل الى باشوية مصر كما تقدم . وبقى عليها خمس سنوات وخمسة اشهر وعشرة ايام واراد ان يدرب الجنود دفعصوه وهجموا عليه في الديوان في ٢٨ شوال سنة ٩٩٧ هـ واهانوه ونهبوا بيته وفي جملة ما نهبوا منه ساعة كبيرة تعرف منها الايام . ثم ذهبوا الامير عثمان قائد وجاق الجاويشية واخربوا بيت قاضي العسكر وقتلوا قاضيين من قضاة مصر ثم عمدوا الى الخوانيت فنهبوا - كل ذلك والامراء لا يستطيعون منعهم والاضطراب يزداد والثائرون يتردون وقد حاول الدفتر دار ايقافهم عند حدم فذهب سعيه باطلاً . ثم ظن اويس باننا انه اذا جاءهم بالحسنى ربما يلينون فبعث الى القضاة ان لا يخالفوا لهم امراً فلم يزدهم ذلك الا عناداً وجوراً حتى قبضوا على اولاد الباشا رهناً لما يريدون فاضطر الباشا الى الاذعان لما ارادوه واعطاهم ما طلبوه واستقال من تلك الولاية بعد ان ملّ من خيبة مساعيه الحميدة فيها . فتولى مكانه حافظ احمد باشا سنة ٩٩٩ هـ وكان حاكماً في قبرص وعلى جانب عظيم من حب العلم وطلبيه حاذقاً مدرباً في امور الاحكام . وكان رفيقاً بالاهلين ففرق الحسنات على الحجاج الفقراء وابنى في بولاق



وكاليتين وعدة قصريات وعدة بيوت وخصص ربع دخلها لعمل الخير وبقى حاكماً في مصر ٤ سنوات

ش ٧ : نقود السلطان مراد بن سليم



وترى في الشكاين ٢ و ٨ صورة نقود السلطان مراد بن سليم . مضروبة في القاهرة بتاريخ سنة ٩٨٢ هـ

ش ٨ : نقود السلطان مراد بن سليم

سلطنة محمد بن مراد

من سنة ١٠٠٣ - ١٠١٢ هـ أو من ١٥٠٤ - ١٦٩٣ م

وفي ١٧ رمضان سنة ١٠٠٣ هـ تولى الخلافة في الاستانة السلطان محمد بن مراد (محمد الثالث) عوضاً عن ابيه مراد الثالث

فولى على مصر قورط باشا فلم يبق فيها الا سنة وثمانية ايام وكان الناس يحبونه للطفه ودعته وتنشيطه لطالبي الادب ومساعدته للفقراء ولكل من يلتجىء اليه . وفي شوال سنة ١٠٠٤ هـ خلفه السيد محمد باشا وبقي على الحكومة سنتين اتبع في اثنائهما خطة اسلافه في تنشيط العلم والادب فاعاد بناء الجامع الازهر وجعل فيه وظائف يومية من العدس المطبوخ تفرق في الطلبة الفقراء ورسم المشهد الحسيني . ومع كل ما كان يتوخا . من السعي في حفظ النظام بين الاهلين لم يمكنه انقاذهم من ثورة عسكرية انتشبت في غرة رجب سنة ١٠٠٦ هـ في سائر انحاء القطر المصري . ثم اجتمع العصاة الى القاهرة وكان السيد محمد باشا اذ ذاك في منزله في بركة الحيزة فعاد الى القاهرة تحفّ به السناجق وزمرة من الخفراء فلم يبال العصاة بذلك بل اطلقوا عليه النار ولم يتخلص من ايديهم الا بعد شق النفس . فسار الى احد منازلهم فتبعوه وحاصروه هناك ليلاً ونهاراً والحوا عليه ان يسلمهم بعضاً من ضباطه وفي جملتهم دالي محمد احد كبار الامراء والامير جلاد الشوباسي والامير خضر كاشف المتصورة فطلب اليهم ان يمهلوه ثلاثة ايام . فلما جاءهم رسوله قالوا له « سيحكم الله بيننا وبين مولاك » وتفرقوا في المدينة فظفروا بقاضي العسكر عبد الروثوف فاجبروه على القيام بمطالبتهم . اما الباشا فاعتنم اشتغالهم بذلك الشأن وفرّ من منزله ودخل القلعة واقفل ابوابها وراءه والتجأ الى حسين باشا السكراني قائم عموم الجيش ويري بك امير الحج فحاولا تسكين الثورة فذهب سعيهما عبثاً . ثم علما ان العصاة قتلوا الامير محمد بك والدالي محمد وعلقوا رأسهما على باب زويلة ونهبوا بيتيهما وانحسروا في الناس قتلاً ونهباً

وفي ١٧ ذي الحجة سنة ١٠٠٦ هـ ابدل السيد محمد باشا بنحضر باشا فحكم ثلاث سنوات و ١٢ يوماً وقد اغضب الاهلين منذ وصوله القاهرة لانه امر بقطع الاعطيات والجرايات التي كانت توزع على العلماء والفقراء من الخطة ولم يقتصر على الايقاع بهؤلاء الضعفاء بل تجاوزهم الى الضابطة فاحرمهم زادهم فتجمعوا في



ش ٩ : والي مصر في موكبه بالقرن العاشر للهجرة

٢٠ رمضان سنة ١٠٠٩ هـ وساروا الى قاضي العسكر . ثم اتحدوا والقاضي في مقدمتهم وتوجهوا الى الديوان يريدون الانتقام فقتلوا كخيا الباشا وامراء آخرين تخاف الباشا فسلم لهم بما كانوا يطلبونه واعاد لهم الاعطيات كما شاؤا وخمدت الثورة وعادت المياه الى مجاريها . الا ان الباشا لم يلبث هنيهة حتى جاءه الامر بالاقالة فاستقال وولي مكانه الوزير علي باشا السلحدار وكان عجا للحرب ولذلك كان يكرم الجند على الخصوص لكنه كان سفاكاً للدماء فتظلم الناس من قسوته ولم يكن يخرج في موكبه الى المدينة او ضواحيها الا ويميت على الاقل عشرة اشخاص تحت حوافر جواده فكان الناس يرتعدون خوفاً من ذكر اسمه . ورافق كل ذلك جوع عظيم فكثرت الوفيات وعم الخراب . فازداد الرعب حتى امر الباشا ان تدفن الموتى سرّاً اما هو فترك القاهرة فراراً



ش ١٠ : تقود السلطان محمد بن مراد ضربت في القاهرة

من تلك العائلة واستخلف عليها يري بك . وبعد يسير توفي هذا فانتخب السناجق الامير عثمان بك ليقوم مقامه وبقي هذا حتى عين الباب العالي من يخلف علي باشا وكان ذلك التغير بسبب وفاة السلطان محمد الثالث في ١٦ رجب سنة ١٠١٢ هـ



وترى في الشككين ١٠ و ١١ صورتين من

نقود السلطان محمد بن مراد الاولى مضروبة

في القاهرة والثانية في دمشق

ش ١١ : نقود السلطان محمد بن مراد

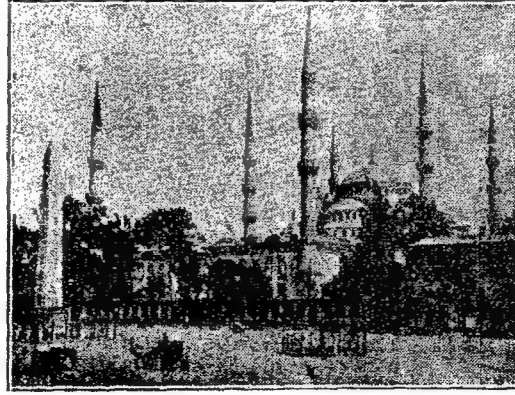
مضروبة في دمشق

سلطنة احمد بن محمد

من سنة ١٠١٢ — ١٠٢٦ هـ او من ١٦٠٣ — ١٦١٧ م

فذهب ابنه احمد بن محمد (احمد الاول) فولى على مصر ابراهيم باشا . فحكم فيها مدة قصيرة انتهت بخطب جسيم — وذلك انه منذ وصوله اليها عزم على ابطال طلبات الجنود ولما اراد انفاذ ما نواه زادت الجنود تمرداً . وفي ٣٩ ربيع آخر سنة ١٠١٣ هـ علموا ان الباشا خرج من القاهرة في زمرة من رجاله وركب النيل الى بولاق قاصداً شبرا قرب جسر ابي المنجا . فاجتمعوا في ضواحي القرافة وتعاقدوا بالايامان المغلظة على قتله . وفي الصباح التالي جاؤا وعسكروا في بولاق ينتظرون عوده . ثم قاموا من هناك يريدون مهاجمته في قلعة الدولاب وكانوا قد علموا بالتجائه اليها . فلما علم هو ومن معه من السناجق بقدم تلك العصابة تشاوروا فيما بينهم فنصح له السناجق ان يسافر بحراً قبل ان يصل اليه ضيم فلم يصغ لهم وتشدد بمن معه من الجاويشية والمنفرقة ثم جاءت الجنود النائرة واحاطوا بالقلعة وبعثوا من بينهم ١٥ رجلاً ليأتوا برأس الباشا فدخل هؤلاء القلعة والسيوف مشرعة في ايديهم حتى جاؤا مجلسه فاتهم قائلاً « ماذا تريدون لم تستولوا على مرتباتكم والانعام الذي يعطى اعبياداً عند تلبية الحكم عليكم فاذا تطلبون ؟ » فاجابوه « لا نطلب منك شيئاً الا راسك » قالوا هذا وصفه احدهم على وجهه وادركه الباقون بالطعن مراراً . ثم عمد احدهم الى راسه فقطعه . فاتهم الامير محمد بن خسرو ووجههم على ما جاءوا به من القصة فلم يجيبوه الا بما اجابوا ذاك واخذوا راسي الاثنين وعادوا بهما الى رفاقهم حول القلعة . ثم حملوها وداروا بهما شوارع المدينة الى ان علقوهما على باب زويلة وكان قد تعود مثل هذه الاكاليل

وفي ذلك اليوم اقاموا عليهم عثمان بك فلم يقبل فولوا قاضي العسكر مصطفى افندي



ش ١٢ : جامع السلطان احمد بالاسانة

فلما علم ديوان الاسانة بقتل ابراهيم باشا ارسل عوضاً عنه الوزير محمد باشا الكورجي الملقب بالخادم . وحال وصوله القلعة وردت الاوامر الصارمة من الباب العالي الى جميع السناجق ان يستطلعوا اصل الثورة واسبابها ويقبضوا على زعمائها . فاجتمع السناجق والقسم الاعظم من الجيش في قراييدان وكان الباشا في القلعة فبعث يستقدم السناجق اليه ليلبثهم هذه الاوامر رسمياً فرفضوا المثول بين يديه فتوسط الامراء ووعدوا السناجق انهم اذا سلموا القاتلين نجوا ونالوا العفو العام فقبلوا وسلموا القاتلين الى الباشا فامر بقطع اعناقهم بين يديه حالاً واطلق السناجق . تخاف الثائرون وضعف عزيمتهم ولا سيما لما رأوا من محمد باشا التيقظ لحفظ النظام ومعاينة المعتدين وقد قتل منهم نحواً من مائتي رجل في مدة حكمه القصيرة التي لم تدم اكثر من سبعة اشهر وتسعة ايام

فتولي بعده الوزير حسن باشا وهو اقل صرامة من سلفه فكان يعامل الجنود بالحسنى وكان ابنه فيهم برتبة بكربكي وكانت الاحوال هادئة جداً في اثناء حكمه . ثم تولى بعده الوزير محمد باشا في ٢ صفر سنة ١٠١٦ هـ وبقي على حكومة مصر اربع سنوات واربعة اشهر و١٢ يوماً وكان حكيماً حازماً اخذ منذ وصوله القاهرة في المحافظة على السلام فنجى الاهلين مما كان يكدر راحتهم فاكتسب قلوبهم ومحبتهم الا انه لم ينبج من الحساد وذوي الاغراض

وفي اواخر شوال من السنة التالية ثارت عليه الجيوش واجتمعوا في برج سيد

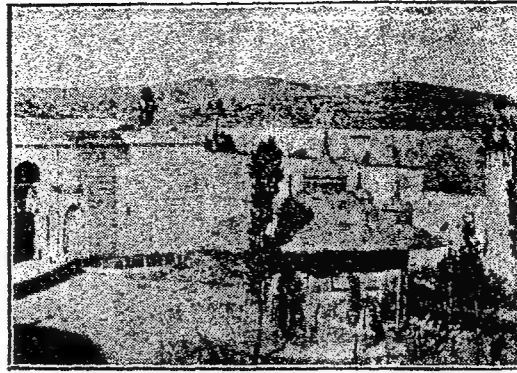
احمد البدوي وتحالفوا ان لا يوافقوه على الغاء الضرائب غير العادلة التي كانت مضروبة على الفطر الى ذلك العهد . ثم اختاروا من بينهم رئيساً ولوه عليهم سلطاناً وتقاسموا مصر الى اقسام تولي كل واحد منهم اثاره الشغب والنهب في قسم منها فانتشرت تعدياتهم في جميع الدلتا . فلما علم محمد باشا بذلك جمع السناجق والجاوشية والمتفرقة وسار بهم تحت قيادته لردع العصاة في ٩ ذي الحجة سنة ١٠١٧ هـ واخذ معه ستة مدافع وانضم اليه كثير من مشايخ قبائل العرب وفي الليلة التالية عسكر الجميع في بركة الحج وفي الصباح هاجوا العصاة في الخانقا فضيقوا عليهم بالنيران فاضطروا نكث الى التسليم فاخذ عليهم الباشا عهداً اولها ان يسلموا اليه سلطانهم وكبار رؤسائهم ووعدهم بالتأمين على حياتهم فقبلوا وسلموا الرؤساء وعددهم نحو ٧٧ قاصر بقتلهم حالاً . ثم جرد الباقين من سلاحهم ففرقوا فتعقبهم رجال الباشا وقتلوا من ظفروا به منهم . فلما رأى قاضي العسكر محمد افندي الملقب ببختي زاده ما كان يحصل من امثال هذه المذابح يومياً فصح للباشا ان ينفي كل من يقبض عليه منهم الى اليمن ففعل وكانت النتيجة حسنة وبطلت التعديات

و! ارتاح محمد باشا من تلك الثورات اخذ في اصلاح الادارة المالية فتفحص بنفسه النفقات التي كانت تدفع من الخزينة واقتصد منها كل ما لم يكن ضرورياً . ثم نظر الى الضرائب فابطل طريقة المالك الشرا كسة فيها واتبع القوانين التي صدرت سنة ٩٣٢ هـ في زمن السلطان سليمان القانوني ثم نظم المكوس وعدلها ولم يكن يكلف نفساً الا وسعها فاذا رأى ارضاً لا تقوى على القيام بما فرض عليها من المكوس تنازل لها عنه وساعدها في احياء مواتها . ولما برح مصر نال من المكافات والانعامات ما لم ينله احد من اسلافه في مصر . وتولى بعده محمد باشا الملقب بالصوفي وكان يحب العلماء ورجال الفضيلة وكان ورعاً حليماً عفيفاً لم يقبل رشوة ولم يأت ظلاماً الا انه كان ملوماً لزيادة ضعفه بما يتعلق بمحبوبه يوسف الذي كثيراً ما تعدى حدوده

وفي سنة ١٠٢٢ هـ ارسل الصدر الاعظم عشرة آلاف جندي الى اليمن لالاخذ ما كان ثأراً من الشعب هناك وارسلت الفرقة المذكورة عن طريق مصر ومعها امرام الى الباشا بدفع النقود اللازمة لها وتشجيع الحملة الى اليمن . فلما وصلت الجيوش الى مصر وعلموا بما ورد من الاوامر بشأنهم ادعوا انهم جاؤا ليقبوا في مصر ولم يدعوا لاورام الباشا بالسفر فانحنوا لهم منازل في مخازن باب النصر وطردوا بعض اصحابها منها فاجتهد الباشا ان يحملهم على التسليم بالاوامر الواردة اليه بشأنهم فذهب سعيه

باطلاً واقاموا المتاريس في ابواب الحارة واقفلوا باب النصر ونصبوا المدافع في برجيه فاضطر الباشا الى محاصرتهم بكل ماله من الوجاقات والمدافع فتمكن الامير عابدين بك من الدخول الى حصنهم من اب في المدرسة المدعوة بالجانبلاطية تخاف العصاة وسلموا ففرق فيهم الباشا نحو ثمانين كيساً وسافروا

وبعد سير اقبل محمد باشا الصوفي فاعتزل في قبة العدلية ولم يبرحها الا بعد ان علم بوصول خلفه احمد باشا دفتردار مصر سابقاً الى الاسكندرية ثم جاء القاهرة ودخلها بموكب حافل . وبينما هو بموكبه في المدينة رماه بعض الناس بحجر من سطح بعض البيوت فكسر الهلال الذي كان فوق عمامته ولم يؤذه فامسك الفاعل فاعترف بذنبه فقتل في ذلك المكان



ش ١٣ : سيل السلطان احمد بالاسانة

وفي محرم سنة ١٠٢٥ هـ ورد الى الباشا المذكور امر من الاسانة ان يرسل الفأ من جنود مصر لتتضم الى الجيش العثماني الزاهب لمحاربة الفرس . فارسلهم تحت قيادة صالح بك امير الحج فساروا على آتم نظام ومروا بالمديريات ولم يشعر الاهالي بمرورهم لما كان لهذا الباشا من النفوذ وما اقامه في مصر من النظام مع اعطائه الجيوش حقهم من المرتبات . ولم يكن يتيسر قبل ذلك مرور مائة رجل بمقاطعة واحدة ما لم يشهوها . فالتقت هذه الفرقة بالجيش العثماني في الخانقاه وانضمت اليه ولما ودع الباشا عساكره فرق فيهم المال فاصاب الواحد منهم ٢٠ ديناراً على الاقل

وكانت مدة حكم احمد باشا سنتين وعشرة اشهر واثنى عشر يوماً ولم يقتل في اثنائها
اكثر من عشرة اشخاص ارتكبوا اموراً استوجبوا من اجائها القتل ولم يكن يحكم على
احد الا بعد البحث الدقيق واستماع تقارير الدعوى من الطرفين

سلطنة مصطفى بن محمد ثم عثمان بن احمد ثم مصطفى بن محمد ثانية

من سنة ١٠٢٦ — ١٠٣٢ هـ او من ١٦١٧ — ١٦٢٣ م

وفي يوم الاربعاء ٢٣ ذي القعدة سنة ١٠٢٦ هـ توفي السلطان احمد الاول وبويع
اخوه السلطان مصطفى الاول ويوم مبايعته استبدل احمد باشا بمصطفى باشا لفعلي . لكن
السلطان مصطفى لم يمكث على عرش السلطنة الا ثلاثة اشهر وثمانية ايام . وفي يوم
الاربعاء ٣ ربيع اول سنة ١٠٢٧ هـ خلفه ابن اخيه ابو النصر عثمان . اما الوزير
مصطفى باشا فلم يبق على مصر بعد خلع السلطان الذي ولاه الا بضعة اشهر لانه سهل
النفوذ لذويه في الاحكام فنشأت ثورة عسكرية في ٧ شوال سنة ١٠٢٧ هـ فقتل الثائرون
عدداً كبيراً من الامراء والاغوات وغيرهم من الكبراء واضطر الباقون الى الفرار ولم
يسكن الاضطراب الا بعزل مصطفى باشا بامر السلطان عثمان . فتولى مكانه الوزير جعفر
باشا وهذا لم تطل حكمته اكثر من خمسة اشهر ونصف . وكان محباً للعلم والعلماء
يجمع اليه رجال الادب ويكرم مثواهم ولم يهتم كل تلك المدة الا بما فيه منفعة البلاد
وراحة العباد

وظهر في ايامه وباء انتشر في مصر وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً من غاية ربيع اول
سنة ١٠٢٨ هـ الى غاية جمادى الثانية من السنة المذكورة وقد لوحظ ان معظم الذين
ماتوا بهذا الوباء شبان بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين اعمارهم وبلغ عدد
من توفي بسببه ٣٦٥٠٠٠ نفس

وتولى بعد جعفر باشا مصطفى باشا فقبض على مصطفى بك الملقب بالبكلجي زعيم
الثورة التي نشأت في ايام مصطفى باشا لفعلي وحكم عليه بالاعدام . فسر الناس بذلك
لان مصطفى بك المذكور كان اصل متاعبهم . على ان سرورهم لم يلبث ان ظهر حتى
ابدل بالكدر لان مصطفى باشا حاكمهم الجديد اضطهد تجارهم وضيق عليهم مسالك
رزقهم . فرفعوا تظلماتهم الى السلطان فنظر في دعواهم وانصفهم فعزل ذلك الباشا
ورلى حسين باشا . فبادر هذا الى ابطال جميع الضرائب غير العادلة التي كان قد ضربها

سلفه . وفي ايامه ارتفع النيل ارتفاعاً فوق العادة فطاف على الارض واغرقها حتى
يئس الناس من البقاء لهاية ذلك الطوفان واصابهم ضيق عظيم عقبه طاعون شديد .
ثم عزل حسين باشا واستقدم الى الاستانة وقبل وصوله اليها خلع السلطان عثمان
الثاني يوم الخميس في ٨ رجب سنة ١٠٣١ هـ واعيد مصطفى الاول الذي كان قبله
اما الباشا المعزول فوصل الى الاستانة في اسعد الاوقات له لان اعراض السلطان
السابق عنه كان داعياً لرغبة السلطان الجديد في تقريبه منه فانفتحت الاحزاب هناك
على توليته الصدارة العظمى . وكان عثمان الثاني قبل وفاته قد بعث الى مصر محمد باشا
بدلاً من حسين باشا لكنه لم يصل مصر الا بعد ان انجى اهلها بما كان يأتيه في الروملي
يوم كان والياً عليها فنفروا منه وخافوا من تصرفه . ولحسن حظهم لم يبق بينهم الا
شهرين ونصف شهر فلما تولى حسين باشا الصدارة العظمى عزله بأمر السلطان مصطفى
الاول وولى ابراهيم باشا . وبقي هذا على مصر سنة وقد تمكن بحسن سياسته وتديره
من اكتساب رضى الاهلين وفقهم الا انه حصل في ايامه ضيق عيش وغلت اسعار
المأكولات جداً

ولما عزل ابراهيم باشا سافر الى الاسكندرية بجزراً خلافاً للعادة الجارية في من
سبقوه على حكومة مصر فانهم كانوا اذا عزلوا من مناصبهم سافروا برّاً . وتولى مكانه
مصطفى باشا واستلم زمام الاحكام في ٢٢ رمضان سنة ١٠٣٢ هـ فانه كتب الديوان
يشتكرون تصرف سلفه وقالوا انه مدين للخزينة بمبلغ وافر فارسل في اثره بعض
الجاويزية فالتقوا به فهددهم بالقتل اذا لم يمودوا عنه فخافوا وعادوا الى القاهرة . فارسل
الامير صالح بك فادركه وقد نزل البحر في الاسكندرية فاعز الى ان يقف فاجاب
انه متوجه الى الاستانة فاذا كان عليه شيء يدفعه هناك الى السلطان نفسه . قال ذلك
ونشر الشراع فمخرت به السفينة فاطلقوا عليه من طابية منارة الاسكندرية بعض
الطلقات المدفعية فلم يبال بها



سلطنة مراد بن احمد

من سنة ١٠٣٢ — ١٠٤٩ هـ او من ١٦٢٣ — ١٦٤٠ م

فبلغ الاستانة والسلاطان مصطفى الاول قد خلع وتولى مكانه السلطان مراد الرابع ابن احمد فلم يتعرض له احد . وبعد تولية مصطفى باشا بثلاثة اشهر اي في ١٥ ذي الحجة ورد الى القاهرة الامر بعزله وتولية علي باشا مكانه . فاجتمعت الاجناد وساروا الى القائنقام عيسى بك يطالبون الاعطاءات التي تفرق عند تولية كل وال جديد فانهم عيسى بك قائلاً « آفي كل ثلاثة اشهر مجدودون هذه الطلبات » فاجابوه « وما المانع ؟ الم يغير مولانا السلطان كل ثلاثة اشهر والياً علينا . الا يضر ذلك بمصلحة البلاد واذا اراد ان يولي كل يوم والياً فنحن ايضاً كل يوم نطلب الاعطاءات التي لنا » . فحاول القائنقام اقتناعهم فلم ينجح ولم يزدحم ذلك الا عناداً وتهديداً وصرخوا جميعهم بصوت واحد « نحن لا نرضى حاكماً آخر غير مصطفى باشا وليرجع هذا الى حيث اتى » ثم قرأوا الفاتحة واقسموا ان يحافظوا على ما قالوه وان لا يحنث احد منهم بذلك وبناء عليه اعيد مصطفى باشا الى منصبه

فلما رأى الحزب العسكري معه كتب الى السلطان يطلب تثبيتته وارفق الكتاب برسائل عديدة ممضاة من علماء القاهرة ومشائخها وقضاها وجميعهم يطلبون تثبيتته . ثم بلغهم وصول علي باشا الى الاسكندرية فبعثوا اليه وفدأ يبالغونه ان الجند والاهلين متفقون على رفضه فجمع الوفد اليه ودفع اليهم كتباً كلها مدح واطناب للامراء والجيوش فعاد الوفد وقرأ تلك الكتب على الجند فلم يكن جوابهم الا اعادة الوفد ليعيدوا مطالبهم الاولى . فلما رأى اصرارهم استشاط غضباً وامر فقبض على ذلك الوفد وقيدهوا الى قلعة الاسكندرية مغلولين وزجوا في سجنها فتأمروا مع جند الاسكندرية وكانوا من حزبه فخلوا وثاقهم وهجموا جميعاً على علي باشا وقوضوا خيمته واجبروه على الخروج من الاسكندرية حالاً فانزلوه في قارب مخصوص واخرجوه من الميناء وكانت الريح ضده فاعادته ثائسة فاطلق عليه الامير مصطفى من قلعة المنارة عدة طلقات ثقت سفينته ثقوباً لم تغرقها لكنها اخرجتها من الميناء ولقب الامير مصطفى من ذلك الحين بالطبيجي

وفي ٢٠ ربيع آخر سنة ١٠٣٣ هـ جاء القاهرة كتاب يحمله حمام الزاجل — وهو

يريد تلك الايام - فحواء قرب وصول مندوب عثماني ومعه الاوامر السلطانية . وبعد ايام وصل ذلك المندوب ودخل القاهرة وجمع السناجق والامراء وكبار الموظفين في الديوان والبس مصطفى باشا الخلعة المرسلة اليه من السلطان . ثم تلا عليهم الفرمان بتثيته على مصر . وفي السنة التالية زاد النيل زيادة فوق العادة فبلغ ٢٤ ذراعاً تخاف الناس ان لا ينحسر الماء عن اراضيهم في زمن يمكنهم فيه زراعتها . لكنه اخذ في الهبوط بسرعة فانكشفت الارض وزاد خصبها

الوباء وبيرام باشا

ولم تكد مصر تنجو من الجوع حتى داهمها ما هو اصعب مراساً منه - نعي الوباء فانه ظهر فيها باوائل ربيع اول سنة ١٠٣٥ هـ واخذ ينتشر في جميع اعائها بسرعة . وفي شعبان من تلك السنة اخذ بالتناقص ولم ينقض الا في اوائل رمضان . قال بعضهم ان الذين ماتوا بسبب هذا الوباء ثلاثمائة الف نفس . فتذرع الباشا بهذه الضربات لاختلاس اموال الناس فجعل نفسه وريثاً لكل من مات بالوباء من الاغنياء فاستولى على تركاتهم فنظلم الوريثاء الى الاستانة . ولا يخفى ان هذا الباشا لم يتول مصر الا رغم ارادة الباب العالي فاغتنم هذه الفرصة فعزله وولى بيرام باشا نجاء وحاكم مصطفى باشا وحكم عليه بدفع الاموال التي اختلسها فباع كل ماله من المتاع والممتلكات ودفع ما عليه . ولما عاد الى الاستانة (سنة ١٠٣٧ هـ) حكم عليه بالاعدام

ولا يخفى ان محاولة الجيوش والامراء عزل وتولية باشوات مصر بمجرد ارادتهم مخالف للنظام ومغاير لما وضعه السلطان سليم الفاتح لكل فئة من فئات مصر الحاكمة من الحدود . فكانت موافقة الباب العالي على مطالب الامراء خرقاً للحدود السابقة . وعلى ما تقدم حصل بعض التعديل في القواعد الاساسية التي سنّها السلطان سليم الاول منذ قرن . وكان بيرام باشا محباً للعلم والعلماء لكنه كان اكثر حباً لجمع المال واقامة المشاريع المفيدة وتنشيط التجارة على انواعها فاكثر من الضرائب حتى على الصابون وكان حازماً لم يترك للجند فرصة للتمرد فهدأت مصر في ايامه

محمد باشا وموسى باشا

ثم استدعي الى الاستانة وعين وزيراً في ديوانها وهذه هي المرة الثالثة لتعيينه في ذلك المنصب . فتولى بعده الوزير محمد باشا فساس الامور بحكمة ودراية وكان محباً للعزلة فلم يخرج بموكبه في اثناء حكمه التي هي نحو سنتين الاستمرات . واتصل به ما اصاب اليمن من الشعب الناتج عن سوء السياسة مع القبائل البدوية فعرض على

السلطان اخضاعها وتعهدها بارسال فرقة من رجاله بقيادة قنسوبك امير الحج لهذه الغاية . فاجابه السلطان الى ما طلب وولى قنسوبك على اليمن مع رتبة باشا وجعله بكاربكي (امير الامراء) على الجيش . فانشأ قنسو جيشاً من ثلاثين الف مقاتل وقبض مبلغاً كبيراً ليدفع منه نفقات الحملة وبعد ان قبضه توقف عن السفر وترك جيشه بمصر يسلبون وينهبون ويقتلون الاهلين ويتعرضون للمسافرين . ولحسن الحظ كان بين تلك الجيوش الف رجل من الرومي جاؤا للاشتراك في تلك الحملة تحت قيادة الامير جعفر آغا فاحمدوا تلك الثورة والزمو قنسوبك ان يسير بهم الى اليمن في محرم سنة ١٠٣٩ هـ فسار وحارب وفاز . وبعد سبعة اشهر من سفر تلك الحملة (في ١٩ شعبان) طاف على مكة سيل من الماء أغرق القسم الاعظم من ارضها حتى الكعبة فهدم معظم بنائها ولم يبق من جدرانها الا الايمن . فاتصل ذلك بوالي مصر فاوصله للسلطان مراد الرابع فانفذ السلطان الى محمد باشا يعهد اليه ترميمها ففعل . فبلغت جميع النفقات نحو مئة الف قرش (القرش يساوي اربعة فرنكات تقريباً)

وفي سنة ١٠٤٠ هـ كان ارتفاع النيل قليلاً فجاء شهر توت ولم يبلغ ١٦ ذراعاً ومع ذلك فتح الخليج وسيقت المياه قليلة الى الارضين ولكن البلاد امنت من الجوع بتدبير محمد باشا . وفي هذه السنة استدعي محمد باشا الى الاسكندرية وقلده السلطان منصب الوزارة في الديوان الشاهاني مكافأة لحسن سياسته ودرايته . وتولى مكانه في مصر موسى باشا . وكان للاهلين في بادئ الرأي ثقة فيه وكانوا يحبونه ويجلون قدره فخرجوا لملاقاته في شبرا لكنه لم يكن يمكن قدمه حتى استسلم لهواه . فاخذ في الاختلاس والاستبداد بانفس العباد فامر بقتل اكبر رجال مصر بغير وجه حق وجعل يراقب سير اغنيائها ويترصد خطواتهم لعله يجد سبيلاً للاستيلاء على ثرواتهم

وفي شعبان من تلك السنة بعث السلطان يطلب اليه ان يعد حملة من جنده لمحاربة الفرس فجمعها تحت قيادة قيطاس بك وضرب على البلاد ضرائب فاحشة باسم اعانة حرية . ولما وصلت تلك المبالغ اليه زعم ان مصر لا يمكنها تجريد مثل هذه الحملة لان مالياتها لا تسمح لها بدفع النفقات اللازمة . فنصح له قيطاس ان يتبع الاستقامة وهي افضل له فذهبت اقواله عبثاً . ثم اوجس موسى باشا خيفة من قيطاس بك لانه اطلع على فظائعه فاستدعاه الى القلعة في عيد الانحى يوم الاربعاء في ٩ ذي الحجة وامر اربعين من رجاله ان يقتلوه ففعلوا

فلما رأى الاميران كنعان بك وعلي بك ذلك وقع الخوف في قلوبهما واسرعا الى

الجيوش فاعلمهم بما كان من امر قيطاس بك مع موسى باشا فاجتمعت العساكر حالا في الرميصة . واما السناجق والامراء والقضاة وكبار الموظفين فاجتمعوا في جامع السلطان حسن وتفاوضوا في الامر فاقروا على عزل موسى باشا وتولية من يقوم مقامه . وقتاً ريثما يأتي امر الباب العالي بشأنه فخلعوه واقاموا حسن بك مكانه . فكتب موسى باشا الى السلطان يعلمه بخبر تلك الثورة . وكان رؤساؤها قد رفعوا الى ديوان الاستانة كتابين الواحد بالتركية وقع عليه السناجق والاغوات وكبار ضباط العسكرية والآخر بالعربية من القضاة والمشايخ والعلماء يطلبون بصوت واحد خلع موسى باشا . فاجابهم السلطان الى طلبهم فولى عليهم خليل باشا خليل باشا

وفي ربيع اول سنة ١٠٤١ هـ وصل خليل باشا الى مصر واستلم ازمته . وبلغه ان جماعة من اللصوص ثاروا تحت رئاسة احد الشرفاء المدعو نامي ونهبوا مكة فجمع جند القاهرة وارسلهم بقيادة الامير قاسم بك لاختاد تلك الثورة . فساروا وحاربوا اللصوص وقتلوا زعماءهم . وفي صفر سنة ١٠٤٢ هـ عاد قاسم بك بجيشه الى القاهرة ظافراً . واقبلت غلة مصر تلك السنة وزاد خصبها وتضاعف ريعها ونزلت اسعار الحنطة من ثمانية غروش الاردب الى غرشين

وفي سنة ١٠٤٢ هـ استقال خليل باشا من ولاية مصر فخرج منها والناس يشنون عليه شتاءً جميلاً لانه كان عادلاً حليماً . فلم يكن يصدر حكمه الا بعد التروي بما يقوله المتخاصمان . ومما يحكى عنه انه جيء اليه يوماً بثلاثة لصوص قبض عليهم وهم متلبسون بالجنابة . فامر ان يحاكموا فقال احد رجال ديوانه ان هذه الحادثة لا تحتاج الى محاكمة لثبوت الجنابة فعلاً فيجب اصدار الحكم رأساً بالاعدام . فلم يكن جواب الباشا الا الامر بهدم بيت ذلك الناصح . فاستغرب الرجل ذلك وسأل عن السبب الموجب له فاجابه الباشا قائلاً « كيف يحق لك الاعتراض علي اذا امرت بهدم بيتك المبني من حطام الدنيا ولا يحق لتلك الباني العظيم معارضتنا اذا هدمنا بنايته بغير وجه شرعي » ثم ابطل الامر بالهدم واطلق اللصوص . قال ابن ابي السرور ناقل هذه الحكاية ان اللصوص قلوا بعد تلك الحادثة احتراماً للباشا

وبعد استقالة خليل باشا من مصر عين على الروملي وتولى مصر الوزير احمد باشا الملقب بالكورجي وكان قبلاً امير ياخور . وفي صفر سنة ١٠٤٣ هـ وردت له الاوامر الشاهانية ان يبعث الفين من عساكر مصر الى سوريا مدداً للحملة العثمانية على دروز لبنان مع خمسة آلاف قنطار من البقسماط واربعة آلاف قنطار من البارود .

ثم جاءت اوامر اخرى يطلب الفتي رجل آخرين وثلاثة الاف قططار من البارود لمحاربة الفرس . فرأى احمد باشا ان مصر لا تقوم بهذه الطلبات فاعتذر الى السلطان فبعث اليه ١٢ الف قططار من النحاس ليسبكها نقوداً على ان يعث عوضاً عنها الى الاستانة ثلاثمائة الف زر محبوب

النقود مصر

وللنقود في مصر تاريخ لا بأس من الاشارة اليه — كانت المعاملة بمصر عند الفتح الاسلامي بالدرهم وهو وزن درهم من الفضة والدينار وهو مثقال من الذهب وكان الدينار يبدل بعشرة دراهم . ثم تكاثرت الفضة فصار الدينار يساوي ١٢ درهماً في ايام بني امية و ١٥ درهماً في اوائل بني العباس ثم زادت قيمته الى ٢٠ درهماً او ٢٥ او ٣٠ باختلاف الاحوال . فلما كانت الحروب الصليبية واختلط الافرنج بالمسلمين دخل البلاد الاسلامية كثير من النقود الافرنجية وحدثت نقود ذهبية جديدة كالبنديقي والجر والبينتو وزر محجرب (وهو الدينار) والجنيه العثماني والافرنجي والمصري وغيرها وكلها من الذهب . اما النقود الفضية فابدلت دراهمها بالانصاف وهي البارات وكانت المبيعات الصغرى تقدر بالانصاف والكبرى بالبندقي او الزر محبوب او غيرهما من النقود الذهبية فاختار احمد باشا في سكب النحاس واعد لذلك عمالاً ومعامل . ثم رأى بعد حين ان جميع هذه الاجراءات ذاهبة عبثاً لان الفعلة ملوا العمل ومات اكثرهم من الحر والجهد فجمع اليه ذوي شؤراء من الامراء وقضاة الاقسام والقرى واستشارهم . وكان من رايه ان يدفع مطالب السلطان من ماله الخاص ثم يجعل النحاس سبائك صغيرة لتباع في بلاد الودان بين تكرور وبلاد الزنج . فرأى احد القضاة راياً آخر وهو ان يجبر اهالي القاهرة على استلام هذا النحاس ودفع المبالغ المطلوبة . وان يفرق النحاس عليهم . فادبر متعصباً لما يدفعونه فوافق الجميع على ذلك واخذوا في تنفيذه في ١٦ ذي الحجة سنة ١٠٤٣ هـ وتموه في آخر شعبان من السنة التالية

وكان ذلك ثقلاً عظيماً على كاهل المصريين لانه لم ينج من هذه الضريبة غني ولا فقير فقلت النود وغلت الحبوب وسائر المأكولات غلاء فاحشاً وزاد في الطنبورنغمة ان النيل في السنة التالية لم يكن وفاؤه حسناً لكن الناس استغلوا الارض غلة متوسطة

مظالم وتعديات

وبعد يسير دعي احمد باشا الى الاستانة فسار ولم يدفع الاموال التي جمعت للخزينة فرفع المصريون شكواهم بشأن ذلك فلما وصل الاستانة حكم عليه بالاعدام . وتولى مكانه الوزير حسين باشا فجاء مصر في عصابة من الدروز النقطهم من كل ناد وكانوا

من قاطبي السبل فساموا المصريين انواع العذاب نهياً وقتلاً فاضطربت الاحوال واقلقت الحوايت ووقفت حركة الاعمال . وهذا اصل استهجان المصريين لكلمة « درزي » على ما يظن

وابطل حسين باشا حقوق الورثة فاذا مات احد الناس استولى هو على تركته واحرم منها ورثته الايتام او الارامل او الثكالى واذا اراد احد الانتقام من عدوه يكفيه ان يشي به الى حسين باننا بأنه غني او ابن غني فيزجه الباشا في السجن ولا يخرج منه الا بالبدل الكثير . ولم يكن يمر يوم لايطوف فيه حسين باشا المدينة في موكبه ولا تغيب الشمس قبل ان يقتل رجلاً أو رجلين أو أكثر . ويخطر له أحياناً ان يقتل كل من لاقاه في طريقه انساناً كان او حيواناً . وقد حسب عدد الذين ذهبوا فريسة عتو هذا الغاشم في مدة حكمه وهي سنة ١١ شهراً فبلغوا نحواً من الف ومائتي نفس غير الذين كان يقتلهم بيده . وكان له هيبة في قلوب رجاله فاراد يوماً ان لا يشار كوه بالقتل والنهب فخطر عليهم ذلك فلم يعودوا يجسرون على المخالفة ولم يسمع بشيء من تعدياتهم من ذلك الحين

ثم اقبل وخلفه الوزير محمد باشا بن احمد باشا وابن ابنة السلطان سليم الثاني . وفي شوال من سنة ١٠٤٧ هـ وردت اليه الاوامر ان يرسل الف وخمسمائة مقاتل بمجدة للحملة العثمانية الى بغداد فارسل تلك الفرقة بقيادة اميرالحج قنسوبك في محرم سنة ١٠٤٨ هـ فسارت ولم ترجع الى مصر الا بعد الاستيلاء على تلك المدينة في صفر سنة ١٠٤٩ هـ واتبع هذا الباشا خطوات سلفه بالاختلاس والنهب فجمع ثروة عظيمة من تركات الامراء والعلماء فنام عليه الورثة وبعد الجهد تمكنوا من تحصيل نصف الاموال . وازداد ظلماً وعتواً حتى منع الصدقات التي كانت تدفع الى الارامل والايتام واخذها لنفسه فكثرت التظلمات وتعددت العائلات المعسرة . وفي يوم الخميس ١٦ شوال سنة

١٠٤٩ هـ توفي السلطان مراد الرابع

وترى في شكل ١٤ صورة النقود الذهبية للسلطان مراد الرابع ضربت في القاهرة سنة ١٠٣٢ هـ وهي سنة توليته



ش ١٤ : نقود السلطان مراد الرابع بن احمد

سلطنة ابراهيم بن احمد

من سنة ١٠٤٩ - ١٠٥٨ هـ او من ١٦٤٠ - ١٦٤٨

فطن المصريون ان في تغيير السلطان منجاة لهم مما كانوا يكابدونه . فبويع اخوه السلطان ابراهيم بن احمد وامر حلاً باستبدال محمد باشا واحرمه من العطية التي كانت تعطى لحاكم مصر عند ما يستقيل من منصبه . لكنه امر بعد ذلك بإبقائه فعاد الى اعماله وازداد ظلماً وعسفاً ففتك بالناس فتكاً ذريعاً لم يبق ولم يذر . ثم استبدل محمد باشا بمصطفى باشا الملقب بالبستانجي^(١) وكان ابي النفس على نوع ما الا ان كاتبه احمد افندي كان عالياً غشوماً وكانت ازمة الاحكام بيده فاستبد بها فكره المصريون الحياة من اجله واتفق في ايامه تقصير النيل فازدادت الاثقال بغلاء الجبوب . ولم يكن الباشا يتعرض للاحكام مطلقاً فكثرت السرقات حتى لم ينج حي من احياء القاهرة من النهب واضطر الناس الى مهاجرة بيوتهم . وكان رئيس الضابطة اذا جيء اليه ببعض الاصوص لا تغيب عليهم الشمس في السجن . ومثل ذلك كان يفعل الكشاف « حكام الاقاليم » فتواترت الشكايات الى الباشا فاضطر الى عزل رئيس الضابطة وتولية كنعان بك مكانه فاهتم هذا بالقبض على الاصوص فسجن عدداً كبيراً منهم

وفي شوال سنة ١٠٥١ هـ ثارت الجهادية وتمرد الجاويشيون على رئيسهم الامير علي لانه لا يفرق الاعطيات الا على كتبه فلم ير الباشا بدّاً من عزله وتولية عابدين بك في مكانه . فلما رأى سائر الجيش ما كان من فوز الفئة الثائرة ثاروا جميعاً وادعوا ان يحزن الجبوب فارغة وطلبوا معاشاتهم المتأخرة منذ سنة . فعين محمد افندي قاضي العسكر لتحري دعوائهم فتفقد مخازن الجبوب فراها حقيقة فارغة وعلم ان ما كان فيها باعه السكاتب واخفى ثمنه . فاضطر الباشا مراعاة لطلب الجمهور ان يتخلّى عن كاتبه مع شدة حبه له فاستنجد الجاويشية فاجمدوه واعادوه الى مركزه فازداد تمرداً وبالغ في الانتقام . ثم استقال مصطفى باشا وتولى الوزير مقصود باشا وكان والياً على ديار بكر قديماً . فلما استلم مقاليد الاحكام بمصر بحث عن بصرفات سلفه فاطلع على اعماله فقبض

١ هو لقب فرقة من الجنود الدنمائية يومئذ رئيسها يرف بالبستانجي ناشى وهو من اعظم وزراء الدولة

على كاتبه والكخيا وجلدتهما واجبرهما على ارجاع مائتي كيس من النقود الى الخزينة .
اما مصطفى باشا فأرسل الى الاستانة وهناك اخذ منه مائتا كيس سلمت للخزينة
الشاهانية واصبح في جملة الوزراء السبعة العظام

الوباء

وفي ايام مقصود باشا قاست مصر امرّ العذاب من وباء وفد عليها كان اصعب
مراسا من الوباء الذي وفد في ايام علي باشا وجعفر باشا لانه كان عاما لم ينح من
اصابته الشيوخ ولا الشبان وقد اصاب من الشيوخ واحداً في الثانية . ظهر هذا الوباء
اولاً في بولاق باوائل شعبان سنة ١٠٥٢ هـ وبعد ذلك بشهرين ظهر في القاهرة . وما
زال على معظمه من اول ذي القعدة من تلك السنة الى غاية صفر من سنة ١٠٥٣ هـ
ثم اخذ بالتناقص شيئاً فشيئاً ولم ينقض حتى انقضى الشهر الثاني . ولم يكن يسمع الا
بالوفيات المتتابعة في كل ساعة . وكانت الجثث تنقل بالعشرات دفعة واحدة فيمر
في الشارع الواحد احياناً ثلاثون او اربعون جنازة . وقد روى ابن ابي السرور
وهو من المؤرخين المعاصرين ان جملة من صلي عليهم من المتوفين في الجوامع الخمسة
الرئيسية في القاهرة في اثناء ثلاثة اشهر الفان وتسماية وستون . وصاروا في اخر
الامر يدفنون موتاهم بلا صلاة وعدد هؤلاء لا يقل عن عدد الذين صلي عليهم . اما
خارج القاهرة فلم يكن الوباء اقل فتكاً ويقال ان ٢٣٠ قرية اصبحت خراباً لاصابة
سكانها جميعاً بذلك الداء

مقصود باشا

فلما رأى مقصود باشا ما ألم بمصر من الدمار سعى في اصلاح الاحوال جهده
فاستعمل الرفق والنغي الضرائب التي وضعها اسلافه بغير الحق . وجعل الوراثة
الى الاقرباء الشرعيين مع دفع شيء من التركات الى الحكومة وتحريم التعديلات تحريماً
شديداً وشد في القبض على اللصوص فقبض على كثيرين منهم فقتل بعضاً وسجن
بعضاً وقاص آخرين حسب ذنوبهم مع الصرامة فاستكنت الناس وطابت قلوبهم .
وبينما كان هذا الباشا ساعياً في ما تقدم ظهرت في الاسكندرية في ٢٠ ذي القعدة من
تلك السنة ثورة كبرت اعماله . وذلك ان نحواً من ستمائة من المسيحيين كانوا تحت
طائلة القصاص مغلولين في سجون الاسكندرية ففي اليوم المذكور فتقوا السجون
والمسلمون في الجوامع يصلون وطفقوا ينهبون الحوانيت والمخازن واليوب ولم يبقوا
ولم يندروا . ولما ملأوا جعبة مطامعهم نزلوا الى مركب كان بانتظارهم في البحر

وأُقلعوا يطلبون الفرار

ولم يكن ذلك كل ما هدد مقصود باشا وحال دون مشاريعه بل هناك ما هو ادهى وامراً . وذلك ان جماعة السناجق تأمروا على عزله في يوم الجمعة ١٢ رمضان سنة ١٠٥٤ هـ باجتماع عقوده في بيت الامير رضوان بك الملقب بابي الشوارب . وسبب ذلك ان مقصود باشا كان قد طلب اليهم حياً بايفاء رواتب الجيش عن شهر رمضان ان يدفعوا الثلث الاول من المال الذي يطلب منهم للخزينة عن الاقطاعات العسكرية التي في ايديهم . فرفضوا بالاجماع وطلبوا عزل بعض الموظفين الذين يعدونهم من انصار الباشا . فسلم لهم الباشا بما ارادوا فلم يقنعوا بذلك فكتبوا الى الاستانة يشكون من سوء تصرفه ووافقهم كثيرون من الاعيان فكتب اليه الباب العالي راساً ما مفاده « ان الحضرة الشاهانية لم تعلم اسباب الثورة الجهادية التي انتشرت في مصر وتتعجب كيف ان الباشا لم يبلغ الباب العالي خبرها » فاجاب الباشا انه لم يحصل لديه ما يدعى ثورة وانما هناك بعض الاختلافات التي يرجو اصلاحها بالتي هي احسن ولذلك لم يكن ثم حاجة لابلاغها . فطلب اليه الباب العالي ان تحرى ويعاقب المعتدين ويصرف الامر بما يترأى له . ومع كل ذلك اضطر الى الاذعان لكنه اراد الفتك بالامير علي بك والامير مامي بك والدفتدار شعبان بك لعلمه انهم زعماء تلك الثورة فاعد لهم كيناً ليقتلهم في الديوان وعين لذلك يوم الاثنين في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٠٥٤ هـ لكن الدفتدار نزل الى الديوان وحده في ذلك اليوم فشاور الباشا عقله بين ان يفتك به وحده أو يخفي ما في ضميره ريثما يفتك بالثلاثة معاً فاقر اخيراً على ارجاء ذلك العمل الى يوم آخر

ايوب باشا وغيره

وفي اليوم التالي جاء الفرمان بعزله وتولية الدفتدار شعبان بك قائمقاماً يتعاطى الاحكام وقتياً فشق ذلك على الباشا لكنه اذعن وسلم مقاليد الاحكام لشعبان بك فكتب السناجق الى الباب العالي يطلعون على حقيقة ما حصل في ايام الباشا السابق ويطلبون اليه الاسراع في ارسال من يخلفه فانفذ اليهم ايوب باشا . وكان قبل ذلك الحين من رجال القصر الشاهاني . فلما عهدت اليه هذه الولاية تردد في قبولها لما رأى من الاخطار المحدقة بها لكنه لم ير بداً من قبولها . وقد كان رجلاً حازماً مستقيماً استعان برجاله على ادارة الاعمال فلم تمض سنتان على حكمه حتى استتب النظام وسادت الراحة . ثم استقال من ذلك المنصب بعد ان صار وزيراً وعكف على القيادة واعتزل

السياسة وزهد زهد الدراويش فتنازل عن املاكه في الاستانة للدائرة الخاصة الهلاليونية وانفرد في احد المعابد في الرومي . فولى مكانه الوزير محمد باشا حيدو سنتين ونصف ولم يحسن الادارة فارتبكت الاحوال

وفي ١٠ رجب سنة ١٠٥٧ هـ نارت فرقة من الانكشارية في مصر القديمة فهددهم والي الشرطة فازدادوا تمرداً فساروا الى الباشا وطلبوا قتل ذلك الوالي ولم يكن ذنبه الا انه قام بما عليه فوافقهم الباشا على ما ارادوا . اما الوالي فكان من وجاق الجاوشية . فلما علم هؤلاء بعزم الباشا قاموا يشكون من سوء تصرفه بصوت واحد نخاف ان تباع هذه الشكايات مسامع الباب العالي فتعود العاقبة وبالأعلى عليه فاجتمع بقنسو بك واستشاره بما يفعل وكان هذا لا يشير الا بما يعود عليه بالمنفعة الشخصية فانشار على الباشا ان رفع الى الاستانة تقريراً سريراً يشرح فيه ما حصل من القلاقل وينسبها جميعها الى الاميرين رضوان بك وعلي بك وينسب اليهما ايضاً اختلاس الخزينة المصرية واتهما سلباه منصب امير الحج وحكومة جرجا كل ذلك لكي يرجع قنسوبك وماماي بك الى منصبيهما

رضوان بك وعلي بك

فباشر الباشا كتابة ذلك التقرير وطلب الى بعض الاعيان ان يوقعوا عليه فبلغ ذلك مسامع رضوان بك فاسرع الى كتابة تقرير مناقض لتقرير الباشا وبعث به الى الاستانة فوصل قبل تقرير الباشا وفيه ما فيه من الشكايات ضد قنسو بك وماماي بك فورد الجواب من الاستانة مفوضاً الى رضوان بك وعلي بك امر النظر في تلك القضية وفي ٢١ جمادى الاولى سنة ١٠٥٧ هـ ورد القرمات بذلك الى الباشا وفي ٢٧ منه استسماهما الباشا الى القلعة فاستدعيا قنسو بك وماماي بك وامرا بقتلها وقتل امراء اخرين كانوا على دعوتها . ولم تكذب تنخلص مصر من دسائس هؤلاء حتى ظهرت دسائس مصطفى نكحيا الملقب بالششني لان لم يسم سنجقاً عوضاً من قنسو بك . وفي ٨ رمضان من تلك السنة وردت الاوامر الى علي بك ان يترك القاهرة ويتوجه حالاً الى حكومته في جرجا . وبعد ثلاثة ايام استدعى الباشا رضوان بك الى وليمة في القلعة نخاف من دسيسته فابى الحضور فغضب عليه الباشا وجرده من امانة الحج فخرج رضوان بك من القاهرة في مائتين من رجاله وفيهم عدة من الامراء والكشاف واتحد مع علي بك فبعث الباشا على اثرهما الفين من جنوده ونحو خمسمائة من الانكشارية فاجتمع الجند في الرميطة واقرؤا على اغفال اوامر الباشا . ثم وردت الاوامر من الاستانة بتثبيت رضوان بك وعلي بك في منصبيهما . فاضطر الباشا الى استقدام

الاميرين فقدا الى القاهرة في ١٩ رمضان بما لهما من الرواتب والحقوق فسعى الى مصالحتهما مع مصطفى بكيا

وفي ٦ ذي الحجة من تلك السنة شاع في القاهرة ان الوزير مصطفى باشا سمي على مصر عوضاً من محمد باشا بن حيدر . وفي ٢٦ منه وردت الاوامر قاضية باعادة



ش ١٥ : قود السلطان
ابراهيم بن محمد

محمد باشا الى منصبه . وفي ١٧ رجب سنة ١٠٤٨ هـ توفي السلطان ابراهيم وتولى مكانه السلطان محمد الرابع وتري في شكل ١٥ صورة النقود الفضية للسلطان ابراهيم بن احمد ضربت في القاهرة سنة ١٠٤٩ هـ

سلطنة محمد بن ابراهيم

من سنة ١٠٥٨ — ١٠٩٩ هـ او من ١٦٤٨ — ١٦٨٧ م

وبلغ خبر ذلك التغيير الى مصر في اوائل رمضان مع عزل محمد باشا وتولية الوزير احمد باشا فاستلم هذا زمام الاحكام مدة سنتين كليهما اضطراب وقلاقل
واول تلك القلاقل كانت سنة ١٠٦٠ هـ بسبب تقصير النيل فانه لم يرتفع تلك السنة اكثر من ١٦ ذراعاً فلم يرتو من ارض الصعيد الا الثلث اما الوجه البحري فلم يرتو منه شيء تقريباً . فغلت الاسعار حتى خيف من المجاعة
اما الباشا فلم يكن يهتم غير تكثير الضرائب مع انه لم يكن يرسل منها الى الاستانة الا الثلثين وكان لسوء نيته يرسل تلك المبالغ في عهدة رضوان بك ليحمل الباب العالي على الشك بامانته فيتغير خاطر السلطان عليه . وكان اتماماً لمكيدته يكتب الى الباب العالي على التابع يشكو من تصرف رضوان بك ويطلب خلعه عن امانة الحج وتقليدها لعلي بك . وكان هذا على ما علمت من الصداقة مع رضوان لكنه لم يكن يعلم بدسائس الباشا . اما الباشا فكان في نيته ان يوقع الضغائن بين الاميرين فيحل عرى اتحادهما لكنه لم يتم مقصده حتى اتى الامر العالي بعزله يوم السبت ٦ صفر سنة ١٠٦١ هـ ورضوان بك لم يرجع الى القاهرة بعد . ولم تكن نتيجة مساعي احمد باشا الا زيادة تألف قلبي ذينك الاميرين وكان من كرم اخلاقهما ان كلا منهما كان يتنازل

للآخر عن امارة الحج فاعجبت هذه الاربحية المصريين فاحبوها وبالغوا في احترامهما حتى اقاموا لهما دعاء عمومياً في الرملة . والباشا اذ ذاك محبوس في القلعة ولم يفرج عنه حتى دفع للخزينة مبالغ وافرة . فتولى مكانه الوزير عبد الرحمن باشا وما زال الى اول شوال سنة ١٠٦٢ هـ وقد قاسى ما قاساه سلفه من السجن والاهانة لانه سار على خطواته . فاختار الباب العالي الوزير محمد باشا ليقوم مقامه في ٥ شوال من تلك السنة ولكنه لم يدخل القاهرة الا يوم الثلاثاء في ٨ محرم سنة ١٠٦٣ هـ وما زالت الولاية تتوالى على مصر ولا شيء من اعمالهم واحوالهم يستحق الذكر . وفي آخر الامر تحول النفوذ كله من ايديهم الى ايدي البكوات الممالك وهم يعدون مصر وطنهم ويغارون عليها . اما الباشوات اذا اتوا مصر لا يكون دينهم الا اكتساب الثروة بآية طريقة كانت تعلم كل منهم انه لا يلبث ان يأتية الامر بالعزل وقلماء عزل احدهم ولم يكن السجن مأواً

السلطين سليمان بن ابراهيم واحمد بن ابراهيم

ومصطفى بن محمد

من سنة ١٠٩٩ - ١١١٥ هـ او من ١٦٨٧ - ١٧٠٣ م

فالسلطان محمد الرابع أقيل من السلطنة في ٣ محرم سنة ١٠٩٩ هـ واودع السجن حتى مات (سنة ١١٠٥) وبويع السلطان سليمان الثاني وبعد ٣ سنوات توفي (في ٢٠ رمضان سنة ١١٠٢ هـ) فبويع السلطان احمد خان ويدعى احمد الثاني وبعد ٣ سنوات ونصف توفي (سنة ١١٠٦) فبويع ابن اخيه السلطان مصطفى خان وهو مصطفى الثاني بن السلطان محمد الرابع . وبعد ٩ سنوات تقريباً (في جمادى الاولى سنة ١١١٥ هـ) اقبل وتوفي في السجن (في محرم سنة ١١١٩ هـ)



سلطنة احمد بن محمد

من سنة ١١١٥ — ١١٤٣ هـ او من ١٧٠٣ — ١٧٣٠ م

وبويع اخوه احمد خان وهو احمد الثالث وكانت مدة حكمه على المملكة العثمانية ٣٠ سنة . وفي ايامه حصلت ثورات عديدة انتهت بتحول سلطة الباشوات نودهم الى البكوات المماليك . وكانت قلعة الجبل سجنًا للباشوات الذين كانوا يتولون حكم ولا يهمهم منها الا الكسب الشخصي

وقد توالى على مصر من سنة ١٠٦٣ هـ الى ١١١٩ هـ اثنان وعشرون والياً اغضينا ذكرهم لعدم اهميتهم . وفي سنة ١١١٩ هـ في ايام السلطان احمد خان تولى مصر سن باشا وكان على القاهرة قاسم عيواظ بك بوظيفة شيخ بلد

ومشيخة البلاد منصب كان يتولاه احد البكوات المماليك كما يتولون ادارة المديرية نابل محافظة القاهرة اليوم . ولم يكن المنصب بنفسه مهماً ولكن تراخي الباشوات ستفحال امر المماليك جعل لهذا المنصب اهمية كبرى حتى افضى النفوذ بتوالي الايام صاحبه وصار اليه الامر والنهي كما ستراه في ما يلي

قاسم بك وذو الفقار بك

وكانت المماليك في مصر على حزبين كبيرين يعرفان بالمماليك القاسمية نسبة الى قاسم ، والفقارية نسبة الى ذي الفقار بك . وكان هذان الحزبان لا ينفكان عن المنافسة ول كل منهما اكتساب النفوذ له واذلال الآخر . اما اصل هذين الحزبين ففيه رال منها انهما ينسبان الى اخوين هما قاسم بك وذو الفقار ولدي سودون احد امراء ليك في عهد السلطان سليم الفاتح وان السلطان سليماً هو الذي نشطهما ونشط نزاههما . وقد ذكر الجبرتي لذلك قصة طويلة لا حاجة بنا الى ذكرها . وبعضهم رل ان هذين الحزبين ينسبان الى قاسم عيواظ بك الدفترداروذي الفقار بك الكبير ة ١٠٥٠ هـ وكان قاسم عيواظ بك رئيس الطائفة القاسمية وذو الفقار بك رئيس قاربة وكان لكل من هاتين الطائفتين مناقب مختصة بها . فالفقارية كانت توصف كثرة والسخاء والقاسمية بالثروة والبخل . وشارة الفقارية علم ابيض مزاريقه مائة والقاسمية علم احمر

وكانت هاتان الفئتان قبل تولي حسن باشا في وفاق تام فلما جاء خشى من اتحادهما

فعمد الى الدسائس فالتى بينهما الشقاق فحصلت بين الطائفتين وقائع دامت ثمانين يوماً فكانوا يخرجون من القاهرة الى مكان يعرف بقبة العرب يومياً ويأخذون بالكفاح من شروق الشمس الى غروبها ثم يعودون الى القاهرة فيقضون الليل بسلام في بيوتهم بين نسائهم واولادهم ثم يعودون في الصباح التالي الى المحاربة . ومن الغريب ان هذه المحاربات لم تؤثر في الراحة العمومية مطلقاً فظلت الاشغال جارية في مجراها والحوادث والمخازن تفتح وتغلق كالعادة

مشيخة اسماعيل بك

وانتهت تلك الوقائع بوفاة قاسم عيواظ بك فأسف عليه الناس وبكوه بكاءهم على حاكم عادل او اب حنون بارٍ . ولم يبقَ صديق ولا عدوٌ حتى بكاه لانه كان فضلاً عن حكمته وعدله ودعته شجاعاً باسلاً ابي النفس . فاقاموا ابنه اسماعيل بك مكانه شيخ بلد وصادق الباشا على ذلك لظنه ان اسماعيل لصغر سنه يكون آلة بيده يديرها كيف شاء فزاد كد رذي الفقار بك واشتد حنقه لانه كان ينتظر ان يأول ذلك المنصب اليه . وكان اسماعيل عاقلاً حكيماً كوالده عارفاً وجه الرجب والحق فسعى في الوفاق مع طائفة الفقارية فانحدت الطائفتان على الباشا . وكان اسماعيل بك من الجهة الاخرى يظهر الطاعة والرضوخ لاحكام الباشا لانه رئيسه لكنه لم ينفك ساعياً سرّاً في خلعه فكتب عنه الى الاستانة ففاز بعزله فجاء غيره ثم ابدل بآخر فأخر واسماعيل بك في منصبه والرعية بحبونه الى ما يشبه العبادة

ومما يحكى عنه ان احد تجار القاهرة في ايامه واسمه عثمان باع لاحد القبطية (لقب يعطى للحرس السلطاني) ثلاثمائة قفة بن الى اجل مسمى وكتب عليه بذلك صكاً . فقبل الاستحقاق جاء من الاستانة اعلان بخيانة القبطية والحكم عليه بالاعدام حالاً فجيء به الى الباشا فقتله ووضع يده على تركته وفيها البن كما هو . فعلم عثمان التاجر بذلك فعرض لاسماعيل بك ما كان من امر البن فجزر الباشا ان يرجع البن لصاحبه قبل كل شيء ففعل فاصبح عثمان في حال من الامتنان لا يعرف كيف يبينها . فلاح له ان يهديه علبه مرصعة وبضعة قناطير من السكر النقي فرفض اسماعيل بك تلك الهدية وخاطب عثمان التاجر قائلاً : « اذا كان المال الذي حصلت عليه بواسطتي حقاً لك فاكون قد فعلت الواجب علي » والله يكافئني فاذا قبلت هديتك اظلم نفسي . اما اذا كان هذا المال ليس لك وانما حصلت عليه بالحيلة فقبولي هديتك بعد مشاركة لك

بالخيانة لكنني مع ذلك اقبل السكر الذي حملته الي على ان تقبض ثمنه من وكيلى لاني
سأمره ان يدفعه اليك »

ويحكى عنه ايضاً انه كان يادب في ليالي رمضان ،أدبات يجتمع اليها العلماء والفقهاء
والمشايخ وقراء القرآن ولم يكن يؤذن لغير هؤلاء في الحضور فيها . فرأى ذات ليلة
رجلاً بين الحضور عليه ملامح الكآبة واليأس فاوصى بعض الخدم متى ارفض الاجتماع
ان يأتوا به اليه ففعلوا فلما حضر بين يديه اعطاه مصحفاً وأمره ان يتلو عليه سورة .
فتوقف الرجل وجلاً ثم ترائى على قدمي البك متضرعاً وقال « يعيش سيدي البك
اتي رجل نجار لا اعرف القراءة وانما اتيت الى هذه المأدبة متكرراً بثوب الفقهاء لاملأ
جوفي من الطعام فاني في حالة من الفاقة شديدة » فانصفه ولم يكتف بالاغضاء عن
ذنبه لكنه جعله في عداد خدمته وجعل لعائلته راتباً معيناً . وصار هذا النجار بعد
ذلك من اصدق الخدمه وأكثرهم غيرة وهمه

وما زال اسماعيل بك شيخاً للبلد ١٦ سنة تقلب في اثائها على مصر عدة بشوات
كانوا اسماً بلا مسمى . وكان لحسن سياسته قد اوقف الفقاريين عن كل حركة لتظاهره
انه على وفاق معهم فلم يجعل لهم فرصة يتحدون بها عليه . على انه ارتكب خطأ واحداً
آل الى قتله . وذلك ان احد المماليك الفقارية واسمه ذو الفقار ايضاً كان له عقار يقوم
بنفقات عائلته فاختلسه منه احد المماليك القاسمية (من مماليك اسماعيل بك) فرفع ذو
الفقار دعواه الى شيخ البلد : اسماعيل بك . فلم يصغ لطلبه وقضى بالعقار لمملوكه .
فشق ذلك على ذي الفقار فرفع دعواه الى زعيم الفقارية ويقال له شركس بك . وكان
خصماً لاسماعيل بك بالفطرة فسار الى الباشا وخاطبه بشأن تصرف اسماعيل بك . وكان
في قلب الباشا حزازات من الحسد عليه فوافقه على الايقاع به ثم قال له « ليس لك
وسيلة افضل من ان تبعث احد مماليكك وتأمره بقتله وانا اجعل له جميع ما يتركه من
المال والنساء مكافأة لاتباعه »

فوافقه على رأيه وعين لتلك الفعلة اول يوم يجتمع فيه الديوان وامر مملوكه ذا الفقار
ان يستعد لاجرائها فقبل اعتماداً على وعد الباشا . ففي اليوم المعين جاء ذو الفقار
الى الديوان وفيه اسماعيل بك فتقدم اليه وقبل يده قائلاً « ارجو ان تأمر بارجاع
عقاري الي » فاجابه اسماعيل بك « ستنظر في طلبك هذا » فألح عليه فاستهره فاستل
خنجرأ ماضياً بقر به بطنه فتدفقت امعاؤه ومات لساعته في وسط الديوان فهجم
رجال الباشا وقتلوا كل من كان هناك من رجال اسماعيل ولم ينج منهم الا سريع العدو

هكذا كانت نهاية حكم اسماعيل بك سنة ١١٣٦ هـ فنقلت جنته الى بيته ثم دفنت بجانب جنة ابيه بجوار باب اللوق

فتولى مشيخة البلد شركس بك واستولى ذو الفقار على جميع ممتلكات اسماعيل بك ولسائه حسب وعد الباشا فاصبح رجلاً عظيماً يشار اليه بالبنان وفي حوزته مئات من المماليك تخافه شركس بك واخذ يسعى في اذاقته ما اذاقه لاسماعيل بك . فعلم ذو الفقار بتلك الدسائس فجمع اليه رجاله وفيهم عدة من الرجاك العشمايين وهم على شركس بك فاجرت واقعة لم يستطع رجال شركس الثبات فيها اكثر من ربع ساعة فقتل معظمهم وفر الباقون وزعيمهم معهم يطلبون الصعيد وهو الملجأ الوحيد للبكوات المغضوب عليهم

ذو الفقار بك

فتولى ذو الفقار مكانه مع لقب بك بعد ان اقر الباشا على ذلك واصبح ذو الفقار عدواً لآل براهيم البكوات وعلى الخصوص لابي دقية (سمي بذلك لانه كان يتشبح برداء كبير يقال له دقية) . ثم ابى ذو الفقار بك ان ابا دقية ساع في اهلاكه وحاول ذلك مراراً ولم ينجح . اما شركس بك فجمع دعائه في الصعيد وسار بهم نحو القاهرة فارسل ذو الفقار بك عثمان كاشف احد كبار قواده في فرقة من المماليك لمحاربته فتمهقر شركس ورجاله مراراً حتى لحق ببلاد البربر

فسكر ذو الفقار من خمرة النصر واخذ في الانتقام من البكوات الذين في القاهرة وقتل منهم من يظن فيه الانهاء الى شركس بك وهم كثيرون فاتحد من بقي حياً منهم مع رئيس الشرطة والاغا رئيس الانكشافية وبعثوا الى شركس بك بما كان من فعلة ذي الفقار وتعاهدوا جميعاً على محاربته وانضم اليهم مصطفى القرد وكان من اعداء ذي الفقار ومعه جماعة من الرجال الاشداء . فقدم شركس بك الى القطر المصري فعلم ذو الفقار بذلك فجمع اليه العلماء والمشايخ وشاورهم في الامر فاجمعوا على عدم مناسبة الهجوم في تلك الحال الا اذا تأكد الفوز فلم يصح لمشورتهم فارسل عثمان بك احد قواده لمحاربة شركس بك فحصلت بينهما واقعة قتل فيها مصطفى القرد وغرق شركس بك في النيل وهو يحاول الفرار . فبعت عثمان بك برأسيهما الى ذي الفقار . اما هذا فلم يهنأ بذلك النصر لانه قتل بعد قتل عدوه شركس بيومين بمكيدة اعددها له البكوات في القاهرة . وذلك انهم البسوا واحداً منهم دقية وجاؤا به الى بين يدي ذي الفقار وقالوا له

« هذا ابو دفية قد جعله الله في ايدينا » وكانوا قد جعلوا تحت دفيته عيارين نارين . فلما وقف بين يديه اطلقها عليه دفعة واحدة فسقط ذو الفقار مضر جاً بدمائه في وسط ديوانه سنة ١١٤٢ هـ فعلم عثمان بك بما اصاب رئيسه فهرع للاخذ بثاره فدخل القاهرة وجعل يفتك بمن يصادفه في طريقه نخافه الجميع

ثم ان محمد بك احد البكوات الذين كان يترقبهم عثمان بك رأى منصب مشيخة البلد خالياً فطمع فيه فعاهد صديقه صالح كاشف على ان يقتلوا من بقي من زملائه البكوات بمكيدة ينصبها لهم . فأدب محمد بك مأدبة فاخرة دعاهم اليها فلبوا دعوته ثم علموا بمكيدته فقاوموه مقاومة شديدة وتمكنوا من قتله . فيئس صالح كاشف من مرامه ففر الى القسطنطينية بعد ان شاهد رؤوس البكوات ملقاة على الطريق امام جامع الحسين . ثم عقب هذه القلاقل ضربة اشد وطأة نعي الوباء الذي اصاب مصر في تلك السنة ويدعى طاعون السكي فانه انتشر في البلاد انتشاراً سريعاً وفتك بالعباد فتكاً ذريعاً . ورافق



كل هذه الضربات خلع السلطان احمد الثالث في جمادى الاولى سنة ١١٤٣ هـ



وترى في شكل ١٦ صورة النقود الذهبية

للسلطان احمد بن محمد مضروبة في القاهرة بتاريخ

سنة ١١١٥ هـ

ش ١٦: نقود السلطان احمد بن محمد

سلطنة محمود بن مصطفى

من سنة ١١٤٣ - ١١٦٨ هـ او من ١٧٣٠ - ١٧٥٤ م

وبعد عزل السلطان احمد بوبع ابن اخيه محمود بن مصطفى خان وهو السلطان الرابع والعشرون من بني عثمان ويدعونه محموداً الاول وبقي هذا على كرسي السلطنة خمساً وعشرين سنة . اما الباشوات الذين تولوا مصر في ايامه فلم يكونوا اكثر اهلية من اسلافهم وكانت الاحكام قائمة بمشايج البلاد ولهم الحل والعقد لا يستطيع الباشوات معارضتهم في شيء

مشيخة عثمان بك

فبعد قتل ذي الفقار بك تولى مكانه عثمان بك المتقدم ذكره فرقى كثيرين من ممالئكه الى رتبة البكوية ليقوموا مقام الذين هلكوا بالحوادث الاخيرة . وكان عثمان بك عادلاً حازماً ولكنه كان صارماً لا يراعي في تنفيذ العدل جانباً فعلم مرة ان احد بكواته سعى في اقلبيه ظلاماً فاستدعاه اليه فتحقق ارتكابه فقطع راسه . ويحكى عن عثمان بك حوادث كثيرة تشير الى حزمه واستقامته وقسطه لا بأس من ذكر بعضها على سبيل المثال يحكى ان حماراً من حماري القاهرة اراد ترميم مذود حماره . وهو يفعل ذلك عثر في احد جدران البيت على وعاء مملوء ذهباً ففرح جداً واخذ الوعاء وسلمه الى امراته واوصاها ان تكتم الامر لئلا ينكشف للحكومة فتأخذ المال منه لان لها وحدها الحق بالاستيلاء على مخزونات الارض . فطلبت المرأة من زوجها ان يتناع لها حلياً وثياباً فاخرة لتتمتع بتلك الهبة فأبى زوجها اجابة طلبها لئلا يقود ذلك الى كشف الحقيقة فاغتاضت واسرعت لساعتها ووشت به الى عثمان بك فاستدعى الحمار وبعد ان سمع حقيقة الحال صرفه قائلاً « احفظ ما وهبك الله وطلق امراتك وعش بسلام »

ولما جاء الوباء الى مصر كان عثمان بك في اول حكمه فلما رأى الجوع الذي عقب الوباء فتح مخازنه وخزائنه وفرق الاقوات والاموال في الناس . ومع ذلك لم يستطع النجاة من مكاييد ذوي المطامع وفي مقدمتهم ابراهيم واسماعيل رضوان الاول نكحاً^(١) الانكشارية والآخري نكحاً العزب وكان كلاهما من الممالئك الواحد من طائفة القزدغلية والآخري من طائفة الجلفية . واصل الطائفة الاولى مملوك يقال له القزدغلي كان سروجياً واصل الطائفة الثانية احمد الجلفي كان في اول امره شياًلاً واغناه الله بطريقة في غاية الغرابة لا بأس من ذكرها وهي

جاء بعض الممالئك الى احدى معاصر الزيت ليبتاع مؤونة يئته من الزيت مدة السنة وكان احمد الجلفي شياًلاً في تلك المعصرة فابتاع المملوك الزيت واستأجر احمد لحمله وسار معه حتى بلغا يئته فانزل الحمل ووقف ينتظر اجرة . فجاء المملوك وطلب اليه ان يساعده في اخفاء مبلغ من النقود في احد جدران البيت والح عليه ان يكتم الامر سرّاً واعطاه بضعة دراهم مكافأة لذلك . فساعده واخذ الدراهم وسار في سبيله

(١) ويكتب ايضاً كتحداً وكان لكل وجاق نكحاً وفي عهده ملاحظة شرطة

ذلك الوجاق وقضايه

حامداً شاكراً . وبعد ثلاثين يوماً اتفق له المرور بالقرب من ذلك البيت فشاهد جواهر مجتمعة . ثم علم ان ذلك المملوك توفي وقد عرضت تركته للبيع . فتقدم احمد وابتاع البيت الذي فيه الخبأة وبعد ارفضاض الجمع استخرج النقود وسار بها الى قريته (جلف) في مصر العليا وامتلك ممتلكات كثيرة ثم اتسعت ثروته وما زال حتى اصبح زعيماً لعصابة كبيرة لسبت اليه

وكان ابراهيم واسماعيل رضوان في بادئ الرأي على تباين كلي بالادبيات والماديات : كان ابراهيم في ضيق من المعاش مع اقدام وبسالة ومطامع كبيرة . وكان اسماعيل غنياً بليداً لا يهتم الا التمتع باللذات والشهوات . فكان ابراهيم في احتياج الى اسماعيل ولذلك كان يتقرب منه . ثم تزوج ابراهيم ابنة محمد البارودي احد التجار الاغنياء واخذ معها مالاً كثيراً فتمكن بذلك من التقرب الى بيت شيخ البلد والقاء المفاصد فيه بواسطة بعض المماليك والأتراك وغيرهم من ذوي الرتب كان يستعملهم آله لتنفيذ ما ربه . ثم تآتى له الارتقاء الى رتبة البكوية مع صديقه اسماعيل رضوان فصار اسمه رضوان بك واتخذ الاثنان على السراء والضراء ووحداً ممتلكاتهما واجتزعا بالسواء من محصولاتها

فاوجس عثمان بك خفية من سرعة نمو ثروتهما وملافة لما كان يخشى حدوثه من طموح انظارهما ضم اليه ثلاثة احزاب احدها حزب ابراهيم بك القطامش وفيه ثلاثة بكوات . والثاني حزب علي بك الدمياطي وفيه ييكات . والثالث حزب علي كنجيا الطويل وشاورهم في الامر فاقروا على قتل ابراهيم بك وكان اذ ذاك كنجيا الانكشارية ورضوان بك فوافقوه على ما اراد . وكان وكيله احمد السكري من مماليك ابراهيم بك فلم يمكنه كتمان ذلك عنه فجاء اليه واخبره بجميع ما كان من التواطؤ على قتله وقتل رفيقه . فسار للحال الى رضوان بك واخبره وتشاورا بشأن ذلك فقررا نصب احبولة يقتلان بها عثمان بك فبعثا اليه رجالاً يترصدونه في طريقه الى القلعة فرفوئبوا عليه ففر بجواده حتى دخل القلعة ولم يظفروا به . فلاقاه وكيله وقد اضمر له الشر فسأله عما ألم به فاخبره بما كان فكلمه بلسان الثعلب ناصحاً له ان يبرح المدينة حالاً لان الناس قد قاموا يطلبون قتله وما زال حتى اقنعه ففر الى سوريا وسار هو معه . حتى اذا دنوا من غزة تمحى احمد عن الطريق واختبأ في قرية يقال لها الاشرفية بحجة استطلاع الاحوال لحماية عثمان بك فتربص هناك مدة ثم عاد الى القاهرة بمن معه من المماليك وسار الى ابراهيم بك واعلمه بما فعله فكافأه على تلك الخيانة برتبة البكوية . وهم الاهلون بيت

عثمان فاحرقوه واقتسموا تركته

اما هو فوصل سوريا وحده وسار منها الى الاسكندرية فولي بروصة ولبث فيها حتى توفاه الله . وجميع هذه الحوادث توالى على مصر في اثناء سنة ١١٥٦ هـ

ابراهيم كخيا ورضوان بك

فلما خرج عثمان بك من مصر صفا الجو لابراهيم كخيا ورضوان بك فعملا على ابادته الاحزاب التي تآمرت عليها فاخذ رضوان بك على نفسه قتل علي كخيا الطويل فأمر احد مماليكه ان يقتله بالرصاص في وليمة حافلة فلبى المملوك الامر لكنه اخطأ الرمي وعوضاً من ان يصيب علياً اصاب مملوكه الذي كان بجانبه فقبض عليه وقتل للحال - اما ابراهيم كخيا فتسكفل باهلاك من بقي من الاحزاب وكان على ولاية مصر اذ ذاك كيور احمد باشا فطلب اليه ابراهيم ان يوافقه على ابادته البكوات فوافقه وربما فعل ذلك خوفاً منه اولاً لانه يعود عليه بالنفع الشخصي واستعانوا بالنقود فبدلوا فسهات وشروعهم حتى قتلوا علي بك الدمياطي بيد وكيله سليمان في وسط الديوان وقد وعدهم هذا بتسليم رؤوس البكوات الآخرين من احزابه . فامر ابراهيم كخيا ورضوان بك ان تغفل جميع منافذ القلعة على من فيها من البكوات المتوي قتلهم وجعلوا على بابي الانكشارية والعزب جندياً . وحافظ سليمان على وعده فبوشرت المذبحة واول من قتل فيها خليل بك من دعاة الدمياطي ومحمد بك من دعاة قطامش وكثيرون غيرهم . وحاول علي بك وعمر بك البلاط الفرار فقبضهما الباشا بنفسه ثم لاقاهما ابراهيم ورضوان وقتلها عند باب القلعة ولم يدفن من القتلى الا محمد بك و خليل بك

ولم يبق من مناظري ابراهيم كخيا ورضوان بك الا ابراهيم قطامش وعلي كخيا الطويل . فالاول مات من الحزن بعد مدة قصيرة والثاني هاجر من تلقاء نفسه تاركاً الدار ومن بناها . فصفا الجو لابراهيم كخيا فتولى مشيخة البلد وسمى رضوان بك اميراً للحج . ثم جعلاً يتبادلان هذين المنصبين كل سنة وعاد كل منهما الى ميلاه الطبيعي ابراهيم الى مطامعه ورضوان الى ملاهيه . فاخذ ابراهيم كخيا يفسد الاحكام ويستخدماً لاسترجاع ما يناله للحصول عليها فلم يصادر وسيلة الا استخدمها في سبيل مطامعه من قتل وقتك فابتدأ بسليمان قاتل علي بك الدمياطي فجبر عليه في القلعة ولم يفرج عنه حتى استرجع منه ما كان اعطاه من النقود . ثم باغت من بقي من الاغنياء في القاهرة ووضع يده على ممتلكاتهم بعد ان قتل بعضاً منهم وبقي البعض الاخر . فاستولى في يوم واحد على اموال ثمانين بيتاً من بيوت القاهرة ووضع يده على

محصولات البلاد والكمارك والقرى والحازن حتى الحيوانات الصغيرة فلم يبق ولم يذر وكان كيور احمد باشا قد استدعى الى الاستانة وولي حكومة قبرص فاقم مقامه باشا آخر سنة ١١٥٦ هـ فعامله ابراهيم كخيا بالاحتقار فخذ عليه . ثم اتفق غياب ابراهيم في قافلة الحج الى مكة فاغتنم الباشا غيابه وتواطأ مع حسين بك الخشاب على مكيدة يعمدها لابراهيم فاتفقا على ان يقوم الخشاب بقتل ابراهيم ورفيقه رضوان وان يكافئه الباشا على ذلك بمشيخة البلد . فلما رجع ابراهيم سعى الخشاب في انجاز وعده ففاز بالقبض على الاثنين فسجنهما في القلعة فولاه الباشا مشيخة البلد . لكنه لم يهنأ بها لان دعاة ابراهيم كخيا اتحدوا وهجموا على حسين بك والباشا واخرجوا المسجونين ففر الخشاب الى مصر العليا واختبأ في ابريم من بلاد النوبة . اما الباشا فاستدعى الى الاستانة فعاقبه السلطان عقاباً انتهى بالموت

نشأة علي بك الكبير

وكان في حوزة ابراهيم كخيا اكثر من الف مملوك في جملتهم علي الذي سيلقب بعلي بك الكبير ويكون له شأن عظيم بهذا التاريخ وسترى في سيرته انه من افراد الدهر حزمًا وبطشًا وحكمة . وكان علي سلحداراً بين ممالك ابراهيم كخيا . وكان ابراهيم يحبه كثيراً ويحل مواهبه حتى جعله ناقل سيفه . وبما زاده تعلقاً به انه اصطحبه الى الحرمين في قافلة وكان قد صار كاشفاً . فسار قائداً لتلك القافلة فلما هم في الطريق عصابة من اللصوص فدفعهم علي بقلب لايهاب الموت فلقبوه بالجني . ولما رجع ابراهيم كخيا الى القاهرة عزم على مكافأة علي برتبة بك لكن صغر سنه ودسيسة الخشاب حالاً دون ذلك

ثم عقب ذلك شاغل اكثر اهمية زاد الامر تأخيراً — وذلك انه جاء القاهرة خبر وصول باشا جديد الى الاسكندرية بدلاً من الباشا الذي اخرج منها . وكان من عادة رجال الحكومة في مصر اذا علموا بمجيء باشا جديد ان يبعثوا وفداً يلاقونه في الاسكندرية وفيهم العيون والجواسيس فيحيطون به يستطلعون مقاصده ونواياه ويطلعون على ما في يده من الاوامر السلطانية فاذا رأوا تلك الاوامر سلمية ومقاصده حسنة رحبوا به وفتحوا له الطريق حتى يصل بولاق فيحتفل الامراء بلقائه . اما اذا تبينوا من احواله غير ذلك ابلغوا الامراء بالقاهرة فيجتمعون ويقررون اعلانه ان يقف حيث هو ويكتبون الى ديوان الاستانة بعدم مناسبة ذلك الباشا الجديد وان بقاءه في مصر مخل بالانظام العمومي او ربما حمل الرعية على الثورة . ثم يطلبون استبداله بأخر أكثر موافقة للبلاد منه

فلما اتصل بهم خبر قدوم هذا الباشا واسمه راغب محمد باشا سار شيخ البلد بنفسه لاستقباله ومعه البكوات نخلع على كل واحد منهم خلعاً كاعتاد . ثم اجتمعوا جميعاً بمجلسة رسمية واقسموا على الطاعة والاخلاص لأمير المؤمنين . واحب الامراء راغب باشا محبة عظيمة لانه عرف كيف يعامل شيخ البلد فاحبته الرعية ومالوا بكليتهم اليه ففضى بين ظهرانيهم سنتين كلهما سلام وطمانينة حتى اجمع البكوات على استبقائه بينهم زمناً طويلاً



ش ١٧ : اكبر رجال الدولة بملابسهم الرسمية
الصدر الاعظم والنائب مقام والرئيس أفندي وعضو المجلس

وهم في ذلك ورد الى الباشا خط شريف^(١) ان يسعى جهده في قطع دابر البكوات وفي جعلتهم شيخ البلد ومن يلوذ به . فاستنتج الباشا من نص ذلك الخط ان ديوان الاستانة مشتبّه بتصرفه في مصر وانه وشى الى جلاله السلطان بان اتفاهه مع بكوات مصر ليس الا لعزيمه على استخدامهم في ما يره بالاستقلال بحكومة مصر واخراجها من طاعة الدولة العلية . فوق في حيرة وتردد بين ان ينفذ الاوامر الشاهانية مع ما فيها من الخطر أو ان يعصيا او يؤخرها فيعرض حياته للخطر ويؤيد التشكيكات التي تقدمت بحقه . وبعد ان نظر في المسألة من سائر وجوها فضل الفتك باصدقائه البكوات . فتواطأ مع عصابة من رجاله انه متى اجتمع البكوات في مجلسه فليكونوا على

(١) يقدمون بالخط الشريف الاوامر الصادرة من جلاله السلطان رأساً

استعداد للهجوم عليهم معاً عند اول اشارة . ففعلوا ما امرهم به لكنهم لم يفوزوا كل الفوز لان ثلاثة من البكوات تمكنوا من النجاة وفي مقدمتهم شيخ البلد بعد ان جاهدوا الجهاد الحسن واوسعوا الباشا تعنيفاً على فعلته هذه التي لم يكونوا ينتظرونها منه بعد ما اظهروه نحوه من اللطف والاخلاص . فبرا ساحتهم باطلاعهم على الفرمان السري الوارد له بهذا الصدد فكفوا عن الانتقام منه لكنهم عزلوه وكتبوا الى الاستانة يطلبون بدله . وعينوا ثلاثة بكوات في مكان الثلاثة الذين قتلوا بتلك المكيمة

واغتم ابراهيم كخيا هذه الفرصة لترقية علي كاشف فرقاء الى رتبة بك فشق ذلك على احد البكوات المدعو ابراهيم بك شرکسي المولد يعرف بابراهيم بك الشرکسي وكان من دعاة ابراهيم كخيا لكنه تظاهر عند ذلك بعداوتهم ونمت بينهما الضغائن ولم



تنته الا بقتل ابراهيم كخيا بعد ذلك بخمس سنوات بيد ابراهيم بك الشرکسي المذكور سنة ١١٦٨ هـ . وفي تلك السنة توفي السلطان محمود بن مصطفى



وترى في شكل ١٨ صور نقود السلطان محمود بن مصطفى مضروبة في القاهرة بتاريخ سنة ١١٤٣ هـ فالاولى منها ذهبية وهي صورة القطعة المعروفة باسم زر محبوب أو سكوين . والثانية ذهبية ايضاً وهي نصف سكوين أو نصفية والثالثة صورة القطعة النحاسية المعروفة بالجديد

بن ١٨ : نقود السلطان محمود بن مصطفى

سلطنة عثمان بن مصطفى

من سنة ١١٦٨ — ١١٧١ هـ او من ١٧٥٤ — ١٧٥٧ م

فبيع اخوه السلطان عثمان بن مصطفى ويدعونه ايضاً عثمان الثالث وبقي على كرسي الخلافة ثلاث سنوات فقط . فشقى ابراهيم بك الشرکسي غليله بقتل ابراهيم كخيا لكنه لم يرو مطامعه لان مشيخة البلد انتقلت الى رضوان بك

صديق ابراهيم كخيا ثم ظهر لرضوان منافس آخر من زعماء حزب ابراهيم يقال له حسين بك أصبح بعد قتل الكخيا اكبر رجال ذلك الحزب فادعى لنفسه الاولوية بمشيخة البلد فلم تقبل دعواه فجمع اليه بعض دعاة المماليك وصعد الى قلعة القاهرة واستولى على بطارية من المدافع تشرف على بركة القيل حيث يقيم رضوان بك فاطلق بعض القنابل على المنازل فخرقت جدرانها فتداعت اركانها ورضوان بك مشغول بحلاقة لحيته . فلما احس بالامر طاب جواده ولم يعل ظهره حتى اصيب برصاصة كسرت فخذه . وتمكن من الفرار ومعه بعض المماليك الى قرية الشيخ عثمان وهناك توقف عن المسير لزيادة الالم ومعه رئيس الضابطة وكان مجروحاً ثم توفي الاثنان ودفنا معاً

فسمي حسين بك من ذلك الحين شيخ البلد واخذ يتقرب من اترابه البكوات وهم لا يزيدون منه الا نفوراً . ولم تمض بضعة اشهر من توليته حتى كنوا له في مكان مصاطب الشباب في السهل الواقع بين القاهرة وارض ابراهيم بك . وكان مشغلاً بعرض جنوده المماليك فهموا به وذبحوه ثم قطعوه ارباً ارباً وصار يعرف من ذلك الحين بحسين بك المقتول . فتولى مكانه خليل بك واشتهر بحب القتل وكان متظاهراً بالعداوة والحسد لعلي بك على الخصوص لاعتقاده انه اشد اعدائه وطأة واقواهم عزيمه

سلطنة مصطفى بن احمد

من سنة ١١٧١ - ١١٧٨ هـ او من ١٧٥٧ - ١٧٧٤ م

وفي سنة ١١٧١ هـ تولى الخلافة العثمانية مصطفى بن احمد وهو مصطفى الثالث . وبالْحَقِيقَةُ ان علي بك كان كثير الاخلاص لابراهيم كخيا لا ينفك ساعياً في الانتقام له ولكنه كان يرى السبيل الاقرب والاسهل لبلوغ مرامه انما هو القوة . فاخفى ما في ضميره ٨ سنوات اشتغل في انائها بجمع القوة . فابتاع عدداً وافراً من المماليك ووطد علاقته مع البكوات الآخرين واكتسب ثقتهم بما كان يظهره من الغيرة عليهم والاخلاص لهم وما كان يكرمهم به من الهدايا . وما زال يخطط خطوة بعد اخرى حتى اقترب من النقطة المطلوبة فاوجس خليل بك خيفة منه وجعل يجسس حركاته بالارصاد والعيون وبعد المسكائد في شوارع القاهرة . ففي ذات يوم هم عليه حسين كشكش بامر خليل بك وبعد موقعة هائلة اضطر علي بك ان يفر الى الصعيد في طائفة من اصدقائه البكوات يستعد للانتقام مضاعفاً

فصرح خليل بك ان علي بك واتباعه البكوات مجردون من رتبهم وحقوقهم وولي مكانهم بكوات من ذويه وقتل من ظفر به في القاهرة من اسدقاء علي بك او المنحيين اليه . اما علي بك فالتقى في الصعيد بواحد من مماليك مصطفى القرد يدعى صالح بك كان منفياً هناك وفي قلبه من خليل بك حزازات فأنحد الاثنان ورجلها وزحفا على القاهرة . فخرج خليل بك وحسين بك كشكتن فدارت رحى الحرب فكان الفوز لعلي ورفيقه قطاردا خليل بك ورجاله حتى قطعوا مديرية القليوبية واصلوهم الى المسجد الاخضر على ضفاف النيل . واشتد الكفاح هناك فالتجأ خليل بك ورجاله الى طنطا فبعث علي بك كاشفه محمد الملقب بابي الذهب ليهاجمهم فهاجمهم واستلم طنطا بعد ان قتل حسين كشكتن اما خليل بك فاختبأ بالمسجد وبقي فيه وقد غلبه الجوع ثم قبض عليه ونفي الى الاسكندرية وخنق هناك . ونقلوا رؤوس القنلى الى القاهرة وطاقوا بها في اسواقها

علي بك الكبير

من سنة ١١٧٧ — ١١٨٧ هـ او من ١٧٦٣ — ١٧٧٤ م

فتمكن علي بك بهذا الانتصار من استلام مشيخة البلد في القاهرة سنة ١١٧٧ هـ واول امره بقتل ابراهيم الشرکسي الذي قتل سيده فثارت عليه احزابه يطلبون الانتقام وهم عديدون فخاف علي بك على حياته ففر الى سوريا فالتجأ الى متسلم (حاكم) بيت المقدس وكانت بينهما صداقة قديمة الا ان هذا الملجأ لم يحمه الا شهرين لان اعداءه البكوات لما علموا بمقره شكوه للسلطان مصطفى واخبروه بمقره فانفذ الى متسلم القدس فرماناً يأمره به ان يرسل علي بك مخفوراً الى الباب العالي . فعلم علي بك بذلك ففر الى عكا وهناك اكتسب صداقة الشيخ ضاهر العمر أمير تلك المدينة الحصينة فآكرم وفادته وسعى في تبرئته امام الباب العالي . وبمساعدة نصرائه من اسدقاء ابراهيم كشكتا اكتسب له العفو من الحضرة الشاهانية فالتفت الاوامر بالقبض عليه واعيد الى القاهرة في منصبه الاول

وفي سنة ١١٧٩ هـ اي بعد ذلك بسنتين هدد علي بك بالاقالة من ذلك المنصب — وذلك ان محمد راعب باشا الذي كان على مصر وعزل منها على ما مرّ بك كان يتذكر

كرم اخلاق علي بك مذ كان كاشفاً . فبعد استقالته من مصر ولي بر الاناضول وبعد تسع سنوات صار صدراً اعظم وما انفك متذكراً صداقة علي بك لا يفتر عن معاضدته وتسهيل مطالبه سرّاً وجهرّاً . ففي سنة ١١٧٩ هـ توفي الوزير محمد راغب باشا فاصبح علي بك في حاجة الى بعضه . فاغتم اعداؤه هذه الفرصة ووشوا به الى الاستانة فاضطر ان يفر الى اليمن ولم تأت سنة ١١٨٠ هـ حتى عاد الى القاهرة واسترجع منصبه بمساعدة احزابه وموت اربعة من دعاة ابراهيم الشركسي . ثم تراءى له ابن صديقه صالح بك تحذره نفسه بخرق حرمة الصداقة واتباع داعي المطامع الشخصية فوكل امر قتله الى ابراهيم كاشف احد اتباعه فقتله طعنا وسترى ان ابراهيم هذا سيرتقي حتي يتولى مشيخة البلد

ورأى علي بك ان قبائل العربان في مصر السفلى قد شقت عصا الطاعة فانفذ اليها احد مماليكه المدعو احمد في فرقة من الرجال فخارب اولئك العربان وامعن في قتلهم حتى لقبوه بالجزاروهو الذي تولى عكا بعدئذ واشتهر باحمد باشا الجزار . اما من بقي من عدا علي بك فخافوا ولزموا السكوت وتحقق تخلصه من القلاقل والمفاسد والمقاومات ورأى من باب الاحتياط والحرص ان يرتقي ثمانية عشر مملوكاً من اتباعه الى رتبة البكوية لينصروه وقت الحاجة وهذه اسماءهم :

١	رضوان ابن اخيه	من جورجيا
٢	علي الطنطاوي	« «
٣	اسماعيل	« «
٤	خليل	« «
٥	عبد الرحمن	« «
٦	حسن	« «
٧	يوسف	« «
٨	ذو الفقار	« «
٩	عجيب	« «
١٠	مصطفى	« «
١١	احمد الجزار	« اماسيا
١٢	سليم آفا	انكشاري
١٣	سليمان تكيّا	»



١٩ : صورة ختم سليمان تكيّا

١٤	لطيف	شركسي
١٥	عثمان	»
١٦	ابراهيم	»
١٧	مراد	»

ولهذين الآخرين شأن في هذا التاريخ لانهما سيتنازعا السلطة في مصر

١٨ محمد

وكان يعز محمداً هذا أكثر من الجميع وستراه رجلاً عقوفاً منكراً للجميل . ولما تقلد البكوية لقب بابي الذهب فاحب ان يجعل هذا اللقب اسماً على مسمى فتظاهر بالكرم المفرط وبدلاً من ان يفرق العطايا بالبارات فرقها بالارباع اما علي بك فكان ساهراً على مصلحة البلاد سهرأ تاماً وكان مخلصاً في اعماله فطهر البلاد من اللصوص وسعى جهده في اصلاح شؤونها فساد الامن فيها بعد ان كانت معرضاً للقلاقل والمفاسد . ولم تقف مطامع علي بك عند هذا الحد فانه رأى من تحامل الواشين بينه وبين ديوان الاستانة وإيقاع ذوي الاغراض به وبسلطته ما حمله على السعي في الاستقلال بمصر وتجريدتها من رعاية الدولة العثمانية لكنه كتم مقاصده وجعل يسعى في تنفيذها تحت طي الخفاء

مسابيه في سبيل الاستقلال

واول خطوة خطاها نحو هذه الغاية انه انتحل اسباباً بنى عليها عزل مستخدمي الملكية والجهادية ورؤساء الوجاقات واستبدلهم برجال على دعوته الا وفاق الانكشارية به انه لم يمسه بعد ان تمكن من استبقائه تحت حمايته وسد جميع السبل التي يمكنه بها التطرق الى مقاومته وأخر دفع مرتبات الوجاقات الاخرى عمداً وصار يدفع رواتبهم اقسطاً عملة ورق بول كانت تخسر الماية منها تسعين فكان يربح ارباحاً عظيمة باسترجاع الورق بالاثمان البخسة وصرفه ثانية بثمنه الاصلي . فلما رأت رجال الوجاقات انهم لا يستولون من ماهياتهم الا على العشر كرهوا الاستخدام العسكرية وجعلوا يستقيلون منها شيئاً فشيئاً ويتعاطون اشغالات اخرى اكثر فائدة لهم

ثم سعى في تقليل المساكر العثمانية واستخدام الممالك من دعاته . حتى صاروا نحواً من ستة الاف وحظر على سائر البكوات والكشاف الذين يخشى تغييرهم عليه ان يقتني احدهم اكثر من مملوك او مملوكين . وكان على ولاية مصر اذ ذاك محمد باشا فازمجتبه اجراآت علي بك وخشي عاقبتها فنصح له ان يقف عند حده فلم يكثرث بقوله . فافقر على مقاومته لان هذه الاجراآت مضادة لمصلحة الباب العالي ولكنه لم يكن يستطيع

المجاهرة بمقاصده هذه فاخذ يدسها سرّاً وأحمد مع من بقي من دعاة ابراهيم الشر كسي واجمعوا على الانتقام من علي بك ثم جعلوا يسعون فساداً بين احزابه واستجلبوا بعضاً منهم الى جانبهم بالمواعيد المبنية على الحسد والطمع . وفي جملة هؤلاء محمد بك ابو الذهب الذي طمره علي بك بفضله حتى ازوجه ابنته وكان يناديه كينادي اولاده . ولم يكونوا يستطيعون تنفيذ ما ربههم جهاراً فاغروا صهره محمد بك المذكور بالمال ووعدوه انه اذا قتل علي بك يتولى المشيخة مكانه فقبل لكنه علم بعدئذ انه يقصر عن منأواه علي بك واستعظم الجناية فعدل عنها الى جناية تقرب منها . وذلك انه شكى الى علي بك معاملة الباشا له فاسرع علي بك الى اتقاذه منه وما انفك عن الباشا حتى اخرجه من مصر فعاد الى الاستانة . ولم يزد علي بك الا ثقة في محمد بك ابني الذهب واخلاقاً له رغم ما كان ينقل اليه عنه من السعي ضده

وفي سنة ١١٨٢ هـ انشبت الحرب بين روسيا والدولة العلية فبعثت هذه الى مصر ان تمدها بانتي عشر ألفاً فوصلت الاوامر لعلي بك بذلك ومشروعه لم ينضج بعد فلم يسعه الا مباشرة ما أمر به فابتدأ بجمع الجنود . اما اعداؤه فاعتنفوا تلك الفرصة للوشاية فضموا اليهم الباشا الجديد الذي كان قد ارسل من القسطنطينية بدلا من الباشا الذي اخرجه علي بك واقفوا جميعاً على كتابة تقرير امضاء الباشا وسائر البكوات اعداء علي يشون به الى الديوان الشاهاني بدعوى انه انما اراد بما يجمعه من الجيوش معاضدة روسيا للاستقلال بمصر فانفذ الديوان الشاهاني الى الباشا امراً مشدداً ان يقتل علي بك ويرسل راسه الى الاستانة

فاتصل ذلك بعلي بواسطة اصدقائه بالاستانة فبعث علي بك الطنطاوي احد دعاته في عشرة من اتباعه المماليك متكرين بلباس البدو يكمنون على مسافة قصيرة من القاهرة حيث لا بد للقاجي باشي حامل ذلك الفرمان من المرور به فكثوا هناك ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع بان لهم القاجي ومعه اربعة رجال فوثبوا بهم وقتلوه وطمروهم في الرمل واخذوا ملابسهم والفرمان وساروا الى علي فقراء ثم جمع اليه ديوان البكوات العمومي واطلعهم عليه واقنعهم ان ذلك الامر ليس لقتله وحده بل لقتلهم جميعاً ثم خاطبهم قائلاً « دافعوا اذا عن حياتكم وحقوقكم واعلموا ان مصر ما برحت منذ القدم يحكمها دول من المماليك كانوا سلاطين اشداء تفاخر بهم الارض السماء فاعيدوها اليهم . وهذه فرصة لاتضيعوها فانكم لن تعثروا عمركم على فرصة مثله : هلم اذا نسعى في الاستقلال فان فيه حياتنا وحررتنا »

استقلال علي بك بمصر

فتأثر البكوات من فصاحة علي وبلاغته وكانوا ثمانية عشر قد اجتمعوا على دعوته فعاهدوه على الدفاع عنه ما استطاعوا الى الدفاع سبيلاً . اما سائر الامراء المماليك من اعدائه فخافوا العاقبة ولزموا السكوت . فكتب ديوان علي بك امراً الى الباشا ان يرح الديار المصرية في ثمان واربعين ساعة واذا لم يفعل يقتل وان مصر قد اصبحت مستقلة . وبعث علي الى الشيخ زاهر العمر امير عكا يعلنه رسمياً باستقلال مصر ويدعوه للمساعدة في ذلك فاجابه الشيخ زاهر مسروراً وجمع اليه رجاله ورجال بنيه السبعة وصهره وانضم الجميع الى جنود علي وكان قد اضاف الى الستة الآلاف التي عنده من المماليك الاثني عشر الفا التي جمعت مدداً للعثمانيين وازداد الى هذه ايضاً رجال اصدقائه البكوات حتى رجال اعدائه لانهم لم يعد يسعهم الاطاعته

فاتصل ذلك بالاستانة فارسى الباب العالي امراً الى والى دمشق ان يسير في ٢٥ الفاً لمنع جنود عكا من معاضدة علي فسار الوالي في ذلك العدد من الرجال فلاقاه الشيخ زاهر في ٦ آلاف بين لبنان وبحيرة طبرية وردة على اعقابها سنة ١١٨٣ هـ . وكانت هذه الواقعة آخر الوقائع لان الباب العالي امسك بعدها عن ارسال الجند كانه نسي علاقته مع سوريا ومصر بالكلية

أما علي فاغتم اشتغال الدولة العالية بالحاربة مع روسيا وصرف عنايته في تنظيم مملكته الجديدة واصلاح ما داخلها من الخلل تخفيض الضرائب وجعل على المالية مدير الكمرك القديم المعلم ميخائيل فرحات القبطي بدلاً من يوسف بن لاوي الاسرائيلي وكان قد قتل جزاء خيانه . ونظم التجارة الخارجية والمواصلات وابعد العربان الى الصحراء فاستولى الامن وانتشر الاصلاح في القطر فزادوا على القاب علي لقب لوط قبان (مبيد اللصوص)

قبيلة الهوارة

وكان في جملة القبائل النائرة على مصر قبيلة الهوارة وهي اشدهن بأساً واطول باعاً جاءت في الاصل من ضواحي تونس الغرب واستقرت بين جرجا وفرشوط في بقعة من الارض لم تكن تصلح للزراعة فاعتنوا فيها حتى انشأوا عدة قرى وما زالوا ينشرون سطوتهم حتى احتلوا جميع البقاع بين هوارة وكفر الشيخ سليم . ثم اغتم الشيخ هامان (شيخ الهوارة) اشتغال مصر بما تقدم ووضعه يده على البلاد من اسبوط الى اصوان وجمع اليه محمولاتها . وكان قد حارب هذه القبيلة كثيرون ممن تولوا مصر قبل علي

وفرضوا عليها ضريبة مقدارها ٢٥٠ ألف اردب من الحنطة توردها سنويا الى مصر
ففي سنة ١١٨٣ هـ ارسل علي بك صديقه محمد بك ابا الذهب لمحاربة الشيخ
هامان وقبيلته فخاربهم وتغلب عليهم في اواخر تلك السنة . فاضطر ابناء الشيخ ان
يتناعوا حياتهم بما لديهم من ثروة ابيهم . فرج ابو الذهب من ذلك مالا كثيرا ثم اسرع
الى القاهرة لما علمه من الدسائس التي كان ساعياً بها رفيقه احمد بك الجزار على علي
بك وكأنه لم يكن يريد ان يشاركه احد بالدسائس على سيده . وكان احمد الجزار ينظر
الى ابي الذهب نظره الى عدو يناظره في ارتكاب الدنيا فسمى في قتله فلم ينجح .
وكان لاحد الجزار سيف مشهور بطيب فولاذه وآقان صنعه . فاتفق يوماً انه اجتمع
بمحمد ابي الذهب فقال له محمد « ارني حسامك لاجربن فرنده » فاجابه احمد « لا
يستل حسامي سواي ولا اعلمه حتى يستباح قتيل » ثم نهض للحال وغادر القاهرة قاصداً
القسطنطينية فوصلها . ثم عهدت اليه ولاية عكا بعد ذلك . وما زال فيها حتى توفاه الله

فتوح علي بك ومعاهداته

اما علي بك فبعد ان تغلب على الصعيد ثار في خاطره حب الافتتاح فجرد الى
اليمين جيشاً تحت قيادة محمد ابي الذهب فسار في عشرين ألف مقاتل فقطع برزخ
السويس ومضيق العقبة ولم يبق على احد من التباثل التي حاولت الوقوف في طريقه
وما زال حتى اتى اليمن وافتتحها . وامر علي فسار اسماعيل بك في ثمانية آلاف
لافتتاح السواحل الشرقية للبحر الاحمر وحسن بك لافتتاح جدة ولقب بالجدادي
اشارة الى انتصاره على تلك المدينة وما زال يعرف بهذا اللقب من ذلك الحين . ولم تمض
سنة اشهر حتى افتتحت شبه جزيرة العرب وفي جلها مكة المشرفة ولحق بها نهب
شديد وانزل شريفها واقيم مقامه ابن عمه الابر عبد الله فوافق علياً في سلطنته
وسماه بسلطان مصر وخافان البحرين . فعلم ذلك بصفته الدينية تملقاً لعلي . فلما حصل
علي بك على ذلك من شريف مكة اخذ يتمتع بحقوق السلطنة فامر ان يحطب باسمه في
الصلوات العمومية ايام الجمعة . وضرب النقود سنة ١١٨٥ هـ في القاهرة باسمه كما سترى
وسعى علي بك في هذه السنة الى امر سبق به الى حتفه وذلك انه عهد الى محمد
بك ابي الذهب ان يسير في ثلاثين ألفاً لاخضاع بلاد الشام لانه كان يعتبر هذه الولاية
بعد خروجه من طاعة الدولة العلية عدواً قريباً يخشى منه على نفسه وعلى صديقه
ومخالفه الشيخ ظاهر . وكان ينظر الى سوريا كأنها جزءاً طبيعياً من مملكة مصر .

وكانت بالواقع قسماً منها في سائر الازمنة التي كانت فيها مصر مستقلة في الدولة الطولونية والفاطمية والايوبية والمماليك وغيرها

وسعى علي بك في التحالف مع الدول التي بينها وبين الاستانة عداوة طبيعية فاستخدم تاجراً إيطالياً اسمه روسي عقد له معاهدة سلمية مع البندقين على ان يكونوا حلفاء له . ثم عهد الى رجل ارمني اسمه يعقوب ان يستطلع من الكونت الكسيس اورلوف قومندان القوات الروسية في البحرين (المتوسط والاسود) عن عقد معاهدة دفاعية وهجومية مع قبصرة روسيا كاترينا الثانية . فاجاب الكونت بالايجاب



ش ٢٠ : كاترينا الثانية

وفتحت المحابر بشأن ذلك وطال امرها كثيراً لبعده المسافة بين الطرفين . اما جنود علي بك في سوريا فصاحبها الظفر واتحدت بجنود الشيخ ضاهر فاستولوا على غزة والرملة ونابلس والقدس ويافا وصيدا واخيراً حاصروا دمشق ولم تلبث يسيراً حتى سلمت

خيانة محمد بك ابي الذهب

فلما رأى محمد ابو الذهب تمام هذه الفتوحات العظيمة على يده حدثته نفسه ان يجعلها لنفسه . ثم قادته مطامعه الى محاربة علي واستخراج مصر من يده . ويظن انه لم يقدم على ذلك من تلقاء نفسه وانما حمل عليه باوامر جاءه من الاستانة لان الخبايا السرية كانت متواصلة بينه وبينها بواسطة الباشا الذي اخرجته علي من مصر . فامسك محمد عن المسير في البلاد العثمانية وحول شكية مقاصده نحو الديار المصرية فجمع ما كان لديه من الجيوش وضم اليها الحاميات التي كان قد اقامها في المدن المفتوحة وسار قاصداً مصر . لكنه لم يجسر على المسير الى القاهرة رأساً خوفاً من الانكشارية والوجاقات الاخرى لعلمه بما في قلوبهم من الضغينة عليه . فخرج نحو الصحراء حتى آتى الصعيد فخط رحاله هناك واستولى على اسيوط في آخر يوم من سنة ١١٨٥ هـ . ثم استقدم قبائل العربان وطلب محالفهم ومحالفة بكوات الصعيد وجاهر بعزمه على خلع علي بك وسار قاصداً القاهرة فوصلها في اوائل سنة ١١٨٦ هـ فنزل بجيشه تجاه البسائين فوق مصر القديمة

فلما علم علي بك بذلك ندم على ما وضعه من الثقة في رجل كان له ان يعتبر من سيرته الماضية انه على غير الاخلاص والاستقامة . فجنّد ٣ آلاف رجل بقيادة اسماعيل بك وامرهم ان يمنعوا محمداً من عبور النيل . فسار اسماعيل لكنه خاف سطوة عدوه ووردت عليه كتب مفعمة بالمواعيد يمازجها بعض التهديد فاخذ جانبه وضم جيشه الى جيشه فقطع محمد بك النيل فاستقبله رجال اسماعيل بالترحاب . فاتصل ذلك بعلي فيئس من الفوز فانقطع الى القلعة باهله واصدقائه ورجال دعوته وقد عزم على المدافعة الى آخر نسمة من حياته

علي بك في عكا

وبعد ثلاثة ايام ورد اليه كتاب من الشيخ احمد ابناء صديقه الشيخ ضاهر ان يبرح القاهرة حالاً ويأتي الى ابيه في عكا . فخرج علي من القلعة بمن معه وسار من جهة الجبل الاحمر طالباً سوريا عن طريق الصحراء . وكان خروجه قبل دخول محمد بك القاهرة بيوم واحد اي مساء ٩ محرم سنة ١١٨٦ هـ وهذه هي المرة الثالثة لخروجه منها الى سوريا وفي معيته عدد يسير من الجنّد لا يبلغ ستة آلاف معظمهم من الخدمة الذين لا يستطيعون الدفاع . ولم يحمل معه من المال الا ثمانمائة الف زر محبوب يحملها ٢٥ جملاً . ونقل معه من المصوفات والحلي ما يسوي اربعة اضعاف ذلك . وما زالوا في

المسير ليلاً ونهاراً فوصلوا الى خان بونس في حدود سوريا بعد ثلاثة ايام فأرأوا ان خمسة من الجمال الحاملة للنقود قد ذهبت فريسة بيد القبائل البدوية وان عدداً من جنوده فروا ومعهم يوسف الخزندار . وفي اليوم التالي دخل علي بك غزة ثم واصل السير حتى اتي عكا بعد ثمانية ايام فرحب به اميرها وكانت بينهما مودة شديدة فاطمأن علي هناك . غير ان ماتكبه من المشاق في الاسفار مع ما اثر في نفسه من الغيظ الشديد غير محتمه فلم يصل عكا الا وهو في حالة الخطر من شدة المرض

وفي اثناء ذلك وصل ميناء عكا اسطول روسي فلما علمت حاميته بما حل بعلي عقدوا معه معاهدة ثانية وقدموا له كل ما يحتاج اليه من المؤن والزخائر وكان في خدمة ذلك الاسطول فرقة من الالبانيين « الارناؤوط » مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل فأمدوه بهم . فلما رأى علي بك ما كان من نجدة الروسيين مع ما يمكنه الحصول عليه من جنود الشيخ ضاهر عزم على مناوأة ابي الذهب لكنه لم يكن يستطيع مباشرة ذلك بنفسه لانحراف صحته . فعهد الى علي بك الطنطاوي بعد ثلاثة اشهر ان يسير اولاً لاسترجاع المدن السورية التي دخلت في حوزة محمد ابي الذهب فسار واستولى على صور وصيدا وقرى اخرى من سواحل سوريا كانت قد احتلتها جنود عثمانية بعد انسحاب جنود محمد ابي الذهب . ثم سار علي بنفسه مع من بقي من الجند الى يافا وافتتحها بعد محاصرة خمسة اشهر استولى في اثنائها على غزة عنوة وعلى الرملة واللد تسلياً . فاعاد يافا الى حكومة الشيخ ضاهر وجعل على اللد حسن بك الجداوي وعلى الرملة سليم بك

محمد أبو الذهب بمصر

وفي ٩ ذي القعدة ١١٨٦ هـ كان علي بك في يافا فجاءته رسل من القاهرة بمهمة سرية من وجاق الانكشارية والوجاقات الاخرى وسائر اعيان القاهرة يعلمونه ان محمداً ابا الذهب دخل القاهرة حالاً خرج منها هو وسمى نفسه شيخ البلد وجعل يعيث في البلاد عيثاً لم يسبقه الى مثله احد ممن تولى مصر قبله . فجعل بعض الضرائب ضعفين وبعضها ثلاثة اضعاف . ثم اخلق قانوناً غريباً دعاه قانون رفع المظالم والمقصود منه بحسب الظاهر انقاذ ملتزمي الاموال الاميرية من الاجراآت الاستبدادية التي كان يسومهم اياها الكشف الى ذلك العهد واستبدالها بما يعود بالمنفعة والحقيقة ان الضرائب ما انفكت اشد وطأة من ذي قبل والاجراآت لم تزد الا استبداداً فضلاً عما رافق كل ذلك من الفتك بالعباد قتلاً ونهباً

ثم قالوا ان مصر بجمعتها لما رأت ما وصلت اليه من الانحطاط وما لحق باهلها من

المظالم التي ما أنزل الله بها من سلطان قد أنابهم ان يبلغوا علي بك أنها بصوت واحد تلقس رجوعه ليحكم فيها لأنه هو منقذها الوحيد وان مدينة القاهرة مستعدة ان تفتح ابوابها لاستقبال اميرها القديم وان تدافع عنه الدفاع الممكن اذا حاول محمد بك ابو الذهب ما يخالف الصوت العمومي

خروج علي بك لمحاربة ابي الذهب

فلما علم علي بكل ذلك شعر ان أماله عادت اليه ويرح يافا للحال قاصداً القاهرة ولم يكن معه من الجنود الا الفان وخمسمائة فاستنجد حاميات اللد والرملة وانضم اليهم جنود الشيخ ضاهر وجنود ابنه الشيخ شلبي وصهره الشيخ كريم وحسن شيخ صور وكان قد استأجر ثلاثة آلاف وخمسمائة من المغاربة . فكان عدد جنوده جملة ثمانية آلاف محارب

ففي ١١ محرم سنة ١١٨٧ هـ وصل علي بك الى خان يونس وفي ١٦ منه اقترب من الصالحية . وفي ١٨ منه التقى بمقدمة جيوش محمد بك ابي الذهب وعدتهم اثنا عشر الف مقاتل وبعد محاربة بضعة ساعات ظهر علي بك عليهم وقد قتل عدداً غفيراً من رجالهم . فانفتحت له ابواب الصالحية فدخلها وقد أصيب بجروح بليغة . ثم علم ان اعتاده على احزابه في القاهرة لا يورثه الا خيبة الامل لان ابا الذهب كان قد جمع اليه كبراء البلاد ورجال حكومتها لما علم بمظاهرتهم اعلمى واقنعهم ان علي بك قد غدر الامة وخان الوطن واباح دماء المسلمين بمعاهداته مع الروسيين وغيرهم من الامم النصرانية . واستخدم ابو الذهب في سبيل اقتناعهم الدرهم الواضح فانحازت اليه القوات العسكرية الا وجاق الانكشارية فإنه ظلّ محافظاً على ولاء علي بك . فلما تحقق محمد بك ابو الذهب اجتماع الاحزاب على دعوته أمن من الاضطراب الداخلي فسار بنفسه لمحاربة علي

أما علي فانزعج لتلك الاحوال انزعاجاً كثيراً فضلاً عما كابده من مشاق الاسفار في قطع الصحراء الحارة وزد على ذلك الجروح التي اصابته في واقعة الصالحية فاصيب بجرح شديدة عجز معها عن ركوب جواده وقيادة جنوده . وفي ٢ محرم سنة ١١٨٧ هـ علم بمجيء ابي الذهب وهو على ما تقدم من المرض فلم يتردد في وجوب الدفاع . فامر قواده فانتظمت رجاله على قلعتها وتهيأت للدفاع وكان على احد جناحي الجيش علي بك الطنطاوي ومن معه من البكوات وعلى الجناح الآخر ابن الشيخ ضاهر وصهره فاستظهرت جنود علي في بادئ الرأي حتى قاربت الفوز التام . ثم ارسل ابو الذهب

بعض جواسيسه الى المغاربة في جيش علي يغيرهم على خيانة رئيسهم فوافقوه ووافقه غيرهم كثيرون من بكوات علي وفي جلته ابراهيم بك ومراد بك . وهذا الاخير اشترط ان يأخذ مقابلاً لخيانته هذه ما يخلفه علي من المتاع والنساء وخصوصاً امرأته نفيسة وكان علي يحبها ويحترمها لما كانت عليه من الفطنة والجمال

فلما انتشبت الحرب في الصباح التالي انحاز جميع المغاربة والبكوات الذين خانوا الى معسكر ابي الذهب . وكانت جنود علي بك قريبة من الفوز فلما رأت تلك الخيانة تضعفت وفر الجند يطلبون النجاة بانفسهم بعد ان قتل علي بك الطنطاوي والشيخ شلي ونجا الشيخ كريم والشيخ حسن ورضوان بك من المعركة وساروا الى قسطنطينية وعلموه بما حصل وطلبوا اليه ان يمتطي فرسه ويسير برفقتهم الى غزة حيث يلاقيهم الشيخ ظاهر بن معه من الجند

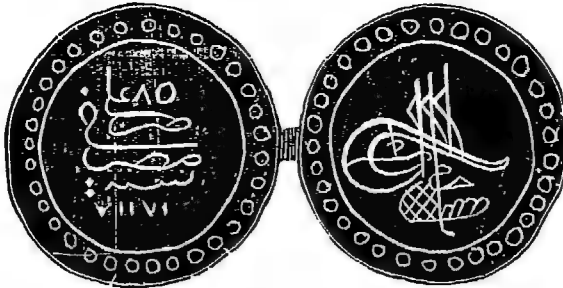
مقتل علي بك

اما علي بك فابت نفسه الاصغاء لما ارادوا فجلس بباب خيمته وقال لهم « اني ملازم هذا الموضع لا ابرحه حتى تبرحني نفسي لان الموت هنا افضل عندي من الفرار . اما انتم اذا شئتم النجاة بانفسكم فبادروا الى الفرار قبل ان يغشاكم ما ربما لا لا تقوون على دفعه » . فاضطر ابن اخيه ورجاله الباقون ان ينعنوا لما امر . فودعوه وحولوا الاعنة في طريق خان يونس قاصدين غزة فلتوا الشيخ ظاهر هناك فاعلموه بما كان ويؤفة ابنه فاسف عليه كثيراً . ومكث علي بك بعد ذهاب اصدقائه بضع ساعات ينتظر منيته وبجانبه عشرة من مماليكه واذا بخمسين رجلاً تحت قيادة الكخيا نائب محمد ابي الذهب قد وصلوا الى الخيمة ودخلوها وقتلوا من كان فيها من المماليك ثم وثبوا على علي وكان المرض مشتتاً عليه وفيه جروح لكنه نهض بسيفه فقتل اول قادم اليه وجرح اثنين آخرين فغشي الباقون الاقتراب منه فاطلقوا عليه البنادق فجرحوه جروحاً بليغة في ذراعه اليمنى وغضه . فجعل يدافع يدسراً دفاعاً شديداً الى ان وثب عليه الكخيا بنفسه فدافعه علي حتى اصيب في ذراعه اليسرى وفي اماكن اخرى فسقط على الارض وهو لا ينفك عن الدفاع فتكاثرت عليه الرجال حتى امسكوه حياً وساروا به الى محمد ابي الذهب وطرحوه عند قدميه فامر بحمله الى القاهرة فحملوه اليها وانزلوه في داره بدرب عبد الحق في شارع البكري وراء صندوق الدين فلبث فيها سبعة ايام ثم توفاه الله . وقد قال بعضهم ان ابا الذهب ادخل السم في جروحه فقتله والله اعلم . ودفنوه بترية استاذ ابراهيم تخبيا بجوار الامام الشافعي . وكان موت هذا الرجل تأثير

عظيم في قلب كل من عرفه حتى ان ابا الذهب نفسه لم يسعه الا الندم داخليا لما فرط منه وما اتاه من نكران الجميل وارثكأب مثل هذه الخيانة

تناقبه

ومن مناقب علي بك انه كان عظيم الهية حتى اتفق لانااس انهم ماتوا خوفاً من هيئته . وكانت تأخذ الرعدة بعضهم بمجرد المتول بين يديه فيأخذ هو بتلطيف رعبه فيقول له « هون عليك » . وكان صحيح الفراسة شديد الحنق يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين ولا يحتاج في التفهيم الى ترجمان او من يقرأ له الصكوك والوثائق بل يقرأها هو بنفسه ولا يختم ورقة حتى يقرأها ويفهم خواها . ومن مآثره البناية العظيمة بطنطا وهي المسجد والجامع والقبة على مقام السيد البدوي والمكاتب والميضة الكبيرة والحفريات والمنارتان العظيمتان والسيدل المواجه للقبة والقيسارية العظيمة . وجدد ايضاً قبة الامام الشافعي وبنيات ووكالات في بولاق مصر ولا يزال هذا الرجل ميمزاً عند المؤرخين بلقب الكبير فيدعونه « علي بك الكبير »



وترى في الشكين ٢٠
٢١ صورتي النقود التي
ضربت على عهد علي بك
في القاهرة . الاولى فضية
وعليها الطغراء الشاهانية
للسلطان مصطفى بن احمد

وتاريخ توليه السلطنة سنة ش ٢٠ : تقود السلطان مصطفى بن احمد وعلي بك



ش ٢١ : تقود السلطان مصطفى
ابن احمد وعلي بك

١١٧١ هـ ويشاهد عليها ايضاً من الاعلى
اسم علي وتاريخ ٨٥ وهي مختصر من سنة
١١٨٥ هـ وتدعى هذه القطعة من المعاملة
قرشاً . والثانية فضية ايضاً ويشاهد عليها
الطغراء العثمانية . اما تاريخ تولية السلطان
فاستبدل بسنة ١١٨٣ هـ وهي السنة التي
صرح بها علي بك باستقلاله ويشاهد عليها اسمه . وتدعى هذه القطعة عشرينية اي
نصف قرش

سلطنة عبد الحميد الاول



ش ٢٢: عبد الحميد الاول

من سنة ١١٧٧ - ١٢٠٣ هـ او من ١٧٧٤ - ١٧٨٩ م

وفي تلك السنة تولى الخلافة العثمانية السلطان عبد الحميد الاول عوضاً من

السلطان مصطفى الثالث



وترى في الشكين ٢٤ و ٢٣ صورتي
نقود ضربت في القاهرة في عهد السلطان
مصطفى بن احمد قبل استقلال علي بك
بتاريخ ١١٧١ هـ الاولى فضية والثانية
نحاسية

ش ٢٣: نقود السلطان مصطفى بن احمد

وبوفاة علي بك عاد وادي النيل الى ما كان عليه قبله تابعاً لأملاك الدولة العلية
وعادت احكامه الى مشايخ البلد والكشاف للذين جعلوا تلك المناصب وسيلة لاختلاس



نعم ان مصر بعد وفاته عادت الى كنف الدولة ش ٢٤ : تقود السلطان مصطفى

العلية لكنها بالحقيقة لم تفدها شيئاً لانها كانت في الحالة الاولى طعمة لرجل محب للاصلاح مخلص بمقاصده وان كانت بمعزل عن سيادة الدولة واصبحت في الثانية طعمة لثلاثين رجلاً كل منهم يسعى في ابتلاعها لا يتفقون الا على كره الدولة التي هم تحت حمايتها . اما السلطان عبد الحميد فلم يكن يرسل اليها من الولاة الا من كان اسماً بلا مسمى كما كان شأنهم قبل ظهور علي . فكان الباشا من هولاء آله يديرها البكوات كيف شاؤا ولم يكن لديه من الاعمال الا مخبرة القسطنطينية سرّاً بما كان يقع بين هولاء البكوات من الخلاف وما كانوا يتداعون اليه من اخصام . وواجباته المهمة ان يستلم الجزية من الحكومة المصرية ويرسلها الى الاستانة اذا تمكن من قبضها

ابو طبق وعزل الباشوات

فكانت ولاية مصر منصباً يستحي العقلاء من قبوله لانهم كانوا يعتبرونها منفي استحققه الباشا او الوزير الذي يرسل اليها وكان يعلم قبل خروجه من الاستانة انه اذا لم يكن راضياً بما يرضاه شيخ البلد لا يلبث ان يصله منه رسالة ينقلها ناقلاً يقول له الاوطى باشي وفيها الامر بعزله امراً لا مرد له ولا مجال للمدافعة بعده . وكيفية ذلك ان شيخ البلد ورجاله اذا راوا في تصرف الباشا ما يوجب الشك اجتمعوا اجتماعاً عمومياً في الديوان وقرروا عزله وكتبوا بذلك امراً يسلمونه الى الاوطى باشي ليوصله الى الباشا فيحمله ويسير على حمار (لان القانون لا يسمح له بركوب الخيل او البغال) وبين يديه فرمان العزل فاذا مر في الاسواق على هذه الصورة علم الناس انه ساع في امر هام فيه عزل فيهرولون وراءه . ولا يزال سائراً في عرض الطرق قائداً لتلك الجماهير نحو القلعة . ومن واجبات اي جندي لقيه في تلك الحال ان يرافقه اتقاء ما يخشى حدوثه عند وصوله الى القلعة

فاذا وصل القلعة يدخل على الباشا ثم يجثو امامه باحترام ووقار وعند ما ينهض يطوي السجادة التي كان جاثياً عليها وينادي باعلى صوته « انزل يا باشا » وعند طي السجادة والتلفظ بهذه العبارة تسقط كل حقوق ذلك الباشا ولا يعود له اقل سلطة

على الجنود التي كانت قبل بضع دقائق تنتظر اشارته . وتصير تحت اوامر الاوطه باشي وكانوا يسمون الاوطه باشي ابا طبق لانه كان يلبس على راسه قبعة مثل الطبق والباشا يقف ممثلاً يسمع تلاوة فرمان سواء كان منطوقه بعزله او يقتله فلا يسهه الا الطاعة التامة . على مثل ذلك كانت معاملة باشوات مصر — فانهم كانوا عرضة لاوامر العزل التي اذا لم تكن من الاستانة كانت من مصر



ش ٢٥ : ابو طبق في موكبه

فلما مات علي بك اختلف اعداؤه في القاهرة على الاجتزاء من انتصاراتهم فكان كل منهم يظن لنفسه الحق بالتمتع باثمار الانتصار كغيره او اكثر فاختلفت الاحزاب من بينهم . اما من بقي من رجال علي فلم يجدوا مكاناً فيه راحة لهم وكانوا في عكا عند الشيخ ظاهر على ماتقدم فتنهقر ابو الذهب لانه كان يحب الانتقام حبا يفوق التصديق وقد آلى على نفسه الا يبقى على احد من رجال علي اما الشيخ ظاهر امير عكا فلم يعد يطيب له السكون بعد ان خسر ابنه في سبيل نصرة علي بك فثارت في خاطره بواعث الانتقام . ولكن ابا الذهب لم يعد يستطيع صبراً على ذلك فاسترحم من الباب العالي ان يؤذن له بالمسير لاختضاع سوريا ولا سيما عكا واتهم اميرها الشيخ ظاهر بالعتيان وانه ساع ضد الدولة . فاجاب الباب العالي بفرمان يشبهه في مشيخة البلد مع لقب باشا ورقبة والي القاهرة مكافأة لما اتاه من كسر

شوكة علي واحزابه واذن له ان يتبع ذلك الشيخ العاصي . فلما وصل الفرمان الى ابي الذهب كاد يطير من شدة الفرح واعد جيشاً تحت قيادته واستخلف في مصر اسماعيل بك وعهد حكومة مدينة القاهرة الى ابراهيم بك . وسار في جيشه الى سوريا ولم تنته سنة ١١٨٩ هـ حتى دخل فلسطين . وكان لشدة عيجه بما اوتي من الالقاب والرتب وما وعده به الباب العالي من المساعدات لا يزيد الا كبراً حتى جعل خيمته التي يستريح فيها من اثمن ما يمكن وزينها ابداع زينة . فربحان يونس فالرمة ولم يلاق مقاومة . اما باقا فكان عليها الشيخ كريم صهر الشيخ ظاهر فدافعت قليلاً ثم فتحت عنوة فدخلها رجال ابي الذهب عنوة وقتلوا القسم الاعظم من سكانها رجالاً ونساءً شيوخاً واطفالاً

فبلغت تلك الفواحش مسامع الشيخ ظاهر وهو في عكا تخاف ان يصيبه ما اصابها فقر بعائلته وبمن هاجر اليه من المصريين ولم يترك في المدينة الا ابنه عليا ولما علم هذا باقتراب جيوش ابي الذهب اخلى القلعة وانسحب منها لاعتقاده انه اذا حاول الدفاع اتما يحاول عبثاً . فوصلها ابو الذهب وابوابها مفتوحة فدخلها ولم يبق عليها وفي هذه المدينة انتهت فظائع هذا الرجل لانه بينما كان عازماً على العود الى مصر اصبح القوم فوجدوه ميتاً في خيمته ولم يعرفوا القاتل رغم ما اتخنوه من الاحتياطات وما كان لديهم من القرائن الكثيرة . فقال بعضهم انه اصيب بنقطة وهي داء السكته وقال آخرون انه مات مقتولاً بيد عدو فاتهك والله اعلم . وبعد موت ابي الذهب عادت الجيوش المصرية تحت قيادة مراد بك الى مصر ومعهم جثة رئيسهم فدفنوها بالقرب من مدفن علي بك . ومات ابو الذهب بعد موت علي بك بستين ولقب « بالخائن »

مشيخة اسماعيل بك

وتولى مشيخة البلد بعده اسماعيل بك ولم يبق غيره من رجال ابراهيم كخيا . وهو من الذين نالوا البكوية بواسطة علي بك وكان لا يزال على دعوته وانما انضم الى ابي الذهب خوفاً . وقلبه لم يفر لاهجاً بالدفاع عن رئيسه لانه لم يأت نحوه الا ما يستدعي لصرته فضلاً عن اسما من طائفة واحدة

فلما استلم زمام الاحكام لسج على منوال علي بك فبعث الى رجال حزبه الذين كانوا لا يزالون في سوريا فاستقدمهم اليه واقربهم في اماكنهم وطيب خاطرهم استعداداً مقاومة مراد وابراهيم مناظريه على مشيخة البلد . وكانا قد اتحدا على خلع اسماعيل بك

طلبوا اولاً طرد حسن بك الجداوي صديق اسماعيل بك فلم يفوزا لكنهما تمكنوا من احتلال القلعة فانحد اسماعيل بك وحسن بك واخرجهما منها فقرا الى الصعيد . ثم جما حزباً كبيراً واستعدا لقتال اسماعيل فبعث جيوشاً لتخمد انفاسهما فمادت على اعقابها وغاز الاميران . فاضطر اسماعيل بك الى مغادرة القطر المصري فيمم الاسنانة . اما حسن بك فقبض عليه ونفي الى جدة بجزراً فاحتال في انشاء الطريق فارضى رئيس المركب الذي نقله فانزله في القصير على سواحل القازم ومن هناك قطع الصحراء غرباً حتى اتى الصعيد فاستكن في اعلاه

مراد بك و ابراهيم بك

فلما خلا الجو لمراد بك و ابراهيم بك اقتسما الاحكام فتعين الاول اميراً للحج والثاني شيخاً للبلد ورقياً كثيرين من مماليكهما الى رتبة البكوية وقداهم مصالح البلاد وكانت الاحكام في عهدهما كما كانت في ايام اسلافهما من المظالم والاستبداد . وبلغهما بعد مدة ان اسماعيل بك عاد من الاسنانة وجاء حلوان فبعثا اليه فرقة من المماليك لتكت بكل من كان معه من مائلته ورجاله . اما هو فتمكن من النجاة باختبائه في بعض كهوف ثلاثة ايام . ثم خرج طالباً للشلال اجتمع وهناك بصديقه حسن بك الجداوي وسارا معاً واولا الى الجنادل في السودان

فاختلف مراد بك و ابراهيم بك على ارسال حملة للقبض على الهاريين فارتابى احدهما وجوب التجنيد وخالفه الآخر حتى آل الامر الى الخصام وخروج ابراهيم بك مغتائلاً من القاهرة الى المنيا في الصعيد . فارسل اليه مراد بك بعض الاختيارية يسكنون من غضبه فارضوه واعادوه الى مركزه في القاهرة . الا ان العلاقات الودية ظلت متكسرة بين الاثنين ولم تمض مدة حتى خرج مراد بك الى المنيا غيظاً من زميله لانه اتحد مع خمسة من بيت عدوهما القديم وهم البكوات عثمان الشرقاوي وايوب الصغير وسليمان و ابراهيم الصغير ومصطفى الصغير

ولبت مراد بك بميداً عن القاهرة خمسة اشهر و ابراهيم يظن انه لا يلبث ان يسكن غضبه ويعود اليه فلما استبطأ ارسلا اليه الاختيارية كما فعل ذلك معه . فاني مراد بك ورد الاختيارية خائبين . ثم جند جنداً من اتباعه المماليك وسار على الضفة الغربية للنيل حتى اتى الجزيرة مقابل مصر القديمة وعسكر هناك . وهم بقطع النيل فعلم ابراهيم بك بذلك فجنده في الجهة المقابلة على البر الشرقي ليمنع من المرور ولبت الجانبان على تلك الحال ثمانية عشر يوماً لا يتحاربان الا على سبيل المناوشة باطلاق مدفع



ش ٢٦ : مراد بك

و مدفعين ولم يقتل الا رجل او فرس . فل مراد بك من تلك اسال فعاد الى المنيا
 اما ابراهيم بك فكان كثير الرغبة في مصالحة ذميله فانفذ اليه بعد خمسة اشهر
 من خروجه وفداً ثانياً من كبار البلاد ومشائخها يطلبون اليه الرجوع الى القاهرة
 فوافقهم لكنه اشترط عليهم ان يسموه الخمسة البكوات المتقدم ذكرهم حال وصوله الى
 القاهرة . فقبلوا بذلك الشرط فقتل معهم فعلم اولئك البكوات سرّاً من ابراهيم بك
 بما اشترطه مراد بك فخرجوا من القاهرة نحو القليوبية على نية الشخوص الى الصعيد
 عن طريق الاهرام . فاقصص ذلك بمراد بك فجعل عند الجسر الاسود قرب الاهرام
 عصابة من العربان ترصد مرورهم ولم يستطع صبراً على ذلك فقطع النيل ببعض رجاله
 فالتقى بالمنهزمين عند رأس الخليج فتلاحوا فجرح مراد بك ونجا اولئك فلاقام
 العربان عند الجسر الاسود فاسروهم و جاؤا بهم الى مراد بك فغفاهم الى المتصورة

وفرسكورودمياط تفرقاً لكانتهم وبعد مدة يسيرة عادوا واجتمعوا في آخر سنة ١١٩٧ واتفقوا ان يفرّوا الى الصعيد ويجمعوا اليهم عصابة يقاومون بها عدوهم ولم يباشروا ذلك حتى توسط شيخ جامع الازهر في امرهم وحصل لهم العفو من مراد بك فصنع عنهم واعادهم الى القاهرة بكل اكرام واعاد اليهم رتبهم وامتيازاتهم

حملة عثمانية لحرب الماليك

مضى بعد ذلك ثلاث سنوات على ابراهيم بك ومراد بك وهما على وفاق وسكينة يقتسمان ايراد البلاد بينهما بالسواء لا يقدمون عنه حملاً او اذا قدموه كان حبراً على ورق . فوشى بهما محمد باشا والي مصر اذ ذاك الى السلطان وبما كانا فيه من الاستئثار بمالية البلاد . فامر السلطان عبد الحميد سنة ١١٩٩ هـ ان يرسل الى مصر جيش لا يقاها عند حددهما . فسار الجيش في عمارة بقيادة حسن قبطان باشا فوصلت الاسكندرية في ٢٥ شعبان سنة ١٢٠٠ هـ فخاف البكوات خوفاً شديداً واجتمعوا اجتماعاً عاماً في الديوان وتباحثوا في ما يجب اجراؤه . فكثرت اللغط واختلقت المقاصد والاراء فلم يقرروا على شيء واخيراً ارتأوا طلب توسط محمد باشا ولما عرضوا عليه رايهم رفض . فطلبوا من الشيخ احمد العريشي شيخ الجامع الازهر والشيخ محمد المهدي - الذي تعين في زمن الفرنساوية كاتم سر الديوان الخصوصي كاسبجيء - وغيرهما ان

يسيروا الى رشيد ويستعطفوا القبطان باشا وترى في شكل ٢٧ صورة ختم الشيخ المهدي وتوقيعه الرسمي وفيه لقبه كما يكتبه بيده



الشيخ
الديوان
الخصوصي

ش ٢٧ : ختم محمدي المهدي
وامضاؤه

فركبوا من بولاق في زورق فاخر وما زالوا حتى بلغوا رشيداً فلاحهم القبطان باشا بما يليق من الاحترام . اما هم فلعلمهم ان الاميرين ابراهيم ومراداً لا يثبتان على راي خافوا اذا طلبوا لها العفو وحصلوا عليه ان ينكت ذاك فتكون الملامة عليهم . فقال الشيخ العروسي « يا مولانا ان رعية مصر ضعفاء وبيوت الامراء مختلطة ببيوت الناس » فقال الباشا « لا تخشوا بأساً فان اول ما اوصاني به مولانا السلطان هو قوله « ان الرعية وديعة الله عندي وانا استودعك ما اودعني الله تعالى »

فدعوا له بطول العمر ثم قال لهم « كيف ترضون ان يملككم مملوكان كافران

يسمونكم سوء العذاب لماذا لا تخرجونهما من بلادكم ؟ »
 فاجابه احدهم بقوله « ياسلطانم هؤلاء عصبة شديدا والبأس لا تقوى على دفعهم »
 فطبيب خاطرهم ووعدهم بالحماية . وبالحقيقة ان هذا الوفد تصرف بالحكمة لانهم لم
 يكادوا يخرجون من حضرة القبطان حتى سمعوا بقدم مراد بك ومعه عشرة من
 البكوات وبعض الكشاف والماليك . ثم شاع انهم نزلوا في الرحانية عند منشأ التربة
 المحمودية الاسكندرانية . وسبب ذلك ان مراد بك بعد ما ارسل الوفد خطر له الدفاع
 بالسيف فجمع اليه ذوي شوره وفاوضهم فاقروا على الدفاع وان يسير مراد لذلك
 ويبقى ابراهيم للمحافظة على القاهرة

فسار مراد بمن معه ونزلوا في الرحانية كما قدمنا فلاقهم الجنود العثمانية وجرت
 بينهما واقعة لم تطل الا يسيراً فاندعرت جنود الماليك من قتال العثمانيين التي كانت
 تتدافع بين حوافر خيافهم فتشتت شملهم وفاز العثمانيون . فقرر مراد بك ومن معه حتي
 اتوا القاهرة فاجتمعوا بابراهيم بك وخرجوا جميعاً الى الصعيد ومكثوا ينتظرون
 هجمات العثمانيين . فلما رأى محمد باشا الوالي خلو القاهرة من الماليك جمع اليه
 الوجاقات ونزل بهم من القلعة لاستقبال الجنود العثمانية

ففي ٥ شوال سنة ١٢٠٠ هـ دخل حسن باشا القاهرة بعد ان اخربت جيوشه
 كل ما مروا به من المدن والقرى ونهبوها ولولاه لم يبقوا على شيء اصلاً . لكنه كان
 يمنعهم من ذلك بالقوة وقتل منهم كثيرين عبرة للباقيين فكفت الايدي فسكنت الناس
 فلما وصل القاهرة نزل في بيت ابراهيم بك عند قصر العيني على النيل . ثم عرض امتعة
 البكوات المنهزمين للمزاد العمومي وفي جلستها حرمهم واولادهم وماليكهم فاسترحم
 المشائخ ان يخرج الاولاد والنساء الحوامل من معرض البيع لان ذلك فضلاً عن
 مخالفته للعواطف الانسانية فهو مغضب لله

فانتهرهم القبطان باشا قائلاً « سأكتب الي الاستانة بانكم تعارضون في بيع
 امتعة اعداء جلالة السلطان » فاجابه الشيخ السادات قائلاً « قد ارسلت اليها لمعاقبة
 شخصين مجرمين وليس لهنك شرائعنا والطعن في عاداتنا فكتب الي الاستانة ما شئت »
 فعند ذلك امر الباشا باستثناء المحظيات الحوامل من البيع . وبعد ان بيعت سائر
 الامتعة عكف حسن باشا على اصلاح الادارة فاصلحها على ما يوافق الارادة الشاهانية
 وكان قد استقدم اسماعيل بك وحسن بك الجداوي من الصعيد فارسلهما في جيش
 بقيادة عابدين باشا ودرويش باشا قائدي الحملة العثمانية التي جاءت مصر عن طريق البر

(فضلاً عن العجالة البحرية المتقدم ذكرها) وسار في تلك الحملة ايضاً نحو الف مقاتل من رجال الشام تحت قيادة امير كبير من امراء شين اغلي فاجتمعت هذه الحملة وسارت نحو الصعيد لمحاربة مراد بك ورجاله



ش ٢٨ : الشيخ ابو الانوار السادات

فحصلت هناك واقعة عظيمة شفت عن عدة قتلى من الجانبين وانهزم مراد بك ورجاله الى الشلالات ورجعت الجنود العثمانية ظافرة الى القاهرة . ثم جاءت الاوامر الشاهانية بعزل محمد باشا وتولية عابدين باشا مكانه وهنا تنتهي مهمة حسن قبطان باشا فاستدعي الى الاستانة بسبب الحرب مع روسيا . ولكن مصر لم تنج من البكوات وكانوا لا يزالون في مصر العليا كما رايت . والمسيحيون يشكون من معاملة حسن باشا بانه اخذ متاعهم وباعه على مشهد من الناس فضلاً عن الاهانة التي سامهم اياها وعلى الخصوص المعلم ابراهيم الجوهري امين احتساب مصر فانهم قبضوا على امراته واجبروها ان تخبرهم بمخائىء زوجها من النقود فاخبرتهم فاستخرجوها واخذوها . ولما برح حسن باشا القاهرة اقام عليها اسماعيل بك شيخ البلد فعهد هذا الى صديقه القديم حسن بك الجداوي اماره الحج واتفقا معاً على اقتسام الايراد



وفي سنة ١٢٠٣ هـ توفي السلطان عبد

المجيد الاول

وترى في الشكين ٢٩ و ٣٠ صورتي النقود ش ٢٩ : قود السلطان عبدالمجيد الاول



ش ٣٠: نقود السلطان عبد الحميد الاول

الذهبية التي ضربت علي عهد السلطان
عبد الحميد الاول بن احمد في القاهرة
بتاريخ ١١٨٧ هـ الاولى تدعى نصف زر محبوب
والثانية فندقلي

سلطنة سليم الثالث



ش ٣١: السلطان سليم الثالث

من سنة ١١٧١ - ١١٧٨ هـ أو من ١٧٥٧ - ١٧٧٤ م

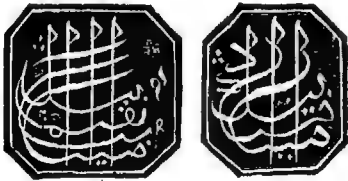
فبوج السلطان سليم الثالث بن مصطفى فاجر اسماعيل بك في مركزه فتعاطى
لاخكام بدراية وحكمة الى سنة ١٢٠٤ هـ وفي هذه السنة طرأ على الديار المصرية ولاسيا
القاهرة وباء شديد الوطاة لم تقاس مثله قبله حتى بلغ عدد الموتى به نحو الالف في اليوم

بالقاهرة وحدها وتقلب على حكومتها في يوم واحد ثلاثة حكام . وسبب ذلك ان اسماعيل بك اصيب بالوباء فاقم آخر مكانه فآخر حتى فني كل من كان من بيت اسماعيل بك الا واحداً يدعي عثمان بك الطبل . ولا يزال هذا الوباء مشهوراً بفنكه ويعرف بطاعون اسماعيل . فتولى عثمان بك الطبل المذكور مشيخة البلد ولم يكن قادراً على ادارة الاعمال التي عهدت اليه فاستدعى ابراهيم بك ومراد بك فدخلوا القاهرة في ٢١ ذي القعدة من تلك السنة ففر حسن بك الجداوي الى مصر العليا قانطاً

فاستلم ابراهيم ومراد ازمة الاحكام وجعلوا يعينان فيها وكانا يتناوبان مشيخة البلد وامارة الحج سنوياً بعد ان اتفيا كل من كان على غير دعوتها فصفا الجو لهما . اما قلباهما فكانا لا يخلوان من الضغائن المتبادلة لما طبع عليه كل منهما من حب الأثرة وقد اختلفا في الطباع والمناقب : كان مراد بك شديد البطش مقداماً لايهاب الموت وكان ابراهيم بك اكبر سناً وأكثر اختباراً رباعاً ضخماً القامة حسن الطلعة حاد البصر وكان يتربص لمراد محاذراً بطشه لئلا يطلبه للنزال ولولا ذلك لم يرض معه بالاجتزاء من الدخل اجتزاء سويًا . وكان لا يعارضه في ما يأتيه من الاستبداد ووضع الضرائب وسلب اموال الناس لانه شريكه في الارباح الناتجة من ذلك . وكان في ابراهيم رياء يظهر غير ما يضر اذا استصرخ وعد مع العزم على الاخلاف . وكان جباناً فاذا اراد امراً لا يتظاهر به وانما يسعى اليه بالدسائس والمكائد

اما مراد بك فلم يكن يعرف المكر وانما كان يسعى في اغراضه بالقوة والحزم وكان طويل القامة عضلي البنية شديد البأس يقطع عنق الثور بضربة من سيفه وعلى وجهه ملامح الاسود فاذا غضب يهابه ويخاف منه كل من يراه حتى احب اصدقائه (انظر ش ٢٦) . وكان كريم النفس لا يبيت على غيظ حر الضمير لا ينكر الحق ولو كان عليه غشاً لا يحابه مقيماً على قوله . وكان طمعه بمقدار سخائه وحبه لذاته بمقدار حرية مبادئه . وكان سريع الغضب شديد لا يراعي في حال غضبه امراً من الامور وربما فتك بمصلحة نفسه او اضر بشخصه

وترى في شكل ٣٢ صورة كل من ختمي مراد بك و ابراهيم بك محفورة على شكل جميل



والم بالبلاد بعد عود هذين الاميرين الى مصر جوع هائل ويقال انه حصل من كثرة ما

ش ٣٢ : ختم مراد بك وختم ابراهيم بك

ضبطاه من الحبوب في مصر العليا طمعاً بالكسب . ثم الغيا النظامات التي وضعها حسن باشا قبطان وابدلاها بما يوافق مطامعها الشخصية . فكثرت تعديت مماليكهما وعلى الخصوص تعديت احدثهم محمد الالفي^(١) فثار الاهلون ثورة عامة لم يسعهما معها الا توقيف تلك الاجراءات وقتياً تخمدت الثورة فعادا الى ما كانا عليه فعاد الناس الى الاضطراب وكسدت سوق التجارة لقلة الامنية

نسخة قديمة من القرآن

يحكى ان مراد بك اظهر يوماً انه عازم على تجديده الملابس والامتعة العسكرية وطلب ما يقوم بنفقاتها ففرض على الاسرائيليين مبلغاً كبيراً اعانة لهذا المشروع فاجتمع رؤسائهم وتخارروا في ماذا يصنعون لينجوا من هذه الضريبة فاقروا على ان ينفذوا اليه اثنين من كبرائهم يسعيان في ما ينجيهم من هذه الضريبة فسارا ولما مثلاً بين يدي مراد بك قال له « ايها الامير اتنا فقراء ولو بعنا ممتلكاتنا ونساءنا واولادنا وانفسنا لا نجمع عشر ما تطلبه منا فاذا اعفيتنا من هذه الضريبة التي يستحيل علينا دفعها نطلعك على مخبأة تكفيك مؤنة هذه المطالب . وهذه المخبأة لا يعلم بها احد سوانا وقد تم قول هذا السر في عائلتنا حتى وصل اليانا ونحن نوصله لاولادنا عند ما نحضرنا الوفاة » فلما سمع كلمة « مخبأة » فتح اذنيه وقاطعهما قائلاً « هلم بنا لنرى تلك المخبأة فاني اذا رأيتمكم صادقين اعفيكم وطاقتكم من كل ضريبة . هلم بنا الى اخبأة ابن هي ؟ » فاجاب « ان هذه المخبأة ايها الامير في جامع عمرو بن العاص في مصر القديمة جعلها ذلك الفاتح هناك في صندوق من حديد في دهايز لا يعرف مقره الا نحن » فتأكد مراد بك انهما يتكلمان الصدق فصر فهما . ثم سار في اليوم التالي مظهرراً للصيد في البرية فمر بجامع عمرو فدخله كانه يريد الصلاة ثم نظر الى الجامع فاذا به قد تداعت اركانه فالتفت الى شيخه قائلاً « بما ان الله قد ادخلني هذا المسجد المبارك وجب علي ان اسعى في اصلاحه لكي يذكر اسمي في الصلاة مع اسم مؤسسه الفاتح عمرو بن العاص وغدا ان شاء الله ارسل اليكم الفعلة يباشرون العمل »

وفي اليوم التالي ارسل الفعلة بمراقبة احد ثقاته وبدلاً من ان يبدأوا بهدم القسم المتساقط من الجامع بدأوا بالقسم القم وبعد بضع ساعات جاء مراد بك بنفسه فراهم قد وصلوا الى دهايز فيه صندوق من الحديد فتحقق ما قاله له الاسرائيليان وكانا بين الجماهير فامر فخرج الصندوق ثم امر بفتححه فاذا هو ، لأن رقوقاً عليها ايات بالقلم الكوفي تم علموا بذلك انه القرآن الشريف

وترى في شكل ٣٣ رسم كلمات من فاتحة القرآن مثلاً لنوع كتابته الكوفية . وكان

بسم الله
الرحمن
الرحيم

ش ٣٣ : كلمات من فاتحة القرآن الشريف

يظن انه كتب في ايام عمرو بن العاص
فلما رأى الاسرائيليان ذلك فرأى من بين
الجمهير . اما مراد فاستشاط غيظاً ولما عاد
الى القاهرة ضاعف الضريبة على الاسرائيليين
واصرّ الا ان يدفعوها حالا واستعمل
الكراباج لحثهم على ذلك . اما تلك الرقوق
الثمينة فاقبعت في الدهليز بغير اعتناء وتركت
هناك عرضة للشمس والماء ففسد بعضها
ولما كانت الحملة الفرنساوية التقط ما بقي
منها الميسو مارسيل مدير مطبوعات تلك

الحملة وحفظها عنده في متحفه الخصوصي . وفي المكتبة الخديوية نسخة من القرآن يقال
انها وجدت في جامع عمرو فلا يبعد ان تكون هي التي التقطها مارسيل . وهي من اقدم
نسخ القرآن الموجودة في العالم اليوم والغالب انها كتبت في اوائل القرن الثاني للهجرة



وعاد مراد بك ورفيقه الى ما كانا عليه من
اختلاس اموال الاهلين واموال الاجانب بالضرائب
الفاحشة . وضربا على التجار الاجانب في الاسكندرية

والقاهرة ورشيد ضرائب ما انزل الله بها من شر ٣٤ : نقود السلطان سليم بن مصطفى



سلطان فرغوا شكواهم الى قناصلهم فلم تكن النتيجة
الا زيادة الاضطهاد . اما توسط الباشا في مثل هذه
الامور فكان عديم الفائدة على الاطلاق فرقع المنظلمون



شكواهم الى الاستانة فكان جوابهم الصمت ولم يزد
مراد بك الاعتواً وعسفاً ولم يكن يبالي بما يقوله القائلون
او يتظلم منه المتظلمون من سائر ساكني القطر . كل ذلك

س ٣٥ : نقود السلطان

سليم بن مصطفى

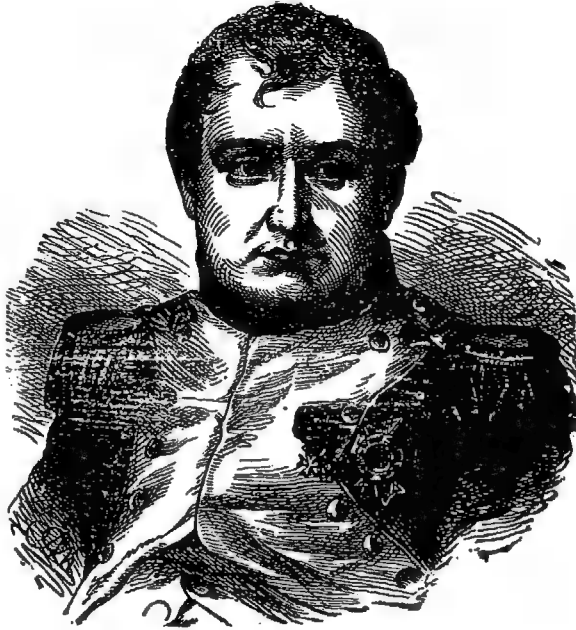
جرى على عهد السلطان سليم بن مصطفى وهو من اكثر
السلطين رغبة في الاصلاح ولكنه غلب على امره

وترى في الشكلين ٣٤ و ٣٥ صور نقود السلطان سليم مضروبة بتاريخ سنة ١٢٠٣ هـ

الحملة الفرنسية

تمهيد

قد رايت ما كان من انتماس مراد بك ورفيقه في المظالم واختلاس الاموال بغير الحق . وكيف انهما تطرقا بتصرفهما هذا الى الاجانب القاطنين في هذا القطر تحت حماية دولهم فانهما لم يكونا يراعيان حرمة ولا ذمة . وكان اولئك الاجانب يتحملون تلك التعديات بالصبر الجميل لانهم رفعوا شكاوهم الى دولهم مراراً فلو عزت الى الظالم ان يرعوي فلم يرعو . وما زال الحال كذلك حتى جاء نابوليون بوناپرت الرجل العظيم برجاله لافتح هذه الديار . وقبل الخوض في تفاصيل تلك الحملة نشرح لقارئ . اولاً ما الداعي الذي حمل الفرنسيين الى تجريدنا . ثانياً كيف كانت مصر عند وصول تلك الحملة اليها



ش ٣٦ : نابوليون بوناپرت

لماذا جرد فرنساويون الى مصر

لما قتل فرنساويون ملكهم لويس السادس عشر وتخلصوا من الحكم الاستبدادي اقاموا عليهم نوعاً من الحكومة دعوها « الادارة » وهي عبارة عن لجنة مؤلفة من خمسة اعضاء يسمون كلاً منهم « مديراً » وذلك سنة ١٧٩٥ للميلاد (١٢١٠ هـ) ثم جعلوا يحملون على ممالك الارض يفتحونها بهمة كبير قوادهم الرجل العظيم بونابرت فغاربوا النمسا ثم ايطاليا فغيرها ولم يبق في سبيلهم الا دولة انكلترا واقفة لهم بالمرصاد وهي على جانب عظيم من القوة ولاسيا في البحار . فتباحثت ادارة فرنسا بذلك مراراً لكنها لم تستطع مناهضة تلك الدولة لما كانت تعلمه من قوتها ومناعة جانبها

وكان بونابرت قد مرّ في البحر المتوسط وضمّ قسماً عظيماً من شواطئه الى فرنسا طمع بمصر وقد اعجبه شأنها وما فيها من الخيرات وما بها من التعزيز لدولته والارهاب نكلترا . الا ان الادارة لم تكن على بينة من الامر فعرض بونابرت رأيه هذا عليها وشرح لها شرحاً مستوفياً كيف كان هذا الوادي منذ القدم منشأً لخيرات العالم المتقدم ثم امسى موضوعاً لمطامع الدول العظيمة . وشاغلاً لرجال الفتوح من الاسكندر الى الايام الاخيرة ثم قال مخاطباً الادارة :

« ان مصر ايها السادة اكثر بقاع الارض خصباً . كانت اهراء لرومية قديماً وللقسطنطينية الآن . وفيها الحنطة والارز وسائر انواع البقول والسكر والنبلة والقطن والسنا والخيار شنبر والنطرون والكثبان والقنب وفيها صنوف الماشية والطيور الداجنة وقد اشتهرت على الخصوص بحسن حيرها وقوة جالها . نعم ان مواد الاشتعال والزييت والبن والتبغ نادرة فيها لكن ذلك مستدرك لان الشرق لا يستغني عن هذا الوادي وهو مركز متوسط بين افريقيا واسيا . فالقوافل تحط رحالها في القاهرة كما ترسو المراكب عند الشواطىء بعد سفر طويل . وهذه القوافل مؤلفة من مئآت واحياناً الوف من الجمال قادمة من بلاد العرب او سوريا او سواحل المغرب او الحبشة او اواسط افريقيا او من راس الرجاء الصالح او السنغال تحمل انواع التجارة من الخشب والفحم والزييت والتبغ والبن والاثمار ومن الرقيق والتبر والعاج والريش والصمغ والاطياب والعطور والشالات وكل محاصيل الهند فتبيها في مصر وتأخذ بدلا منها احمالا من مصنوعات اوربا

« فما برحت مصر ايها السادة منذ القدم موصلاً تجارياً بين اوربا والشرق وهذه

تجارتنا مع الهند قد كانت قبل اكتشاف راس الرجاء الصالح تأثينا عن طريق مصر ترسو السفن عند برنيس من سواحل البحر الاحمر ومنها تنقل السلع على الجمال في الصحراء ٢٤ مرحلة الى طيبة (الاقصر) ومنها في النيل الى مصر وتوزع فيها ومنها تنقل الى اوربا . وكانت تنقل احياناً الى القصير في البحر الاحمر ومنها الى السويس ثم على الجمال الى منف ومنها الينا . واذا اغضينا عن اهمية مصر بالنسبة لتجارة الهند فان لها اهمية عظمى بالنظر لتجارتها الخصوصية

فاذا فتحنا هذه البلاد واعتدنا بدارتها خمسين سنة فقط يبلغ عدد سكانها اضعاف اضعاف ما هو عليه الآن . كان سكان هذا الوادي في الازمنة الحالية بين ١٢ و ١٥ مليوناً وهم الآن لا يبلغون ربع هذا القدر لسوء الادارة . فضلاً عما تقدمه مصر لمعاملتنا من حاصلاتها وما نبيعه فيها وفي جوارها من مصنوعات بلادنا . فاهي مستعمراتنا بالنسبة الى هذه البلاد الخصبة الشاسعة الاطراف ؟ هلم اليها فنستغل من ارضها وسكرها وقطنها كما فعل غيرنا وهي تغنينا عن حاصلات اميركا وتكفينا مؤونة الارتباط معها

« ولا يخفى عليكم ايضاً اننا اذا ثبتنا قدمنا في مصر لاتبقي انكثرا طويلاً في الهند او نجعل على سواحل البحر الاحمر حاميات نقيمها في معازل منيعة ندخر فيها نتاج ذلك القطر ونحول التجارة الهندية اليه . ولو فرضنا بقاءها عن طريق راس الرجاء الصالح كما هي الآن فانا نقيم بيننا وبينها باباً للمنافسة ونشق ترعة بين السويس والنيل . ولا شك اذا فعلنا ذلك اتنا نجبط مساعي انكثرا حلة لان التجارة تتحول الينا . اما هذه الزرعة فقد كانت محفورة منذ القدم ولا يصعب علينا اعادتها حفرها . فاذا فتحنا مصر لا يقتصر نفعها لنا مثل نفع سائر المستعمرات العظيمة لكننا نمرقل مساعي انكثرا بها فنكتفي مؤونة مقاومتها — هذا اذا لم نذهب بها الى الخضيض »

فترددت الادارة بقبول مشروعه لكنه ما زال يستحث اعضاءها حتى اشتد الجدل بينه وبينهم فرأى فيهم اصراراً على مقاومته فعرض بذكر استقالته فنهضوا اليه ووقفوه واعادوا النظر في ما عرضه ووافقوه على رايه بشرط ان يكون ذلك سرّاً لئلا تتصل مقاصدهم بمسامع انكثرا فتسعى ضدهم . فانحصر هذا المشروع بين بونايرت والخمسة المديرين فقط — حتى الكاتب الذي كتب الامر باعداد الحملة لم يكن يفهم حقيقته لانه امر ان يكتبه بصورة مبهمه في ٥ مارس سنة ١٧٩٨

ومن مقتضى هذه الاوامر السرية ان تكون هذه الحملة مؤلفة من اربعين الف

مقاتل علمهم اربعون قائداً يختارهم بونايرت وطائفة من رجال العلم لا يقل عددهم عن المائة بين مهندسين وجغرافيين وطبيين وكياويين ولغويين وفلكيين ونحو ذلك العدد من سائر الصناعات . وعمارة بحرية بقيادة الاميرال برويس يضاف اليها المراكب الراسية عند طولون . وان يقبض في مدة عشرة ايام من الخزينة مليون وخمسمائة الف فرنك فضلاً عن ثلاثة ملايين من خزينة بارن وان يتصرف بهذه المبالغ حسب حكمته والاوامر السرية المعطاة له

فبذل بونايرت جهده لتعزيز هذه الحملة والاسراع في اعدادها . فشاعت الاقاويل عن هذه الاعدادات وكثرت الظنون فقال بعضهم انها حملة تعدها فرنسا لمحاربة انكلترا وقال آخرون انها تفعل ذلك لافتحاح مدن جديدة في اسيا وافريقيا وقال آخرون غير ذلك

وبونايرت لم يأل جهداً في اعداد المهمات وترتيب امور الحملة فجعل المراكب المعدة لنقل الجند اربعمائة مركب تسير في اربع فرق من اماكن مختلفة الفرقة الاولى تسير من طولون والثانية من جينوا والثالثة من شيفيتافيا والرابعة من جاكسيو ثم تجتمع وتتحد وتسير الى مصر . وان تنقل على هذه المراكب ايضاً مطبعة عربية كانت في البر وباغندا برومية مع ما يلزمها من العمال . وعلى انقاض هذه المطبعة اقيمت مطبعة بولاق الاميرية ونقلوا ايضاً كل ما يلزم من الادوات الكيماية والطبيعية والرياضية وانضم الى طائفة العلماء كثير من مشاهير علماء فرنسا وصناعهم متطوعين ومثل ذلك القواد . فكان فرنسا بمجمعتها ناقت الى مرافقة هذا القائد العظيم فانضم الى حملته كثير من ابطالها وعلمائها وصناعها بقلب واحد . وهم لا يعلمون الى اين تذهب بهم الاقدار

اما الجيوش فجعل فيهم الفين وخمسمائة من الفرسان والفا من الطبجية والمهندسين ومن بقي (من الاربعين الفا) من المشاة وكان من جملة القواد الذين رافقوا تلك الحملة كلاير وديزه ورينيير وبونومينو وهم قواد الخس الفرق من المشاة . وكان مورات قائداً للفرسان وكافرالي قائداً لفرقة المهندسين ودومارين على الطبجية

هذا من قبيل الحملة البرية اما الحملة البحرية فكانت مؤلفة (اولاً) من ١٥ مركباً حربياً من جملتها « الشرق » محمولا مائة وعشرون مدفعاً ومركبان محمول الواحد منهما ثمانون مدفعاً وعشرة مراكب محمول الواحدة منها ٢٤ مدفعاً . واثنان محمول كل منهما ٦٤

(ثانياً) من اربع عشرة مدرعة في بعضها اربعون مدفعاً وفي بعضها ٣٣ وفيها ابريقان

(ثالثاً) من ٧٢ مركباً حربياً صغيراً على أشكال مختلفة . هذه هي الحملة البحرية وهي كما رأيت أكثر من مائة قطعة ومعها سبعمائة مركب لنقل العساكر البرية ومهماتهم وخبوهم واسلحتهم بقيادة برويس وبلغ عدد الملاحين نحو عشرة آلاف
اما الحملة العلمية المرافقة لتلك الحملة العسكرية فكانت مؤلفة من فرق لسكل من العلوم او الصنائع وجملة اعضائها مائة فيهم فرقة للهندسة واخرى للفلك وفرق اخرى للميكانيكا والكيميا والمعادن والحيوان والنبات . ومثل ذلك للجراحة والطب والاقتصاد السياسي والانشاء والجغرافيا وعلم الآثار والبناء والتصوير والرسم والنقش والحفر والموسيقى الخ . وقد اختير لهذه الفنون اشهر من اشتغل بها ومعهم المطبعة المتقدمة ذكرها وعمدة مترجمين . وجميع هذه المعدات كانت على اهبة السفر في ٢٠ افريل سنة ١٧٩٨ اي بعد صدور الامر ببضعة اسابيع . ومن الغريب انه مع تعداد الرجال الذين ساعدوا في تنفيذ اوامر الادارة وفيهم القواد العظام ورجال العلم والصناع لم ينكشف لاحد منهم حقيقة المقصود من هذه الحملة الا التاليران وهو الرجل السياسي الذي ارسلته الادارة الى الاستانة لمخابرة الباب العالي بشأنها وطلب مصادقته على تجربتها

وفي ٩ مايو سنة ١٧٩٨ م وصل بونايرت الى طولون والجند في انتظاره كانهم على جمر الغضا فخطب فيهم فزادهم حماسة ورغبة في الحرب . وفي ١٩ منه ودع بونايرت امراته وركب على الدارعة « الشرق » وهي اكبر دوارع الاسطول ومعها اركان حربيه كانهم ذاهبون الى نزهة او غنيمية باردة . واقبلت سائر المراكب من النقط الاخرى حتى اتحدت وعددها جميعاً يزيد على الخمسمائة فسارت تحترق عباب البحر وعليها خمسون الف نسمة . وفي ٩ يونيو سنة ١٧٩٨ وصلوا الى مالطة ومنها ساروا يطلبون الاسكندرية

فاوجست انكلترا خيفة من هذه الحملة فانفذت نلسون احدى كبار قوادها البحريين في اسطول وعهدت اليه ان يقتص آثار الاسطول الفرنسي في البحر المتوسط وان يكون ساهراً على اجراءاته وان يقاومه اذا رأى منه مساً لحقوق انكلترا فسار نلسون طاف البحر المتوسط ثم تنبأ ان الاسطول الفرنسي لا يقصد الامم او سوريا فسار نحوها . فبلغ ذلك بونايرت فامر الاسطول ان يقيم غربي الاسكندرية ببضعة مراحل وان يكون دائماً في استعداد للدفاع

حالة مصر عند قدوم الحملة الفرنسية

لم يكن في وادي النيل اذ ذاك اكثر من ثلاثة ملايين من السكان يتألفون من ثلاث طوائف كبرى وهم اولاً الاقباط سكان مصر الاصليون لا يزيدون عن مائتي الف نفس ثانياً العرب الذين اقتسحوها ثانياً الاتراك وفيهم المماليك . وشرذمات من طوائف اخرى والباشا هو الحاكم المرسل من الاستانة لتأييد سلطة السلطان كان يقيم في قلعة الجبل في القاهرة لا فائدة من وجوده هناك الا اثبات سلطة جلالة السلطان على مصر ويقوم ذلك بالخطبة له في الصلاة وضرب النقود باسمه . اما المماليك فكانوا اخلاطاً من الاتراك والشراكسة والكرج وجميع ثروة البلاد وادارتها في ايديهم . على انهم مع ذلك يكن لهم في البلاد عصبية لانهم لم يكونوا يتوارثون الحكم الا نادراً . وانما كان يتولى منهم من يمتاز بالقوة او الاحتيال او المحسوبية وما شا كل . ولما ارتقوا منصة الحكم الحكمة والدراية وحسن السياسة ولذلك كانت احكامهم عرضة للفساد وداعية للاخلال . كان مقرهم في بهو كبير مختص بهم في قلعة الجبل وفيها اصطبلات كبيرة لخيولهم ومخازن لاسلحتهم ومعداتهم . اما مساكنهم الخصوصية فكانت غالباً في حي قيسون وحي بركة الفيل ودرب الجبانية في اجمل ما يكون من البناء مرصفة بالرخام والفسيفساء وفيها الرياش من الخمل انزركش بالحرير . وفي بعضها حدائق غناء تزينها السراري الجميلات من نساء الكرج وغيرهن

اما الجنود فكانوا لا يزيد عددهم على الثمانمائة او الالف من المماليك الاشداء ولما يكونون على شيء من الفنون الحربية واكثرهم من الفرسان اما المشاة فقليلون بينهم . فاذا امتطى المملوك صهوة جواده تقلد القرينة بتمكيه والطبنجات في منطقته والسيف على يساره وهرامة في قربوزة وقضيباً من الفولاذ امام انفه ممتداً من جهته الى ذقنه . وقد يتفق ان يتمرن احدهم على الحركات العسكرية اما الجماعات فلا يعرفون شيئاً عن المربعات او الخطوط الحربية وانما كانوا يتقنون الفروسية . وفي يوم قدوم الفرنسيين الى مصر كان على الاحكام ابراهيم بك ومراد بك كما مر بك الاول شيخ البلد والثاني اميرالحج وبايديهما الحل والعقد . وكان ابراهيم بك مشهوراً بالغنى والطمع والاحتيال . وكان مراد يفوقه اقداً وحزماً وفيه كرم وسخاء . وكلاهما لم يؤيدا سلطتهما الا بالقتل والنهب والاحتيال وقد اتفقا على اقتسام ايراد البلاد

اما العرب فهم فئة العلماء والفقهاء وفي ايديهم ادارة المعاهد والتكايا وهم في الغالب

من عائلات قديمة متصلة بالصحابة او غيرهم من اصحاب البيت وكانت معيشتهم غالباً في ترف ورخاء وان لم يبلغوا في ذلك مبلغ البكوات المماليك . وكانوا محترمين لدى الاهلين احتراماً دينياً وادبياً . اما نفوذهم السياسي فكان ضائعاً في جانب استبداد المماليك وكانت التجارة رائجة في مصر واصحابها من ثقات العرب واصحاب الامانة ولذلك قلت بينهم التفاليس . وكانت فرضة القاهرة بولاق وفيها كانت ترسو المراكب حاملة البضائع على اختلاف الانواع قادمة من اقطار شتى من العالم . ومن بولاق تحمل الى الخانات او الوكالات كخان السبع قاعات وخان التركاني وتباع فيها بالاجمال . اما البيع بالمفردات فكان في الاسواق الى شمال المدينة من باب زويلة الى الباب الذي يشرف على الصحراء

اما جباية جمع الخراج فكانت موكولة الى فئتين من المصريين هما المسلمون والاقباط . فن المسلمين كانت الروزنامجية وعندهم تقاويم الارضين وسجلات الاملاك وكانوا يمتازون عن سائر الاهلين ومحافظين على انسابهم لا يتزوجون الا من بنات اكفائهم وكانوا على جانب من الثروة ولهم عقارات واسعة يضرب بهم المثل في ذلك . اما الاقباط فكانوا يقتصرون على ضبط الحسابات في القبض والصرف كسائر الحساب الا فيما ندر . وكانت مساكن الاقباط في القاهرة شمالي المدينة وغربها فيما كان يعرف بباب المقس حيث ثمن الازبكية الآن وفي باب البحر ولذلك دعي بعض احيائها بحارة النصارى واكثرهم من متوسطي الثروة . اما اصحاب المصارف والمداينون والصيارف فكانوا من اليهود وقيمون عائلات كثيرة في بيت واحد بحارة اليهود ويضطهدهم المماليك اضطهاداً شديداً

اما الاجانب في القاهرة فاكثرتهم من الفرنسيين وكانوا يلبسون اللباس العربي ويتكلمون اللغة العربية جيداً ويقبمون في جهة الموسيقى وكانوا يتزوجون مع المسيحيين من السوريين وهؤلاء كانوا يقيمون غالباً في درب الجنينة . وكان في وادي النيل جماعة كبيرة من السوريين يقيمون غالباً في السواحل وفي المدن الكبيرة مثل دمياط ورشيد واسيوط يتعاطون التجارة اما بضائع اوروبا او بمحاصلات السودان من العاج والربش والصمغ او ببضائع بلاد اخرى . اما علاقة مصر مع الدول الاجنبية في ذلك العهد فكانت قاصرة على التجارة . والبندقية « فيس » امتن علاقة معها من سائر الامم ولها قنصل مقيم في الاسكندرية فضلاً عن علاقات اخرى مع تجار فرنسا وانكلترا هذا ملخص حالة مصر عند قدوم الفرنسيين اليها

الحملة الفرنسية

من سنة ١٢١٣ — ١٢١٦ هـ أو من ١٧٩٨ — ١٨٠١ م

مر بك في الفصل السابق ان الاسطولين الفرنسي والانكليزي سارا في البحر المتوسط قاصدين شواطئ الدلتا

ففي يوم الاحد الواقع في ١١ محرم سنة ١٢١٣ هـ ظهر في ميناء الاسكندرية اسطول مؤلف من خمسة وعشرين مركباً انكليزياً. وكان منسماً الاسكندرية « حاكمها » السيد محمد كريم احد اعيان الوطنيين . فلما علم بقدوم الاسطول جعل يراقب حركاته وسكناته واهل المدينة يتساءلون فيما بينهم عن امره وبعد قليل اقترب من الثغر قارب فيه عشرة من الافرنج طلبوا مقابلة الحاكم فجيء بهم الى السيد محمد كريم وهو في مجلسه وحوله رجال حكومته فسألهم عما جاؤا من اجله فقالوا « ان ما ترونه في هذا البحر اسطول انكليزي جاء للتفتيش عن عمارة فرنساوية عظيمة خرجت مؤخراً تريد جهة من الجهات فرما داهمتكم فلا تقوون على دفعها فنكون لكم نصراء عليها » فظن السيد محمد كريم ذلك مكيدة فاغلق لهم باليقول فقالوا « اتنا نرسو في هذا البحر نحافظ عليه لا نطلب منكم الا المدد بالماء والزاد بثمنه »

فاجابوهم « ان هذه البلاد بلاد السلطان ولايد للفرنساويين فيها فاذا جاؤنا لانبالي بهم فاذهبوا انتم عنا » فعادوا ثم اقلعت المراكب تحترق عباب البحر . اما السيد محمد كريم فانفذ الى مراد بك في القاهرة حال وصول الاسطول يخبره بما كان وارسل الى كاشف البحيرة بأمره بجمع العربان وان يأتي بهم للمحافظة على الثغر. فلما اتصل ذلك بمسامع الامراء والبكوات لم يكثرثوا به وقالوا « لانبالي بمن تحدته نفسه بمدامتنا واتنا ندوسه تحت حوافر خيولنا » اما الشعب فاضطرب وخاف . ثم جاء خبر آخر باقلاع الانكليز فسكن الجأش

وفي يوم الاثنين في ١٨ منه وصلت ثغر الاسكندرية العمارة الفرنسية فارسلت احد قواربها تطالب الفنصل فافع السيد محمد كريم في اول الامر بتسليمه . ثم اذن له فنزل حتى اتى الدارعة التي عليها بونابرت فسأله عن حال المدينة فاخبره بما كان من امر الاسطول الانكليزي وان الاهلين في يقظة واستعداد للدفاع جهاداً في سبيل الدين

تدابير المالك لرد الفرنسيين

وكانت حامية الاسكندرية لا تزيد على خمسمائة من الانكشارية معظمهم يتعاطون التجارة او يشتغلون بالصناعة وكانوا مع ذلك في استعداد للدفاع . وكتب السيد محمد كريم الى مراد بك و ابراهيم بك في القاهرة بما جرى الى ان قال « ان العاهرة التي ظهرت في هذا اليوم لا يعرف اولها من آخرها » فلما تلا مراد بك الرسالة استشاط غيظاً ورمى بالكتاب الى الارض . ثم ركب جواده قاصداً ابراهيم بك في سراي قصر العيني على ضفة النيل المطلّة على جزيرة الروضة . فلما اجتمعا قررا عقد جمعية عمومية فبعثا الى كبراء البلاد ورجال الدولة وفيهم بكير باشا الوالي فاجتمعوا اجتماعاً حافلاً وتباحثوا في ما جاءهم من الانباء الاخيرة . فقال مراد بك وهو ينظر الى بكير باشا شزراً « لا ريب ان الفرنسيين لا يحسرون على القدوم الى مصر من تلقاء انفسهم فاعلمهم جاؤا بامر من الباب العالي .. ولكن الله قادر ان ينصرنا على الاثنين »

فاجابه بكير باشا « ان هذا الكلام لا يليق صدوره منك وكيف يحال لك ان الباب العالي يسلم بدخول امة غريبة الى بلاده . دع عنك ذلك وهلم الى سيفك ورجلك لدفع العدو الذي دامك » . وبعد المفاوضة اقرروا على المود الآتية :

١ ان يسير مراد بك في فرقة من الفرسان على الضفة الغربية لفرع رشيد من النيل نحو الاسكندرية لايقاف الفرنسيين عن التقدم

٢ ان يعسكر ابراهيم بك بمن يبقى من الجند على الضفة الشرقية عند بولاق لحماية القاهرة

٣ ان يرسل بكير باشا الى الاستانة يستمد الباب العالي « بالترقي من العراق » ثم شاع في اسواق القاهرة خبر قدوم الفرنسيين فكثرت الهرج وازداد الاضطهاد على المسيحيين . وعبثاً حاول ابراهيم بك وبكير باشا اقناع المسلمين ان هؤلاء المسيحيين من جملة رعايا الدولة العلية

فتح الاسكندرية

أما بونا بارت فبعد ان استوعب كلام القنصل اقرّ على النزول الى البر حالاً فاعترضه الاميرال برويس بما يحول دون ذلك من بعد المسافة وصعوبة المسلك فاصرّ على النزول وكانت قيادة القوتين البحرية والبرية بيده فوافقه برويس مكرهاً فسار بالمراكب الى جهة المعجمي وبرج مرا بوت على مسافة قصيرة جدّاً من الاسكندرية غرباً . وقضوا النهار بطوله يستعدون للنزول . وفي الساعة العاشرة مساءً باشرى النزول بالسرعة

الممكنة وما زالوا مجدين في ذلك الى الساعة الاولى بعد نصف الليل وقد نزل منهم اربعة آلاف وثلاثمائة رجل فنزل بونايرت وكانت الليلة مقمرة فنام نحو ساعتين على الرمال . ثم ارسل طلائعه وسار بمن بقي مشاةً مستترين بجح الليل ومستترين بالقمر وفي الصباح التقى بونايرت بقبائل من عرب البحيرة « ولد علي » تحت قيادة اميرهم فتبادلوا طلقات قليلة . ثم فرّ العربان وتقدم بونايرت برجاله حتى اشرفوا على الاسكندرية يستدلون على مكانها بعمود السواري

ثم وقف بونايرت على مرتفع اشرف منه على الاسكندرية فرآها وفيها المآذن والمنائر تناطح السحاب . فجعل رجاله فرقاً بين الواحدة والاخرى مرمرى رصاص وخطب فيهم وحرضهم ان يتجنبوا اوراق الدماء ما استطاعوا الى حجبها سبيلاً فهاجم الفرنج اويون المدينة ودخلوها عنوة وقد اصيب الجنرال كلاير برصاصة في راسه لم تمته فاستلمت الجنود الفرنساوية الاسوار وفرت الحامية المصرية تطلب ملجأ في الابراج لقذيفة وسقط الجنرال مينو عن احد الاسوار التي استلمها هو فجرحت فخذه . اما الجنرال مرمون فدخل المدينة من بابها بعد ان حطمه بالفتوس . وخرق باقي الجيش الاسوار ودخلوا منها لانها لم تكن متينة البناء

ثم ارسل بونايرت احد ضباط جيشه الى سكان المدينة يخبرهم انهم في مأمن على ارواحهم واموالهم وان الفرنسيين لم يأتوا لمحاربتهم وانما جاؤا لمحاربة المماليك اما السيد محمد كريم والعساكر الأتراك ففروا الى حصن فرعون فاضطرا لاهلون الى التسليم قهراً فدخل بونايرت ورجاله الاسواق . وبلغ ذلك السيد محمد كريم فجاء بمن معه وسلم سلاحه وفعل مثل ذلك المشايخ والعلماء فآكرمهم بونايرت اكراماً خصوصياً . ثم التفت الى السيد كريم قائلاً « قد اخذت سلاحك بالسيف وكان لي ان احملك معاملة الاسير لاني اخذتك بعد ان دافعت عن نفسك ما استطعت . ولكن الشجاعة حليفة الشرف ها اني اعيد اليك سيفك على امل ان تكون مساعداً أميناً للجمهورية الفرنسية كما كنت للحكومة السابقة على عتوها وظلمها » ثم سأله اذا كان يرغب في معاضدة مساعيهم وهي تأييد سلطة الباب العالي وقمع المماليك . فاجاب بالايجاب فاقره على الاسكندرية تحت مناصرة الجنرال كلاير وكان قد اضطر الى البقاء في الاسكندرية بسبب الجرح الذي اصابه

ثم اباح بونايرت للمسلمين المحافظة على معتقداتهم وصلواتهم كما كانوا قبلاً . وجرّد الاهلين من السلاح وامرهم ان يجعلوا على صدورهم الجوكار وهو علامة مصنوعة من

الجوخ او الحرير مستديرة بقدر الريال مؤلفة من ثلاث قطع كحلية وبياض وحرارة توضع بعضها فوق بعض بحيث تظهر الالوان الثلاثة - شارة العلم الفرنسي ذي الثلاثة الالوان

منشور بونابرت الى المصريين

ولما رسخت قدم الفرنسيين في الاسكندرية نزل للبر بعض رجال الحملة العلمية ومعهم المطبعة العربية وجعلوا يتقنون في آثار الاسكندرية البنائية والجيولوجية . ثم امر بونابرت ان تنزل جميع المهمات العسكرية من خيول واسلحة ومدافع وغيرها الى البر سريعاً وان يطبع منشور بالعربية يفرق في البلاد فكتب وطبع وهذا نصه بالحرف الواحد : « بسم الله الرحمن الرحيم . لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك في ملكه . من طرف الجمهور الفرنسي المبني على اساس الحرية والمساواة السر عسكر الكبير بونابرت امير الجيوش يعرف اهل مصر جميعهم ان السناجق الذين يتولون مصر منذ زمن مديد يعاملون الملة الفرنسية بالاحتقار والاعتداء وقد حضرت الان ساعة عقوبتهم واحسرتاه انه منذ ايام وعصور هؤلاء الممالك المجلوبون من بلاد الاباطة والكرج يفسدون في احسن اقاليم الكرة الارضية ولقد حتم رب العالمين القادر على كل شيء بانقضاء دولتهم . فبايها المصريون وقد يقال لكم انني مانزلت هذه الجهة الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح لاتصدقوه وقولوا لايوانكم انني ماقدمت اليكم الا لاختد بحقكم من الظالمين وانني اكثر من الممالك عبادة لله سبحانه وتعالى واحتراماً لنبيه محمد « صلعم » وللقآن العظيم . وقولوا لهم ايضاً ان جميع الناس شرع عند الله وان الذي يميز بعضهم عن بعض هو العقل والفضائل والعلوم . واي شيء في الممالك يميزهم عن غيرهم ويستوجب ان يكون لهم وحدهم كلما تجلب به الحياة الدنيا . فحينما تكون ارض خصبة فهي للممالك ومثل ذلك احسن الجواني واكرم الخيل واجمل المساكن . فان كانوا قد اخذوا الارض المصرية التزاماً فليظهروا لنا الحجة التي كتبها لهم الله . ولكن رب العالمين رؤوف على الناس وبعونه تعالى من اليوم فصاعداً لا يستثنى احد من اهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعلاء والفضلاء والعلماء ينهم يفوز اليهم تدير الامور والمهام وبذلك تصلح حال الامة كلها في الاراضي المصرية كالمدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر الواسع الذي اضاعه طمع الممالك وظلمهم . فبايها القضاة والشايع والائمة وبايها الشريحية واعيان البلاد قولوا لامتكم ان الفرنسيين هم ايضاً مسلمون مخلصون . واثباتاً لذلك قد نزلوا رومية الكبرى واخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة

المسلمين ثم قصدوا جزيرة مالطا وطردها منها الكفالية الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم محاربة المسلمين . ومع ذلك فان الفرنسيين في كل وقت احباء حضرة سلطان العثمانيين واعداً أعدائه ايد الله ملكه وبعكسهم المماليك فانهم خرجوا عن طاعة للسلطان غير ممثلين لاوامره ولم يطيعوه الا عن طمع في قلوبهم كمين . فطوبى ثم طوبى لاهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فتصلح حالهم وترفع مراتبهم وطوبى للذين يقعدون في اماكنهم غير مائنين لاحد الفريقين المتحاربين . لكن الويل ثم الويل للذين يتحدون مع المماليك ويساعدونهم في الحزب علينا فلا يجدون طريق الخلاص ولا يبقى لهم اثر

« المادة الاولى . جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة على مسافة ثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها العسكر الفرنسي يجب ان ترسل للصارى عسكر بعض وكلاء من عندها لكي يعرفوا المشار اليه انهم اطاعوا وانهم نصبوا العلم الفرنسي الذي هو ابيض وكلي واحمر

« المادة الثانية . كل قرية تقوم على العساكر الفرنسية تحرق بالنار
« المادة الثالثة . كل قرية تطيع العساكر الفرنسية يجب عليها ان تنصب العلم الفرنسي كذلك علم سلطان العثمانيين مجنبا دام بقاءه
« المادة الرابعة . على المشايخ في كل بلد ان يجتمعوا حالاً جميع الارزاق والبيوت والاملاك خاصة المماليك وعليهم الاجتهاد الزائد لكي لا يضيع ادنى شيء منها
« المادة الخامسة . يجب على المشايخ والقضاة والائمة ان يلازموا وظائفهم وعلى كل واحد من اهل البلد ان يبقى في مسكنه مطمئناً كذلك تقدم الصلاة في الجوامع على العادة . وعلى المصريين جميعاً ان يشكروا فضل الله سبحانه وتعالى على انقراض المماليك قائلين بصوت عال ادام الله اجلال سلطان العثمانيين . ادام الله اجلال العسكر الفرنسي لعن المماليك واصلح حال الامة المصرية

« تحريراً في معسكر الاسكندرية في ١٣ شهر مسدور من السنة السابعة من الجمهورية الفرنسية يعني اواخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هـ ١٨٩٨

زحف بونايرت على القاهرة

وامر بتوزيع هذا المنشور في البلاد المصرية . ثم فكر في امر التوجه الى القاهرة واخضاع سائر القطر . وكان من الاسكندرية الى القاهرة طريقان الواحد يمر بدمهور وهو طريق الصحراء على البر الغربي والثاني طريق رشيد في النيل . فرأى الطريق

الثاني اصعب مسلکاً عليه لان رشيد كانت لاتزال في حوزة الممالك فاقراً ان يسير عن طريق دمنهور في الصحراء وكان قد انفذ الجنرال ديزه عند استلام الاسكندرية ليسير في ذلك الطريق وارسل عمارة بحرية لتحتل رشيد ثم تتقدم في النيل للاقائه في الرحمانية

وفي ٢٤ محرم سنة ١٢١٣ هـ (٧ يوليو سنة ١٧٩٨ م) برح بونابرت الاسكندرية في الساعة الخامسة مساءً اتقاء الحر تاركاً كلابر فيها . وما زال سائراً بحملته الى منتصف الليل فنزلوا للراحة فرقدوا ساعتين ثم نهضوا وما زالوا يواصلون السير ليلاً ونهاراً وقد قاسوا عناباً شديداً من قلة الماء حتى وصلوا دمنهور فوجدوا خيرات كثيرة وماء غزيراً فكشوا هناك يومين وليتين . ثم شخصوا الى الرحمانية في صباح ٢٨ محرم سنة ١٢١٣ هـ (١١ يوليو سنة ١٧٩٨ م)

وفي اليوم الثاني من سيرهم لاقتهم شردمة من الفرسان المماليك فجرت بين الفريقين مناوشة شفت عن انهزام الممالك وقد قتل منهم نحو خمسين فارساً . فواصل بونابرت سيره حتى وصل الرحمانية وقابل النيل فتوالت المعارك على مائه كانهم ذئاب خاطفة فشرعوا وتركوا خيولهم للمرعى . وعسكر بونابرت ومن معه طلباً للاستراحة على اثر ما قاسوه من مشاق السفر والعطش ريثما تصلهم العمارة البحرية التي بعثوها الى رشيد . وبعد ليلتين من مكوثهم هناك انت العمارة وقد استولت على رشيد وجعلت فيها حامية تحفظها . وكانت الجيوش قد استراحت فتأهبت للرحيل الى القاهرة فسارت المشاة والفرسان على الضفة الغربية حذاء النيل والى يسارها العمارة سائرة في النيل وما زالوا يجدون السير حتى اتوا محلة سلامة عند المساء فلم يمكنهم استطلاع حالة العدو تلك الليلة

خطة مراد بك في الدفاع

اما ما كان من امر مراد بك فلما عهد اليه المسير الى الاسكندرية كما تقدم جمع اليه فرسانه وقبل خروجهم من القاهرة صاروا يصادرون الناس يأخذون ما يحتاجون اليه بلائمن . ثم سار بهم الى الجسر الاسود في البر الغربي فكثت يومين ريثما تكمل العسكر وسناجقه وقيهم علي باشا الطرابلسي وناصيف باشا وكانا من اخصائه المقربين معه في الجيزة . واخذ معه كثيراً من المدافع والبارود . وجعل الرحالة وهم اسراب من الالادشات والغليونجية والاروام والمغاربة حملة بحرية تسير في النيل على الغلايين الصغار التي انشاها هو

ولما برح الجسر الاسود ارسل الى مصر باشارة علي باشا الطرابلسي بأمر باصطناع سلسلة من الحديد في غاية الثخن والمتانة طولها مائة وثلاثون ذراعاً تنصب بعرض البوغاز عند برج مغيزل من البر الى البر لتمنع مراكب الفرنسيين من المرور وان يشاد عندها جسر من المراكب عليها المنارييس والمدافع ظناً منه ان الفرنسيين لا يناهضون المصريين في البر ولا بد من قدومهم بجرأ وانهم يطاولونهم ويصابرونهم في القتال حتى تأتيمهم النجيدات . وما زال مراد بك سائراً فيمن معه على ضفة النيل الغربية والى يمينه الغلايين وفيها من ذكرنا من الرجال قاصداً الجيوش الفرنسية فوصل الى قرية شبرايس وعسكر هناك بفرسانه وارسل عمارته الملاقة عمارة الفرنسيين فالتقت بها على مسافة قصيرة من منية سلامة وقد تجاوزت جنود البر بسبب الريح الشديدة التي طلعت عليها ذلك اليوم

التقاء الجيشين

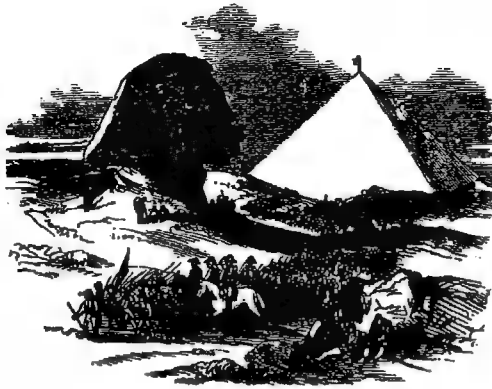
فبغت الفرنسيون لتلك الاتفاق فاطلقوا نارهم فاجابهم المماليك وكان على قيادة العمار المصرية علي باشا الطرابلسي المتقدم ذكره فاحتدمت الحرب بين الفريقين وكادت تدور الدائرة على الفرنسيين وقد يشسوا لدخول عدة من مراكبهم في حوزة المماليك فارسل يبريه قائد العمار الفرنسية رسولاً يوصل الخبر الى بونابرت ليسرع الى امدادهم . ثم اتفق ان احدى قتابل الفرنسيين اصابت المركب الذي فيه زخائر المماليك فاحرقتها وتطايرت اجزاؤها في الفضاء فاندعر المماليك وخابت آمالهم . ثم وصل بونابرت بمن معه فحمد الاتفاق الذي نجى عمارتهم وامر ان تجعل عساكره مربعات منتظمة للملاقة المماليك في البر ايضاً فالتقى الفريقان وبعد الاخذ والرد عاد المماليك على اعقابهم يطلبون النجاة وفر كل من كان في القرى المجاورة فدخلها الفرنسيون فلم يجدوا فيها احداً فواصلوا السير حتى اتوا وردان فعسكروا للاستراحة ثم بلغهم ان مراد بك ورجاله تحصنوا في امبابه مقابل القاهرة

وفي ٧ صفر سنة ١٢١٣ هـ خرج بونابرت من وردان بجيشه قاصداً القاهرة وما مشى يسيراً حتى ظهرت له الاهرام العظيمة وراء الافق . وما زال اهل القاهرة منذ سفر مراد بك للملاقة الفرنسيين في اضطراب يجتمع علماؤهم وفقهاؤهم في الجامع الازهر يقدمون الصلوات والنصرات الى الله ان ينصره على اعدائه ومثل ذلك كان يفعل القراء وتلاميذ المدارس . اما باقي الاهلين فكانوا في اضطراب عظيم ولا سيما عندما كانوا يسمعون بثقهق المماليك

• معركة امبابة

اما ابراهيم فكان معسكراً في بولاق كما تقدم . فلما بلغه تفهقر مراد بك من شبرايس بمدافعه خابر رجال حكومته فاقروا على بناء الطوايى عليها المدافع من بولاق الى شوبرا تعزيراً للقاهرة . اما سكان القاهرة فمن يسكن جاشهم وقد وقع في قلوبهم الرعب ؟ وكان مراد بك قد تحصن في امبابة على ان يقابل الفرنساويين هذه المرة بالمدافع وليس بالفرسان كما فعل في شبرايس . وفي صباح يوم السبت في ٨ صفر بلغ الفرنساويون الجسر الاسود ثم ام دينار . وفي صباح ٨ منه (٢١ يوليو) غادر الفرنساويون ام دينار ونزلوا على ميلين من امبابة في حقل من البطيخ . فكان النيل عن يسارهم والاهرام وسلسلة جبال ليبيا عن يمينهم وامبابة امامهم وفيها مراد وجنوده وعليهم الالبسة والدروع من الحديد المصقول تتلأأ في اشعة الشمس . والوان ملابسهم تزيدها رونقاً واصوات خيولهم قد ملأت الفضاء

ونظر يونابرت الى معسكر العدو فرآه حصيناً وفي مقدمته اربعون مدفعاً معدة لاطلاق القنابل على الفرنساويين عند اول حركة يتحركونها نحوهم . فالتفت الى رجاله و اشار الى الاهرام قائلاً « اعلموا ان خمسين جيلاً من الناس تنظر اليكم من قم هذه الاهرام وتراقب حركاتكم تنظر ما يأول اليه امركم مع هؤلاء الممالك »



وترى شكل ٣٧ الجيوش
الفرنساوية بجوار اهرام الجيزة
ثم امر فرقة الجنرال ديزه
ان تتقدم نحو اليمين والفرق
الاخري نحو اليسار تجنباً لثيران
تلك المدافع . فادرك مراد بك
مرادهم من هذه الحركات فامر

ايوب بك الدفتردار ان يطلق ش ٣٧ : الجيوش الفرنسية بجوار الاهرام

القنابل على فرقة الجنرال ديزه ويوقفها عن المسير . فوقفت على شكل مربع تنتظر هجوم الممالك فهجم ايوب بك هجمة الاسود وتبعته السناجق بالسيوف فلاقاه مربع ديزه بنار كالمواقع المتساقطة فلم ينفك ايوب بك هاجماً وهو ينادي باعلى صوته « ويل لكم ايها الكفار الملاعين قد ساقتمكم كبرياؤكم الى ارضنا مهلاً اتنا سنملا القبور باجسادكم

« نحل هذا اليوم يوماً تذكره أعقابكم من بعدكم . اما نحن فاذا مت احداً فانه يذهب شهيداً الى النعيم والذي يبقى حياً فله السعادة الى آخر ايامه »
 هجمت الفرق الفرنساوية من على اليسار واشتد القتال وما زالت الحرب سجالاً حتى تقهر المماليك وقتل ابوب بك وفر مراد بك بمن بقي من رجاله قاصداً الصعيد واستولى الفرنسيون على امبابه

خوف اهل القاهرة

فلما اتصلت تلك الاخبار بالقاهرة ضجت العامة وكثرت الغوغاء من الرعية واخلاط الناس بالصياح منادين « يارب يا لطيف يا رجال الله » كأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم والعقلاء منهم ينادونهم ان يتركوا ذلك الصياح قائلين « ان الصحابة والمجاهدين انما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب لا برفع الاصوات والصراخ والنباح » فكانوا لا يسمعون ولا يرجعون

ثم ركبت طائفة من الامراء والاجناد من المعسكر الشرقي في بولاق وفيهم ابراهيم بك وشرعوا في التعديبة امداداً لمراد فتزاحوا على المعادي لان التعديبة من محل واحد والمراكب قليلة فلم يصلوا الى البر الثاني حتى وقعت الهزيمة على الحاربين وريح النكباء يشد هبوبها وامواج البحر في قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح في وجوه المصريين فلم يستطع احدهم ان يفتح عينيه من شدة الغبار . وكان ذلك من اعظم اسباب الهزيمة حتى خيل للناس ان الارض زلزلت والسماء ساقطة عليها . والهزيمة مع ذلك متواصلة حتى انهزم ابراهيم بك وبكير باشا . وجعل اهالي المدينة يأخذون ماخف حمله وغلائمه ويفرون من وجه الموت جنوباً وشرقاً الى الصعيد او الى السويس وبليس . اما ابراهيم بك فسار نحو الشرق . كل ذلك ظناً منهم ان الفرنسيين قد عدوا الى البر الشرقي ولا سيما عند ما راوا الدخان يتصاعد من جهة بولاق وقيل لهم ان الفرنسيين قد احرقوها وجاؤا لبحرقوا المدينة وينهبوا ويفتكوا

وقد العلماء الى بونارت

ولما اصبح القوم تبين لهم ان الفرنسيين لا يزالون في البر الغربي فاجتمع المشايخ والعلماء في الازهر وتشاوروا في ما يفعلونه واقرروا على مخابرة الفرنسيين للتفاهم في ما يأول اليه امرهم . فبعثوا وقدأ بنوب عنهم في ذلك فاغثم بونارت تلك الفرصة واجابهم بخطاب فخواء « اننا ما حضرنا الا بقصد ازالة المماليك الذين يعاملون الفرنسيين بالذل والاحتقار واخذ مال التجار ومال السلطان . ولما حضرنا الى البر

الغربي خرجوا إلينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم وامرنا آخرين ونحن في طلبهم حتى لا يبقى احد منهم بالقطر المصري . وأما المشائخ والعلماء وأصحاب المراتب والرعية فيكونون مطمئين في مساكنهم »
ثم قال « فإتات إلينا المشائخ لتؤلف لهم ديواناً ننتخبه من عشرة اشخاص عقلاء يدبرون الامور »

فلما عاد الوفد الى المشائخ وبلغوهم ما قاله يونابرت اطمأنوا وركب جماعة منهم الى معسكر يونابرت في الجيزة فتلقاهم بالترحاب وطمأنهم وطلب اليهم ان يستدعوا كبارهم ليؤلف منهم ديواناً

الديوان العمومي

ثم دخل يونابرت القاهرة وجع المشائخ وطلب اليهم ان ينتخبوا منهم عشرة اشخاص فوق الانتخاب على الاسماء الآتية :

الشيخ موسى السريسي	الشيخ عبد الله الشرقاوي
» مصطفى الدمنهوري	» خليل البكري
» احمد العريشي	» مصطفى الصاوي
» يوسف الشبرخي	» سليمان الفيومي
» محمد الدواخلي	» محمد المهدي الكبير

هؤلاء العشرة هم اعضاء الديوان الوطني . وبعد ان تم انتخابهم انتخبوا رئيساً عليهم منهم بالقرعة فوق الانتخاب على الشيخ عبد الله الشرقاوي واحتفل يونابرت بافتتاح الديوان وبالغ في اكرام اعضاءه وامر بعض المصورين فصوروهم كل واحد على حدة ولا تزال هذه الصور محفوظة في معرض فرسايل . وترى في ما يلي نسخاً من بعضها . وهو اول ديوان وطني تألف بمصر — لم ينتخبه الشعب لان الشعب لم يكن له ذكر ولكن العلماء انتخبوه وهم نواب الشعب بحكم العرف فكان ذلك فاتحة السلطة النيابية الانتخابية

واعضاء هذا المجلس هم خيرة علماء مصر في ذلك العصر : فالشيخ عبد الله الشرقاوي هو ابن ابراهيم الشافعي الازهري الشهير بالشرقاوي ولد سنة ١١٥٠هـ وترى بالقرين ثم نقل الى الازهر وقرا على اعلم مشائخ عصره في الازهر وغيره وله مؤلفات اسلامية مفيدة منها الحاشية على التحرير واثن العوائد وشرحها وشروح ومختصرات



ش ٣٨ : الشيخ عبد الله المرقاوي

كثيرة في الفقه واللغة والتاريخ . وكان في صباه في قلة من العيش ثم اتسعت حاله بالهدايا التي كانت تأتيه من بعض التجار . ولما مات الشيخ العروسي تولى بعده مشيخة الجامع الازهر ووقع بينه وبين والي مصر اختلاف وتغاضبا حيناً ثم تصالحا بشرط ان يلزم الشرقاوي داره فلما جاء بونابرت الى مصر سنة ١٢١٣ هـ والى الديوان الذي نحن في صدره جعله رئيساً عليه . واكتسب في ايام الفرنسيين مالا كثيرة فاستعت عليه الدنيا فاشترى الابنية والقصور والحمامات والحوانيت حتى توفي سنة ١٢٢٢ هـ والسيد خليل البكري من سلالة ابي بكر الصديق وتولى نقابة الاشراف بمصر ومشيخة السجادة . وتأيد منصبه بها بعد مجيء بونابرت فاستولى على اوقافها وانتخبوه من جملة اعضاء الديوان كما رأيت . وكان وافر الحرمة مقبول الشفاعة عندهم فكان امراء المماليك الهاربون يوسطونه لدى الفرنسيين في العفو عنهم . ولما خرج الفرنسيون عادت نقابة الاشراف الى السيد عمر مكرم . وتوفي سنة ١٢٢٣ هـ والشيخ المهدي الكبير يختلف في نسبه عن سائر اولئك العلماء فقد ولد قبطياً وابوه اسمه ابيفانيوس فضل الله . ولما ولد سمي هبة الله وكان ابوه كاتباً في بيت سليمان كاشف او مياشراً لاموره ولما ترعرع هبة الله اعجب به الكشاف واحب ان يجعله



ش ٣٩ : السيد خليل البكري

من ضمن مماليكه ولم يكن له ميل الى العسكرية فادخله في مصاف طلبة الازهر ولم يكن يقبل فيه غير المسلمين فاعتشق الاسلام وسمي محمد المهدي وكان زكياً فزال يرتقي حتى صار من كبار العلماء والفقهاء ودرس في الازهر والفقهاء وكتب كثيراً ونال حظاً من الوجهاء واتسعت حاله ونال الاقطاعات والهدايا من الكشاف وغيرهم فبنى الدور واقتنى الخدم وشارك في التجارات حتى اصبحت من اهل الثروة. ولما دخلت الفرنساوية مصر قربوه وسائرهم في اغراضهم ووثقوا بقوله فكان موضع ثقهم الواسطة العظمى بينهم وبين الناس حتى لقبوه كاتم السر ولما رتبوا الديوان انتخب من اعضائه وصار اليه النفوذ الاكبر وله تاريخ طويل لا محل له هنا

والشيخ سليمان الفيومي اصله من الفيوم . اتى الى مصر وهو رقيق الحال وتلقى العلم في الازهر وتقرب من الامراء المماليك لحسن انشاده وقراءة الاشعار . وتقرب من بعض الامراء البرقوقية وتعرف الى الاغوات وتوسط بهم الى التوكل بالتضاي والدعاوي واكتسب الاموال الطائلة وتحسنت حاله فتجمل بالملايس وركب البغال وتعين استاذاً في الازهر برواق القيمة وكان للامراء المماليك ثقة فيه فانفذوه بمهمة خصوصية الى الاستانة . ولما عاد الى مصر توالى عليه الهدايا من الامراء والاعيان وغيرهم فاتسعت حاله وصار منزله ملجأ للناس على اختلاف الطبقات . ولما دخلت



ش ٤٠ : الشيخ محمد المهدي الكبير

الفرنساوية مصر وهرب الامراء جاءت نساؤهم الى دار الشيخ الفيومي ووسطوه فدافع
عنهن لدى فرنساوية وتوسط في العقو عن بعض رجالهن وكان في جملة من تعينوا
في الديوان كما رأيت



ش ٤١ : الشيخ سليمان الفيومي

الديوان الخصوصي

على ان الفرنسيين شعروا ان هذا الديوان لا يمثل كل عناصر الامة وطبقاتها فعمدوا الى تشكيل مجلس عام يوافق من الطوائف القاطنة في مصر على اختلاف عناصرها وطبقاتها ومذاهبها . ومتى اجتمعوا ينتخبون من بينهم ديواناً يسمى الديوان الخصوصي او الديوان الديمومي اي يشتغل دائماً والديوان الآخر يجتمع عند الاقتضاء . فنشروا منشوراً على اهل القطر طلبوا فيه الى اعيان البلاد من المشايخ والتجار واهل الوجاهة من كل الطوائف والملل ان يحضروا الى دار الحكومة . فجاء كثيرون وانتخبوا منهم ستين شخصاً ممن ثبتت لهم صفة تميزهم عن العامة بالعلم او الثروة او غيرهما وهذه اسماؤهم باعتبار طوائفهم :

مشايخ وعلماء : السيد البكري . السيد الدمرداشي . السيد حسين رفاعي . الشيخ عبد الله الشرقاوي . الشيخ محمد المهدي . الشيخ مصطفى الصاوي . الشيخ موسى السري . الشيخ محمد الامير . الشيخ سليمان الفيومي . الشيخ احمد العريشي . الشيخ ابراهيم بن المفتي . الشيخ صالح الحنبلي . الشيخ محمد الدواخلي . الشيخ مصطفى الدمهوري . وجاقلية : محمد اغا شوربجي فلاح . علي نكيا المجدي . خليل اغا شوربجي فلاح . احمد ذو الفقار اوطه باشي فلاح

انكشارية : يوسف شوربجي باش جاويش توزنكجيان . يوسف شوربجي باش جاويش جليان . مصطفى افندي شراكسة . امير سليم شرايبي
عرب : مصطفى افندي عاصي . مصطفى كنخا باش اختيار . حسن شوربجي بركاوي
تجار الغورية : الحاج محمد الاشوي شيخ الغورية . الحاج محمد ابو النصر . الحاج سيد شيخ المغاربة

تجار البهار : الحاج احمد محرم . الحاج احمد الحروقي . ابراهيم افندي . قاضي البهار الحاج حسين جار ابراهيم . المعلم ميخائيل كجيل . المعلم يوسف فرحات . الحاج احمد حسين

تجار البضايغ التركية : السيد احمد العقاد الحروقي . الحاج مصطفى شيخ العقادين الحاج احمد القازانجي

تجار العطور : السيد محمد شيخ المطارين

تجار السكر : درويش عبد القاهر البغدادي . ابراهيم قرموط . محمد همشري

تجار النحاس : السيد مصطفى مصباح . الحاج حسين النحاس
 صياغ وجوهرجية : الحاج سالم الجوهرجي . محمد البغدادي
 تجار ورق : علي بن الحاج خليل الوراق
 تجار اقشة : الحاج ابراهيم المصري . علي الصلانيجي شيخ القماحين
 تجار صابون : السيد احمد زرو . سيد يوسف نقر الدين
 تجار دخان واقشة سورية : احمد نظام
 مشايخ الاقسام : شيخ جزاري الحسينية . شيخ العطوف
 الاقباط : المعلم لطف الله المصري . المعلم ابراهيم جر العسايط . المعلم ابراهيم
 مقار . ابراهيم كاتب الصرة

الفرنساويون : دلار . وكاف . وبوديف

هؤلاء اعضاء المجلس العام او الديوان العام وهو منتخب من اعيان البلاد . وقد
 اصدروا بتعيينه امراً رسمياً مؤرخاً في رجب سنة ١٢١٣ هـ واشتروطوا في ذلك الامر
 ان يكون في الديوان المذكور مندوب فرنساوي اسمه جلوتييه ومندوب مسلم اسمه
 ذو الفقار كخيا وان يجتمعا في يوم عينه في الامر الموأ اليه لينتخبوا منهم ديواناً
 مؤلفاً من ١٤ عضواً يسمى « الديوان الخصوصي » ويكون الانتخاب بالقرعة وبالاكثرية
 المطلقة . وعين لاجتماع الديوان الكبير ثلاثة ايام متوالية ثم لا يجتمع الا عند الحاجة .
 ومتى تم انتخاب الديوان الخصوصي يصادق عليه السر عسكر (بونابرت) . ثم ينتخب
 له رئيس يوالي اجتماعاته كل يوم لمساعدة الحكومة في النظر في مصلحة الوطنيين .
 ويعين له كاتب وترجمان ومحضر وعشرة حجاب يقومون بخدمته . وختم الامر بتعيين
 رواتب اعضاء المجلس الخصوصي واتباعهم وهي مائة ريال في الشهر للرئيس وثمانون
 ريالاً لكل عضو . والمحضر ٦٠ بارة في اليوم وللحاجب ٤٠ بارة

فاجتمع الديوان العام المشار اليه وانتخب من اعضائه ١٤ عضواً يتألف منهم
 الديوان الخصوصي وهو غير الذي تقدم ذكره . فان هذا لم يكن فيه من المشايخ الا
 الشرقاوي والمهدي والساوي والبكري والفيومي . وباقي الاعضاء من سائر الطوائف
 على هذه الصورة . من التجار المحروقي واحمد محرم ومن النصارى القبط لطف الله
 المصري ومن السوريين يوسف فرحات ومخايل كحيل ومن الانكليز « رواحة » ومن
 فرنساويين بودني وموس . فهو مجلس وطني مختلط تشكل من نواب يمثلون اهم
 العناصر التي تتألف منها الامة المصرية - بعضهم من الوطنيين الاصليين المسلمين

والاقباط والبعض الآخر من الجالية السورية والافرنجية . فهو كثير الشبه بالمجلس النيابي الذي اشار اللورد كرومر بتشكيله من العناصر التي تتألف منها الامة المصرية الآن وجعل ذلك شرطاً لاستقلالها ونجاحها



ش ٤٢ : الديوان الخصوصي
اول مجلس شورى وطني في مصر انشاءً بونابرت سنة ١٧٩٨

ولما تم تأليف المجلس الخصوصي على هذه الصورة كتب بونابرت بذلك مناشير علقوها في الاسواق ضمنها التهديد المشوب بالتراف مثل سائر منشوراته بمصر . وقد صوروا هذا الديوان في احدى جلساته وفيه بونابرت قاعداً على دكة والعلم الفرنسي بجانبه وقد قعد الاعضاء بين يديه وفيهم السكاتب والترجمان والمحضر وبعض الحجاب كما ترى في الشكل ٤٢

واخذ الديوان المذكور يوالي اجتماعاته ولا يبرم بونا برت امراً مهما بمصر الا شاورة واخذ رأيه فيه وانما كان شغله بالاكثر النظر في المسائل الوطنية . فالديوان الخصوصي هذا خطوة اخرى نحو السلطة النيابية في مصر لانه منتخب من وجهاء البلاد من كل الطوائف واذا لم تشارك العامة في انتخابه فلا انتخاب حتى في الحكومات الدستورية اليوم يتم بالحقيقة على ايدي الوجهاء والخاصة الذين تنتخبهم العامة وشكل الفرنسياتى مجلساً آخر او ديواناً سموه محكمة القضايا مؤلفاً من ١٢ عضواً ستة من الاقباط وستة من التجار المسلمين وجعلوا قاضيه الاكبر اورئيسه المعلم ملطي القبطي وفوضوا اليه النظر في القضايا التي تقع بين التجار والعامة وفي المواريت ونحوها فهو شبيه بمحكمة اهلية مختلطة . وكانت تلك القضايا تنظر الى ذلك الحين في المحاكم الشرعية . فكان بونا برت اول من اسس المحاكم النظامية بمصر

نزول الفرنسيين القاهرة

وفي يوم الثلاثاء ١١ صفر عدت الجيوش الفرنسية الى القاهرة ونزل بونا برت في بيت محمد بك الالفي واخذت العساكر الذين دخلوا القاهرة من الفرنسيين يعاملون الباعة باللين ويتعاونون ما يحتاجون اليه ويدفعون فيه ثمناً غالياً فاجبتهم الناس وارتاحوا اليهم

ثم اخذت العساكر الفرنسية تعدي للبر الشرقي شيئاً فشيئاً حتى كثر عددهم في القاهرة فامتلات منهم الاسواق وسكنوا في البيوت ولكنهم لم يشوشوا على احد وكانوا يأخذون ما يحتاجون اليه بزيادة في الثمن ففجر السوق وصغروا اقراص الحبز وطحنوا الحنطة بترابها وكثرت باعة المأكولات وفتح الاروام عدة حوانيت لبيع الاشربة وحانات وقهوات وفتح بعض الافرنج المتوطنين بيوتاً لصنع الاطعمة والاشربة على النمط الافرنجي (اي لوكاندات افرنجية) ولم يكن ذلك معروفاً في مصر الى ذلك العهد ولذلك وصفها المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي كأنها شيء جديد دخل عليهم فقال « وفتحوا بيوتاً لصنع الاطعمة والاشربة على طرائقهم في بلادهم وجعلوا على ابوابها علامات يعرفونها بينهم فاذا مرت طائفة تريد الاكل بذلك المكان دخلوه وهو يشغل على عدة مجالس بين دون وعال ووسط وعلى كل مجلس علامة ومقدار الدراهم التي يدفعها الداخل . وفي تلك المجالس موائد من الخشب عليها الطعام وحولها الكراسي فيجلسون اليها ويأتيهم الفراشون بالطعام على قوانينهم فياكلون ويشربون على نسق لا يتعدونه ثم يدفعون ما وجب عليهم من غير نقص ولا زيادة وينهبون الخالم »

وفي اليوم السبت ١٥ صفر سنة ١٢١٣ اجتمع الديوان المتقدم ذكره وتباحث في احتياجه الى النقود فقرر استدانة خمسمائة الف ريال من التجار المسلمين والنصارى والنبط والسوريين والافرنج واخذوا في تمصيلها وقرروا ان ينادى في الاسواق ان من اخذ شيئاً من نهب البيوت عليه ان يحضر به الى بيت القاءقام وان لم يفعل وظهر بعد ذلك يشتد عقابه . وان ينادى على نساء الامراء والبكوات بالامان وان يكن بيوتهن وان كان عندهن شيء من امتعة ازواجهن يصلحن على انفسهن . فجاء كثيرات منهن وصلحن ودفعن مبالغ عظيمة

وفي يوم الاحد في ١٦ منه طاب بونايرت الخيول والجمال والاساحة فجمعوا شيئاً كثيراً منها وكذلك الابقار والثيران واشعوا التفتيش وكسروا عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره واخرجوا ما وجدوه فيها من الاساحة واخرجوا كثيراً من الخبايا والودائع بواسطة البنائين والمهندسين والخدم الذين يعرفون بيوت اسيادهم . فكأنوا يطاعونهم على اماكن الخبايا ومواضع المدافن تقريباً من الفرنسيين . وفي ذلك اليوم قبضوا على شيخ الجعيدية « الرعاع » ورموه بالرصاص ببركة الازبكية مع رفيق له ثم قبضوا على آخرين في الرميلة تخاف الناس وصار يأتي الذين عندهم منهوبات ويقدمونها للديوان

وفي يوم الثلاثاء ١٨ منه طلبوا اهل الحرف والتجار وضربوا عليهم مالا على سبيل القرض لم يستطيعوا دفعه فاهلهم ستين يوماً لدفعه فاستغاثوا وذهبوا الى الجامع الازهر والمشهد الحسيني واستشفعوا المشايخ فتكلموا بامرهم امام الديوان فلطف المطلوب الى نصفه ووسعوا لهم في الاجل . وكان بكل عطفة او حارة من عطف القاهرة وحاراتها باب كبير مصفح بالحديد يقفل ليلاً . فامر بونايرت بنزع ابواب الدروب والعطف والحارات واستمروا في ذلك عدة ايام تخاف الناس وكثرت ظنونهم في المقصود من تلك الاعمال . فظن بعضهم ان الفرنسيين عازمون على قتل المسلمين وهم في صلاة الجمعة وقال آخرون غير ذلك . وكان في القاهرة دار لضرب النقود تضر بها باسم السلطان فامر بونايرت ان يستمر الضرب كما كان وعهد ذلك الى احد رجاله . وكان في بيته انشاء بريد (بوسطة) بين مصر والاسكندرية لكنه لم يستطع ذلك لكثرة الاخطار التي تحيط برسل البريد في اثناء الطريق

وفي ٢٠ منه وردت الى الديوان كتب من قافلة الحج بالعقبة فذهب ارباب الديوان الى السر عسكر بونايرت واعلموه بذلك وطالبوا منه اماناً لاميير الحج فامتنع

لثلاث يكون في كثرة من الحجاج فيحدث ما يكدر الراحة . وقال « لا اعطيه ذلك الا اذا جاء في قلة ولا يدخل معه الممالك » فقالوا « ومن يخفر الحجاج » قال انا ارسل لهم من عساكري اربعة آلاف يوصلونهم الى مصر » فكتبوا الى امير الحج كتاباً لطيفاً واوعزوا اليه ان يحضر بمن معه الى الدار الحمراء وانه متى وصل الى هناك يدبرون ما فيه الخير . فلم يصله ذلك الكتاب حتى خافه ابراهيم بك وكان في بابيس يطلب اليه ان يوافيه الى هناك حالاً . فدار الى بابيس فعلم بونابرت باقامة ابراهيم بك في بابيس فارسل اليه فرقة من جيوشه تحت قيادة الجنرال لاكلارك فسار وعسكر في الخانقاه وراء المدارية ومكث هناك يومين ولم يصادف اقل مقاومة

وفي اليوم الثالث هجم عليه وعلى رجاله قبائل من العرب بينهم عدد كبير من الممالك وبعد محاربة شديدة تهاوت الجيوش الفرنسية نحو القاهرة اعجز خيولهم فعلم الجنرال مورات بذلك فاستمد بونابرت فامده فاجتمعت الجيوش الفرنسية ثانية الى الخانقاه وتبعهم بونابرت بنفسه خيفة ان يكونوا في ارتباك فينكسروا وتعود العائدة عليهم فاتحدت جميع الجيوش الفرنسية في الخانقاه وساروا جميعاً في اثر العربان والممالك حتى الصالحية وهناك كان ابراهيم بك بمن معه ثم علموا انه ترك الصالحية فاراً نحو سوريا ماتجئاً الى الجزائر في عكا وانضم كثيرون من رجاله الى عسكر الفرنسيين وسلمت الصالحية بمن فيها

واقعة ابي قير

فلما رأى بونابرت ذلك اسرع بالعود الى القاهرة . وبينما هو في الطريق قابله رسول بكتاب مفضوض فتلاه فاناب به خبر قدوم عمارة نلسون الانكليزية الى الاسكندرية وحصول واقعة كبيرة في ابي قير شفت عن تحطم العمارة الفرنسية برمتها . فاندعر لذلك الخبر ولكنه تجدد وقال لاركان حربه وكان قد فض الكتاب وتلاه قبله « دع هذا الخبر في سرك الآن لنرى ماذا يأتي به الغد »

وتفصيل تلك الواقعة ان نلسون بعد ان برح الاسكندرية علم بقدوم الفرنسيين اليها ودخلهم القطر المصري فعاد بعمارته ثم جاء الاسكندرية في ١٩ صفر سنة ١٢١٣ هـ (اول اغسطس سنة ١٧٩٨ م) وكانت العمارة الفرنسية راسية في جون ابي قير على خط واحد مستقيم من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي تحت قيادة الاميرال برويس وكانت قد ارسلت في ذلك الصباح خمسة وعشرين نفراً من كل دارة من دوارعها الى البر لخفر الفعلة المرسلين لاحتفار الآبار . فلما استكشفوا العمارة الانكليزية نادوا

بالرجال ان يعودوا الى المراكب
ثم تداول الاميرال برويس مع ضباطه في كيف يقابلون العمارة الانكليزية فاشاروا
عليه ان يخرج من الجون ويستقبلها في ظهر البحر فاصر على بقائه في مكانه لان عدد
رجاله لا يسمح له بقبول مشورتهم فبقيت العمارة في الجون بانتظار الانكليز



ش ٤٣ : الاميرال نلسن

أما نلسون فكان منذ عام باحتلال الفرنسيين مصر وهو يعمل فكرته في كيفية
ملاقاتهم . فلما صار على مشهد من عمارتهم فكر في احسن اسلوب يأخذهم به فاقرب
على ان يرسل قسماً من مراكبه يدخل بين سفن الفرنسيين والبر والقسم الآخر
بأنهم من الامام فيجعلهم هدفاً لنارين حاميتين وكان علماً بما يحيط بهذا العمل
من الخطر لكنه كان ممن يستسهلون الصعب . فسارت بعض مراكبه من وراء
الفرنسيين بينهم وبين البر وتقدمت بقية المراكب من الامام وكانت الشمس قد مالت
الى الغروب وابتدأ نلسون باطلاق المدافع فاجابه الفرنسيون بنار مثل ناره . وبعد
١٢ دقيقة انكسرت دارعة فرنساوية ثم انكسرت دارعتان اخريان ولم يأت العشاء حتى
استولى الانكليز على عدة دوارع فرنساوية غير التي كسرت

وكان الاميرال برويس على الدارعة « الشرق » ذات المائة والعشرين مدفعاً وعليها نحو الف رجل . وكانت نلسون من الجهة الاخرى على احدى دوارعه يراقب حركات الفرنسيين ويعطي الاوامر واصابته رصاصة في جبهته فوق احدى عينيه فتدلى الجلد حتى غشى بصره فرفعه يده غير مبال وهو ينظر الى ما يكون من حركات الدوارع وكان بجانبه احد ضباطه فمسكه بيده فتنبه كأنه كان في غفلة وناداه قائلًا « قد قتلت فارجو ان تذكرني امام امرائي »

وحملوه الى غرفته واحاط به الاطباء وبعد ان كشفوا عن جرحه طيّبوا خاطره وطمأنوه ان الجرح لا يؤذن بالخطر السريع اما هو فلم يكن ينتظر الشفاء ولكنه مع ذلك لم يشغل عن اصدار الاوامر الى ضباط الدوارع وكان يتتبع حركاتها وهو على فراشه . ثم ضمدوا جرحه وهو يخاطب كاتب مره ان يكتب حالاً لنظارة البحرية في لندن عن هذه المعركة . فلم يستطع احد من الحضور ان يمسك القلم من شد التأثر فاخذ نلسون قلمًا وكتب ما اوتي به من النص

اما الاميرال برويس فأصيب اولاً ببعض الجراح ثم اصابته قنبلة قطعت احشاءه فسقط على الارض فاردوا حمله الى اسفل الدارعة فاشار ان يتكوه يفارق الحياة على ظهرها فتركوه . وبعد الشاء يسير اصاب « الشرق » الدارعة الفرنسية العظيمة احتراق تطرق الى جارتها فيبلغ ذلك الاميرال نلسون فطلب ان يحملوه الى ظهر دراعته ليشاهد ذلك فحملوه . فلما رأى تلك المشاهد تأثر منها كثيراً فامر ان يسير احد الضباط في سرب من العساكر لمساعدة الفرنسيين في انقاذ الدارعة « الشرق » من الحريق ولم ينج من رجالها الا القليل . واشتد الحريق حتى رآه اهل الاسكندرية ورشيد . وما زال الاطلاق متواصلاً والاضطراب متسلطاً الى ظهيرة اليوم التالي وقد فاز الانكليز فوزاً مميّناً

وكان كلاير ورجاله في الاسكندرية باثناء المعركة في خوف واضطراب وكانوا جميعاً تحت السلاح . وفي الصباح وردت لهم الاخبار بانكسار العمارة الفرنسية . ثم جاءت مكاتبات اخرى ان اسرى الفرنسيين وجرحاهم محفوظون بكل اكرام منذ الانكليز وفي نية نلسون ان يبعث بهم الى البر يقيمون في المستشفيات تحت معاينة بعض اطبائه . فلما وصل خبر انكسار الفرنسيين الى رشيد والاسكندرية خاف الفرنسيون وانحط قدرهم في اعين الوطنيين . واضطر الرشيدون منهم الى مواصلة الحاربة مع الاسكندرانيين فاقاموا قافلة تنقل البزد وفيها الكتب والرسائل والاخبار لاجل المفاوضة في امر الدفاع اذا اراد الانكليز محاربتهم . فكتب كلاير الى بونايرت

بواقعة الحال وما انتهت اليه العارة الفرنسية فوصله الكتاب في اثناء عوده من الصالحية كما مر بك . اما العارة الانكليزية فاقلمت عن الاسكندرية فسار بونايرت حتى اتى بليس فرأى ضباطه واركان حربه على المائدة صباحاً فرحين بانتصارهم على المالك في الصالحية لا يعلمون بشيء من واقعة ابي قير فقال لهم ضاحكاً « افرحوا ولنشرح صدوركم واجتهدوا ان تعتادوا على هواء هذا الاقليم فانا اصبحنا لا مراكب لدينا تنقلنا الى اوربا » فاضطربت قلوبهم عند ذلك فطلب اليهم ان لا يذيعوا الخبر ثم ساروا حتى وصلوا القاهرة مساء الخميس ٤ ربيع اول فتح الخليج والمولد النبوي

وفي اليوم التالي كان يوم وفاة النيل (١٣ مسري) فامر بونايرت ان يحتفل بفتح الخليج كالعادة فزينوا عدة غلابين (مراكب) ونادوا في الناس الخروج للزفة سيف النيل والمقياس والروضة على عادتهم . وارسل بونايرت دعوة رسمية الى كخيا الباشا والى القاضي وارباب الديوان واصحاب الشورى وارباب المناصب وغيرهم للحضور في صباحها وركب هو معهم في موكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره الى قنطرة السد وكسروا الجسر بحضورهم واطلقوا المدافع اطلاقاً متوالياً واحرقوا النفوط حتى جرى الماء في الخليج ثم ركب وسممه حتى اتى الى داره . اما اهل المدينة فلم يخرج منهم تلك الليلة للزفة في المراكب كالعادة الا الافرنج والسوريون والقيبط وقليلون غيرهم ثم جاء المولد النبوي ولم يكن في نية العلماء الاحتفال به فاستنهم بونايرت عن سبب ذلك فاعتذر الشيخ البكري بثوقف الاحوال وتعطل الامور وعدم امكانهم القيام بما يقتضيه ذلك الاحتفال من النفقات . فقال لا بد من الاحتفال كالعادة ودفع في الحال ثلثائة ريال فرنساوي وامر بتعليق قناديل واحمال وتعليق واجتمع الفرنسيون يوم المولد واحبوا ميادينهم وضربوا طبولهم وارسل بونايرت طبلخانته الكبرى (الموسيقى) الى بيت الشيخ البكري واستمروا يضربونها طول الليل والنهار بالبركة تحت داره واحرقوا في اثناء الليل نفوطاً وشواريج كثيرة . وفي ذلك اليوم البس الشيخ خليل البكري فروة وتقلد نقابة الاشراف ونودي في المدينة بان كل من كان له دعوى على شريف فليرفعها الى النقيب ثم جاء يوم احتفال الفرنسيين بجمهوريتهم للسنة السابعة فاحتفلوا به غاية الاحتفال وشخصوا فيه معركة امبابه وانكسار الممالك ونصبوا شجرة الحرية ندهش منها الوطنيون ولم يكونوا يفهمون المقصود بها . ثم ارسل بونايرت مندوباً ينصب العلم الفرنسي ذي الثلاثة الالوان على قمة احد الاهرام العظمى وحفروا هناك اسماء الضباط الذي قتلوا في واقعة امبابه

قتل السيد محمد كريم

قد تقدم ان السيد محمد كريم بقي في الاسكندرية كما كانت فيها قبل مجيء
الفرنساويين . وقبل واقعة ابي قير يسير عبر فرنساويين على كتاب مرسل من محمد كريم
المذكور الى مراد بك بتواطؤ معه على تسليم الاسكندرية . واستخضر الى القاهرة فحكم عليه
ان يدفع ثلاثمائة الف فرنك غرامة على حياته . وانه اذا لم يدفع المبلغ في خمسة أيام يقطع
راسه . فقال له التراجمة « انت رجل غني فقد نفسك بهذا المبلغ » فنبس وقال « لا لادفع
شيئاً لاني اذا قدر لي الموت لا بدفع الدفع مقدوراً واذا قدرت لي الحياة فانا حي بلا
دفع » . ثم استخضر وسئل عن تلك الحياطة فانكر فايرزوا له الكتاب فافهم فارسله بوزايرت
الى شيخ البلد فطلب العلماء من بوزايرت ان يعفو عنه فاطلعهم على كتابه واصراً على قتله
وما انفك حتى اذا فقه الموت وطوف راسه بالمدينة مكتوباً فيه « هذا جزاء الخائن »

الشارة الفرنسية او الجوكار

وفي ٢٠ منه اسندى بوزايرت مشايخ القاهرة وعلماءها الى بيته فلما استقر بهم الجلوس
خرج ثم عاد ويده طيالة ملونة بثلاثة الوان كل طيلسان ثلاثة عروض ابيض واحمر
وكحلي فوضع واحدا منها على كتف الشيخ الشرقاوي رئيس الديوان . فرمى به الى الارض
واستغنى . وتغير مزاجه واخذ منه الغيظ مأخذاً عظيماً . فقال الترجمان الذي كان مرافقاً
لبوزايرت « يا مشايخ ما بالكم لا تزالون في نفرة من حضرة الصاري عسكر فقد صرتم من
احبائه ودو يقصد بالباسكم هذه الطيالة تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته فانكم
اذا تميزتم بها عظمتمكم المساكر واكثرتم من احترامكم » فقالوا « لكن قدرنا ينحط عند
الله وعند احوالنا المسلمين » فاعتاظ بوزايرت وانتهر الشرقاوي قائلاً « ان مثلك لا يصلح
للرئاسة » فنهض بقية الجماعة وجعلوا يلطفون من غضب بوزايرت ويطايون اليه ان يعفيهم
ما اراد فقال « ان لم يكن هذا فلا بد من وضع الجوكار في صدوركم وهي العلامة التي يقال
لها الوردية وقد تقدم ذكرها فقالوا « نستملك ربهنا نترى في الامر » وانصرفوا

ثم اسندى بوزايرت الشيخ السادات اليه فحضر فلاطفه في القول واعرب له عن
محبه له « كل ذلك بواسطة الترجمان » ثم ناوله خاتماً من الالاس هدية وطلب اليه ان
يخسر في اليوم التالي فحضر . فأتى له بجوكار وعلقه بفرجيته فسكت ولما انصرف نزع . وفي
ذلك اليوم نودي بالمدينة بوجوب نقل هذه العلامة وانها هي علامة الطاعة والحبة فانف
الناس على ان بعضهم علم انها لا تخل بالدين وخاف العقاب فوضعها . وفي العصر نادوا
بعدم اعطائهم الا لبعض الاعيان اما الباقون فيضعونها اذا جاءوا لمقابلة رسمية

سياسة نابوليون في مصر

ومن الغريب ان بونابرت مع رغبته في الاستيلاء على مصر وسهره على ذلك لم يحسن التصرف كما يجب . فقد رايناه يصرح باحترامه الديانة الاسلامية وتأمين الاهلين على عاداتهم واديانهم وارزاقهم واعراضهم . واظهر تقربه من المصريين حتى قيل انه كان يتزيا بزيمهم في الاحتفالات الوطنية فيلبس القفطان والجبّة والعمامة - وهو لباس امراء الشرق اوسلاطينه - وقد مثله بعضهم بصورة ثقلانها في الشكل ٤٤ عن كتاب نوايغ الاقباط ومشاهيرهم - كل ذلك بوجب الثناء عليه الا اننا لا نرى وجهاً يصوب ادعاه الاسلام ادعاء لم يصدق احد من المصريين ولم يزدوا الناس بسببه الا حذراً من الفرنسيين لانهم لم يدعوا غير دينهم الا تقرباً منهم لغرض في نفوسهم يحاولون نيله



ش ٤٤ : بونابرت بلباسه الشرقي

على انه لو ادعى تلك الدعوى ثم تظاهر بما ينبغي لكان خيراً لكننا وأيناه من الجملة الاخرى يأمر بالمساواة في الارث بين الانثى والذكر امرأ يخالف نص القرآن مخالفة صريحة كما لا يخفى وقد تجاهل العادات الشرقية واراد ان يجعل الشعب المصري بعده

ما قاساه في أيام المماليك ان يسير على خطوات الشعب الفرنسي ببعاداته وشرائعه وازيائه.. فكانت العساكر الفرنسية تدخل بيوت الهوانم اللواتي لم يجسر الباشا ان يدخلها — وكان السبب في ذلك ان بونابرت اجاز لرجاله الدخول في بيوت النساء للتفتيش عن اسلحة او مخبآت او امور اخرى — ولا يخفى ما في ذلك من تنفير القلوب وكل منا يعلم ان الشرقي أشد حرصاً على عرضه منه على حياته . ناهيك بما كان يأتيه الجند الفرنسي من الفواحش التي تأبدا النفوس الشرقية

على اننا لا ننكر على هذا الرجل العظيم ما ادخله بواسطة هذه الحملة من الاصلاح في احوال الامة المصرية صحياً وادبياً وشرعياً ولكننا لا نعجب بعد ان علمنا من سوء تصرفه اذا رأينا الاهلين بعيدين عن الاخلاص له — رغم قرب الشعب المصري من الطاعة والانقياد . ولا غرو بعد هذا اذا رايناهم يشتفون بمصابئه ويتقربون فرصة لشق عصا الطاعة وتفضيل سلطة المماليك على تمكنها من العسف والظلم لانهم شركاؤهم بالدين وهو اكبر رابط بين المشاركة . وقد خدع بونابرت بقبول العلماء الاجتماع في ديوان تحت حمايته وما علم ان قبولهم ذلك وغيره من مثله انما جرى رغم ارادتهم وامثالاً لقول القائل « اذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون »

ومن الامور المغايرة التي اتاها الفرنسيون واستوجبوا من اجلها نفور الناس زيادة الضرائب والشدة في تحصيلها واستحداث القوانين على الموتي والضرائب على الموارث وعلى المسافرين من بلد الى آخر فتعطى لهم تذكرة مرور بثمنها واحة بيع المسكر في الشوارع وهدم بعض الجوامع والمناظر وتخريب بعض التراب باسم الاصلاحات الصحية وبناء القلاع والاستحكامات على التلال خارج القاهرة وقطع ارزاق الاوقاف عن اهلها وتسليمها لغير المسلمين

منشور آخر

وفي خاتمة الجميع وردت العلماء والمشائخ تحارير سرية من ابراهيم بك واهمدا باشا الجزار حاكم عكا في ٣ ربيع آخر ما لها ان السلطان قد ارسل قوة عسكرية سنصلهم قريباً لانقاذهم من نير الفرنسيين — علم بونابرت بذلك فجمع العلماء والفقهاء واعيان البلاد وخطبهم يحاول اقناعهم ان خطابات المماليك لهم كاذبة

وفي ١٨ ربيع آخر استكتب بونابرت المشائخ كتاباً ارسل منه نسخة لجلالة السلطان ونسخة لشريف مكة وطبعوا منها عدة نسخ الصقوها بالشوارع جعله عن

سان المشايخ يتكلمون عن أعمال الفرنسيين بمصر ومفاده
 « ان الفرنسيين قد قاتلوا المماليك وهزموهم وانهم انما اتوا مصر وتكبدوا ما
 تكبدوه في سبيل حبيبهم للباب العالي لانهم من اخضاء جلالة مولانا السلطان واعداء
 اعدائه وان السكة والخطبة لا تزالان باسمه وشعائر الاسلام قائمة على ما كانت عليه
 وانهم هم انفسهم مسلمون يحترمون النبي والقرآن الشريف وانهم اوصلوا الحجاج
 المنتشئين واكرموا واركبوا المائتي منهم واطعموا الجائع وسقوا الظمان واعتصموا باقامة
 الزينة يوم جبر البحر استجلاباً لسرور المؤمنين وانفقوا اموالاً برسم الصدقة على
 الفقراء واعتصموا كذلك بالمولد النبوي وانفقوا المال في شأن انتظامه وعلو شأنه وانهم
 قد اتفقوا رايًا على لبس الجنب الاكرم مصطفى انا كنيابكير باشا والي مصر حالاً وانهم
 (المشايخ) استحسنوا ذلك لبقاء علاقة الدولة العلية وانهم مجتهدون في اتمام مهمات
 الحرمين - وقد امرونا ان نعلمكم بذلك والسلام » . وارسلوا من هذا المنشور نسخة
 الى احمد باشا الجزائر والي عكا واخرى الى والي سوريا

ثورة اهل القاهرة

وفي اول جمادى الاولى سنة ١٢١٣ هـ (٢١ اكتوبر « ت ١ » سنة ١٢٩٨)
 جاء الى الشيخ البكري جم غفير من اولاد المكاتب والفقهاء والعميان والمؤذنين وارباب
 الوظائف والمستحقين من خدمة الاوقاف وشكوا من قطع مرتباتهم وخبزهم لان
 الاوقاف تطل ايرادها واستولى على نظارتها غير المسلمين فوعدهم انه اذا قدموا
 شكواهم الى الديوان يساعدكم في تحصيل حقوقهم
 وفي اليوم التالي اجتمع المشايخ في الجامع الازهر وارسلوا القراء يطوفون الاسواق
 ينادون قائلين « فليذهب كل من يوحد الله الى الجامع الازهر هذا هو يوم الجهاد في
 محاربة الكفار واخذ النار » فعج الناس واقفلوا حوائيتهم وتقلدوا اسلحتهم وكانوا
 قد خباؤها في اماكن معلومة وساروا نحو الجامع افواجا بزاحم بعضهم بعضاً وفي
 مقدمتهم السيد بدر وبعض رعاة الحسينية ينادون باعلى اصواتهم « نصر الله دين
 الاسلام » وساروا توافداً الى بيت القاضي العسكري فوجدوا هناك كثيرين اخرين ممن
 سبقوهم على شاكلتهم . تخاف القاضي واغلق بابه واوقف حجابهم فضربوهم وحاول هو
 الهرب فامسكوه . وكان قد توجه القسم الاعظم من الجماهير الى الجامع الازهر . ثم
 سارت فرقة منهم الى بيت الجنرال كافارلي وفيه بعض الادوات فهبوه واخربوه ولم
 يكن الجنرال فيه

وكان الجنرال ديبوي قائماً في القاهرة مقبلاً عند بركة الفيل وشاهد في الصباح بعض الجماهير مارين في الاسواق فلم يعبأ بمحركاتهم وعند الظهيرة رأى الجماهير تعاطمت والاسواق ازدحمت فركب في جماعة واسرع الى بيت الشيخ الشرقاوي رئيس الديوان بقرب الغورية فلم يجده فصار نحو بيت القاضي وهو يرى الجماهير تزداد والاصوات تتعظم فر بين القصرين فرأى جمهوراً كبيراً أوقفه عن المسير فكلّمهم بواسطة الترجمان فلم يسمعوا فأمر رجاله بالهجوم عليهم فرماه بعض الناس من احد الشبايك على عنقه بحربة مشدودة براس عمود فقطعت له وعاء دموياً كبيراً وكانت القاضية عليه وتعاطمت الجماهير على الخصوص بجوار الجامع الازهر اما اهالي مصر القديمة وخطمة الفيل فلم يتجرأوا على ذلك وكانت الجيوش الفرنسية على غير استعداد لمثل هذه برة وخصونهم على سفح المقطم والرّبي خارج القاهرة خالية من الجنود فلم يكونوا نطيفون تهديد المدينة . وجعل الثائرون يطوفون الاسواق يقتلون المسيحيين على تلاف نزعهم بين الافرنج واقباط وسوريين ويونانيين وبنهون مساكنهم

دفاع الفرنساويين

فلما اتصل ذلك بونايرت ركب في ٣٠ من دواليله وسار الى اكثر الاماكن تعرضاً للنهب والسلب فانتعشت جنوده بوجوده فعهد قيادة المدينة الى الجنرال بون وفرق الطوبخية عند مجتمعات الثائرين . واصبح القوم في اليوم التالي واذا بسفح المقطم والرّبي خارج القاهرة مرصعة بالمدافع وقد ارسل بونايرت وفداً الى المشائخ يطلب اليهم ان يوقفوا الرعاع عن التجمهر فلم يفعلوا . وفي الساعة التاسعة (افرنجية) من الصباح بلغ بونايرت ان بعض العربان قادمون الى القاهرة يريدون الدخول اليها من باب النصر فبعث اركان حربه سالكوسكي لينظر في امر ذلك فبينما كان ماراً عند باب العدوي هجم عليه بعض الثائرين وقتلوه وكان بونايرت يحبه فاسف عليه كثيراً وهم في ذلك وصل الجنرال كلاير بجيشه من الاسكندرية بعد ما شفي من جراحه فاشتد ازر الجنود الفرنسية وتأنفوا للمطاربة بقلب واحد فقبضوا على جمهور عظيم من الثائرين بجهة الازبكية . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر اطلقت المدافع من الحصون خارج القاهرة على خط الجامع الازهر بؤرة الثورة وفيه زعمائها وما زال الضرب الى المساء فاضطرب الناس ووقع في قلوبهم الرعب فاجمع المشائخ على التسليم فركبوا خيولهم وساروا الى بونايرت يطلبون الامان فوبخهم على ما اتوه من سفك الدماء ثم

امنهم ووقف الضرب . اما سكان خط الحسين ومعظمهم من الجزارين فلم ينفكوا عن الضرب حتى فرغت جمعهم من البارود فهدأوا

دخول الجامع الازهر

فدخلت الجنود الفرنسية واخذوا في تسكين الناس وتفريق الجموع وفرقوا الخيالة في الاسواق للخفر فادخلوا خيولهم الى الجامع الازهر وكسروا قناديله ومحووا بعض ما كان مكتوباً عليه من الايات القرآنية . وفي يوم الثلاثاء ٤ جمادى الاولى خرج المسلمون للصلاة في الجامع الازهر فاذا بالخيول تعج فيه عجيماً . وفي صباح الاربعاء ٥ منه بعث المشائخ الى بونايرت يلتمسون اخراج الخيول من الجامع فسالهم عن زعماء الثورة ومنشطها فلم يجيبوه فرفض طلبهم . ثم تدخل محمد الجوهري من اعيان القاهرة وفضلائها في الامر وكان ممن لازموا الحياض فوافقه بونايرت على اخراج الخيالة من الجامع على ان يجعل في ذلك الخط خفراً من سبعين رجلاً . ثم جاء السوربون واليونانيون الذين نهبت بيوتهم بسبب الثورة الى بونايرت وشكوا اليه خسائهم . فعكف على الاقتصاص من زعماء الثورة . فجعل يقبض على من تقع عليهم الشبهة رجلاً ونساء حتى قتل منهم ١٢ شيخاً دفعة واحدة وجعل جثثهم في اكياس القاه في النيل وعزم من ذلك الحين على الصرامة في معاملته المصريين فنع المشائخ من المباحنة في الديوان وحصر شغلهم في نشر المنشورات على الشعب لا جل تسكين الثورة فسار روع الشعب حسب الظاهر

فرمان السلطان

وفي ليلة السبت ٢٤ جمادى الاولى جاء الى القاهرة هيجان بكتابات من احمد باشا الجزائر وفيها فرمان عليه الطغراء العثمانية وكتابات اخرى من بكير باشا و ابراهيم بك وجميعها معنونة باسم مصطفى بك فلما تناولها وقراها لم يسعه من خوفه الا ان يسلمها الى بونايرت فترجمت له وهالك ترجمتها بعد الاستهلال « ان الفرنسيين ابادهم الله وغشي اعلامهم غشاء العار لانهم كفار معاندون لا يؤمنون برسالة النبي (صاعم) ويسخرون بجميع الاديان ويحقدون البعث وما قدره الله فيه من الثواب والعقاب وهم يعتقدون ان الصدفة العمياء هي المتسلطة على الحياة والموت وان النفس مادة وان الاجسام بعد انحلالها في الارض لا تعود الى الحياة ثانية ولا يلحقها حساب ولا دينونة

وبناء على هذا الاعتقاد قد وضعوا ايديهم على هياكلهم وطرّدوا منها قسّهم وربّاهم
وعندهم ان الكتب المنزلة خزّعات واكاذيب ملفقة وان القرآن والتوراة والانجيل
خرافات وان موسى وعيسى ومحمداً رجال مثل سائر الرجال وان الناس جميعاً خلقوا
سواء لا شيء يميز بعضهم من بعض . وان كلا منهم يعتقد بما يخطر له وعلى هذه المعتقدات
قد بنوا جميع اعمالهم ووضعوا شرائع جهمية وقد اهتزت اوربا لاجرا آتتهم هذه
وسفكت في سبيل ذلك دماء غزيرة . وانتم تعلمون ما يأمركم به الدين الاسلامي الخفيف
فعلّيكُم الانتباه للافاعة ما يشبونه بينكم لان غرضهم هدم مكة والمدينة واورشليم وذبح من
فيها من الاطفال واقتسام تركّتهم واراضيهم اما من بقي منهم حياً فيجبرونهم على اتباع
مبادئهم وتعلم لغتهم فيذهب الاسلام من الارض . فافهموا اذاً ما تكون النتيجة اذا لم
ينهض كل واحد لنصرة الاسلام ويجاهد ضد هؤلاء المعطلين فانتبهوا اذاً الى الشرك
التي نصبت لكم . والاسد لا يكثرث بالثعالب كثر عددها او قل الخ »

منشور آخر لاهل مصر

فلما فهم بونا برت فحوى هذا الفرمان اجتهد ان يغرس في اذهان المشايخ انها فتن
قد سعى بها اعداء الدولة والدين وما زال حتى استكتبهم منشوراً امضوه وفرقوه في
البلاد وهذا نصه بالحرف الواحد :

« نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ونبرا الى الله من الساعين في الارض
بالفساد . نعرّف اهل مصر قاطبة انه حصل بعض الخلل في مدينة المحروسة من
طرف الجعيدية واشرار الناس فحركوا الشرور بين الرعية وعسكر الفرنساويين بعد
ان كانوا اصحاباً واحباباً وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ونهب بعض البيوت
ولكن بلطف الله سكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند امير الجيوش بونا برته وارتفعت
هذه الباية لانه رجل كامل العقل ذو رحمة وشفقة على المسلمين ومحبة الى الفقراء
والمساكين ولولاه لكانت العساكر احرقت جميع المدينة ونهبت جميع الاموال وقتلت
كامل اهل مصر فعليكم ان لا تشيروا الفتن ولا تطيعوا المفسدين ولا تسمعوا كلام
المنافقين ولا تتبعوا الاشرار ولا تكونوا مع الخاسرين سفهاء العقول الذين لا يفكرون
بالعواقب لكي تحفظوا اوطانكم وتطمشوا على عيالكم واديانكم فان الله سبحانه وتعالى
يوتي ملكه من يشاء ويحكم من يريد . ونخبركم ان كل من تسبوا في اثارة هذه الفتنة
قتلوا عن آخرهم واراح الله منهم البلاد والعباد ونصيحتنا لكم ان لا تاتقوا ايديكم الى

التهلكة واشتغلوا بأسباب معاشكم وامور دينكم وادفعوا الخراج الذي عليكم والدين النصيحة والسلام » وهذا المنشور مضى من علماء مصر كافة طبعوه بالمطبعة التي انت بها الحملة كما تقدم

نصيحة العلماء

ثم شاع بين الاهالي امر الفرمان الذي ورد من جلالة السلطان فاضطربوا فاصدر المشايخ والعلماء منشوراً يريثون به الفرنسيين مما جاء بحقهم في ذلك الفرمان ونصه حرفياً :

« نصيحة من علماء الاسلام بمصر . نخبركم يا اهل المدائن والامصار من المؤمنين ويا سكان الارياف من العربان والفلاحين ان ابراهيم بك ومراد بك وبقية دولة المماليك ارسلا عدة من المكاتبات والمحاطبات الى سائر الاقاليم المصرية لاجل تحريك الفتنة بين المخلوقات وادعوا انها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان . وسبب ذلك انه حصل لهم الغم الشديد والكرب الزائد واغتazonا غيظاً شديداً من علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم وان يتركوا عيالهم واطنانهم فارادوا ان يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنسيين لاجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بنهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية . ولو كانوا في هذه الاوراق صادقين بانها من حضرة سلطان السلاطين لارسلها جهازاً مع اغوات معينين . ونخبركم ان الطائفة الفرنسية بالخصوص عن بقية الطوائف الافرنجية دائماً يحبون المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم وهم اصحاب لمولانا السلطان قائمون بنصرته واصدقاء ملازمون له لمودته وعشرته ومعونته يحبون من والاه ويبغضون من عاداه . ولذلك بين الفرنسيين والمسكوقاية العداوة الشديدة ومن اجل هذا يعاونون حضرة السلطان على اخذ بلاد الموسكو ان شاء الله ولا يبقون منهم بقية . فننضحكم يا اهالي الاقاليم المصرية ان لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العسكر الفرنسيين بشيء من انواع الاذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبليّة . ولا تسمعوا كلام الانفسدين ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصالحون ولا اقتصبجون على ما فعلتم نادمين وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لاكمال الملتزمين لتكونوا في اوطانكم سالين وعلى عيالكم واموالكم آمنين مطمئنين لان حضرة صاري عسكر الكبير امير الجيوش بونا برته اتفق معنا على انه لا ينزع احداً

في دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الاحكام ويرفع عن الرعية سائر المظالم ويقتصر على اخذ الخراج ويزيل ما احدثته الظلمة من المغارم فلا تعاقوا آمالككم ببراھيم ومراد وارجعوا الى مولاكم ملاك الممالك وخالق العباد . فقد قال نبيه ورسوله الاكرم الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها بين الامم عليه افضل الصلاة والسلام ختام »

ولصقوا نسخاً من هذين المنشورين في اسواق القاهرة وفرقوا منها في سائر بلاد القطر

اصلاحات الفرنساويين بمصر

واقام بونايرت على القاهرة الجنرال استنك عوضاً من ديبوي الذي تقدم انه قتل ثم عمد الى مداخل القطر المصري الاسكندرية ورشيد ودمياط فخصنها تحصيناً متيناً وجعل في القاهرة وضواحيها استحکامات تمنع ثورة الاهالي مرة اخرى . وانشأ في القاهرة مطاحن هواء ومطاحن ماء لاجل طحن الحنطة واقام في الروضة مستشفى (اسبيتالية) يسع خمسمائة مريض

واقام مطاحن ومستشفيات ايضاً في الاسكندرية ورشيد ودمياط وانشىء في القاهرة اذ ذاك مدرسة لتعليم اولاد الفرنساويين المولودين في مصر وجريدتان فرنساويتان الواحدة تدعى « دكاد اجبسيان » والاخرى « كوريه دييجيت » ومرسح للتشخيص ومعامل للاقفال والاسلحة والتجارة . ومعامل للدفاع وتوابعها وآلات الهندسة والورق والاقشة وسائر احتياجات البلاد . واستحدث فيها ايضاً اماكن للهو وحدائق للنزهة وانشأ مجمعاً علمياً مصرياً (انسيتي دييجيت) وبالنتيجة ان الجيش الفرنساوي لم يكن ينقصه من داعيات الراحة الا البريد

وكان بونايرت لا يغفل عن شيء يرى فيه راحة جيشه ورقاهية البلاد . فسكنت الاحوال مدة شهرين تمكن الفرنساويون في اثنائها من اجراء بعض الاصلاح في المدينة فردموا ما جاور بركة الازبكية والاماكن المجاورة لمسكن بونايرت فجعلوها رجة واسعة . وجددوا قنطرة المغربي وبنوا جسراً ممتداً من الازبكية الى بولاق حيث يتقسم الى فرعين يسير احدهما الى طريق ابي العلاء والاخر الى جهة التبانة وضفة النيل وجعلوا بجانب ذلك الجسر خندقين وغرسوا على جانبيه اشجاراً وسيببانا واحداثوا طريقاً آخر بين باب الحديد وباب العدوي عند المكان المعروف بالشيخ شعديب ومهوا جسراً آخر من هناك الى خارج الحسينية وازالوا ما يتخلل ذلك من

الابنية وهدموا الابنية التي بين باب الحديد والرحبة التي بظاهر جامع المقس ومهدوا الارض بينهما . فعلوا ذلك كله ولم يسخروا احداً بل كانوا يدفعون الاجور فوق الاستحقاق . وجعلوا جامع الظاهر خارج الحسينية على طريق العباسية قلعة ومنارته برجاً فصار يعرف بقلعة الظاهر



ش ٤٥ : جرجس الجوهري احد رؤساء القبط وكتابهم في زمن فرنساوية (١) وبنوا اماكن للارصاد الفلكية والرياضيات والنقش والرسم والتصوير . في حارة الناصرية حيث الدرب الجديد ورمموا ما فيه من بيوت الامراء واستخدموها لتلك الغاية وجعلوا بيت حسن كاشف جركس في تلك الخطة مكتبة للمطالعة يحضرها من يريد المطالعة منهم في اوقات معينة من النهار واذا دخلها احد الوطنيين رحبوا به واذا اراد التفرج اطعموه على ما اراد او المطالعة سلموه ما اراد من الكتب ولا سيما التي تدهش البسطاء بما فيها من الرسوم البديعة وفي جملتها رسم للنبي ورسوم اخرى للخلفاء الراشدين وغيرهم من الائمة والاماكن المهمة . وكان في مكتبتهم هذه كتب كثيرة

(١) نقلت هذه الصورة بالفوتوغراف عن رسم له بباريس لكنها أخذت من موقف منحرف فظهرت كما ترى

عربية . وافردوا للاشتغال بكل علم داراً ولا سيما الكيمياء فانهم خصصوا معملات كبيرة للتقطير والتصعيد واستحضار الخلاصات وسائر الاعمال العقارية وكانوا يجرون امام الاهالي بعض التجارب الكيميائية التي تدهش غير العارفين بنواميس الكيمياء وقد ذكر المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي بعض تلك التجارب واظهر دهشته منها . وافردوا ايضاً اما كن للتجارة والصناعة وطواحين هوائية واستخدموا العربات . وقرروا اطلاق مدفع كل يوم عند الزوال

منشور بونابرت عن تجديد الديوان

وفي ١٦ رجب سنة ١٢١٣ هـ (٢٥ ديسمبر (ك) سنة ١٧٩٨ م) امر بونابرت بترتيب الديوان على نظام جديد كما تقدم في الكلام عن هذا الديوان عند انشائه وكتب بذلك منشوراً ارسله الى الاعيان والصق منه نسخاً في الاسواق ونصه :

« من بونابرت امير الجيوش الفرنسية خطاباً الى جميع اهل مصر الخالص والعام . نعلمكم ان بعض الناس الضالّي العقول الخالين من المعرفة وادراك العواقب اوقعوا الفتنة سابقاً بين اهل مصر فاهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة والباري سبحانه وتعالى امرني بالشفقة والرحمة للعباد فامتثلت امره وصرت رحباً بكم شفوفاً عليكم . ولكن كان حصل عندي غيظ وغم شديد بسبب تحريك هذه الفتنة بينكم ولأجل ذلك ابطلت الديوان الذي كنت رتبته لنظام البلد واصلاح احوالكم من مدة شهرين والآن توجه خاطرنّا الى ترتيب الديوان كما كان لان حسن احوالكم ومعاملتكم في المدة المذكورة انسيانا ذنوب الاشرار واهل الفتنة التي وقعت سابقاً

« فيا ايها العلماء والاشراف اعلموا امتكم ومعاشر رعيتكم بان الذي يماذبني ويخاصمني انما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره فلا يجد مخلصاً ولا ملجأ ينجيّه مني في هذا العالم ولا ينجو من يد الله لمعارضته مقاديره سبحانه وتعالى . والعاقل يعرف ان ما فعلناه بتقدير الله تعالى وارادته وقضائه ومن يشك في ذلك فهو احمق واعمي البصيرة . واعلموا ايضاً امتكم ان الله قدر في الازل هلاك اعداء الاسلام وتكسير الصليبان على يدي . وقدّر في الازل ان اجيء من ارض المغرب الى ارض مصر لاهلاك الذين ظلموا فيها واجراء الامر الذي امرت به . ولا يشك العاقل ان هذا كله بتقدير الله وارادته وقضائه . واعلموا ايضاً امتكم ان القرآن العظيم صرح في آيات كثيرة بوقوع الذي حصل وأشار في آيات اخرى الى امور اخرى تقع في المستقبل وكلام الله في كتابه صدق وحتى لا يختلف ، واذا تقرر هذا وثبتت هذه

المقالات في آذانكم فلترجع امتكم جميعاً الى صفاء النية واخلاص الطوية فان منهم من يمتنع من اعني واظهار عداوتي خوفاً من سلاحي وشدة سطوتي . ولم يعلم ان الله مطاع على السرائر يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والذي يفعل ذلك يكون معارضاً لاحكام الله ومنافقاً وعليه اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب . واعلموا ايضاً اني قادر على اظهار ما في نفس كل منكم لانني اعرف احوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد نظري اليه وان كنت لا اتكلم ولا انطق باندي عنده ولكن يأتي وقت ويوم يظهر لكم عياناً ويتضح ان ما فعلته وحكمت به هو حكم الهي لا يرد . وان اجتهد باللسان بغاية جهده لا يمنعه من قضاء الله الذي قدره واجراه على يدي فطوبى للذين يسارعون في اتحادهم وهمتهم مع صفاء النية واخلاص السريرة والسلام »

ترعة السويس

وفي ذلك اليوم (١٦ رجب) برح بونابرت القاهرة في سرب من رجال معيته وبعض المهندسين قاصداً برزخ السويس لاستطلاع آثار الترعة التي حفرت قديماً بين البحر المتوسط والنيل فوصل السويس في ١٨ منه وفي ٢١ منه قطع البحر الاحمر الى آبار موسى فجعل يتأمل ويتذكر ما قيل عنها من المعجزات . وفي ذلك اليوم عاد بمن معه قاصداً السويس خوضاً في البحر مثل ما فعل موسى فاخطأوا الطريق حتى كادت المياه تغمر خيولهم وبعد المشقة وصلوا السويس في اوائل الليل وفي الصباح التالي اتهم بونابرت استكشافه وبرزخ السويس قاصداً القاهرة فمر بيليس فاستولى عليها وسار منها حتى اتى القاهرة في ٢٥ منه (في ٣ يناير سنة ١٧٩٩)

وفي يوم وصوله لاقاه الجنرال كلابر قادماً من الاسكندرية ومعه كتب وجرائد وارده من فرنسا وغيرها تنبئ بتغير الباب العالي على الجمهورية الفرنسية لافتتاحها مصر واستقلالها باحكامها . فاندفع بونابرت يطالع كتبه وجرائده ولتأملت الى الجنرال ديزه وحماته الى الصعيد بعد واقعة امبابه

حملة ديزه في الصعيد

لما عُدَّ الجيش الفرنسي الى البر الشرقي ودخل القاهرة بعد واقعة امبابه عزب بونابرت الى الجنرال ديزه ان يسير جنوباً لتعقب المماليك واخضاع الصعيد . فسار في ١٦ محرم سنة ١٢١٣ هـ حتى اتى بني سويف فلاقاه مراد بك برجاله وطال الحرب بينهما وكثر الاخذ والرد وانتهت الوقائع بتقهقر المماليك وامعائهم في داخلية الصعيد

وفي ١٣ جمادى الاخرى برح الجنرال ديزه بني سوبف فاني المتيسا في ١٨ منه وتربص هناك ينتظر الدوارع القادمة على النيل لنجدته فتأخر وصولها بسبب الريح المعاكسة لسيورها . ثم - ار من المتيا وما زال يتعقب مراد بك واتباعه حتى اتى اصوان في البر الغربي فمعسكر هناك . وكان كلهما مر باثر من الآثار المصرية القديمة حفر عليه اسمه واسماء المدن التي افترضها . وقد شاهدنا مثل هذه الكتابة على جانبي باب من ابواب هيكل الكرنك بجوار الاقصر

واستطاع ديزه اخبار العدو في اصوان فعلم انه معسكر فوق الشلال الاول بمسافة قصيرة فاحتل جزيرة فيلوي وحصن اصوان لدفع المهايك اذا قدموا اليها لانه لم ير فائدة من تتبعهم الى ما وراء ذلك وقد حفر على صخر فوق الشلال جميع فتوحه على مثل ما تقدم . وهناك آخر ما وصله الفرنسيون في حملة بونايرت . ولم يكذب ديزه تحصين اصوان حتى سمع باحتلال الفي بك جهات طيبة فعاد اليه وحاربه وهزمه . فاذعنت الصعيد وهدأت احوالها

حملة بونايرت على سوريا

اما بونايرت فانه علم من مطاعة تلك الجرائد ومن قرائن اخرى ان الدولة العلية تسعى في استرجاع مصر من الفرنسيين وقد بعثت بمشورات رسمية الى سائر بلادها طعناً بالجمهورية الفرنسية وامرت احمد باشا الجزائر والي عكا ان يبعث جيشاً لاحتلال العريش ففعل . فبعث اليه بونايرت ان يخلي تلك المدينة لانها من حدود مصر فلم يطمعه فامر باعداد حملة يسير بها ليس للمدافعة عن مصر فقط بل لافتحاح سوريا ايضاً . فاعد حملة من اثني عشر ألفاً بينها ألف ومائتان من الطبجية وسارقاصداً سوريا بعد ان عهد بقيادة القاهرة الى الجنرال دوغا وقيادة الصعيد الى الجنرال ديزه وقيادة الاسكندرية الى الجنرال مرون وامر بتحصين دمياط . وجعل في تلك الحملة بعض مشايخ القاهرة ليستعين بنفوذهم الديني . وفي ٢١ شعبان اصدر منشوراً مطبوعاً فرقه في الناس وهاك نصه بالحرف الواحد :

د الحمد لله وحده . هذا خطاب الى جميع اهل مصر من خاص وعام من محفل الديوان الخصوصي من عقلاء الانام وعلماء الاسلام والوجاقات والتجار الفقهاء د نعلمكم معاشر اهل مصر ان حضرة صاري عسكر الكبير بونايرت امير الجيوش الفرنسية صفح الصفح الكامل عن كل الناس والرعية بسبب ما حصل من اراذل

الناس اهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية وعفا عفواً شاملاً واعاد الديوان الخصوصي في بيت قائد آغا بالازبكية ورتبه مع اربعة عشر شخصاً اصحاب معرفة واتقان انتخبوا بالقرعة من ٦٠ رجلاً حصل انتخابهم بموجب فرمان وذلك لاجل قضاء مصالح الرعايا وحصول الراحة لاهل مصر من خاص وعام وتنظيمها على اكمل نظام واحكام . كل ذلك من كمال عقله وحسن تديره ومزيد حبه لمصر وشفقته على سكانها من صغير القوم حتى كبيرهم . ورتبهم بالنزل المذكور كل يوم لاجل خلاص المظلوم من الظالم وقد اقتص من عسكره الذين اساؤا بمنزل الشيخ محمد الجوهري وقتل منهم اثنين في قره ميدان وانزل طائفة منهم عن مقامهم العالي الى ادنى مقام لان الخيانة ليست من عادة الفرنساويين خصوصاً مع النساء الارامل فان ذلك قبيح عندهم لا يفعله الا كل خسيس . وقبض بالقلعة على رجل نصراني مكاس لانه بلغه انه زاد المظالم في الجمر ك بمصر القديمة على الناس . ففعل ذلك بحسن تديره ليتنع غيره من المظالم ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ودأباً يفكر في فتح الخليج الموصل من بحر النيل الى بحر السويس لتخف اجرة الحمل من مصر الى قطر الحجاز وتحفظ البضائع من الاصوص وقطاع الطرق وتكثر عليهم اسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق . فاشتغلوا في امر دينكم واسباب دينكم واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم وعليكم بالرضى بقضاء الله وحسن الاستقامة لاجل خلاصكم من اسباب العطب والوقوع في الندامة رزقنا الله واياكم التوفيق والتسليم . ومن كان له حاجة فليأت الديوان بقلب سليم الا من كان له دعوى شرعية فيتوجه الى قاضي العسكر المتولي بمصر الحامية بخط السكرية والسلام على افضل الرسل الى الابدوام .»

فتح العريش وغزة

وفي ٢٥ شعبان (اول فبراير) شباط سنة ١٨٩٩ م) سار الجنرال كلاير والجنرال رينر في مقدمة الحملة نحو العريش وفي ٥ رمضان او ١٠ فبراير (شباط) سافر بونايرت بمن بقي منها . وكان على العريش قاسم بك من قبل الجزائر وقد عسكر خارج المدينة . ففي صباح ٨ منه كانت مقدمة الفرنساويين على مقربة من معسكر قاسم وفي المساء هاجموا بغتة فقتلوه وشتتوا جيشه واستولوا على الذخائر والمهمات وساروا نحو المدينة . اما بونايرت فوصل الصالحية في ٧ منه وفي ١١ منه وصل المسعودية فطلعت ريح شديدة نسفت عليه وعلى رجاله الرمال احمالا وكانت المياه قليلة فعضشت

العساكر عطشاً عظيماً فمسكر هناك وبعث الخبراء يستطلعون خطوات كلاير وجهة مسيره فعادوا واخبروه فنهض وما زال حتى اتى العريش في ١٢ رمضان فرأى كلاير قد حاصرها وامتنع عليه فتحها لقلة الطليعية وفاد المؤن . فلما وصل بونابرت ارسل الى حامية العريش كتاباً يطلب اليهم التسليم ويهددهم فسلموا بعد بضعة ايام فدخل الفرنسيون العريش وامنوا اهلها على حياتهم وقبضوا على خمسة كشاف كانوا هناك من قبل المايك وارسلوهم الى القاهرة تحت الحجز ثم جعلوا في العريش حامية وساروا الى غزة فاستولوا عليها بغير قتال وجعلوا فيها حامية وديوانا وطنياً لتنظيم الاحوال

فتح يافا وقتل حاميتها

وفي ٢٣ رمضان سنة ١٢١٣ هـ (٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٧٩٩ م) ساروا الى يافا فلما وصلوها امر بونابرت الجنرال كلاير ان يتقدم في فرقته الى عكا ففعل . وكانت حامية يافا اخلاطاً من الاتراك والمغاربة والارناوط والاكراد قام بر بونابرت محاصرتها فامر بالهجوم عليها في ٢٧ منه ٤ مارس (اذار) فهجم الفرنسيون عليها وما زالوا حتى خرقوا الاسوار ودخلوها ففرت الحامية فتبعوها وقد تحصنت في بعض الخنادق الكبيرة فالحوا عليها فقال الارناوط ومنهم تألف معظم الحامية « نحن نسلم لكم انفسنا اذا امنقونا على حياتنا » وكان على قيادة المهاجمين من الفرنسيين احد اركان حرب بونابرت فوعدهم بالامان فسلموا فقادهم موثقين وعددهم نحو اربعة الاف حتى اتى بهم المعسكر الفرنسي فلما رأى بونابرت قال للقادهم اليه « ما هذه الجاهير » قال « هي حامية هذه المدينة قد سلمت وجئت بها اليك » قال « ماذا تريدون ان افعل بهذا العدد اعندكم زاد يكفيهم او مراكب تنقلهم الى مصر او فرنسا واذا ارسلناهم في البر فمن يتولى خفارتهم ؟ » فاجابه قائلاً « اننا قد قبلنا تسليمهم حجباً للدماء » فقال بونابرت « نعم يجب ان تفعلوا ذلك ولكن مع الاطفال والنساء والشيوخ وليس مع مثل هذا القدر من الرجال الاشداء المجندين » ثم امرهم بالجلوس مكتوفي الايدي امام المعسكر . وفي اليوم التالي فرقوا فيهم شيئاً من البقساط الجاف والماء ثم عقد بونابرت مجلساً في خيمته للمفاوضة في ماذا يجب ان يفعل بهؤلاء الاسرى وبعد الاجتماع عدة جلسات لم يقرروا على شيء فانزعج بونابرت لكثرة التردد في الامر وبعد التفكير والتأمل رأى انه لا يستطيع استبقائهم معه لعدم وجود ما يكفيهم من الزاد ولا ارسالهم الى مصر لعدم استغنائه عن رجال يسرون خفارتهم ولا اطلاق سبيلهم لئلا يرتدوا عليه فاقر على اعدامهم . وفي ٤ شوال (١٠ مارس) سنة

(٩٩) بعد الظهيرة قادوهم موقنين الى صحراء رملية خارج يافا ثم جعلوهم فرقا ساقوا كلا منها الى ناحية وقتلوا الجميع بالرصاص قتلاً ما أنزل الله به من سلطان . فلما بلغت هذه الفعلة مسامع الجزار ورجاله في عكا اصروا على الدفاع الى آخر نسمة من حياتهم لئلا يسيدهم اذا سلموا ما اصاب اولئك

منشور بونايرت بفتح يافا

ولما استلم بونايرت يافا امر بترميم حصونها وبعث الى الاسكندرية بأمر العمارة الباقية هناك ان توافيه الى يافا . ثم فشا الطاعون في يافا وضواحيها لفساد الهواء من الجثث التي ملأت تلك الجهات . وكتب بونايرت الى جنديت المقدس يطلب اليهم التسليم فاجابوا انهم تابعون لولاية عكا وحالما تسلم عكا يسلمون . ثم كتب الى القاهرة منشوراً باستيلائه على يافا وكان قد ارسل مثل هذا المنشور عند ما استولى على العريش وغزة ولندكر هنا منشوره من يافا فقط على سبيل النموذج وفيه تفصيل ما تقدم عن فتح يافا وهاك نصه بالحرف الواحد :

» بسم الله الرحمن الرحيم سبحانه مالك الملك يفعل في ملكه ما يريد . هذه صورة تملك الله سبحانه وتعالى جمهور فرنساويين لبندر يافا من الاقطار الشامية . نعرف اهل مصر واقابلهم ان العساكر الفرنسية انتقلوا من غزة ثالث وعشرين شهر رمضان ووصلوا الرملة في ٢٥ منه في امن واطمئنان وشاهدوا عسكر احمد باشا الجزار هارين بسرعة قائلين الفرار الفرار ووجدوا في الرملة ومدينة اللد مقداراً كبيراً من مخازن البقسماط والشعير ووجدوا ايضاً ١٥٠٠ قرية مجهزة جهازها الجزار ليسير بها الى اقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين ومراده التوجه اليها مع العربان الاشرار من سفح الجبل ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل . وما كان قصده سوى سفك الدماء مثل عادته في اهل الشام وناهيك ما هو مشهور عنه من التجبر والظلم والجور فانه تربية الممالك الظلمة المصريين وفاته ان الامر لله وكل شيء بقضائه وتدبيره

» وفي السادس والعشرين حلت طلائع الفرنسيين لبندر يافا من الاراضي الشامية واحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية وارسلوا الى حاكمها وكيل الجزار ان يستلمهم القلعة قبل ان يحل بهم وبمسكرهم الدمار لكنه تخشونة عقله وفساد رايه وسوء تدبيره لم يرد . وفي ذلك اليوم اي ٢٦ من شهر رمضان تكامل العسكر الفرنسي على محاصرة يافا وانقسم ثلاث فرق توجهت فرقة منهم على طريق عكا على مسافة اربع ساعات من يافا وفي ٢٧ امر حضرة صاري عسكر الكبير بحفر

خنادق حول السور لعمل متاريس متينة واستحكامات حصينة اذ عرف ان سور يافا ملآن بالمدافع الكثيرة مشحون بعساكر الجزار الوفيرة

« وفي ٢٩ ناهز حفر الخنادق النهاية وصار على مسافة ١٥٠ خطوة في السور قاصر صاري عسكر ان تنصب المدافع على المتاريس وان توضع اهوان القنابر باحكام وامر بنصب مدافع اخرى بجانب البحر اذ انزع الصلة بين عسكر البر والمراكب التي اعدتها عسكر الجزار في امينا للهرب والفرار . ولا رأى عسكر الجزار المحاصرون في القلعة ان عديد الفرنساويين قابل غرهم الطمع فخرجوا اليهم من القلعة مسرعين ظناً منهم انهم يغلبون على الفرنساويين فهجم عليهم الفرنسيين وقتلوا منهم كثيرين واجبروهم على الدخول الى القلعة ثانية

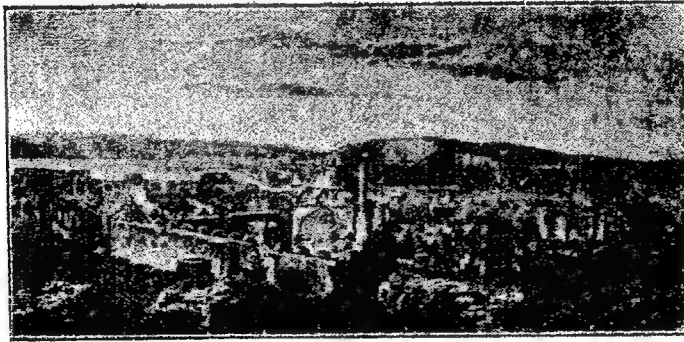
« وفي يوم الخميس غاية شهر رمضان اشفق حضرة صاري عسكر وخاف على اهل يافا اذا دخلت عساكره بالقهر والقوة فارسل اليهم مع رسول خطاباً هذا مضمونه : « لا اله الا الله وحده ولا شريك له . باسم الله الرحمن الرحيم . من حضرة صاري عسكر برتبة كمتخدا العسكر الفرنساوي الى حضرة حاكم يافا . نخبركم ان حضرة صاري عسكر الكبير بونابرت امرنا ان نعرفكم في هذا الكتاب ان سبب مجيئه الى هذا الطرف هو اخراج عسكر الجزار فقط من هذا البلد لانه تعدى بارسال عسكره الى العريش واربطته فيها والحال انها اقليم مصر التي انعم الله بها علينا فلا تجوز له الاقامة بالعريش لانها ليست من ارضه فقد تعدى على ملك غيره . ونعرفكم يا اهل يافا اننا نحصر نابندر كم من جميع اطرافه وجهاته وضيقنا عليه بالآلات الحرب والحصار والمدافع الكثيرة والكلل والقنابر وفي برهة ساعتين بخرب سوركم وتبطل آلات حربكم . ونخبركم ان حضرة صاري عسكر لمزيد رحمة وحنوه خاف عليكم من سطوة عساكره المخاربين فانهم اذا دخلوا عليكم بالقوة والقهر اهلكوكم جميعاً ولذلك امرنا ان نرسل اليكم هذا الخطاب تأمينا لاهل البلد ولاسيما الضعفاء والفقراء والغرباء وان تؤخر ضرب المدافع واطلاق القنابر ساعة واحدة واتي لكم ان الناهجين وهذا آخر خطاب بيتنا . ففعلوا جوابنا بحسب الرسول مخالفين بذلك الشريعة المطهرة الحمدية والقوانين الحربية . ففزع صاري عسكر من الغيظ وهاج واشتد غضبه وامر باطلاق المدافع والقنابر . ولم يمض الا اليسير حتى خرست مدافع يافا وانقلب عسكر الجزار في وباله وخساراته وعند الظهر انخرق سور يافا وارتج له القوم ونقب من الجهة التي ضربت منها المدافع ولا مرد لقضاء الله ولا مدافع . وفي الحال امر حضرة صاري عسكر بالهجوم وفي اقل من ساعة ملكت

العساكر الفرنسية جميع البندر والابراج ودار السيف في المحارين وحمي الوطيس وكثر القتل

« وفي يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة صاري عسكر الكبير ورق قلبه لا سيما على من كان في يافا من اهل مصر فاعطاهم الامان وامرهم بالعود الى الاوطان . وكذلك امر اهل دمشق وحلب بالرجوع الى بلادهم ليعرفوا مقدار رحمة ومزيد رافته . وقتل في هذه الوقعة اكثر من ٤٠٠٠ من عسكر الجزائر بالسيف . اما الفرنسيون فلم يقتل منهم الا القليل وسبب ذلك ان سلوكهم الى القلعة كان في طريفة امينة خافية عن العيون واخذوا ذخائر كثيرة واموالاً غزيرة واستولوا على المراكب التي في المينا ووجدوا في القلعة نيفاً وثمانين مدفعاً وقد فاتت الجزائر وعساكره ان آلات الحرب لا تدفع مقادير الله . فاستقيموا عباداه وارضوا بقضاء الله ولا تعترضوا على احكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا ان الملك لله يؤتية من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله »

حصار عكا

ثم سار بونايرت برجاله قاصداً عكا تاركاً في يافا حامية كافية فقابله في الطريق بعض العصاة من المماليك فحصلت بينهما مناوشات شفت عن فرار المماليك فواصل السير حتى اتى سفح الكرمل واذا بعكا قد تحصنت تحصناً منيعاً بهمة واليها احمد باشا الجزائر وهو الرجل الوحيد الذي كان يعتمد عليه الباب العالي في حماية سوريا



ش ٤٦ : مدينة عكا

فعبروا النهر وعسكروا في البر الآخر . وفي ٢ شوال صعد بونابرت الى رابية وجعل يتأمل حصون عكا بالنظارة المذكورة ثم امر ان يسير بعض العساكر الى المدينة وكانت في مياها عمارة انكليزية بقيادة السير سدني سميث قد زادت الجزار تمسكاً بالدفاع . ففي اليوم التالي استطلعوا الحصون واستكشفوا قوات العدو . وفي ٤ شوال او ٢٠ مارس (اذار) بدأوا بالحاربة وكانت الدوارع الانكليزية تساعد الجزار من البحر وقد اظهر هذا الرجل بسالة عظيمة لكنه اضطر اخيراً الى استبعاد قوات صيدا ودمشق وحلب

اما بونابرت فابقى الحصار على عكا وحول شكيمة فتوحاته نحو جهات اخرى من سوريا فارسل فرقة استولت على صفد وصور وطبريا واماكن اخرى واتوا منها يتوّن كثيرة . وبعد يسير وصلت الدوارع الفرنسية من الاسكندرية ومعها المدافع والمؤن . وفي ٤ ذي القعدة سنة ١٢١٣ هـ (٩ افريل (نيسان) سنة ١٧٩٩ م) قتل الجنرال كافارلي

وفي ٩ ذي الحجة ٩ مايو (ايار) وهو اليوم الخمسون لحصار عكا اقرّ بونابرت على المهجوم النهائي فهجموا عليها هجمة اليأس بقلوب لا تهاب الموت ولم تكن عكا لتقف في طريقهم لولا العمارة الانكليزية وهي التي اخرت الفتح بدفاعها عنها بالبر والبحر ثم جاءتهم نجدة من الاساتنة تحت قيادة حسين بك فازداد المدافعون قوة ومضى ذلك اليوم ولم ينل الفرنسيون شيئاً . وفي اليوم التالي هجموا هجمة اخرى لم ينالوا منها الا التقهقر لانهم لا قوا مقاومة عنيفة قتل فيها الجنرال بون فيش بونابرت لحبوط مساعيه وفشل حملته السورية على انه كان يتعزى بما سبق استيلاؤه عليه من المدن والقرى السورية الا ان تلك الاماكن حالما سمعت بما لم يحشيه من الفشل انحازت الى الباب العالي هرباً من العقاب . وزد على ذلك ان السير سدني سميث كتب منشورات وزعها على المشائخ والامراء في لبنان يدعوهم الى الاتحاد مع الباب العالي وارسل الى سراة المسيحيين ايضاً صورة منشور بونابرت الذي يقول فيه انه هذه اركان الديانة المسيحية فامتنع اللبنانيون عن توريد الحمر والبارود للفرنساويون فاصبح بونابرت في حالة اليأس الشديد لا يدري ماذا يصنع وقد خابت آماله . فكثب الى دهبان مصر انه قد هدم اسوار عكا واخرب بيوتها بالقنابل وجرح واليها الجزار وانه سيرحها بعد ثلاثة ايام عائداً الى مصر ومتى جاءها يقتص من الباغيين . ثم استقدم حاميات صفد وطبرية وغيرها

رجوع حملة بونايرت الى مصر

وفي ٢١ ذي الحجة أو ٢٣ مايو (ايار) امر بونايرت بالمسير الى مصر بكل رجاله وفيهم الجرحى فقاموا عذاباً مرّاً من العطش وفشا فيهم الوباء فزادهم غناء فامر بونايرت ان يسير الرجال الاصحاء على اقدامهم وان تعطى الخيول والجمال للعرضى والجرحى. وزادهم شقاء ان العمارة الانكليزية كانت تعقبهم في البحر والعربان يتعرضون لهم في البر والجنود العثمانية تسوقهم من وراءهم. اما هم فكانوا يخربون كل ما يمرون به من المدن والقرى. وفي ٦ ذي الحجة أو ٢ يونيو (حزيران) وصلوا العريش فامر بونايرت بتحسينها تحصيناً منيعاً واشتد عليهم القيظ وكان في الماء الذي يشربونه علق يمتص الدم فكان يعلق بحلقهم عند الشرب فيعذبهم عذاباً اليماً

ثم واصلوا المسير الى القاهرة رغم الحرو والوباء حتى وصلوها فخرج المشايخ والاعيان الى خارج المدينة لاستقبالهم فدخلوها ولم يصدقوا انهم تخلصوا من حملة سوريا ومما مروا به من الصحاري الحارة. فاخذ بونايرت في تنظيم العساكر وتطبيب الجرحى واعادة النظام واكتساب ثقة الاهلين ولم يكذب يفعل حتى بلغه تقدم المماليك من جهة الصعيد. وسبب ذلك ان مراد بك كان في اعلى الصعيد فبلغه قدوم حملة عثمانية لاجراج الفرنساويين من مصر فجمع اليه رجاله وسار ببعضهم على الضفة الغربية لل النيل وارسل البعض الآخر على الضفة الشرقية للاتحاد مع ابراهيم بك القادم من جهة سوريا فعلم بونايرت بذلك فانفذ جنداً على كل من الضفتين لمحاربة الفرقتين فالتقى جند الضفة الشرقية بفرقة ابراهيم بك وراء المقطم فشتتها واخذ امتعتها والتقى جند الضفة الغربية وفيه بونايرت بمراد بك في الجزيرة فانتشبت الحرب فانكسر المماليك وتشتت شملهم فعادت الجنود الفرنسية ظافرة

حملة عثمانية لاجراج الفرنسيين من مصر

وفي ٦ محرم سنة ١٢١٤ هـ أو ١٥ يوليو (تموز) سنة ١٧٩٩ م وردت لبونايرت رسالة من الجنرال مرمون في الاسكندرية تنبئه بمجيء الحملة العثمانية ونزولها ابي قير في ١١ الجاري فانزعج بونايرت من هذا الخبر فامر باعداد حملة تسير الى الاسكندرية وبعث الى الحصون في رشيد ودمياط ان تكون على يقظة واستعداد

وسبب قدوم الحملة العثمانية ان الباب العالي بعث الى الفرنسيين مراراً بقمي الحجة على استقلالهم باحكام مصر ويطلب اليهم الانسحاب منها ولم يكن الجواب الا الماطلة وكانت انكثرت في الوقت عينه تستحث الباب العالي على هذه المطالبات واخيراً انفق معه ان يرسل كل منهما عمارة الى ابي قير حيث تتحد العمارتان وتخرجان

الفرنساويين من مصر بالقوة . فسارت الحملة العثمانية تحت اميرالية باترونا بك وعليها ثمانية آلاف من الجنود البرية بقيادة مصطفى باشا سرعسكر ومعهم حسن بك ورجاله وسارت الحملة الانكليزية باميرالية السير سديني سميث المتقدم ذكره والتقت الحملتان في ابي قير واتحدتا فاسرع الجنرال مرمون الى اعلام بونايرت

فبحر بونايرت القاهرة برًا ثاني يوم وصول الرسالة صباحاً فسار من الجيزة الى الرحانية ومن هناك كتب الى القاهرة كتاباً يضرب به على وتر الدين حيث يقول « ان بين الذين قدموا للمحاربة رجالاً روسيين لا يؤمنون بالله واحد وانما يعبدون آلهة ثلاثة » ثم برح الرحانية فوصل الاسكندرية في ٢٤ محرم او ٢٣ يوليو (تموز) فلاقاه مرمون فعتفه لغفلته عن حصن ابي قير حتى احتله العثمانيون وفي اليوم التالي استكشف استحکامات العدو ثم سار برجاله نحو ابي قير فاذا بالجنود العثمانية تحت قيادة مصطفى باشا على مسافة ميل ونصف وراء ابي قير ومنهم نحو الف رجل في حصن على رابية من الرمال في اليمين بجوار الشاطئ وجماعة آخرون في اليسار في حصن على رابية اخرى وهاتان الرابتان بمثابة جناحي الجيش

فهاجم بونايرت اولاً الرابية اليمينية ففرّ من كان فيها الى قرية وراء قلب الجيش فارسل كوكبة من الفرسان للاقاة الفارين وفعل مثل ذلك بالرابية اليسرى ثم هجم على قلب الجيش فتقهقرت الجنود العثمانية الى طاية كانوا قد جعلوها وراءهم فنشجع الفرنسيون وتعقبوا الهاربين لكنهم لم يسروا يسيراً حتى سمعوا دوي المدافع الانكليزية ووزيز قنابلها فارتدوا الى الوراء . فارتد العثمانيون عليهم وتعقبوهم حتى كادوا يظفرون بهم لكنهم شغلوا بتقطيع رؤوس القتلى فاغتم احد قواد الفرنسيين فرصة تغافلهم وسار في فرقته عن اليسار قاصداً الطاية الخلفية وسار قائداً آخر من اليمين فدخلا الطاية وقطعا على العثمانيين خط الرجوع واسرع احدهما « الجنرال مورات » بنفسه للقبض على مصطفى باشا في خيمته فاطلق عليه الباشا عياراً نارياً فلم يعبأ به وهجم عليه بسيفه فقطع اصبعيه وامر اثنين من رجاله فاوثقاه وارسلاه الى معسكر الفرنسيين . واخذت العساكر الفرنسية بالنهب فلم يغادروا في معسكر العثمانيين شيئاً من الاؤن والذخائر وفرّ من بقي من العثمانيين الى البحر في قوارب ارسلها لهم السير سديني الابعض الحامية في حصن أقاموه هناك فهجم عليه الفرنسيون وبعد دفاع سبعة ايام هدموه واسروا من كان فيه فشاغ خبر انتصار الفرنسيين في القطر المصري فعظموا في عيون الاهلين

عود بونابرت الى فرنسا

ثم ورد لبونابرت من فرنسا رسائل منبئة باضطرابهم هناك وبثقل اليد عليهم وفيه الحاح كلي عليه ان يسير حالاً الى فرنسا بعد ان يجعل في مصر حامية منتظمة فكتم الامر ولم يكشف به احداً الا الاميرال غانتوم لانه لم يرَ بداً من مكشفته لكي يمد له دارعتين ثقلاونه ومعينه الى فرنسا ، ولكي لا يجعل المصريين شبهة بمقاصده عاد الى القاهرة بما يلزم من احتفال النصر فوصاها في ١٣ صفر فخرج الاعيان الملاقاة بالموسيقى

وبعد قليل نزل الى الاسكندرية مظهرآ التجول في الوجه البحري فلما وصل الاسكندرية كتب الى الجنرال كلاير وكان على مديرية الغربية يوليه القيادة العامة على مصر ويبين له وجوب المحافظة على الاحتلال لئلا تأتي دولة اخرى تحتل هذا القطر بعد ان بذلوا فيه ما بذلوه من المال والرجال ووعدوه بتجدة يبعث بها اليه حال وصوله الى فرنسا واخبره اخيراً عن الداعي الذي حمله على هذه السرعة . وكتب كتاباً آخر الى عساكره يشجعهم على الثبات والصبر وكتاباً الى علماء مصر ومشائخها يطلب اليهم ان يعتبروا الجنرال كلاير مكانه جاعلاً السبب في سفره انه ذاهب لقهر من بقي من اعدائه في اوروبا لانه ان لم يفعل ذلك لا يطمئن باله على مصر ويعدهم انه لا يغيب عنهم أكثر من ثلاثة اشهر وارسل هذه الكتب معاً الى كلاير واوصاه ان يطلع اصحابها عليها في الوقت المناسب

ثم بعث يستقدم الجنرال مينو اليه فجاءه حالاً وهو على اهبة السفر في ٢٥ صفر او ٢٢ أغسطس (آب) فعهد اليه قيادة الاسكندرية ورشيد والبحيرة وسلمه كتب كلاير واوصاه ان يوصلها اليه حالاً . ثم ركب جواده وسار مساء بمن معه الى جهة مرابوت او العجمي وكان الاميرال غانتوم ودارعتاه بانتظاره هناك وفي الساعة العاشرة من تلك الليلة نزل بمن معه الى البحر . وفي صباح اليوم التالي ودعوا سواحل الدلتا واقلعوا قاصدين فرنسا

اما اهل الاسكندرية ولا سيما الخفر خارج المدينة فانهم شاهدوا في ذلك الصباح غباراً عجاجاً بجهة حصن العجمي تخافوا ان تكون كتيبة من العربان قادمة على المدينة ثم تبين لهم انها خيول مسرجة ولا راكب عليها فسالوا لمن هذه الخيول فقيل لهم انها الخيول التي نقلت بونابرت ومعينه الى البحر وقد سافر الى فرنسا فاندعر

القوم لتلك الاخبار وكادوا لا يصدقونها حتى بلغهم مينو رسمياً ما عهد اليه بونابرت قبل ذهابه

ثم ارسل مينو الاوامر والكتب التي بيده الى كلاير فوصاته وهو في رشيد قادماً لمقابلة بونابرت . فذهب الى القاهرة وبلغ المشايخ والعلماء ما امره به بونابرت وتلا عليهم كتابه اليهم وهؤلاء بلغوا الاهلين وهكذا ذاع خبر بونابرت في سائر القطر . وكان كلاير بالحقيقة اولى من سائر قواد تلك الحملة بذلك المنصب لانه كان افضلهم حزمًا وعقلًا وهيبة وانفة وبسالة



ش ٤٧ : الجنرال كلاير

فقد ظهر لك مما تقدم ان الحملة الفرنسية لم يكن القصد منها غير الاحتلال الدائم - ذلك كان قصد بونابرت اما كلاير فلم يكن ذلك رايه وانما كان ينظر الى مصر نظره الى بلاد لا تصلح لسكنى الفرنسيين لما بينها وبين بلادهم من اختلاف الهواء والعادات والاخلاق فضلاً عن انه لم يكن يرى امكان استمرار الحال على ما تركها بونابرت ولتلك بادر عند استلامه ازمة القيادة الى اطلاق فرنسا على حالة مصر عند خروج بونابرت فكتب اليها يقول :

راي كلابر بمصر

« قد سافر بونا برت الى فرنسا في الفروكتيدور السادس بدون ان يعلن احداً لكنه ارسل الي كتاباً وآخر للصدر الاعظم ارسله الى الاستانة مع علمه انه وصل الى دمشق . اما اعداؤنا الان فليسوا الممالك فقط وانما هم ثلاث دول عظمى : الباب العالي و انكلترا وروسيا . اما جنودنا فقد اصبحوا نصف ما كانوا يوم قدومهم الى مصر مبعثرين في أنحاء القطر من العريش والاسكندرية الى اصوان . اما معداتهم فقير كافية لهم لان معامل الاسلحة والبارود معطلة . ومثل ذلك الالبسة فقد اصبحت رجالنا لاحتاجهم الى الالبسة معرضين لآوثة البلاد . وزد على ذلك اننا خسرنا ١٢ مليوناً من الفرنكات بسبب تضمين الضرائب غير الاعتيادية بامبرونا برت . نعم ان الممالك تشتتوا لكنهم لم يبيدوا . هذا مراد بك ما انفك في مصر العليا في كثرة من الرجال يمكنه بهم ان يشغل قسماً من جنودنا لمدة طويلة . وهذا الصدر الاعظم جاء بحملة عثمانية بناهضتنا وقد سار من دمشق الى عكا . اما حصوننا واستحكاماتنا فلا تزيدنا قوة — ان حصن العريش لا يدفع مهاجماً والاسكندرية اشبه بمعسكر محاط بزرية . فافضل ما يمكنني اجراؤه والحالة هذه مخبرة الباب العالي لعنا فصل الى وفاق فيه خير لنا . وقد علمت الان ان عمارة عثمانية رست امام دمياط »

حلة اخرى لاجراج الفرنسيين

الا ان كلابر مع ذلك لم يتقاعد عن تنظيم الاحوال واكتساب ثقة الاهلين وجمع العوائد والمكوس لدفع مرتبات الجند على حين انه لم يكن بمن يريدون احتلال مصر او استعمارها بل كان يفضل الانسحاب منها على شروط لا يكون فيها عاراً على دولته ولكن الاحوال لم تله ما نواه لان الدولة العلية عادت الى استخراج هذا القطر السعيد من ايدي الفرنسيين بالقوة فارسلت الصدر الاعظم يوسف باشا بنفسه الى دمشق يجند جنداً عظيماً يسير به عن طريق البر الى القاهرة وجنداً اخر يـير بحراً في عمارة السير سدي سميت باتفاق مع انكلترا لمطاوله الفرنسيين من جهة البحر ليسهل على حملة البر المسير في داخلية القطر . . فسار جند البحر الى دمياط ونزل في قلعة قديمة شرقي البوغاز فاخرجتهم منها الجنود الفرنسية

اما الصدر الاعظم يوسف باشا فقدم يافا بحملته ثم جعل يتخابر مع كلابر في وفاق ينهون اليه فانهت المخاربة بمؤتمر عقد في العريش مؤلف من الصدر الاعظم من العثمانيين والجنرال ديزه والمسيو بوسيلك من الفرنسيين اقر على معاهدة صالح

امضيت في ١٢ جادى الاخرة سنة ١٢١٤ هـ او ٣ دسمبر (ك ١) سنة ١٧٩٩ م
غير ان هذه المعاهدة لم يطل بقاؤها لان العثمانيين خرقوها بمهاجمتهم العريش في ٢
رجب او ٢٣ دسمبر (ك ١) وهي تحت قيادة الكولونيل كزال وكان من البسالة على
جانب عظيم فاحب الاهلون التسليم فابى واصراً على الدفوع الى اخر نسمة من حياته
ولم تكن العريش من المناعة على شيء فدخلها العثمانيون واستولوا عليها فاتصل ذلك
بالجزال كلابر فاغتاز جداً وكتب الى السير سدي يعنفه مع علمه ببراءته

معاهدة الصلح

فعادت المحابر وعقد مؤتمر ثان في ٤ شعبان سنة ١٢١٤ او ٢٤ يناير (ك ٢)
سنة ١٨٠٠ م في العريش مؤلف من ديزه وبوسيلك من الفرنسيين واثنين من
العثمانيين واقروا على معاهدة عرفت بمعاهدة العريش مقتضاها انسحاب الفرنسيين بمؤتمهم
وذخائرهم عن طريق رشيد والاسكندرية وابي قير الى فرنسا انسحاباً قانونياً بكل ما لديهم
فسر كلابر لتلك المعاهدة لاعتقاده ان انسحابه على هذه الصورة لا يمس شرف
دولته . ولما شاع خبر تلك المعاهدة بمصر فرح الاهلون عموماً وكذلك الجنود
الفرنساوية لانهم لم يكونوا راضين بانقام في بلاد تخالف بلادهم اقليمياً واخلاقاً ومعيشة
فضلاً عما كانوا يقاسونه من عصيان الاهلين وسفك الدماء . فغضب كلابر على البلاد
ضريبة غير اعتيادية مقدارها ثلاثة الاف كيس لنفقات الجيش في نقل المهمات وصدرت
الوامر بالتأهب للرحيل . فباع الفرنسيون كل ما يصعب حمله من متاعهم وبعث
كلابرا الى الجنود المتفرقة في جهات الصعيد بالقدم الى مصر . واطمان المماليك
الذين كانوا قد فروا من وجه الفرنسيين فعادوا الى القاهرة بنسائهم واولادهم . ثم
نهض الصدر الاعظم بجيشه نحو القاهرة حتى اذا اتى بليس سار علماء مصر ومشائخها
باذن من كلابر للملاقاة وتقديم واجب العبودية لجلالة السلطان فسر الصدر الاعظم
هم وخلق عليهم

نقض المعاهدة

وبينا الحال كذلك ورد للجزال كلابر كتاب من السير سدي مآله نقض معاهدة
العريش وتعريبه ملخصاً :

« سيدي . اعلم حضرتم اني قد تشرفت باوامر شاهانية تتمتع عقد اية معاهدة
مع الجيوش الفرنسية التي هي تحت قيادتكم في مصر وسوريا الا اذا سلموا انفسهم
وسلاحهم كما يفعل اسراء الحرب مع التخلي عن كل المراكب والمؤن التي لهم في
الاسكندرية »

على ان للسير سدني نفسه لم يكن يرى الا البقاء على المعاهدة لكن دولته حملت الباب العالي على اصدار هذه الاوامر . وقد كتب السير سدني الى دولته يظهر رايه وبين اوجه الخطأ التي انتهت بذلك النقص ولم تحصل نتيجة . اما كلاير فاستشاط غضباً لذلك ولم يكن جوابه الا الحرب فاسرع الى احتلال الطوابي على الروابي خارج القاهرة وتعزيزها بما يلزم من العدة والرجال . وكان يوسف باشا قد اصبح على مقربة من القاهرة ومعه الجيوش العثمانية فكتب الى المشايخ والعلماء يستحثهم على اخراج الفرنسيين من بلادهم

فعمد الجبال كلاير مؤتمراً حربياً قال فيه « ان الدولة العثمانية قد سهت انسحابنا فوقف الانكليز في طريقنا فعائنا محاربتهم » ثم بعث الى الصدار الاعظم بغزوه على الحرب وحشد جيشه خارج القاهرة وكانت مقدمة الجنود العثمانية بقيادة ناصيف باشا احد قواد الحملة معسكرة في المطرية النيل الى يمينها والصحراء الى يسارها ووراء ذلك الخانقاه وفيها باقي الجيش بقيادة يوسف باشا وعددهم نحو من اربعين الفا او تزيد وانضم اليهم الانكشارية والمماليك تحت قيادة ابراهيم بك . فالتقى كلاير بمقدمة العثمانيين فتقهقرت بعد الدفاع الحسن وفر ناصيف باشا وبعض المماليك لجهة القاهرة فقدم كلاير برجاله فظهر له عن بعد غبار عجاج في سهل بين قريتين وهما سرياقوس الى اليسار والمرج الى اليمين ثم انقشع الغبار عن الجنود العثمانية قادمة من الخانقاه للملاقاة الفرنسيين فالتقى الفريقان وانتشبت الحرب فدافعت الجنود العثمانية دفاعاً حسناً معهوداً بالرجال العثمانيين الا انهم اضطروا اخيراً الى التقهقر نحو الخانقاه فتبعهم الفرنسيون فخرجوا منها وما زالوا حتى تجاوزوا الصاحية فوصلها كلاير فرآها خالية فاستولى على ما كان فيها

ثورة اهل القاهرة

اما اهل القاهرة فلما علموا بمسير كلاير الى المطرية ثاروا على من بقي في مصر من الفرنسيين وبعد الظهيرة اتاهم ناصيف باشا ومعه جماعة من المماليك المتقدم ذكرهم وقالوا انهم غلبوا الفرنسيين وجاؤا لاستلام المدينة باسم جلالة السلطان . فأمر ناصيف باشا ان يقتلوا من بقي في مصر من المسيحيين رغم كونهم من رعايا الدولة العلية . اما العساكر الفرنسيون الباقون في القاهرة فكانوا يدافعون بالامر الممكن . وظالت المنذبة في احياء المسيحيين من الاقباط والدرسين والافرنج الى ان جاء عثمان بك احد ضباط العثمانيين الى ناصيف باشا قائلاً « ليس من العدالة ان تهرقوا دماء رعايا الدولة

العلية فان ذلك مخالف للارادة السنية « وبث رجاله في المدينة لايحاف القتل
ثم تمكن الفرنسيون من احتلال القلعة وباقي الطوابي وابشوا ينتظرون ما يكون
من ناصيف باشا . فهجم عليهم فاطلقوا عليه وعلى رجاله نارا ارجعتهم الى اماكنهم
حتى لم يبق منهم في الازبكية رجل واحد واستمر اطلاق النار على المدينة من القلعة
وباقي الطوابي الى منتصف الليل فوقع الرعب في قلوب الاهلين وهم المشايخ بالفرار
فامسكتهم الرعية قهراً . وكان في بعض بيوت المدينة مدافع فاخرجها الاهلون ورتبوها
على هيئة بطارية احاطوها بطاية وحظروا على الناس الخروج من تلك الطابية ولم
يكن عندهم قتال فاستخدموا عيار الموازين عوضاً عنها . وبعد مضي يومين على تلك
الحال انبىء ناصيف باشا بقوم جنود فرنساوي من جهة المطرية لتجدة حامية القاهرة
فبعث اليهم سرية من الفرسان فلم ينالوا منهم مارباً فوصل الفرنسيون منادين بانتصارهم
في مواقعهم مع العثمانيين . وكانت المدينة برمتها في يد الوطنيين فعجز الفرنسيون
عن الدخول اليها ثم جاءت نجدة اخرى ولم يستطيعوا اخذ الثورة . ثم جاء الجنرال
كلاير وقد كانت مؤن جيوشه في القاهرة تنفذ وخرج جميع المسيحيين من الاقباط
والسوريين فارين من على السور طالين الالتجاء الى معسكر الفرنسيين ثم تضايق
الاهلون لقلعة الماء لان الفرنسيين قطعوه عنهم

وفي ٢٧ شوال او ١٤ ابريل (نيسان) طلب كلاير الى سكان بولاق ان يسلموا
فأجابوا انهم تابعون للمدينة بما يلحق بها فاطلق عليهم قتال لاتزال بعض آثارها باقية
الى هذه النجاة فسقطت البيوت ودخل الفرنسيون بولاق ولم يبقوا عليها نهباً وقتلاً
فلما تأتى ذلك لكلاير غرج نحو المدينة بالمدافع والحرايق وكانت ليلة ممطرة
اختلطت فيها اصوات المدافع بقصف الرعد وشرارها بلمع البرق وهجبت المساكن على
المدينة خائضين في الاوحال يثبون من حائط الى آخر بين البيوت التي هدمتها مدافعهم
وفي ايديهم خرق مبتلة بالزيت مشتعلة يرمونها ذات اليمين وذات اليسار لاحراق
المدينة فعلا الصباح من النساء والاطفال خوفاً من النيران حتى كانوا يلقون بانفسهم
عن الجدران والسطوح تخلصاً من الالهب

فهم ناصيف باشا بالفرار فتبعوه فدخل بيتاً لبعض ذويه واختفى . فامر كلاير
ان ينادى في الناس « وما النصر الا من عند الله وهو سبحانه وتعالى قد امر الظافرين
بالرفق وعليه فان الصاري عسكر يعفو عن اهل القاهرة وسائر البلاد المصرية عموماً
ولو انحسروا مع الاتراك فليرجع كل الى شأنه » فكف الناس عن القتال وهدأت الاحوال

فبعث كلابر ان تنظف الاسواق وترفع الجثث وامر ان تنور المدينة ثلاثة ايام احتفالاً بالنصر ودعا اليه العلماء والمشايخ واعد لهم وليمة حافلة وبعد يومين جمعهم في مجلسه واخذ يعنفهم على ما اتوه من الخيانة فاجابه الشيخ المهدي « اننا لم نأت خيانة اما اتحادنا مع العثمانيين فكان بامر منك » وحجر كلابر على خمسة عشر شيخاً لم يتركهم حتى اخذ منهم غرامة مقدارها ١٢ مليوناً من الفرنكات . وسكنت بعد ذلك الاحوال واطمأنت القلوب

ثم علم مراد بك بما حل بالمدينة وما كان من نصرة الفرنسيين فاحب الانحياز الى الجانب الاقوى فجاء الى ضواحي القاهرة وكتب الى كلابر ثم اجتمع معه وتفاوضا فتعاهدا على الاتحاد وتهاديا هدايا فاخرة فولاه مصر العليا مكافأة لصداقته

مقتل كلابر

فاطمأن كلابر من قيل مصر بعد اتحاده مع الممالك وعظم في عيون الاهلين وسكن في بيت مراد بك في الجزيرة وامر بترميم الاماكن التي هدمت بسبب تلك الثورة وفي جلستها ديوان الجيش غربي الازبكية في اول شارع بولاق الى اليمين . وفي ١٤ يونيو (حزيران) سنة ١٨٠٠ م دعي كلابر الى غداء عند اركان حربه الجنرال داماس في منزله قرب ديوان الجيش . فبعد تناول الطعام خرج كلابر والموسيو بروتين مهندس الحملة يتشيان في رواق (ممشى) موصل بين بيت الجنرال داماس والديوان نحو الساعة الثانية بعد الظهر . فبينما كانا يتحدان وثب رجل من آخر الرواق عليه ثوب خلق وفي يده خنجر طعن به صدر الجنرال كلابر فنادى الحرس وهجم بروتين على الرجل فقال منه مثلما نال من كلابر فسقط بروتين على الارض فتركه ذلك الشقي وعاد الى كلابر وطعنه ثانية وثالثة حتى اجهز عليه ثم سمع ضجة ففر الى حديقة بالقرب من ذلك المكان واختبأ وراء الحائط فلما اتى الخفر لم يروا الا ذبك الرجلين يخبطان بدمهما فحملاهما الى البيت واتوا لهما بالطبيب فمات كلابر حالاً اما بروتين فبقي تحت المعالجة

ونودي في المدينة بالقبض على ذلك الفاعل حيثما وجد وكلف بروتين قد افهمهم شيئاً عن ملابسه وشكاه . وبعد يسير جيء برجل عليه لباس رث واوقفوه امام بروتين فعرفه وقال هذا هو الجاني . ثم قرّر آخرون اهم راوه منذ بضعة ايام يتردد بين البيوت ويختلط بخدمه الديوان

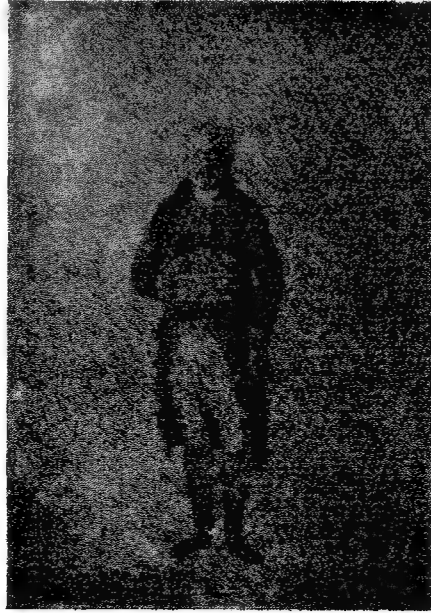


ش ٤٨ : سليمان الحلبي قاتل الجنرال كلاير

وبعد استنطاقه بسبل مختلفة وجد ان اسمه سليمان الحلبي التقى به احد اغوات الانكشارية في بيت المقدس وكان قد ذهب الانكشاري اليها للتفتيش عن رجل يقدم على قتل كلاير . فخاطب سليمان الحلبي بذلك فاجاب على شرط ان ينجي اياه في حلب من ضرائب فادحة يطلبها منه والي تلك الولاية . فجاء به الى غزة وهناك اتاه بكتب توصية من آغا غزة لعلماء الازهر . فبرح سليمان غزة في ٨ مايو فوصل القاهرة في ١٤ فنزل في بيت مصطفى افندي ليلة ثم تمشى الى بعض العلماء فابوا مشاركته بالجناية اما هو فلم ينفك حتى اغتتم تلك الفرصة وفعل ما فعل فاستدعي المشايخ المهملون وهم ثلاثة وبلاستفهام منهم اجابوا انهم لم يروا الرجل ولم يعرفوه قبل تلك الساعة . ثم عين الجنرال مينو لجنة لفحص القضية فحكمت باعدام المشايخ الثلاثة لانهم عرفوا عزم القاتل على القتل ولم يخبروا عنه . اما القاتل فحكم عليه بالاعدام على الخازوق لكنهم اوقفوا تنفيذ الحكم لبعد دفن الفقيه . فشيّعوا جنازته باحترام واحتفال ولما واروه التراب جاءوا بالجائين واعدموهم

الجنرال مينو

واقاموا على القيادة العامة بدلا من كلاير الجنرال مينو وكان ممن يرغبون في البقاء بمصر فاسلم ودعى نفسه عبد الله وولد له غلام دعاه سايمان . ثم ظهر من تصرفه بالاحكام انه ليس على شيء من الهمة والدراية فسخر به الفرنسيون وكرهوه



ش ٤٩ : الجنرال مينو

وكان ديوان القاهرة مؤلفاً من طائفتي المسلمين والمسيحيين فجعله من المسلمين فقط وهذه اسماء المشايخ الذين تألف منهم الديوان بامر الجنرال مينو وهم تسعة مع من يلحقهم :

الشيخ الشرقاوي رئيس الديوان والشيخ المهدي كاتب السرو والشيخ الامير والشيخ الصاوي وكاتبه والشيخ موسى السمرسي والشيخ خليل البكري . والسيد علي الرشيدسيب ساري عسكري والشيخ الفيومي والقاضي الشيخ اسماعيل الزرقاوي . وكاتب سلسلة التاريخ السيد اسماعيل الخشاب . والشيخ علي كاتب عربي . وقاسم افندي كاتب افرنججي وترجمان كبير القس رقائيل . وترجمان صغير الياس نحر الشامي . والوكيل الكمثاري فوريه ويقال له مدير سياسة الاحكام الشرعية . ومقدم وخسة قواسه

واخذ منو جانب المسلمين فمهد اليهم جباية الخراج بعد ان كانت في ايدي الاقباط .
على ان ذلك كله لم يغير شيئاً من كره الوطنيين لتلك الامة الاعجمية التي جاءت لامتلاك
بلادهم ومن جملة ما جرّهم الى ذلك انه اعلن حماية فرنسا على مصر . وان مصر قد
اصبحت مستعمرة فرنساوية . وشق ذلك على قواد الحملة فجاءوا اليه بصفة رسمية
وبلغوه ان الجيش الفرنسي غير راض عن هذه البدع وان الجمهورية الفرنسية
ولا تقصد بحملتها على مصر ما قد صرح به هو فلم يجيبهم بشيء وانما وعدهم انه
سينظر في ما قالوا

وكانت انكلترا لا تفك عن السعي في اخراج الفرنسيين من مصر صيانة
لصالحها في الهند على الخصوص . فاعدت عمارة بحرية مؤلفة من ١٧٥ مركباً وخمسة
عشر ألفاً من الرجال وارسلتها الى مصر بقيادة السير رلف ايركرومي فسار اليها
ودخل جون ابي قبر في ٢ مارس (اذار) سنة ١٨٠١ م فشهد آثار العمارة الفرنسية
التي حطمها عمارة نلسون . وفي ٧ منه نزل السير رلف المذكور في قارب لاستكشاف
الشاطئ ليختار محلاً ينزل فيه الجيش . وفي ٩ منه شرعت الجنود الانكليزية بالنزول
الى البر فاطلق عليهم من الرمل عدة قتابل من طابية تحصن فيها متسلم الاسكندرية
بألف وخمسمائة رجل اما الانكليز . فلم يكتروا بذلك بل استمروا على النزول بسرعة
والقتابل تتساقط حول قواربهم حتى امتلكوا البر ولم يلحقهم الا ضرر يسير

ثم شخصوا الى الاسكندرية فلاقاهم الفرنسيون بأربعة آلاف وخمسمائة مقاتل
وفيهم حماية الرحمانية . وانتشبت الحرب بين الطرفين طول ذلك النهار ولم يظهر
احد منهما . وكانت خسائر الفرنسيين خمسمائة رجل والانكليز ألفاً ومائة . وبما افاق
الانكليز قلة فرسانهم فمكروا بجوار الاسكندرية وبنوا الطوابي والخنادق وحفروا
اباراً لاستخراج الماء . اما القاهرة فكانت على عهدك بها لفساد سياسة مينو . وفي ٤
مارس وصلت اخبار بوصول العمارة الانكليزية الى ابي قبر فبدلاً من الاسراع في
النجدة جعل يتوهم اوهاماً لا طائل تحتها . وبعد اللتيا والتي بعث فرقة الى بليس
واخرى الى دمياط واخرى الى ابي قبر براً واخرى في النيل

مجيء الانكليز الى مصر

وفي ١١ منه جاءته الاخبار باحتلال الانكليز ابا قبر وهجومهم على الاسكندرية
فارتبك في امره فجمع اليه مشايخ الديوان وقال انه ذاهب الى السواحل وقد استخلف
الجنرال بيلارد مكانه وزعم ان سبب ذهابه قدوم بعض المالطية والابطاليين الى ابي قبر .

ثم استقدم الفرقة التي ارسلها الى بليس وامر من بقي من الجيش في مصر ان يسبوا الى الرحمانية . فبرح مينو القاهرة في ١٢ منه لكنه لم يصل الاسكندرية الا في ١٩ منه وقد تحصن الانكليز تحصناً لا يقوى هو على مقاومته فاستشار قواده فاشاروا عليه بالهجوم على ذلك الحصن الايمن لانه اقوى حصونهم لكنه لم يجسر على ذلك نهائياً فهجم ليلاً فلم ينجح

وفي اليوم التالي ٢١ مارس (اذار) امر ان تهجم الجيوش كلها دفعة واحدة باكرآ بلا ضرب النفير وكان الانكليز في يقظة نامة في الساعة الثالثة بعد نصف الليل سمعوا دوي المدافع عن يسارهم فوجهوا نيرانهم نحوها ثم سمعوا مثلها عن يمينهم فاجابوا بمثاتها وبعد معركة كبيرة تفهقر الفرنسيون بجانب فقههم ابركرومي غرضهم من ذلك فعزّز ميمنة معسكره واتخذ قيادتها بنفسه فاصيب بجرح قتال القاء على الصعيد فقدم السيرسديني سميت وانفضه وما زالت الحرب قائمة حتى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر وقد قتل كثير من الضباط الفرنسيين . فامر الجنرال مينو بالراحة فعادت رجاله وعدد قتلاهم وجرحاهم نحو الفين اما خسائر الانكليز فكانت ٢٤٠ قتيلاً و ١٢٥٠ جريحاً من جملتهم السير رلف ابركرومي فنفقوا الى احدى الدوارع فمات بضعة ايام وتوفي فتحولت قيادة العمارة الى الجنرال هتشسون

وفي ٢٥ مارس (اذار) جاءت الانكليز بحجة عثمانية بقيادة حسين قبطان باشا . فرأى الجنرال هتشسون ان يبعث اربعة آلاف من الجنود العثمانيين وفرقتين من الانكليز وثمانية مدافع بقيادة الكولونل سبنسر لاحتلال رشيد . فالتص ذلك بالجنرال مينو فارسل اركان حربيه لاستطلاع قوة تلك التجريدة فقدرها اقل مما هي كثيراً فاستخف بها فلم ينجده رشيداً

اما الكولونل سبنسر فما زال سائراً حتى اتى رشيداً فدخلها بسلام ولما استقر بها بعث الطوبجية بمدافعهم لضرب حصن جوليان وفيه حامية من الفرنسيين فضيقوا عليهم حتى سلموا فامتهم ثم اخرجوهم من الحصن . فالتص ذلك بحامية الرحمانية فاستمدت الجنرال بيلارد في القاهرة فاجاب معتذراً بعدم امكانه الاستغناء عن لديه من الجنود فبعثت الى مينو في الاسكندرية فامدها بما استطاع

نجدة العثمانيين للانكليز

فاصبحت الجيوش الفرنسية بذلك اقساماً متفرقة لا تقوى على دفاع : الجنرال بيلارد بالقاهرة في خمسة آلاف يتأهب لدفاع الجيوش العثمانية القادمة بطريق الصحراء بقيادة الصدر الاعظم يوسف باشا . وحامية الرحمانية لما بلغها سقوط رشيد خارت قواها

والجنرال مينوكان محاصراً في الاسكندرية لا يبدى حراكاً وقد ضايقه الانكليز بقطع الجسر الفاصل بين الملاحة وبحيرة مريوط وزد على ذلك أنهم قطعوا المياه عن الاسكندرية فلم يبق عنده الا مياه الصحاريح

اما الجنود العثمانية والانكليزية فبعد ان احتلوا رشيداً صعدوا في النيل في ٨ مايو (ايار) حتى اتوا العطف فاستلموها ثم ساروا الى الرحمانية واستولوا عليها ايضاً ففرت الجنود الفرنسية الى القاهرة واعلموا بيلارد بما كان فامر بعقد مجلس حربي للمفاوضة بالدفاع النهائي لان العدو تكاثر عليهم : هتشنسون من الجهة الواحدة والصدر الاعظم يوسف باشا من الجهة الاخرى وكان قد استولى على دمياط وسارقاصداً القاهرة في ثلاثين الف مقاتل حتى عسكر في بليس في ١١ مايو (ايار) . اما مراد بك فبعد محالفته الفرنسيين على ما تقدم توفي وتولى مكانه على الصعيد عثمان بك البرديسي فلما علم هذا بقدم العثمانيين والانكليز نقض المحالفة

فلما اجتمع المجلس الحربي تفاوضوا في جميع ذلك فراوا ان الجيوش الفرنسية الموجودة في القاهرة وفي جملتها حامية الرحمانية لا تزيد على اثني عشر الفاً نصفهم جرحى ومرضى وليس لديهم من المال الا اليسير . فلم ير بيلارد لحل هذا المشكل الا وجيهين اما ان يسير بما لديه من الجنود في النيل للاقاة مينو فيتكتفان على الدفاع او ان يسير الى دمياط . ولم ير بدءاً على الحالين من اخلاء القاهرة وكان يفضل المسير الى دمياط لانها تصلح للحصار اذا طال . وفيها من الحاصلات ما يقوم باحتياجات جيشه وهو في الحالين عالم بعجزه عن مناهضة عدوه

ثم حدثته نفسه ان يلاقي الجنود العثمانية والانكليزية جميعاً عند اقترابهم من القاهرة . فخرج في خمسة آلاف في ١٦ مايو (ايار) متمثلاً بكلا بر وعسكر في نقاب فوصلت اليه مقدمة جيوش يوسف باشا فلم يستطع الوقوف امامها فعاد الى القاهرة

انسحاب الفرنسيين من مصر

وفي ٢٣ مايو وصل هتشنسون الى طرامة فقطع ترعة منوف وسار بنفسه الى معسكر يوسف باشا وفأوضه في الطريقة التي يجب اتخاذها لاتمام مشروعهم فاقروا على طريقة . ثم عاد هتشنسون الى طريقه وسار في رجاله على فرع النيل الغربي حتى اتى الجزيرة في ٣٠ منه وواصل يوسف باشا سيره من الجهة الاخرى فانحصر بيلارد في القاهرة لا يستطيع حراكاً فعقد مجلساً حربياً اقر فيه على تسليم المدينة والانسحاب نحو الاسكندرية او دمياط فبعث الى معسكر الانكليز مندوباً بشأن ذلك وبعد المخاطرة بقرار

ان تنسحب الجيوش الفرنسية الموجودة في القاهرة انسحاباً قانونياً بما لديهم من المهمات والاسلحة الى فرنسا وان يكون ذلك على نفقة الانكليز وكتب بذلك معاهدة امضيت في ٢٥ يونيو (حزيران) سنة ١٨٠١ وتثبتت في ٢٦ منه على ان تنفذ بعد ١٥ يوماً في ١٠ يوليو (تموز) (٤ ربيع اول سنة ١٢١٦ هـ) برج بيلارد القاهرة ومعه ١٣٧٣٤ من العساكر والضباط قاصدين رشيداً على ان يسافروا منها الى فرنسا فانهل هتشنسون لما اوتيه من الفوز العظيم وكاد لا يصدق به حتي ٧ اغسطس (آب) عند ما علم بركوب الجيوش الفرنسية راجعين الى بلادهم اما مينو فكان في الاسكندرية ومعه عشرة الاف مقاتل فتفاوض مع من كان باقياً لديه من القواد فأصروا على الخسارة وفي ٢ نوفمبر من تلك السنة عقدوا معاهدة الانسحاب وانسحبوا في اثناء ذلك الشهر مثل انسحاب بيلارد. واذا امعنت النظر رايت هذه المعاهدة ومعاهدة العريش التي عقدت في ٢٤ يناير (ك) سنة ١٨٠٠ م شيئاً واحداً ولم تكن نتيجة ذلك التأخير الا سفك الدماء وكانت الحكومة الانكليزية قد امرت الجنرال برد ان يقدم من الهند في ٦ الاف من الجنود الهندية المنظمة الى مصر امداداً لابر كرومي في البر فجاء الى القصير على سواحل البحر الاحمر ومنها سار في الصحراء الى قنائم نزل الى القاهرة فوصلها بعد التوقيع على الانسحاب فنزل الى الاسكندرية وحضر انسحاب مينو وجماعته هذه هي الحملة الفرنسية فتأمل كيف كانت نهايتها وكيف انها بعد قضاء ثلاث سنوات ونيف كلها حروب ومقاومات طالت بخفي حنين . وقد ذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢١٥ هـ ما احده الفرنسيون من العماير وغيرها وما غيرهه او اخبروه فليراجعها من شاء



من انسحاب الفرنساويين الى ولاية محمد علي باشا

من سنة ١٢١٦ - ١٢٢٠ هـ از من ١٨٠١ - ١٨٠٥ م

فبعد انسحاب الفرنساويين استلم يوسف باشا الصدر الاعظم زمام الاحكام في القاهرة باسم جلالة السلطان بمساعدة الجنرال هتشنسون وكان حسين قبطان باشا اميرال البحارة العثمانية لا يزال في ابي قير والاسكندرية بعد سفر مينو . اما الانكليز فام يكن غرضهم الاتييت سلطة الباب العالي والانسحاب فاجعلوا معسكرهم في مصر القديمة . وكان الممالك لا يزالون يحاولون التسلط ولم تزل بقية منهم بقيادة اثنين من كبارهم وهما عثمان بك البرديسي ومحمد بك الالفى وكان معسكرهم في الجزيرة

الكيد بالماليك ولم ينجح

فاخذ القائندان العثمانيان يوسف باشا وحسين قبطان باشا يدبران مكيده تذهب بمن بقي من الممالك فاتفقا على ان يدعوا قبطان باشا بعض امرائهم الى حفلة بعدها لهم في ابي قير وان يهجم يوسف باشا على من بقي منهم في الجزيرة فيأتين على اهلاكم . فبعث قبطان باشا الى بعض امراء الممالك يدعوهم الى وليمة وقال انه اعد لها لهم في معسكره بابي قير وان غرضه من ذلك الاجتماع المفاوضة معهم فيما يجب اتخاذه من الوسائل لاصلاح البلاد . فاجابوا دعوته وهم في ريب من مقاصده على انهم لم يكونوا يستطيعون رفض الدعوة خيفة ان يجعلوا للقوتين العثمانية والانكليزية باباً للارتياح بمقاصدهم فلما وصلوا اباقير رحب بهم حسين باشا ودعاهم الى النزول معه في قاربه الخصوصي ليسبروا معا الى القومندان الانكليزي على احدى الدوارع للمفاوضة معه ببعض الشؤون . فركبوا حتى صاروا على مسافة من البر فالتقوا بقارب آت من الدوارع قال من فيه ان لديهم كتباً باسم قبطان باشا ومخابرات اخرى مهمة . فوثب القبطان عند ذلك الى القارب الاخر وامره ان يسير فصار وبقي الممالك وحدهم فاجسوا خيفة ثم سمعوا اطلاق المدافع عليهم من قارب العثمانيين فتأكدوا انها مكيده فحاولوا الرجوع الى البر ولم يصلوه حتى قتل عثمان بك الطمبورجي وثلاثة آخرون وجرح عثمان بك البرديسي واثنان آخران . وفي نحو ذلك الوقت ارسل يوسف باشا في القاهرة فرقة من رجاله يهاجمون الممالك في الجزيرة فوثبوا عليهم واحرقوا بيوتهم فالتجأ كبارهم الى الانكليز فحموهم رغم اصرار يوسف باشا على طلبهم

ثم انسحبت الجيوش الانكليزية من مصر بامر الاميرال كيت وبقيت مصر يتنازعها الجنود العثمانية والمماليك . وكان يوسف باشا في القاهرة نائباً عن الباب العالي . ولم يكن بد من تولية والٍ عثماني يقوم باعباء الولاية فسمى يوسف باشا بمساعدة حسين قبطان باشا في تولية خسرو باشا كخيا حسين قبطان باشا فكتبوا بذلك الى الاستانة فاجاب الباب العالي طلبها وبعث لهما الفرمان المؤذن بذلك

ولاية خسرو باشا

فتولى خسرو باشا على مصر في ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢١٦ هـ ولم يكن ينقصه لاستتباب الراحة الا ابادته من بقي من المماليك . وكانوا مع ما لم بهم منذ قدوم الفرنسيين لا يزالون قادرين على المقاومة نظراً لمعرفتهم باحوال البلاد واحزابها . وبعد وفاة مراد بك واعتزال ابراهيم بك عن الاعمال اصبحوا تحت قيادة عثمان بك البرديسي ومحمد بك الافندي كما تقدم وقد دانت لهم مصر العليا . فناهضهم خسرو باشا فلم ينجح ولم يكن اذ ذاك في سلطة الباب العالي الا القاهرة والاسكندرية وما بينهما ولم يستطع خسرو باشا تحصيل ما يقوم بدفع مرتبات العساكر فتاروا في ٢ مايو سنة ١٨٠٣ م واحاطوا بالخزندار وحبسوه في بيته . فامر خسرو باشا ان تطلق عليهم المدافع حتى علت الضوضاء واشتد الخصام فتوسط طاهر باشا اركان حرب خسرو باشا في صرف ذلك المشكل فلم يوافقهم خسرو على قصده واتهمه بانحاده مع العصاة . فاغتاز طاهر باشا واخذ جانب العصاة وامرهم ان يهدموا الاسوار تخاف الباشا ولم ير الا الفرار بحريمه وحاشيته على ضفة النيل الشرقية نحو المنصورة . ثم سار منها الى دمياط وحاصر هناك . فاغتنم طاهر باشا تلك الفرصة وجعل اليه القضاء وارباب الديوان فاقرروه على مصر بصفة قائمقام مؤقتاً لينها ترد الارادة السنية بتولية من يتولى عوضاً من خسرو باشا

ففي ٢٥ مايو (ايار) سنة ١٨٠٣ م لاقى طاهر باشا من القوة العسكرية ما لاقاه خسرو باشا — وذلك ان اثنين من الاغوات وهما موسى واسماعيل تشكيا اليه من تأخر الرواتب فانهزمهم فاغلظوا له فاشتد الخصام فجردا السيف وقطعارأسه ورمياه من الشباك وانتهى الخصام باحترق القصر

فاصبحت مصر بغير والٍ يدير اعمالها . وفي هذه الفرصة تأتى لذلك الرجل العظيم محمد علي باشا ارومة العائلة الخديوية اظهار ما اختص به من البسالة وعلو الهمة وما جعله الله فيه من الفضائل التي قدّر له ان يبنيها في هذا القطر السعيد

الاسرة المحمدية العلوية

من سنة ١٨٠٥ ولا تزال



ش ٥٠ : محمد علي باشا

مؤسس الاسرة الخديوية بمصر



محمد علي باشا

من سنة ١٨٠٥ — ١٨٤٨ م

اولاً — صبوته وسببته

انظر الى خارطة بلاد الروملي في سواحلها الجنوبية على مسافة ٣٢٠ كيلو متراً من الاسنانة غرباً تر قرية اسمها قواله لا يزيد عدد سكانها على الثمانية آلاف نفس . وكان في تلك القرية في اواسط القرن الماضي رجل اسمه ابراهيم آغا كان متولياً خفارة الطرق ولد له سبعة عشر ولداً لم يعيش منهم الا واحد . وفي سنة ١٧٧٣ توفي هذا الرجل وامراته عن ذلك الولد وسنه اربع سنوات واسمه محمد علي فاصبح الغلام يتيماً ليس له من يعوله الا عما اسمه طوسون آغا وكان متسلماً على قواله فجاء به الى بيته شفقة عليه . غير ان المنية عاجلت طوسون فقتل بامر الباب العالي بعد ذلك يسير فاصبح الغلام يتيماً قاصراً وليس من ينظر اليه وكان لوالده صديق يعرف بمجربتجي براوسطة فشفق على الغلام وجاء به اليه وعنى بتربيته مع اولاده . غير ان ذلك لم ينسهِ حاله من اليتيم فكان يشعر بالذل وضعة النفس . ويروى عنه بعد ان ارتقى ذروة المجد واعتلى منصة الاحكام انه كان يحدث عما قاساه في صبوته من الذل الى ان يقول :

« ولدت لابني سبعة عشر ولداً لم يعيش منهم سواي فكان يجيني كثيراً ولا تغفل عينه عن حراستي كيفما توجهت . ثم توفاه الله فاصبحت يتيماً قاصراً وأبدل عزري بذل وكثيراً ما كنت اسمع عشارائي يكررون هذه العبارة التي لا انسها عمري وهي (ماذا عسى ان يكون مصير هذا الولد التمس بعد ان فقد والده) فكنت اذا سمعهم يقولون ذلك اتغافل عنه ولكنني اشعر باحساس غريب يحركني الى النهوض من تحت هذا الذل . فكنت اجهد نفسي بكل عمل استطيع معاطاته بهمة غريبة حتى كان يمر عليّ احياناً بومان ساعياً لا آكل ولا انام الا شيئاً يسيراً . وفي جملة ما قاسيته اني كنت مسافراً مرة في مركب فتعاطم النوء حتى كسره وكنت صغيراً فتركني رفاقي وجدي وطلعوا الى جزيرة هناك على قارب كان معنا فجمعت اجاهد في الماء وسعي تتقاذفني الامواج وتستقبلني الصخور حتى تهشمت يداي وكاننا لا نزالان يانعتين وما زلت حتى اراد الله ووصلت الجزيرة سالماً وقد اصبحت هذه الجزيرة الآن قسماً من مملكتي »

ومما يحكى عنه في ايام صبوته انه كان يتردد على رجل فرنساوي مقيم في قواله اسمه المسبوليون وكان من كبار التجار محباً للفضيلة . وحالما رأى محمد علي للمرة الاولى أشفق عليه واحب مساعدته لا توسم فيه من الفطنة والنباهة فكان يقدم له كثيراً من حاجياته ويسعفه بكل ما في وسعه حتى ألفه محمد علي كثيراً — وهذا هو سبب وثوقه بالامة الفرنساوية بعد توليه الاحكام في مصر واستخدامه افراداً منهم في مصلحة البلاد . ويقال انه رحمه الله بعث سنة ١٨٢٠ الى الموسبوليون المشار اليه بدعوه الي مصر يقضي فيها زمناً في ضيافته فاجاب دعوته ولكنه مات قبل قدومه فأسف عليه محمد علي كثيراً وبعث الى شقيقته هدية تساوي عشرة آلاف فرنك قلنا انه ربي في صبوته بيت جربتجي برواسطة وتعلم في صغره ما يتعلمه ابناء تلك البلاد من العاب السيف والجريد والحكم وماشاكل فبيع فيها حتى اذا بلغ اشدّه انتظم في سلك الجهادية تحت ادارة مربيه فظهر في جباية الضرائب مهارة وبسالة عجيبتين فرقاها الى رتبة بلوك باشي وزوجه احدى ازواج قرابته وكانت مطلقة ولها مال وعقار فترك الجهادية وتعاطى التجارة وعلى الخصوص في صنف التبغ لانه اكثر اصناف التجارة في بلاده . وقد برع في تلك التجارة حتى اكتسب شهرة واسعة وثقة عظمى لدى عملائه . وكان قد ذاق لذة التجارة واحبها منذ كان يتردد على المسبوليون المتقدم ذكره ولذلك رأيناه بعد ان تولى مصر يوجه اقتباذه بنوع خاص لتنشيط التجارة وما زال يتعاطى التجارة الى سنة ١٨٠١ حينما عزم الباب العالي على اخراج الفرنساوية من مصر بمساعدة انكلترا . فبعثت الحكومة العثمانية اليهم عمارة قوية تحت قيادة حسين قبطان باشا وفيها قوات انكليزية وبعثت الصدر الاعظم في حملة من جهة البر كما تقدم

ثانياً - ارتفاعه من مناصب الاعظام

وكان محمد علي في جند القوة البحرية وقد تجند اليها في جملة من تجند في براوسطة بصفة معاون لعلي آغا بن مربيه على ثلاثمئة جندي الباني (ارناؤوط) فجاءت العمارة الى ابي قير وكانت الغلبة هناك للفرنساويين ثم عاد علي آغا الى بلاده تاركاً رجاله تحت قيادة محمد علي وكان هذا قد ترقى الى رتبة ييكباشي ثم تغلب العثمانيون بمساعدة العمارة الانكليزية وحملة الصدر الاعظم ودخلوا البلاد واخرجوا الفرنساويين وجعلوا يهتفون في تأييد سلطة الباب العالي فيها

وكان في الجنود العثمانية جماعات من الارناؤوط والانكشارية والغليونجية فنفرت هذه الجنود لحماية مصر السفلى وبعض مدن الصعيد . اما الانكاز فكانوا تحت قيادة الجنرال هتشنسون فنزلوا الاسكندرية ربما يقيمون في القطر المصري والياً عثمانياً يؤيد سلطة الباب العالي ويكبح جماح المماليك الذين كانوا لا يزالون يحاولون الاستقلال

فاقاموا محمد خسرو باشا المتقدم ذكره وكان في الاصل من ممالك حسين قبطان باشا وهو الذي سعى له في هذه الولاية . فجاء القاهرة وقاص الذين كانوا فيها من محالفي الفرنسيين . وكان في يده اوامر سرية باعدام المماليك باي وسيلة كانت فبعث الى محاربهم وكانوا في الصعيد فتضايقوا ولم يروا وسيلة الا الالتجاء الى فرنسا فكتبوا اليها يستنجدها متعهدين باجراء كل ما تطلبه منه فلم يسعدهم الحظ بمساعدتها

محمد علي وخسرو باشا

اما الحملة التي بعثها خسرو باشا الى الصعيد فاتها عادت ولم تأت بفائدة ثم حاربهم مراراً في اماكن مختلفة . وفي جملتها واقعة بعث اليها حملة من جنده وكان محمد علي قد ترقى الى رتبة سرشمسة وصار قائداً لاربعة الاف من الالبانيين قامره ان يسير في رجاله مدداً لتلك الحملة فسارت الحملة وحاربت المماليك وانكسرت قبل وصول محمد علي ورجاله . فنسب قائدها انكساره الى تأخر محمد علي عن المجيء واباغ ذلك لخسرو باشا . وكان هذا حاقداً على محمد علي فاستقبل ذلك البلاغ بالصدق واقر على اعدامه سرّاً . وكتب اليه ان يوافيه في منتصف الليل للمخاطبة ببعض الشؤون فادرك محمد علي مراده ولم يجب الدعوة

ولم ير وسيلة لتجانيته من مكيدته وعدوانه الا بالالتجاء الى المماليك فانحاز اليهم واخذ في مخابرتهم سرّاً وجهرّاً فتمكنوا بذلك التحالف من اخراج خسرو باشا من القاهرة قهراً . ففر الى دمياط واقاموا مكانه طاهر باشا . ولما قتل طاهر احتل محمد علي القلعة برجاله فقام احمد باشا والي الشرطة اذذاك يطلب الولاية فاخرجه المماليك من القاهرة ذليلاً ثم انحد الجميع وساروا لمحاربة خسرو باشا في دمياط فاسروه وجاؤا به الى القاهرة وحجروا عليه في القلعة

اما الباب العالي فلما بلغه ما حصل في مصر بعث اليهم والياً اسمه علي باشا الجزائري فلم يصل القاهرة الا بعد شق الانفس ولما وصلها عمد الى الكيد بالمماليك ومحمد علي فعادت العائدة عليه

الالفي والبرديسي

وكان الالفي والبرديسي زعما الممالك يتنازعان السلطة . وكان الالفي قد سار الى انكثرا يطلب مساعدتها على رقيقه للاستئثار بالسيادة . فلما عاد من سفرته اغتم محمد علي تلك الفرصة واوغر صدر مناظره البرديسي عليه قصب له مكيدة لم يقع فيها ولكنه فر الى الصعيد . فظن البرديسي ان جو القاهرة قد خلا له ولكن محمد علي كان له بالمرصاد فحرك الالبانيين عليه واوعز اليهم ان يثيروا ويطلبوا بمرتباتهم فقاموا وهددوا البرديسي بالاذى اذا لم يدفع اليهم المتأخرات . فضرب على اهل القاهرة اموالاً واستبد في تحصيلها بقساوة قناروا جميعاً عليه فاضطر الى مغادرة القاهرة ولم يعد يرجع اليها . وكل ذلك سنة ١٨٠٤

فلما فر الاميران لم يبق في القاهرة من رجال السلطة الا محمد علي وقد فرغت حاجته الى الممالك بعد ان كاد لهم كيداً وشتت شملهم فراى ان يستعين بالاهلين في نيل ماتوق اليه نفسه من المطالب فجمع اليه العلماء والمشائخ وتفاوضوا في اخلاء سبيل خسرو باشا فاقروا على ذلك وان يعود الى منصبه فعاذوه ولكنه لم يمكث فيه الا يوماً واحداً ثم اخرجوه من القاهرة الى رشيد ومنها الى الاسكندرية . وكل ذلك بمساعي محمد علي وحسن درايته واتقان سياسته

خورشيد باشا

ثم تظا هر ان الامور لا تستقيم في مصر الا بتنصيب وال عثماني حر وشار بتنصيب خورشيد باشا وكان في الاسكندرية . فوافقه العلماء والمشائخ في ذلك على ان يكون هو نائباً عنه في الاحكام بصفة قائم مقام وبعثوا الى الباب العالي يخبرونه بذلك ويسترحونه بتثبيت انتخابهم فاجيب طلبهم بفرمان مؤرخ في مارس سنة ١٨٠٤ هذا نصه :

« اننا كنا صفعنا ورضينا عن الامراء المصرية (الممالك) على موجب الشروط التي شرطناها عليهم بشفاعة علي باشا والصدر الاعظم تخافوا العهود وتقضوا الشروط وطلغوا وبغوا وظلموا وقتلوا الحجاج وغدروا علي باشا المولى عليهم (بريد علي باشا الجزائري) وقتلوه ونهبوا امواله ومتاعه فوجهنا عليهم العساكر في ثمانين مركباً حربية وكذلك احمد باشا الجزائر بعساكر برية للانتقام منهم ومن العسكر الموالين لهم فورد الخبر بقيام العساكر عليهم ومحاربتهم لهم وقتلهم واخراجهم فمعد ذلك رضينا عن العسكر لجبرهم ما وقع منهم من الخلل الاول وصفعنا عنهم صفحاً كلياً واطلقناهم السفرو والاقامة متى شاؤوا وايضا ارادوا من غير حرج عليهم وولينا حضرة احمد باشا خورشيد كامل

الديار المصرية لما علمنا فيه من حسن التدبير والسياسة ووفور العقل الخ »
ثم جرت بعد ذلك وقائع كثيرة بين محمد علي والمماليك في اماكن مختلفة من القطر
فاصبحوا بعد ما قاسوه من الحروب المتوارة مدة سنين على غير ما كانوا عليه من
النفوذ قبلاً واصبحت قوتهم لا تزيد عن خمسة او ستة آلاف من الفرسان وكانت
ماليتهم آخذة في الانحطاط



٥١ - ارناؤط محمد علي

وكانت العساكر مؤلفة من الالبانيين (الارناوط) وهؤلاء قضوا تحت قيادة محمد
علي مدة طويلة وكانوا يحبونه فشق ذلك على خورشيد باشا وصار يخاف هؤلاء
الالبانيين فابتدع اليه جنداً من الدلاة (المغاربة) فوصلوا مصر في اول سنة ١٢٢٠ هـ
وكان محمد علي يوم وصولهم في جهات الصعيد يحارب المماليك فبلغه ان احمد باشا خورشيد
استقدم هؤلاء الدلاة يستعين بهم على الارناوط فعاد الى القاهرة برجاله ،ظهر اطلب
العلوفة ولولا ذلك لانه الدلاة من الدخول اليها اما خورشيد فاجس خيفة من
قدومه فجعل يراقب حركاته . اما الدلاة فانتشروا في البلاد بنهبون ويقتلون
ويصادرون الناس وياخذون اموالهم فاشتكوا الى خورشيد باشا اولاً وثانياً وثالثاً وهو
يعدمهم بكف هؤلاء ثم يخلف ولا تزيد الاحوال الا اضطراباً فشق ذلك خصوصاً على
علماء البلاد ومبشرينها وكرهوا خورشيد باشا كرهاً شديداً وصاروا يتوقعون تآخدهم
منه .وعلم هو بذلك فلم يردد الا فجوراً

الاجماع على تولية محمد علي

وفي ٢ صفر سنة ١٢٢٠ ورد لمحمد علي باشا خط شريف بولاية جدة فالبسه خورشيد باشا الفروة والقاووق المختصين بهذه الرتبة وقد توسم قرب تخلصه منه فخرج محمد علي باشا يريد الذهاب الى جدة وفي نفسه ان لا يخرج من مصر فقامت العساكر وطالبوه بالعلوفة فقال « هذا هو الباشا طالبوه بها » وسار الى منزله في الازبكية (قرب اوتيل نبرد) وهو ينثر الذهب على الناس فازدادوا له حبا وخورشيد باشا كرهاً وبعد ثلاثة ايام (لا ندري ما دار في اثائها بينه وبين علماء البلاد ومشائخها) سار المشائخ والعلماء جميعاً الى محمد علي في منزله ينادون بصوت واحد « لا نقبل خورشيد باشا والياً علينا » فقال « ومن تريدون اذاً » قالوا « لا نريد احداً سواك » فامتنع أولاً وجعل يرغبهم في خورشيد ويحملهم على الاذعان والسكينة وهم لا يزدادون الا اصراراً على طلبهم فوافقهم فاحضروا له الكرك والقفطان والبسوه اياهما وبعثوا الى خورشيد ان ينزل من القلعة فابى فحاصروه فيها وكتبوا الى الباب العالي بذلك فورد الفرمان بولاية محمد علي في ١١ ربيع آخر سنة ١٢٢٠ هـ (٩ يوليو) تموز ١٨٠٥) وعزل خورشيد باشا فخرج هذا من القلعة بامر من الاستانة وغادر البلاد وفي نفسه من الغيظ على محمد علي ما ليس وراء غاية

الافني ومحمد علي

وكان الممالك لا يزالون منتشرين في جهات القطر يحكمون ويستبدون وكان الافني مقيماً في الصعيد وقد التف حوله جمهور من الممالك وحالما علم بتولية محمد علي باشا نزل بفرسانه طالباً خلعه وتخابر مع خورشيد باشا ليساعده في غرضه وتمهد انه اذا فعل ذلك يعيد الاحكام ليد و يكون بعد ذلك خاضعاً لاوامر الدولة العثمانية ضارباً بسيفها هذا اذا كانت تخلع محمد علي باشا . وخبر من الجهة الثانية دولة انكلترا ووعدها انها اذا عضدت مشروعه هذا يكون مستعداً ان يسلمها ابواب القطر المصري حالاً . فعلم بذلك قنصل فرنسا فمرقل مسعاء فعكف على مصالحة محمد علي باشا على شيء يرضى به الاثنان فحصلت المخبرات فلم يتفقا فعاد الافني الى مسعاء ثانية بواسطة سفير انكلترا في مصر فطلب هذا الى الباب العالي بالتيابة عن دولته ارجاع سلطة الممالك الى البلاد وتمهد بامانة الافني وخضوعه لاوامر الدولة . فقبل الباب العالي بذلك فاصدر عفواً عاماً عن الممالك باسم اميرهم الكبير الافني فوصله في غرة ربيع

آخر سنة ١٢٢١ هـ وفي ١٤ الشهر المذكور وصل القاهرة خبر قدوم عمارة عثمانية تقل موسى باشا مرسلًا من قبل الباب العالي والياً على مصر ومعه عدة من العساكر المنظمة على النظام الجديد وخط شريف الى محمد علي باشا ان ينتقل الى ولاية سلاويك وان يرجع الممالك المصرية الى مرا كزهم في الامارات والاحكام

سعي محمد علي وحزمه

نخاف محمد علي من حبوط المسعى فاخذ الامر بالحزم والحكمة فرأى ان احزاب المشائخ والعلماء جميعها معه وانضم اليهم بعض الممالك الذين كانوا في الاصل من الجيش الفرنسي وظلوا في مصر بعد سفر الحملة لهدم امكانهم مرافقتها واعتقدوا الديانة الاسلامية وانضموا الى الممالك فاستكتبهم كتاباً الى الباب العالي يطلبون فيه استبقاء محمد علي باشا وارجاع موسى باشا ويبينون الاسباب الموجبة لذلك . فكتبوه وامضوه وارسلوا منه نسخة الى الاستانة واخرى الى قبطان باشا قائد العمارة التي امت بموسى باشا . فاجابهم القبطان ان ما قدموه من الاعذار غير مقبول ولا بد من خروج محمد علي باشا من مصر حالا . وكان لسفير فرنسا في الاستانة رغبة شديدة في بقاء محمد علي باشا على مصر لما علم من عزم الالفى على تسليم البلاد للدولة الانكليزية فسعى جهده مع قبطان باشا في بقاء محمد علي باشا وعلم بعد ذلك ان الممالك لم ينفكوا منذ وجودهم في مصر عثرة في سبيل حقوق الدولة واتهم منقسمون فيما بينهم لا يتفقون على امر

فراى طاب اهل البلاد اقرب الى الصواب فكتب اليهم ان يعيدوا طلبهم وان يبعثوا الطلب مع ابن محمد علي باشا . فكتبوه وارسلوه مع ابنه ابراهيم بك على يد قبطان باشا . وفي شعبان سنة ١٢٢١ برحت العمارة العثمانية الاسكندرية وعليها قبطان باشا وموسى باشا و ابراهيم بك

وفي اواخر شعبان (نوفبر) (٢) سنة ١٨٠٦ م) وردت الاوامر الشاهانية بتثبيت محمد علي باشا على ولاية مصر مع الایماز اليه ان لا يتعرض للممالك بعد ذلك لصدور العفو عنهم قبلا . وفي الشهر التالي مات عثمان البرديسي . وفي ١٩ ذي القعدة سنة ١٢٢١ هـ (يناير) (٢) سنة ١٨٠٧ م) توفي محمد الالفى وهما زعيما احزاب الممالك فولوا عليهم شاهين بك رئيساً الا انهم مع ذلك لم تعد تقوم لهم قائمة وقد خلا الجو لمحمد علي باشا

مقاومة الإنكليز لمحمد علي

ثم ان الحكومة الانكليزية اعتبرت تثبيت محمد علي محلاً بنفوذها ومضراً بمصالحها فجردت حملة من ثمانية آلاف مقاتل تحت قيادة الجنرال فرازر لارجاع سلطة المماليك وكانوا قد تبعثوا في البلاد فوصل الانكليز الاسكندرية في ٩ محرم سنة ١٢٢٢ هـ (١٧ مارس (اذار) سنة ١٨٠٧ م) مظهرين حمية القطر من الفرنساوية فاستولوا على المدينة في ٢١ محرم وظلوا فيها ستة اشهر لا يستطيعون انتقالا الى ما وراءها. وكانوا قد ارسلوا فرقة منهم الى رشيد فزعموها سيوف الارناؤوط كل ممزق. وفي يوم الخميس ٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٢٣ هـ استقال السلطان مصطفى وسنه ٢٣ سنة فبويج السلطان محمود بن عبد الحميد (محمود الثاني)



ش ٥٢ : السلطان محمود الثاني

وفي ١٣ رجب سنة ١٢٢٢ هـ (١٤ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٠٧) انسحبت الجيوش الانكليزية باتفاق صلح مع القطر فاستتبقت القوة لمحمد علي باشا وقد رضي جلالة السلطان عنه ودخلت الاسكندرية في ولايته. ثم سعى بعضهم في المعالحة بينه وبين المماليك فتمت بقدم شاهين بك الى مصر بالهدايا الثمينة فآكرمه محمد علي وبني له قصراً نفيساً اسكناء في الجزيرة ثم تبادلوا الزيارات وكل علائق المؤدة وهكذا فعل سائر المماليك

ثالثاً — اعمامه الحربية

١ — الحملة على الوهابيين

فلما رسخت قدم محمد علي باشا في مصر اخذ في تسليم مصالح حكومته الى من يشق بهم من ذوي قرباه لانه كان شديد الحجة لعائلته ولا شك ان ازره اشتد بهم . ثم استفحل امر الوهابيين في شبه جزيرة العرب فارسل السلطان محمود يعهد الى محمد علي باننا امر اخضاعهم وتخليص البلاد من ايديهم



ش ٥٣ : زعيم الوهابيين

والوهابيون طائفة من المسلمين تذهب الى اغفال الكتب الدينية الاسلامية الا القرآن والحديث . زعيمها الاول محمد بن عبد الوهاب ولد في العينة من اقليم العارض من نجد سنة ١١٠٦هـ (١٦٩٦) وكان ابوه شيخاً فقيهاً فري في حيجره على المذهب الحنبلي ثم انتقل لاتمام دروسه في البصرة وهم بزيارة مكة والمدينة وعاد الى بلده . ثم تزوج في الحرملة بالعارض واقام فيها واشتهر بين قومه بالتقوى وصدق التدين . وانحى عليهم باللائمة لتفاعدهم عن الفروض الدينية واهمالهم قواعد الدين الاساسية وبالغ في تعنيفهم

حتى تأمر بعضهم على قتله وتربصوا له في مكن فادرك غرضهم ففر الى بلده العينة واخذ يجتذب الاحزاب اليه من اهله وابناء قبيلته بالوعظ والمراسلة والاقناع فالتف حوله جماعة من الانصار في بلده وما يحيط بها من البلاد

وجاءته امرأة عاهرة تلتمس التوبة على يده فردها اولاً وثانياً . فجاءته ثالثة فاستغرب امرها وسأل القوم اذا كانت مجنونة فقالوا انها في كمال عقلها لكنها شردت عن طريق التقوى وتريد الرجوع اليها . فحكم عليها بالاعدام لان ضميرها لم يوبخها يوم ارتكبت تلك الرذائل . وعلم بهذا الحكم الجائر امير الحسا فبعث الى شيخ العينة ان يقتل محمد بن عبد الوهاب او ينفيه . فامر باخراجه من بلده على ان يدس له من يقتله

وبلغ نفيه مسامع بعض اتباعه في الدرعية من اقليم العارض المذكور واميرهم يدعى محمد بن سعود فتقدموا اليه ان يأذن باقتحامه اليهم فاذن لهم بذلك فبعثوا الى شيخ العينة ان يوجهه اليهم . فبعثه في خفارة فارس اسراً اليه ان يقتله غيلة في اثناء الطريق . فهم الفارس ان ينفذ ذلك الامر مراراً وهو يؤجله واتفق انه هم بالعمل اخيراً وهو على مقربة من الوفد الذي ارسله ابن سعود لاستقبال ذلك المنفي . ولم يكف الفارس يطعنه حتى جاء اولئك للدفاع عنه وقد كاد يقتل

فدخل محمد بن عبد الوهاب الدرعية فاحسن ابن سعود وفادته اكراماً لاتباعه ووعد بمجاوبته عن يناوئه واذن له في نشر تعاليمه . ففعل ونفوذ يزداد وانصاره يتكاثرون وشهرته تنسج . فاخذ يكتب مشايخ القبائل يدعوهم الى نيل الرذائل والرجوع الى الكتاب والسنة وانهم اذا لم يفعلوا حمل عليهم باهل درعية جهاداً في سبيل الحق . فاذعن له كثيرون وقاومه آخرون فمن وافقه انتقل اليه في درعية . فزاد انصاره فيها وفي غيرها من اقليم العارض واكثرهم في العينة وحريلة ودرعية والبارية والمنفوحة

تعاليم الوهابية

واساس مذهب ابن عبد الوهاب انه لا يعرف الا الله ولا يتوسل الى سواه —
واهم تعاليمه :

١ الصلاة خمس مرات في اليوم

٢ الصوم في رمضان

٣ الامتناع عن المسكرات

٤ منع البغاء

٥ الميسر والسحر

- ٦ تفريق جزء من مئة من الاموال زكاة على الفقراء
- ٧ التشديد في عقاب شهادة الزور
- ٨ ابطال الربا
- ٩ الحج مرة على الاقل
- ١٠ منع التدخين
- ١١ منع الرجال من لبس الحرير او التزين لانه من شأن النساء
- ١٢ هدم المزارات وقباب الاولياء لانها من ظواهر الوثنية وتشغل الناس عن مخاطبة الله رأساً

هذه خلاصة تعاليم محمد بن عبد الوهاب اخذ ينشرها بالاقناع والموعظة ومحمد بن سعود ينشر معها نفوذه وسلطانه في نجد . فعارضه اهل الرياض من ذلك الاقليم بقيادة اميرهم دهم بن دواس وحمل برجاله على المنفوحة فعادوا خائبين . فتشدد ابن سعود وشيخه ابن عبد الوهاب وتمكنوا من الثبات في الدعوة . فتزوج ابن سعود ابنة محمد بن عبد الوهاب فولدت عبد العزيز فخاف ابيه عند موته سنة ١٧٦٥ وكان الوهابيون قد تكاثروا وصاروا جنداً كبيراً فحمل بهم على اطراف جزيرة العرب وكان عبد العزيز شجاعاً حازماً شديد البطش مع قوى وورع فغدره رجل من فارس بطعنة خنجر وهو يصلي فقتله سنة ١٨٠٣ تخلفه ابنه سعود وكان قد تعود الحرب من صغره فقداد بعض رجال ابيه وهو لا يزال في الثانية عشرة من عمره . ثم ما زال يقود الجند في الحروب حتى هدد الدولة العثمانية في الشام والعراق . وكان جميل الخلق مافلاً حكيماً وقد قام في اعتقاد العرب انه لا يلبث ان ينشر هذا المذهب في العالم كله فقاموا حوله . فخافت الدولة العثمانية بطشه فجدت اليه حملة بقيادة سليمان باشا فقهرها ثم حمل بعشرين الف مقاتل على كربلاء وفيها قبور ائمة الشيعة وصاح برجاله « اقتلوا هؤلاء الكفار الذين يشركون بالله » فاخذوا في هدم المزارات كلها من قبر الحسين الى اقل الابنية . فلم يتركوا حجراً على حجر واستولوا على ما كان هناك من التحف والاموال واستعانوا بها على امورهم

وفي السنة التالية فتحوا مكة ودخل سعود الكعبة رسمياً في ٢٧ افريل سنة ١٨٠٣ واستولى على ما فيها من التحف وشدد في نشر تعاليمه هناك . فبطل التدخين وكف الناس عن تعاطي المسكرات وعكفوا على الصلوات . وبادر سعود فكتب الى السلطان سليم الثالث وهو يومئذ على العرش العثماني كتاباً هذا معناه :

« من سعود الى سليم : اما بعد فقد دخلت مكة في الرابع من المحرم سنة ١٢١٨ هـ وامنت اهلها على ارواحهم واموالهم بعد ان هدمت ما هناك من اشياء الوثنية والغيت الضرائب الا ما كان منها حقاً وثبت القاضي الذي وليته انت طبقاً للشرع الاسلامي فعليك ان تمنح والي دمشق ووالي القاهرة من المحيي الى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزموه فان ذلك ليس من الدين في شيء وعليك رحمة الله وبركاته »

ولم تمض تلك السنة حتى دخلت المدينة في حوزة الوهابيين واجرى سعود فيها اصلاحه الديني فهدم قبة القبر النبوي ونزع الستائر التي كانت هناك . واخذ في نشر سيادته على بلاد العرب فاصبحت حدود مملكته سنة ١٨٠٩ من الشمال صحراء سوريا ومن الجنوب بحر العرب ومن الشرق خليج العجم ومن الغرب البحر الاحمر وقد استفحل امرهم ولم ير الباب العالي بدءاً من تكليف بطل مصروحيي معاملها رحمه الله فاجاب محمد علي مطعماً وجعل يجمع القوات اللازمة لتلك الحملة لكنه فكر في امر المماليك فخشي اذا سارت الحملة ان لا تكون البلاد في مأمن منهم فيجمعوا كلمتهم ويعودوا الى ما كانوا عليه من الفلاقل فعمد الى اهلاكهم قبل مسير الحملة . لكنه في الوقت نفسه اخذ في اعداد المهات فجنده اربعة الاف مقاتل تحت قيادة ابنه طوسون باشا ثم طلب الى الباب العالي ان يبعث الى السويس بالاخشاب لبناء المراكب اللازمة لنقل الجنود ومعدات الحرب فارسل اليه ما طلب فابتنى ثمانية عشر مركباً واعدها عند السويس في انتظار الحملة

مذبحة المماليك

اما المماليك فكانوا قد يؤسوا من الاستقلال بالاحكام بعد ان رأوا ما حل بسلفائهم وما عليه محمد علي باشا من العزيمة فكفوا عن مطامعهم واكتفوا بالتمتع بارزاقهم وممتلكاتهم في حالة سلمية . فقطن بعضهم الصعيد وبعضهم القاهرة وتشتتوا في انحاء القطر . وكان شاهين بك وهو الذي تولى رئاستهم بعد وفاة الالفي قد اذعن لمحمد علي باشا كما تقدم . فاقطعه ارضاً بين الجيزة وبني سويف والفيوم فاوى اليها . وفي محرم سنة ١٢٢٦ هـ (فبراير (شباط) سنة ١٨١١ م) سار قواد الحملة من القاهرة وعسكروا في قبة العزب في الصحراء ينتظرون سائر الحملة ومعها طوسون باشا . وتعين يوم الجمعة لوداع طوسون والاحتفال بمخروجه ورجاله الى قبة العزب فاعلن ذلك في المدينة ودعي كل الاعيان لحضور ذلك الاحتفال وفي جملتهم المماليك وطلب اليهم ان يكونوا بالملابس الرسمية ففي يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ هـ (اول مارس (اذار) سنة ١٨١١ م)

احتشد الناس الى القلعة وجاء شاهين بك في رجاله فاستقبلهم الباشا في قصره بكل ترحاب . ثم قدمت لهم القهوة وغيرها ولما تكامل الجمع وجاءت الساعة امر محمد علي بالسير فصار الموكب وكل في مكانه منه جاعلين المماليك الى الوراء يكتنفهم الفرسان والمشاة . حتى اذا اقتربوا من باب العزب من ابواب القلعة في مضيق بين هذا الباب والحوش العالي امر محمد علي فاغلقت الابواب وانشار الى الالبانيين (الارناؤوط) فهجموا على المماليك بغتة فاندعر اولئك وحاولوا الفرار تسلقاً على الصخور ولكنهم لم يفوزوا لان الالبانيين كانوا اكثر تعوداً على تسلقها . واقتحم المشاة المماليك من



ش ٥٤ : امين بك (المملوك الشارد)

ورائهم بالرصاص فطلب هؤلاء الفرار بمخيوهم من طرق اخرى فلم يستطيعوا لصعوبة المسلك على الخيول ولما ضويق عليهم ترجل بعضهم وفروا سعياً على اقدامهم والسيوف في ايديهم فتداركتهم الجنود بالبنادق من الشبابيك فقتل شاهين بك امام

ديوان صلاح الدين . وحاول بعضهم الالتجاء الى الحرم او الى طوسون باشا بدون فائدة . ثم تودي في المدينة ان كل من يظفر باحد المماليك في اي محل كان يأتي به الى نكيا بك فكانوا يقبضون عليهم ويأتون بهم اليه افواجاً وهو يقتلهم وكان عدد المماليك المدعوين الى الوليمة اربعمئة فلم ينج منهم الا اثنان احدهما احمد بك زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير كان غائباً بناحية موش والثاني امين بك اتى القلعة متأخراً فرأى الموكب سائراً نحو باب العزب فوقف خارج الباب ينتظر خروج الموكب . ثم لما اقفلت الابواب بغتة وسمع اطلاق النار ادرك المكيدة فهمز جواده وطلب الصحراء قاصداً سوريا . والمتناقل على اللسان ان امين بك هذا كان داخل القلعة فعند ما حصلت المعركة همز جواده فوثب به من فوق السور لجهة الميدان فقتل جواده وسلم هو وقد صوروا تلك الاشاعة في الرسم (ش ٥٤) والاقرب للحقيقة ان هذه الاشاعة مختلقة او مبالغ فيها . ثم تودي في الاسواق ان شاهين بك زعيم المماليك قتل نخافت الناس ثم طافت العساكر في المدينة يهبون بيوت المماليك ويأخذون حريمهم وجوارهم وعلا الصياح وفي اليوم التالي نزل الباشا من القلعة وطوسون معه وطاف المدينة يأمر الناس بايقاف النهب وقتل كل من حاول ذلك ولكنه حرض على قبض من يظفرون به من المماليك في سائر انحاء القطر فكانوا يأتون بهم افواجاً يسوقونهم كالغنم الى الذبح . فبلغ عدد من قتل من البكوات ٢٣ يكا . وفي اليوم التالي نزل طوسون باشا الى الاسواق في فرقة من الجنود لتسكين القلوب وايقاف النهب . اما الجلث التي كانت في القلعة فاحتفروا لها حفراً جعلوا فوقها التراب وصرح محمد علي باشا بحماية نساء المماليك ولم يسمح بتزويجهن الا الى رجاله

عود الى الوهابيين

ولما خاتم البلاد من المماليك عكف محمد علي على المهام الاخرى واخصها مسألة الوهابيين فكتب الى غالب شريف مكة يخبره باعداد حملة تنقذه من الوهابيين فيفتح طريق الحرمين لجميع المسلمين وطلب اليه ان يمهّد له السبيل . فاجابه شاكراً ووعد بالمساعدة

اما سعود امير الوهابيين فانبأته الجواسيس بما نواء محمد علي فأمر فاجتمع حوله خمسة عشر الفا ليدفع بهم جنود مصر . اما حملة طوسون فركبت البحر من السويس حتى انت ينيح على الساحل الشرقي من البحر الاحمر ومنها يتصل الى المدينة فتملكوا

ينبع وساروا منها الى صفر وفيها معسكر الوهابيين وقد تأهبوا للدفاع فهجم طوسون باشا ففتحهم سعد ورجاله اولاً ثم ارتدوا على الجيوش المصرية فانهمزوا وتركوا مؤنهم وذخائرهم وجالهم وعادوا الى ينبع . فعلم محمد علي باشا بذلك فجدد جنداً كبيراً مدداً لابنه فاشتد ازر طوسون وجع اليه القوتين وسار حتى أتى المدينة فاطلق عليها القنابل فهدم بعض السور ثم دخلها واخمن في حاميها حتى سلمت فكشف السيف عنها . فانتشر خبر افتتاح المدينة في سائر الحجاز فخاف الوهابيون وفرح اعداؤهم ولا سيما الشريف غالب . وقد كان في جدة لا يدري ماذا يكون من امر تلك الحملة فلما علم بانتصارها كاد يطير من الفرح .

واجلى الوهابيون عن مكة خوفاً من اهلها فجاهها طوسون واحتلها وكسب الى ابيه ففرح فرحاً لا مزيد عليه لما اتاه الله من النصر على يد ابنه نصرألم يتأت لغيره من القواد العثمانيين وجيء اليه بقائد حامية المدينة من الوهابيين فارسه في خفر الى الاستانة فقتلوه حال وصوله اليها . اما من بقي من دعاة الوهابيين فكانوا لا يزالون في أمن خارج مكة تحت قيادة كبيرهم سعود

فلما جاء صيف سنة ١٨١٣ (سنة ١٢٢٨ هـ) علموا ان جنود طوسون لا يحتملون حر تلك البلاد وانهم اذا ناهضوهم اذ ذاك ربما تغلبوا عليهم فجددوا وساروا الى تربة شرقي مكة فخاربوها واستولوا عليها ثم ساروا الى المدينة وهددوها بعد ان استولوا على كل ما بين هاتين المدينتين من القرى والمدن . فاقبل الخبر بمحمد علي فلم يربداً من ذهابه بنفسه لنصرة الجنود المصرية وقد اصبحت مصر في مأمن من المماليك وغيرهم فسار في جند عظيم حتى أتى جدة فنزلها في ٣٠ شعبان سنة ١٢٢٨ هـ (٢٨ اغسطس (آب) سنة ١٨١٣ م) فلاقاه الشيخ غالب شريف مكة ورحب به . وبعد ان ادى فروض الحج رأى ان الشريف ليس ممن يعول عليهم في الدفاع فععد الى خلعه بطريقة تضمن حقن الدماء ففاز ثم وضع يده على ممتلكاته وبعث به وبعائلته الى الى القاهرة ومنها الى سالونيك فعاش فيها اربع سنوات ومات

اما الوهابيون فمات قائدهم سعود في درعية في ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٢٩ هـ (١٧ افريل (نيسان) سنة ١٨١٤ م) فانحطت سطوتهم فاقاموا عليهم ابنه عبد الله ولم يكن كفوءاً فحصلت بينه وبين الجنود المصرية مناوشات كثيرة لم تأت بتبعية . وفي ٢٨ محرم سنة ١٢٣٠ هـ (١٠ يناير (ك) سنة ١٨١٥ م) حصلت معركة كبيرة بين جنود محمد علي والوهابيين تحت قيادة فيصل اخي عبد الله شفت عن انتصار

المصريين فتقدم طوسون الى نجد الا انه اضطر اخيراً الى التوقف لقلة المؤن وهو لم يبلغ درعية

ثم اقتضت الاحوال عود محمد علي الى مصر فعاد وقد فتح طريق الحرمين ولكنه لم يبد جميع الوهابيين . فوصل القاهرة في ٤ رجب سنة ١٢٣٠ هـ فاهتم بتدريب الجند على نظام جنده اوريا وهو اول من فعل ذلك في مصر فاصدر امراً عالياً في شعبان سنة ١٢٣٠ هـ مؤداه ان الجنود المصرية ستدرب على النظام الحديث وهو النظام الفرنسي فاعظم على الجهادية ولا سيما الارناؤط الامتثال الى هذه الاوامر فرائ ان يدخل هذا النظام اولاً بين الجنود الوطنية لانهم اقرب الى الطاعة من هؤلاء الالبانيين ومن كان على شاكلتهم — وسنعود الى ذلك

وفي اثناء ذلك عاد طوسون باشا من الحجاز فخرج الناس لملاقاته بالاحتفال والاكرام ثم نزل الاسكندرية حيث كان ابوه مقبلاً فوجد امراته قد وضعت في اثناء غيابه غلاماً دعتة عباساً . وبعد يسير اصيب طوسون بالحمى شديدة في راسه وحصى لم يعش بعدها الا قليلاً واختلفت الروايات في اسباب موته وكيفيته ومكانه ولكنهم اتفقوا ان موته كان شديد الوطأة على ابيه . ونقلت جثة طوسون باشا الى القاهرة ودفنت قرب مسجد الامام الشافعي وراء جبل المقطم حيث مدفن العائلة الخديوية اليوم وبعد قليل عاد محمد علي الى روعه فاخذ يهتم في امر الوهابيين خشية ان يعودوا الى ما كانوا عليه فكتب الى عبدالله بن سعود ان يأتي اليه بالاموال التي استخرجها الوهابيون من الكعبة وان يتأهب متى قدم للسير الى الاستانة . فاجابه يعتذر عن الشخوص وقال « ان تلك الاموال قد تفرقت علي عهد ابيه » وارسل له هدايا فاخرة فارجع اليه محمد علي تلك الهدايا واوسعته تهديداً . ثم جرد اليه حملة عهد قيادتها الى ابنه ابراهيم باشا وكان باسلاً مقدماً وقائداً مجرباً لا يهاب الموت شديد الغضب سريعه . ولكنه كان سليم القلب حراً الضمين ولذلك كانت احكامه عادلة صارمة

وفي ١٠ شوال سنة ١٢٣١ هـ سار ابراهيم باشا بجملته من القاهرة في النيل الى قنا ومنها في الصحراء الى القصير على شاطئ البحر الاحمر ومنها بجزيرة البحر الى ينبع ثم الى المدينة وتربص هناك بجميع قواته يستعد لهجوم شديد امتثالاً لمشورة ابيه . فالتف حوله عصبة جديدة من القبائل المتحاربة ولما تكاملت قواته اقام الحرب سجلاً وما زال بين هجوم ودفاع حتى فاز وقبض على زعيم الوهابيين عبدالله فاوصله الى ابيه فوصل القاهرة في ١٨ محرم سنة ١٢٣٣ هـ فاذن له بالثول بين يدي الباشا وتقبيل يديه فرحب

به كثيرًا لانه كان يعجب بشجاعة الوهابيين . ثم سأله ما ظنه بابراهيم فاجابه قائلاً « انه قد قام بما عليه ونحن قننا بما علينا وهكذا اراد الله » . وفي ٢٠ محرم ارسل الى الاستانة وطافوا به في اسواقها ثلاثة ايام ثم قتلوه . وخلع السلطان على ابراهيم باشا خلعة شرف مكافأة له وسماه والياً على مكة . فانصلت هذه الاخبار



ش ه ه : ابراهيم باشا بلباسه العسكري

بدرعية تخاف اهلها فهدموا المدينة وفروا من وجه الموت فاحتلتها الجنود الظافرة وانتهى امر الوهابيين . اما محمد علي باشا فانه نال من انعام السلطان لقب خان مكافأة لاختلاصه وبسالته وهو لقب لم يمنح لاحد من وزراء الدولة الا حاكم القرم

٢ - فتح السودان

ولما انتهى هذا الرجل الخطير من حروبه في بلاد العرب فكر في فتح السودان على امل ان يلاقي فيها الكنوز الثمينة من مناجم الذهب بجوار البحر الازرق ناهيك بما هنالك من المحصولات والواردات العجيبة من الصمغ والريش والعاج والرقيق وغير ذلك . فجدد خمسة آلاف من الجند النظامي وبعض العربان وتمأينة مدافع وجعل الجميع تحت قيادة اسماعيل باشا احد اولاده . فسارت الحملة من القاهرة في شعبان عام

١٢٣٥ هـ (يونيو (حزيران) ١٨٢٠ م) في النيل فقطعت الشلال الاول فالثاني فالثالث حتى السادس فانت شندي والمثة وقد اخضعت كل ما مرت به من القرى والبلدان بدون مقاومة . ومن شندي سارت الى سنار على البحر الازرق وراء الخرطوم . ولم يكن من القبائل التي يعتمد بها هناك الا الشائقية فقاوموا قليلاً ثم سلموا ودخلت سنار وكردوفان في املاك مصر . فسار اسماعيل باشا في جنوده الى فزغل وهناك ظن نفسه اكتشف معادن الذهب . ثم فشا في رجاله الوباء فمات منهم كثيرون وافته نجيحة من ثلاثة الاف رجل بقيادة صهره احمد بك الدفتردار فاشتد ازره فاقام صهره هذا على كردوفان وسار في جيش الى المثة على البر الغربي . من النيل ثم عدى الى شندي في البر الشرقي لجباية المال وجمع الرجال . فاستدعى اليه ملكها واسمه النمر وقال له « اريد منك ان تأتي الي قبل خمسة ايام على قاربي هذا من الذهب والفين من العساكر » فجعل ذلك الملك يستعطف اسماعيل باشا ليتنازل عن ذلك القدر فقبل منه اخيراً عوضاً عن الذهب مبلغ عشرين الف ريال من الفضة

فأجابه الى ما اراد ولكنه لم يكن يستطيع جمعها في تلك المدة فطلب اليه تطويل الاجل فضربه اسماعيل بالشبق (الغليون) على وجهه قائلاً « لا . ان كنت لاتدفع المال فوراً ليس لك غير الخازوق جزاء » . فسكت الملك النمر وقد اضر له الشر وصمم على الانتقام فطيب خاطره ووعد به باتمام ما يريد . وفي تلك الليلة جعل يرسل التبن الجاف احمالاً الى معسكر اسماعيل علفاً للجمال ولكنه اقامه حول المعسكر كأنه يريد اشعاله . وفي المساء اتى الى اسماعيل في سرب من الاهلين ينفخون بالزمار ويرقصون رقصة خاصة بهم . فطرب اسماعيل وضباطه لذلك ثم اخذ عدد المتفرجين من الوطنيين يتزايد شيئاً فشيئاً حتى اصبح كل اهل المدينة هناك . فلما تكامل العدد امرهم ملكهم بالهجوم فهجموا بغتة على اسماعيل ورجاله ثم داروا بالنيران على التبن فاشعلوه فمات اسماعيل باشا وكثيرون ممن كانوا معه بين قتل وحرق . وفي اليوم التالي اتوا على الباقين وساقوا سلبهم الى المدينة

فانصل الخبر باحمد بك الدفتردار فاشتعل غيظاً واقسم انه لايقبل اقل من عشرين الف رأس انتقاماً لاسماعيل فزل بجيشه القليل حتى افند قسمه فقتل ذلك العدد من الرجال متفنتاً في طرق قتلهم على اساليب مختلفة . فهدأت الاحوال بعد ذلك وهكذا تم افتتاح السودان . وما زال احمد بك الدفتردار على حكومة سنار وكردوفان الى عام ١٢٤٠ هـ (عام ١٨٢٤ م) ثم ابدل برسم بك

٣ - حرب المورا

وفي عام ١٢٣٩ هـ ارسل محمد علي باشا باصر الباب العالي حملة مصرية تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا لمحاربة المورا في بلاد اليونان فسار وحارب واظهرت المهارة المصرية في تلك الحروب شجاعة الابطال ولولا اتحاد الدول مثنى وثلاث على الجنود العثمانية والمصرية لما قامت لليونان قائمة في تلك الحرب ولكننا نقول ان ابراهيم باشا عاد عود الظافرين بعد ان بذل في سبيل ذلك عشرين مليون فرنك وثلاثين الف مقاتل

٤ - فتح سوريا

ثم كانت حملة ابراهيم باشا على سوريا لافتتاح عكا لاسباب ترجع الى مطامع محمد علي في توسيع مملكته وانشاء دولة مستقلة . واما البواعث الظاهرة لتلك الحملة فهي ان الامير بشير الشهابي الكبير امير لبنان جاء مصر سنة ١٨٢١ بالتس من محمد علي التوسط لدى الباب العالي في العفو عن عبد الله باشا والي عكا لان الدولة كانت تحب محمد علي باشا وتعد خطره على اثر ما اوتيته من النصر في حرب الوهابيين بعد ان تعبت هي في قهرهم

وكان محمد علي باشا اذ ذاك في شاغل من امر الحرب في المورا وكانت الدولة قد بعثت اليه ان يجند جنداً لمحاربتها فلما جاءه الامير بشير مستنجداً طيب خاطره ووعدته بالمساعدة وكتب الى الباب العالي بذلك واسكن الامير في بني سويف ريثما يرد الجواب وشدد في طلب العفو تشديداً كبيراً لانه كان راغباً في امتلاك قلب الامير ولسانه ليكون له عوناً في ما نواه من فتح الشام

ولبت الامير في مصر حتى وردت الاوامر بالعفو عن عبد الله باشا فحملها شاكرًا بعد ان تداول مع محمد علي باشا سرًا بشؤون كثيرة تعود الى مقاصد الباشا في بر الشام . وسار الامير من مصر الى عكا بكل اكرام مصحوباً بسلاحدار الباشا حاملاً الفرمان بالعفو فوصلوا عكا فسر عبد الله باشا بفوزه ولكن الجنود العثمانية . في الشام طلبت النفقات المعينة في مثل هذا الصلح ولم يكن عند عبد الله باشا نقود وكان الامير قد جاء بنحو نصف القدر اللازم من محمد علي فضرب عبد الله باشا الباقي على المقاطعات واخذ بعضها من الامير

وجرت حوادث كثيرة انتهت بالتباعد بين الامير وعبد الله باشا . وكان محمد علي لما جاءه الامير بشير بواسطة العفو عن عبد الله باشا اسر اليه عزمه على فتح الشام وطلب نصرته فوعده سرًا ولبت ينتظر فرصة او حجة . وكان يظن ان صنعه

الجميل مع عبد الله باشا والامير يكفي لبلوغ امانيه ولكنه رأى من عبد الله باشا
اعوجاجاً عن غرضه . والغالب ان عبد الله كان طامعاً بمثل مطامع محمد علي فلما علم
بما نواه هنا صار يحاذره



ش ٥٦ : الامير بشير الشهابي الكبير

وادرك محمد علي ذلك فعزم على اختباره والتعويل على تنفيذ مقاصده بالقوة
فبعث الى الامير بشير ان يبعث اليه بجواب من الاخشاب التي يحتاج اليها في بناء
المراكب . فباشر الامير اجابة طلبه فتمعه عبد الله باشا فشق ذلك على محمد علي واعتبره
بظاهر الامر مخالفاً لاوامر الدولة العلية لان تلك المراكب انما هي للحكومة السنية
فجرد لمقاصته حملة بقيادة ولده ابراهيم باشا

جرد محمد علي باشا عام ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) حملة في البر والبحر فارسل
البيادة والطبجية عن طريق العريش برّاً وسار ابراهيم باشا في رجاله بجرّاً . اما حملة
البر فاستولت على غزة ويافا بغير شديد مقاومة . ثم وصل ابراهيم باشا الى يافا وسار في
جيشه الى عكا فوصلها في ٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٤٧ هـ فحاصرها برّاً وبحراً الى
٢٦ ذي القعدة منها فهجم عليها هجمة نهائية شقت عن تسليحها . ثم سار قاصداً دمشق
فاخضعها ولم تدافع الا يسيراً وبرحها الى حمص حيث كانت تنتظره الجنود العثمانية
تحت قيادة محمد باشا والي طرابلس فوصلها في ٨ يوليو (تموز) سنة ١٨٣٢ م
وبعد الاخذ والرد استولى ابراهيم باشا على حمص فخافت سوريا سطوة هذا

القائد العظيم فسلمت له حلب وغيرها من مدن سوريا . فتغير وجه المسألة باعتبار الباب العالي فبعث حسين باشا السر عسكر بجيش عثماني لايقاف ابراهيم باشا عند حده فجاء وعسكر في اسكندرونة فلاقاه ابراهيم باشا وحاربه وانتصر عليه ولم يعد يلتقي بعد ذلك مقاومة تستحق الذكر . ثم تقدم في اسيا الصغرى تاركاً طورس وراءه وكان الباب العالي قد ارسل رشيد باشا في جيش للملاقاة فوجد ابراهيم باشا جنداً كبيراً من البلاد التي افتتحها وسار نحو الانستانة للملاقاة رشيد باشا فالتقى الجيشان في ديسمبر (ك) ١ سنة ١٨٣٢ م في قونية جنوبي اسيا الصغرى فتفقه رشيد باشا برجاله واخترق ابراهيم اسيا الصغرى حتى هدد الانستانة

فنوسطت الدول وفي مقدمتهن الدولة الروسية فاتفقت الى مصر البرانس مورافيف لمخاطبة محمد علي باشا بذلك وتهديده فبعث الى ابراهيم باشا ان يتوقف عن المسير . ثم عقدت بمساعي الدول معاهدة من مقتضاها ان تكون سوريا قسماً من مملكة مصر و ابراهيم باشا حاكماً عليها وجائياً لخراج اذنه . وقد تم ذلك الوفاق في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٤٨ (١٤ مايو) ايار سنة ١٨٣٣ م) وهو المدعو وفاق كوتاهيا . فعاد ابراهيم باشا الى سوريا واهتم بتدبير احكامها وجعل مقامه اولاً في انطاكية وابتنى فيها قصراً وقشلاقات وولى اسماعيل بك على حلب واحمد منكلي باشا على اذنه وطرسوس اما الاجراءات العسكرية فلم يكن يسوغ لاحد سواء ان يتولاها

وكان ابراهيم باشا سائراً بالاحكام بكل دراية وحكمة خشية سوء العقبى الا انه مع ذلك لم ينج من ثورة ظهرت في ضواحي السلط والسكر في اواخر سنة ١٢٤٩ هـ (منتصف طم ١٨٣٤ م) وامتدت الى اورشليم وبعد الاخذ والرد اضطر ابراهيم باشا الى المحاصرة في اورشليم لانها ذات اسوار منيعة ثم امتدت الثورة الى السامرة وجبال نابلس

وفي ١٦ يونيو (حزيران) منها هجم المسلمون على صفد وفيها جماهير من اليهود فهدموا منازلهم وقتلوا رجالهم وفتكوا بنسائهم واصبحت تلك المدينة في حوزتهم ثم اجبروا مثل هذه التعديات على المسيحيين في الناصرة وبيت لحم واورشليم ولكنهم لم يتمكنوا مما تمكنوه بصفد . ويقال بالجملة ان سوريا اصبحت بسبب ذلك شعلة ثورية فاتصل الخبر بمحمد علي باشا فبرح الاسكندرية الى باقا فتقرب منه وجهاء البلاد وسراتها ثم عمدت الجيوش المصرية الى قمع الثائرين فنشبت العصاة الا النابلسيين فاتهم قاوموا طويلاً لكنهم اذعنوا اخيراً . ثم هاجم المصريون الساط والسكر وهدموهما . وبعد

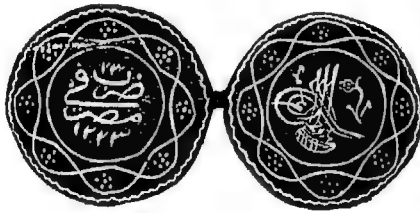
قليل عادت الثورة الى جبال النصيرية فاعترض اهلها فرقة من الجند كانت سائرة من اللاذقية الى حلب واعادوها الى حيث امنت . فارسل المصريون سبعة آلاف مقاتل اتحدوا بثمانية آلاف من الدروز والمارونيين بقيادة الامير خليل بن الامير بشير امير لبنان وسار الجميع الى النصيرية واخضعوهم . ثم سعى ابراهيم باشا في تجريد السوريين من السلاح خوفاً من عودهم الى الثورة ففعل لكنه لم يستطع تجريد اللبنانيين . وكان الامير بشير وابراهيم باشا على وفاق تام كأنهما خلقا ليتحدا

وبعد ان اتم ابراهيم باشا جمع سلاح السوريين بمساعدة الامير بشير هجم برجاله على اهالي الشوف والمثمن من لبنان وجمعوا ما استطاعوا من الاسلحة وحملوا كل ما جمعوه منها الى عكا وكانوا يصطنعون منها نعالاً لخيولهم . فاستتبت الراحة في سوريا واذنعت البلاد . الا ان محمد علي باشا لم يقف عند هذا الحد فاحب استخدامها لتوسيع دائرة حكمه فجعل يجمع منها الرجال والخيول بطرق قهرية فغضب الباب العالي فمقد مجلساً في يناير سنة ١٨٣٩ للنظر في مقاصد المصريين فاقتر المجلس على تجريد حملة من ثمانين الف مقاتل منهم خمسة وعشرون الفاً من الباشبوزق طبقاً لارادة السلطان محمود وان تسير تحت قيادة حافظ باشا لمحاربة المصريين

وكان محمد علي باشا قد سار الى السودان تاركاً القاهرة بقيادة حفيده عباس باشا . فلما عاد علم باعدادات الباب العالي فاندعر لها فكتب الى ابنه يستحثه فاخذ ابراهيم في الاستعداد للدفاع فحشد جيوشه في حلب لدفع الجنود العثمانية القادمة برّاً . ثم علم ان معظم الاهلين راغبون في دولتهم الاصلية ومستعدون للتسليم وعلى الخصوص الدروز تحت قيادة شبلي العريان احد ابطالهم المعدودين . فحصلت مواقع شديدة بين الجيوش العثمانية والجيوش المصرية في نزيب انتهت بانهزام الاولى الى مرعش . وكان السلطان محمود قد ارسل عمارة بحرية لمحاربة المصريين فجاءت الاسكندرية فاصابها ما اصاب الحملة البرية ولكنه توفي قبل بلوغه خبر تلك الوقائع فخلفه السلطان عبد المجيد

سنة ١٨٣٩

ثم توالى الحوادث الى ١٥ يوليو (تموز) سنة ١٨٤٠ م فالتصقت معاهدة لندن تقضي باعتبار محمد علي باشا من تابعي الدولة العثمانية . الا ان ذلك لم يكن ليوقفه



ش ٥٧ : نقود السلطان محمود الثاني

عن مقاصده ولديه اذ ذاك نحو ١٤٦ الفاً من الجنود النظامية و ٢٢ الفاً من الباشبوزق منها ١٣٠ تحت قيادة ابنه ابراهيم في سوريا والباقيون متفرقون في الحجاز وسنار وكريد ومصر . لكنه علم بعد ذلك ان هذه القوات قليلة في جانب ما يلزمه لانتماء مشروعه فجعل يضم اليها تلامذة المدارس حتى استخدم المرضى والجرحى . ثم عمد الى انشاء خفر وطني احتياطاً ولكنه لم ينجح به كل النجاح على انه مع ذلك لما عرضت عليه معاهدة لندرا لم يصادق عليها فعرض عليه ان يأخذ ولاية عكا ترضية له ويضمها الى مصر وينسحب من سوريا فرفض ايضاً

خروج ابراهيم باشا من سوريا

وبعد ذلك يسير جاءت الجيوش الانكليزية الى صيدا وفر ابراهيم الى الجبل . وكان الكومودور نابيه قد سار في عمارة بحرية انكليزية لمحاصرة بيروت وكانت تحت قيادة سليمان باشا الفرناوي وقد حصنها تحصيناً منيعاً ومعه فرقان من الجند . ولكن لسوء الحظ جاءت الانباء ان ابراهيم قتل وتشتت رجاله فخاف سليمان وراى ان لا بد له من تأكيد حقيقة ذلك الخبر حتى اذا تحققت موت ابراهيم يضم اليه ما بقى من الجيوش للمدافعة فبرح بيروت بعد ان جعل عليها صادق بك احد امير الايات الفرقتين . اما هذا فلما راي نفسه متفرداً في بيروت خاف وترك المدينة وفر فاستولى عليها الانكليز ثم اتصل به من سليمان ان ابراهيم باشا لا يزال حياً ويأمره بالثبات امام العدو وبما يحضر . فخاف صادق بك الوقوع في شر اعماله فاضم الى الانكليز هو ورجاله . ثم سار نابيه من بيروت الى عكا وحاصرها ففر اسماعيل بك ومن فيها من الرجال وسلمت المدينة ثم سار نابيه الى الاسكندرية بست سفن وعرض على محمد علي باشا الصلح فقبل وعقدوا معاهدة وقع عليها الطرفان ولما ارادوا تثبيتها مانعت الدول في ذلك وبقيت الامور على حالها حتى دارت المخبرات بين الباب العالي ومحمد علي باشا فأراد السلطان ارضاء محمد علي فاعطاه ان تكون ولاية مصر وراثية لنفسه بشرط ان يكون لجلالة السلطان الحق المطلق ان يختار من عائلة محمد علي من يريد لتوليها . فتردد محمد علي في بادىء الراى . ثم امر جيوشه ان تنسحب من سوريا وكان عددها عند ذهابها اليها مئة وثلاثين الفاً فلم يرجع منها الا خمسون الفاً وقد اخذ التعب منهم مأخذاً عظيماً فلم يربداً من قبول انعام السلطان . فبعث الى الباب العالي بذلك فأرسل اليه خطاً شريفاً بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ م بتثيته على مصر مع حقوق الوراثة لاعقبه وان يكون لجلالة السلطان ان يختار منهم من يريد لهذا المنصب هذا نصه :

فرمان ولاية محمد علي على مصر

« راينا بسرور ما عرضتموه من البراهين على خضوعكم وتأكيد امانتكم وصدق عبوديتكم لذاتنا الشاهانية ولمصلحة بابنا العالي . فطول اختباركم وما لكم من الدراية باحوال البلاد المسماة ادارتها لكم من مدة مديدة لا يتركان لنا ريباً بانكم قادرون بما تبدونه من الفيرة والحكمة في ادارة شؤون ولايتكم على الحصول من لدنا الشاهاني على حقوق جديدة من تعطفانا الملوكية وثقتنا بكم . فنقدرون في الوقت نفسه احساناتنا اليكم قدرها ونجهدون ببيت هذه المزايا التي امتزمت بها في اولادكم . وبمناسبة ذلك صممنا على تثبيتكم في الحكومة المصرية الميينة حدودها في الخريطة المرسومة لكم من لدن صدرنا الاعظم ومنحناكم فضلاً عن ذلك ولاية مصر بطريق التوارث بالشروط الآتي بيانها :

« متى خلا منصب الولاية المصرية تعهد الولاية الى من تنتخبه سدتنا الملوكية من اولادكم الذكور وتجري هذه الطريقة نفسها بحق اولاده وهلم جرراً . واذا انقرضت ذريعتكم الذكور لا يكون لاولاد نساء عائلتكم الذكور حق ايا كان في الولاية وارثها . ومن وقع عليه من اولادكم الانتخاب لولاية مصر بالارث بعدكم يجب عليه الحضور الى الاستانة لتقليده الولاية المذكورة . على ان حق التوارث الممنوح لوالي مصر لا يمنح رتبة ولا لقباً اعلى من رتبة سائر الوزراء ولقبهم ولا حقاً في التقدم عليهم بل يامل بذات معاملة زملائه . وجميع احكام خطنا الشريف الهلالي الصادر عن كلخانة وكافة القوانين الادارية الجاري العمل بها او تلك التي سيجري العمل بموجبها في بمالكنا العثمانية وجميع العهود المعقودة او التي ستعقد في مستقبل الايام بين الباب العالي والدول المتحابة يتبع الاجراء على مقتضاها جميعها في ولاية مصر ايضاً . وكلما هو مفروض على المصريين من الاموال والضرائب يجري تحصيله باسمنا الملوكي . ولكي لا يكون اهالي مصر وهم من بعض رعايا بابنا العالي معرضين للمضار والاموال والضرائب غير القانونية يجب ان تنظم تلك الاموال والضرائب المذكورة بما يوافق حالة ترتيبها في سائر الممالك العثمانية وربيع الايرادات الناتجة من الرسوم الجركية ومن باقي الضرائب التي تتحصل في الديار المصرية يتحصل بتمامه ولا يخصم منه شيء ويؤدي الى خزانة بابنا العالي العامرة والثلاث الارباع الباقية تبقى لولايتكم لتقوم بنفقات التحصيل والادارة المدنية والجهادية وبنفقات الوالي وباتمان الغلال الملزمة مصر بتقديمها سنوياً الى البلاد المقدسة مكة والمدينة . ويبقى هذا الخراج مستمراً دفعه من الحكومة المصرية بطريقة تأديته المشروحة مدة

خمس سنوات تبدي من عام ١٢٥٧هـ أي من يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٤١ ومن الممكن ترتيب حالة أخرى بشأنهم في مستقبل الأيام تكون أكثر موافقة لحالة مصر المستقبلية ونوع الظروف التي ربما تحدث عليها . ولما كان من واجبات بابنا العالي الوقوف على مقدار الإيرادات السنوية والطرق المستعملة في تحصيل العشور وبقي الضرائب وكان الوقوف على هذه الأحوال يستلزم تعيين لجنة مراقبة وملاحظة في تلك الولاية فينظر في ذلك فيما بعد ويجري ما يوافق إرادتنا السلطانية . ولما كان من اللزوم ان يعين بابنا العالي ترتيباً لسك النقود لما في ذلك من الأهمية بحيث لا يعود يحدث فيها خلاف لأمن جهة العيار ولا من جهة القيمة اقتضت إرادتي السنية ان تكون النقود الذهبية والفضية الجائز لحكومة مصر ضربها باسمنا الشاهاني معادلة للنقود المضروبة في ضربخاناتنا العامة بالاستانة سواء كان من قبيل عيارها او من قبيل هيئتها وطرزها

«ويكفي ان يكون لمصر في اوقات السلم ثمانية عشر ألف نفر من الجند للمحافظة في داخلية مصر ولا يجوز ان تتعدى ولا يتك هذا العدد . ولكن حيث ان قوات مصر العسكرية معدة لخدمة الباب العالي كائنا قوات الممالة العثمانية فيسوغ ان يزداد هذا العدد في زمن الحرب بما يرى موافقاً في ذلك الحين . على انه بحسب القاعدة الجديدة المتبعة في كافة ممالكنا بشأن الخدمة العسكرية بعد ان تخدم الجند مدة خمس سنوات يستبدلون بسواهم من العساكر الجديدة . فهذه القاعدة يجب اتباعها ايضا في مصر بحيث ينتخب من العساكر الجديدة الموجودة في الخدمة حالاً عشرون ألف رجل ليتبدلوا الخدمة فيحفظ منها ثمانية عشر ألفاً في مصر وترسل الاقان لها لاداء مدة خدمتهم . وحيث ان خمس العشرين ألف رجل واجب استبدالهم سنوياً فيؤخذ سنوياً من مصر اربعة آلاف رجل حسب القاعدة المقررة من نظام العسكرية حين سحب القرعة بشرط ان تستعمل في ذلك مواجب الانسانية وللزاهة والسرعة اللازمة فيبقى في مصر ثلاثة آلاف وستماية من الجنود الجديدة والاربعماية يرسلون الى هنا ومن اتم مدة خدمته من الجنود المرسلة الى هنا الطرف ومن الجنود الباقية في مصر يرجعون الى مساكنهم ولا يبوغ طلبهم للخدمة مرة ثانية . ومع كون مناخ مصر ربما يستلزم اقشة خلاف الاقشة المستعملة للميوسات العساكر فلا بأس من ذلك فقط يجب ان لا تختلف هيئة الملابس والعلامات التمييزية ورايات الجنود المصرية عن مثلها من ملابس ورايات باقي الجنود العثمانية . وكذا ملابس الضابطان وعلامات امتيازهم وملابس الملاحين وعساكر البحرية المصرية ورايات سفنها يجب ان تكون مماثلة لملابس ورايات وعلامات رجالنا وسفننا . وللحكومة المصرية ان

تعيين ضباطاً برية وبحرية حتى رتبة الملازم اما ماكان اعلى من هذه الرتبة فالتعيين اليها راجع لارادتنا الشاهانية . ولا يسوغ لوالي مصر ان ينشيء من الآن فصاعداً سفناً حربية الا باذنا الخاصصي . وحيث ان الامتياز المعطى بوراة ولاية مصر خاضع للشروط الموضحة اعلاه ففي عدم تنفيذ احد هذه الشروط موجب لابطال هذا الامتياز والغائه للحال . وبناء على ذلك قد اصدرونا خطنا هذا الشريف الملوكي كي تقدروا انتم واولادكم قدر احساننا الشاهاني فتعتنوا كل الاعثناء باتمام الشروط المقررة فيه وتحموا اهالي مصر من كل فعل اكراهي وتكفلوا امنيتهم وسعادتهم مع التحذر من مخالفة اوامرنا الملوكية واخبار بابنا العالي عن كل المسائل المهمة المتعلقة بالبلاد المهودة ولايتها لكم اه

فرمان ولايته على السودان

ثم صدر فرمان آخر يثبت ولايته على النوبة ودارفور وكردوفان وسنار هذا نصه :
 « ان سددنا الملوكية كما توضح في فرماننا السلطاني السابق قد ثبتتكم على ولاية مصر بطريق التوارث بشروط معلومة وحدود معينة . وقد قلدتم فضلاً عن ولاية مصر ولاية مقاطعات النوبة والدارفور وكردوفان وجميع توابعها وملحقاتها الخارجة عن حدود مصر ولكن بغير حق التوارث . فبقوة الاختبار والحكمة التي امتزمت بهما قومون بإدارة هاته المقاطعات وترتيب شؤونها بما يوافق عدالتنا وتوفير الاسباب الآيلة لسعادة الاهلين وترسلون في كل سنة قائمة الى بابنا العالي حاوية بيان الايرادات السنوية جميعها . وحيث انه يحدث من وقت لآخر ان تهجم الجنود على قرايا المقاطعات المذكورة فياسرون الفتيان من ذكور واثاث ويبتمونهم في قبضة يديهم لقاء روايتهم وحيث ان هذه الامور مما تفضي معها الحال ليس فقط لانقراض اهالي تلك البلاد وخرابها بل انها امور مخالفة للشريعة الحق المقدسة وكلاهما من الخالفين ليست اقل فظاعة من امر آخر كثير الوقوع وهو تشويه الرجال ليقوموا بحراسة الحرم ذلك مما ليس ينطبق على ارادتنا السنية مع مناقضته كل المناقضة لمبادئ العدل والانسانية المنتشرة من يوم جلوسنا المأثوس على عرش السلطنة السنية . فعليكم مداركة هذه الامور بما ينبغي من الاعثناء لمنع حدوثها في المستقبل ولا يبرح عن بالكم ان فيما عدا بعض اشخاص توجهوا الى مصر على اسطولنا الملوكي قد عفوت عن جميع الضابطات والعساكر وسائر المأمورين الموجودين في مصر . نعم بموجب فرماننا السلطاني السابق ان تسمية الضابطان المصرية لما فوق رتبة المعاون تستلزم العرض عنها لاعتنا الملوكية الا

انه لا بأس من ارسال بيان باسماء من رقيتم من ضباط جنودكم الى بابنا العالي كي ترسل لهم الفرمات المؤذنة بتثبيتهم في رتبهم. هذا ما لظقت به ارادتنا السامية فعليكم الاسراع في الاجراء على مقتضاها » اهـ

فاصبحت حكومته بعد ذينك الفرمانين محصورة في مصر والسودان . وبمقتضى ذلك تنازل محمد علي باشا عن عشرة آلاف من جنود سوريا فلم يبقَ عنده الا ثمانية عشر ألفاً بين مشاة وفرسان وغيرهم . فاضطر اذ ذاك الى الاقتصاد لاصلاح مالية البلاد فاوقف كثيراً من المدارس العمومية التي كان قد خصص مبالغ معلومة للنفقة عليها ومن ضمنها مدرسة شبرا الزراعية وابدل الاساتذة الاوروبايين لما بقي من المدارس باساتذة اترك او وطنيين وسار من ذلك الحين في خطة الاصلاح قانعاً بما قسم له من البلدان فعمل على ارضاء جلالة السلطان فاقصد الى جلالته ابنة سعيد باشا لتقديم فروض العبودية

اواخر ايامه

ثم اصيب ابراهيم باشا بأحرف في صحته فسار الى اوربا لقضاء فصل الصيف سنة ١٨٤٥ فاصاب ترحاباً عظيماً في سائر الممالك الاوربية ولا سيما في فرنسا وانكلترا وعاد الى مصر في اواخر صيف عام ١٨٤٦ م وكان والده قد توجه قبل وصوله ببسبر الى الاستانة بدعوة رسمية ليقيم عبوديته لجلالة السلطان فوصلها في ١٩ يولي (تموز) عام ١٨٤٦ م ونزل في سراي رضا باشا ثم تشرف بالثول بين يدي جلالة السلطان فرحب به . ولما اراد تقبيل الاعتاب الشاهانية امسكه جلالته واجلسه بجانبه ومكثا ساعة يتحدثان . ثم انصرف شاكرآ وزار عدوّه القديم خسرو باشا وتصافيا . وفي ١٧ اغسطس من تلك السنة برح الاستانة قاصداً قواله مسقط راسه فاقام فيها عدة ابنية لتعليم الفقراء واعانة الضعفاء والمساكين ثم برحها الى الاسكندرية فقبول بالانوار وسار منها الى القاهرة فتقاطر اليه المهنتون من الاصدقاء افواجا فكان يستقبلهم وعلى صدره الطغراء الشاهانية تتلأأ كالشمس

وفي منتصف عام ١٨٤٨ توعك مزاج محمد علي باشا وازدادت فيه ظواهر الخرف فلم يعد ثم بد من تولية ابراهيم باشا فتوجه هذا الى الاستانة في اغسطس من تلك السنة لاجل تثبيتته على ولاية مصر خلفاً لابييه فقبته السلطان بنفسه فعاد لمعاونة الاحكام . ثم واجعه العياء واشتد عليه بغتة ففارق هذا العالم في ١٠ نوفمبر عام ١٨٤٨ م وبعد وفاته باحدى عشرة ساعة دفن في مدفن العائلة الخديوية بجوار

الامام الشافعي بالقاهرة

وكان عباس باشا غائباً في مكة فاستقدم حالاً لاستلام زمام الاحكام فوصل القاهرة في ٢٤ دسمبر بعد ان قضى فروض الحج ولم يكن ثم اعتراض على توليته فيجاء الفرمان الشاهاني من الاستانة مؤذناً بذلك فتولى الامور كل ذلك ومحمد علي باشا في الاسكندرية وقد اخذ منه المرض مأخذاً عظيماً وما زال يهزل جسداً وعقلاً الى ٢ اوغسطس عام ١٨٤٩ م فتوفي ولم يستغرب الناس وفاته لانه مكث في حالة النزاع مدة طويلة . وفي ٣ منه تقاطر الناس من الاعيان والقنصل الى سراي راس الزين في الاسكندرية لحضور مشهد ذلك الرجل العظيم . فاذا هو في قاعة الاستقبال في تابوت تغطيه شيلان الكشمير وعلى صدره سيفه والقرآن الكريم وعلى راسه طربوشه الجهادي احمر تونسي وحوله العلماء في الملابس الرسمية يتلون القرآن بانغام التجويد . وكان سعيد باشا اكبر من وجد في الاسكندرية من عائلة الفقيد فكانت توجه نحوه خطابات التعزية . ونقلت جثة الفقيد ودفنت في جامعته في القلعة ولا تزال هناك الى الآن

اصول عامة

استولى محمد علي على مصر وهي في معظم الخراب والفساد سياسياً وتجارياً وزراعياً وادبياً فاخذ على نفسه اصلاح شؤونها وبذل في ذلك من الجهد والعناية ما ليس وراء غاية وقد فاز بما اراد فاحيا الديار المصرية وانعشها وانماها من سائر الوجوه حتى اصبحت تجاري ممالك اوروبا واثناك لقبه كتاب عصره بموجد الديار المصرية يريدون انه اوجدها من العدم وهذه اهم اصلاحاته :

١ - اصلاح الاداري

واول شيء باشره من اصلاح مسح الارضين والانتفاع بزرعها وتوزيعها . وتفصيل ذلك ان الديار المصرية كانت منقسمة من حيث ملكها الى قسمين احدهما الارضون التي كاد يكون لواضع اليد عليها الحق في ملكها ملكاً مطلقاً وكانت معفاة من الضرائب والقسم الثاني التي لم يكن لزارعها الا حق التمتع بريعها وهي الارض التي كانت عليها الضريبة الخراجية . اما نفس العقار في هذين القسمين فكان ملك بيت المال او الحكومة او السلطان

هذا كل شأن الارضين المصرية قبل الفتح العثماني وبعده الى القرن السابع عشر

حينما استأثر الامراء الممالك بالقوة والسلطة واختل نظام الارضين ودار الناس مهاجرون قاهملت الاشغال العمومية وقل ريع الارض فاصبحت الحكومة في عجز كلي عن استحصال النقود فالتجأت الى تازيم الخراج - وذلك ان الحكام كانوا يضمنون خراج النواحي والبلاد لاناس وكان ذلك الضمان او الالتزام يقرر اما بالمزايدة او بالاتفاق بين الملتزم من جهة والرزنامة بالنيابة عن الحكومة من جهة اخرى . حتى اذا تم الامر اعطت الرزنامة للملتزم تقسيطاً اي عقد تازيم يصدق عليه شيخ البلد وهو كبير امراء الممالك

فاذا دفع الملتزم الضريبة يعطى له حق التصرف في تحصيل المال الذي عجله وعلى فوائده التي كان يقرر سعرها هو بنفسه كما يريد . وكانت الحكومة تتعهد بمساعدته في التحصيل وتجعل له في مقابل ما ينفقه ويكابه في ذلك التحصيل بقاعاً غير التي التزمها معفاة من كل ضريبة تعرف بالاواسي . اما الفلاحون فلم يكونوا يملكون ارضاً قط على ان الملتزمين انفسهم كانت تنزع منهم الالتزامات اذا تصدى لهم من كان اكثر صولة منهم واشد بطشاً . ولا يخفى ما كان ينجم عن هذا التصرف من الاختلال وضياع الحقوق والانعاب

فلما استقام الامر لمحمد علي باشا امر بسمح كل ارض مصر المزروعة ثم قسمها الى مديريات والمديريات الى مراكز او اقسام وهذه الى نواحي وعين فيها من يقوم بادارة امورها وآخرين لجباية الضرائب وابطل الالتزامات جملة ووزع ارض كل ناحية بين اهل تلك الناحية نفسها بحيث يصيب كل فلاح قادر على الشغل جانب من الارض بقدر جانب الآخر فباغ نصيب كل فلاح ثلاثة افدنة وبعضهم اربعة او خمسة وجعل لمشايخ البلاد جانباً من الارض اعفاء من الضريبة في مقابل نفقات ضيافة جباة الاموال الاميرية الذين كانوا يملكون في بلادهم وما كانت الحكومة تكلفهم به من المهام ودعا تلك العطايا مسموح المشايخ او مسموح المبسطة وهي تقابل الاواسي المتقدم ذكرها ثم رأى رحمه الله ان الفلاح لا يستطيع من نفسه امراً يكفل اخراجه مما هو فيه من الضيق الذي تراكم عليه بمرور الاجيال وكان قد انتهى من اعماله الحربية ولم يعد ثم حاجة الى بقاء ضباط الجهادية منقطعين الى وظائفهم العسكرية مع رواتبهم جارية عليهم في حالة السام وان ليس من التدبير والحكمة ان يتناولوا معيشتهم وهم عطل من الاعمال . ورأى من الجهة الثانية ان الفلاح يحتاج الى مرشد يهديه الى الطرق اللازمة لاستقامة امره ووازع يدفعه الى الشهور بواجباته . وعلم ايضاً ان المرء مهما

كان صادقاً في خدمة الحكومة يشتغل لنفسه اكثر مما يشتغل لغيره فارتأى ان يعهد بأمر البلاد من حيث الزراعة الى أولئك الضباط ففوض اليهم تعميرها واصلاحها بأنفسهم ولم يحرم الفلاح مع ذلك من ثمرة اتعابه بل جعل لهذه الطريقة التي اعتمدها اصولاً وقوانين تقضي بأن لا تعطى الاطيان للمتعهد ما دامت رائحة ومقدرة على اداء ما عليها من الاموال في اوقاتها . اما الاطيان غير الرائحة فتحال الى عهده باختيار اربابها وهو يتعهد باداء المال المطلوب للحكومة وبهذه الوساطة نشطت الزراعة وتحسنت تحسناً عظيماً وما زالت تلك الارضين في يد المتعهدين الى ايام المغفور له عباس باشا وهو الذي استردها

مساحة الارض الزراعية في ايامه

كانت الارض الزراعية في عهد المماليك لا تزيد على مليون فدان وبعض المليون فلم يتولى محمد علي مسحها سنة ١٨١٣ واعطاها الى الفلاحين كما تقدم واخذت مساحة مايزرع منها يزداد حتى بلغت سنة ١٨٢١ نحو مليوني فدان متفرقة في المديرية على هذه الصورة نقلا عن فيلكس منجن في كتابه المنشور سنة ١٨٢٣

فدان	
١٩٤ ١٥٠	منوف
٢٢٥ ٩٦٠	غربية
١٠٠ ٧٩٢	البحيرة
١٦١ ٢٠٤	الشرقية
١٥٥ ٨٦٠	المنصورة (الدقهلية)
٨٠ ٠٠٠	القليوبية
٨٥ ٩٠٠	الجيزة
٧٠ ٢٠٠	الفيوم
٥٥ ٠٠٠	الاطفيحية
١٦٦ ٤٦٠	بني سويف
١٤٨ ٣٤٠	المنيا
١٧٨ ٥٨٤	اسيوط
١٩٠ ٤٠٠	جرجا
١٤٣ ٩٩٠	اسنا
١٩٦٦ ٨٤٠	الجملة

ثم اخذت مساحة الارض الزراعية تسع تدريجياً بالاسباب التي اتخذها محمد علي من تحريض الناس على الزراعة وتسهيل الري حتى بلغ ما احتفروه من الترع نحو اربعين ترعة بين كبيرة وصغيرة مجموع مكعبها جميعاً ٦٦٧ ٣٦٦ ١٠٤ متراً مكعباً ناهيك بما بذله من العناية في انشاء الجسور والقناطر والسدود وغيرها . فلا عجب اذا بلغت مساحة الاطيان المزروعة التي كانت تأخذ عليها الحكومة الاموال حوالي سنة ١٨٤٠ ضعف

ما كانت عليه قبل بضع عشرة سنة واليك تفصيل ذلك عن كتاب الدكتور كلوت بك :

فدان	فدان
١٢٤ ٠٠٠ الفيوم	٣٠٠ ٠٠٠ منوف
١٤٨ ٢٠٠ بني مزار	٤٥٠ ٠٠٠ الغربية
١٣٩ ٤٠٠ بني سويف	٢٤٥ ٠٠٠ البحيرة
١٥٢ ٨٠٠ المنيا	٣٦٠ ٠٠٠ الشرقية
١٦١ ٠٠٠ الفشن	٣٢٠ ٠٠٠ المنصورة
٨٤٦ ٨٢٦ اسيوط وجرجا واسنا	٢٩٠ ٠٠٠ القليوبية
٣٧٩١ ٢٢٦ (الجملة)	٢٥٤ ٠٠٠ الجيزة

وبمقابلة مساحة اطيان كل مديرية على حدة بين ما كانت عليه سنة ١٨٢١ وما صارت اليه سنة ١٨٤٠ يتضح لك مقدار ذلك النجاح

ومن اعماله الادارية انشاء الدواوين ومنها ديوان المعاونة وفائدته النظري ما يعرض من الدواوين الاخرى والمديريات وسائر الجهات . ثم الديوان الخديوي وكان يقوم باشغال ديواني الداخلية والخارجية والضابطة . ثم ديوان الاشغال وديوان المبيعات وديوان الفرده ثم انشأ بعد ذلك ديوان الخارجية خاصة وديوان العسكرية ثم الخزانة المالية وما يتعلق بها وديوان الاوقاف وديوان المعامل وديوان التفتيش والحفانية والترسخانه والابنية وديوان المدارس . وجميع ذلك او معظمه عهد بادارة اعماله الي مديرين ورؤساء من ابناء هذا القطر وكلها ترجع باحكامها الي ديوان المعاونة

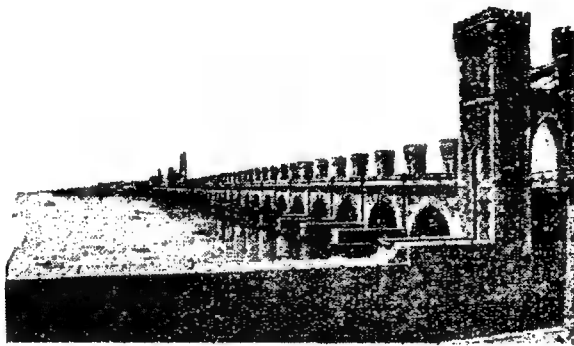
ثم انشأ مجالس للقضاء وما يقضي لها من القوانين والاحكام ورتب البريد بحمل على يد السعاة برّاً وبالسفن بحراً . وانشأ ما يقوم مقام التلغراف الآن من الاشارات بواسطة ابنية مرتفعة ممتدة على خط واحد بين المدن الكبيرة بين البناء والآخر مسافة تكفي لفهم الاشارة لا يزال بعضها منها قائماً اثرأ لهمة ذلك الرجل

وانشأ لتأييد السلم وتوطيد الامن فرقة الضابطة وفرقهم في انحاء البلاد فأمن الناس غائلات السبل ولا سيما الاوربيون فانهم كانوا يقاسون في اثناء تجوالهم في القطر اهانات ومشاق جسيمة فاصبحت السبل في مأمن وتسهلت الصلات التجارية على الخصوص بين انكلترا والهند على طريق البحر الاحمر فاستعاضوا بها عن طريق راس الرجاء الصالح في امور كثيرة

٢ - الاصلاح الزراعي

ولم تقف اصلاحاته عند هذا الحد ولكنه رأى خصب التربة المصرية وامكان استخدامها لغير انواع المزروعات المعروفة بمصر فجاء اليها بالقطن البندار (التقاوي) الاميركي وجاء بنبات النيلة من جهات الهند ونبات الافيون من اسيا الصغرى . وجاء بغير ذلك من انواع المغروسات المفيدة وجاء بالناس طليين بكيفية زراعتها واستغلالها . واكثر من غرس الحدائق والاشجار في القاهرة وضواحيها لتلطيفاً لحرارة الهواء واستزادة للغيث - من جملة ذلك مغارس الليمون في شبرا والحدائق في الروضة وحديقة الازبكية فقد كان في مكانها قبل ايامه بركة كبيرة يتصل اليها الماء من النيل ايام فيضانه وكان الناس يأتون اليها في المواسم والاعياد في قوارب عليها الانوار وسائر الزخارف فاحتقر محمد علي حولها ترعة ينصرف اليها الماء فظهرت ارض البركة فجعل حول هذه الترعة صفوفاً من الاشجار تحيط ببقعة كلها غرس طيب . اما الحديقة التي نراها الآن فهي من آثار الخديوي الاسبق اسماعيل باشا

ومن آثاره الزراعية السدود التي اقامها في ابي قير وترعة الفرعونية واشتوم الدبية واشتوم الجميل وغيرها . وانشأ كثيراً من الجسور والترع ونظر في تطهيرها وانشأ الترع الصيفية لاتمام الزراعة الصيفية وابدل الخول بالهندسين في اعمال الري وبعث كثيراً من ابناء البلاد الى اوروا لدرس فن الزراعة واتقانه ليخدموا بلادهم به



ش ٥٨ : القناطر الخيرية

ومن مشروعاته الخطيرة من هذا القبيل القناطر الخيرية القائمة عند رأس الدلتا والسبب في بنائها انه رأى النيل لما يصل الى راس الدلتا ينقسم الى فرعين هما فرعاً

رشيد ودمياط او الفرع الغربي والشرقي وراى ان الغربي اكبرهما ويمر في بقاع معظمها لا يصلح للزراعة فيذهب كثير من مائه هدرأ والشرقي يخترق ارضين واسعة الارحاء حسنة التربة فاذا كانت ايام التحاريق لا يبقى من مائه ما يكفي للري فاراد اتخاذ وسيلة ينتفع بها بما يزيد من ماء الفرع الغربي باضافته الى الشرقي . وراى الصعيد في زمن التحاريق يشح فيه الماء لارتفاع ارضه وقد لا يرتوي جيداً الا في زمن



ش ٥٩ : لبنان باشا مهندس القناطر الخيرية

الفيضان فاقراً على بناء قناطر على عرض الفرعين عند اول تفرعها عند راس الدلتا وان يجعل لهذه القناطر ابواباً من الحديد تغلق وتفتح عند الاقتضاء فاذا اقل قناطر هذا الفرع انصرف جانب من الماء المنحدر اليه الى الفرع الآخر فيستدفع صرف المياه كيف شاء واذا كان الفيضان قليلاً يقل قناطر الفرعين جلة فيرتفع الماء في الصعيد فيروي ارضيه ثم لا ينصرف منه الا ما يلزم لري الوجه البحري فاذا كانت ايام التحاريق تفتح القناطر فتفيض المياه والارض في حاجة اليها

فباشر هذا العمل الخطير ولم يضع الحجر الاول منه الا عام ١٢٥١ هـ (١٨٣٥م) ولم ينش عن عزمه حتى اتم بناءه بدراية لبنان باشا المهندس الفرنسي . غير ان ذلك المشروع لم يأت بالفائدة المطلوبة تماماً بما يتعاقب بارتفاع الماء في الصعيد ولكن الحكومة جعلت همها في السنين الاخيرة اصلاح ما هو فاسد منها وسد ما فيه من الخلل

٣ - الاصلاح العسكري

كانت القوة العسكرية في مصر لما تولاهما محمد علي اخلاطاً من الالبانيين (الارناؤوط) والدلاة (المغاربة) والانكشارية ومن جرى مجراهم ونظامهم الحربي النظام القديم الذي كان متبعاً في الازمنة السالفة عند الدولة العلية قبل القرن الماضي . فرأى رحمه الله ان يدرّبهم على النظام الفرنسي الذي اتبعه بونابرت في غزواته واخذته عنه دول اوروبا . فحاول ذلك مراراً فمظم على رجاله ولا سيما الارناؤوط وعصوا اوامرهم فيه لانهم اعتبروا ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . والالح عليهم ناروا وتجمهروا الى القلعة يطلبون الرفق بهم فرأى من الدراية والحزم ان يعاملهم بالحسنى فاجابهم الى ما ارادوا واخذ يدخل ذلك النظام رويداً رويداً بالحيلة فانتخب قتياناً كان قد قبض عليهم في جملة ما قبضه من اموال الممالك الذين ذبحهم وكان قد جعل اولئك الفتيان من حراسه واستبقى صغارهم في القلعة يتربون فيها على جاري العادة من تربية الغلمان الممالك في ذلك العهد استمداداً للخدمة العسكرية او غيرها . فكانوا يحفظونهم القرآن ويعلمونهم الخط واللغة التركية والرياضة البدنية

فما عزم على تنظيم الجند انتخب اكبر اولئك الممالك وارسلهم الى الصعيد يتعلمون النظام العسكري الحديث على اساتذة من الافرنج . وعلم ان هؤلاء التلاميذ لا يلبثون ان يصيروا جنداً فتفرغ اماكنهم من تلك المدرسة فانشأ في قصر العيني بمصر القديمة سنة ١٨٢٥ مدرسة اعدادية سماها المدرسة التجهيزية الحربية ادخل فيها نحو ٥٠٠ غلام بعضهم من صغار الممالك والبعض الآخر من ابناء الاتراك والالباينين والارمن واليونان وغيرهم ممن كانوا في خدمته وائس فيهم وطني . فكانوا يعلمونهم القرآن والنحو وآداب اللغة التركية والفارسية والعربية واما لغة التعليم فهي التركية . ونظراً لانهم ينوون ادخالهم المدرسة الحربية فكانوا يعلمونهم مبادئ الحساب والهندسة والجبر والرسم واللغة الايطالية لان اكثر اساتذة المدرسة الحربية كانوا يومئذ من الايطاليين

واستبطناً محمد علي ثمار هذه المدرسة لرغبته في سرعة تنظيم الجند فوافد جماعة من اولئك الممالك الى ليفورن وميلان وفلورنسا ورومية لدرس الحركات العسكرية وبناء السفن والطباعة والهندسة وغيرها من الفنون الحربية - اشرع عليه بذلك الاساتذة الايطاليان . ثم ارسل غلماناً آخرين الى انكلترا لدرس الميكانيكيات وسلاك الابجرو نوايس الساعات . ولما تحقق فوزه بتنظيم الجند احس بم حاجته الى مدرسة طبية فخرج الاطباء

لمعالجة الجند فأنشأها سنة ١٨٢٥ واختار تلامذتها من الوطنيين أبناء الأرياف أو تلامذة الأزهر خلافاً للمدرستين التجهيزية والحربية وسيأتي ذكرها
وتعجيلاً للتمار سعيه في اعداد الجند المنظم وأطبائه أوفد سنة ١٨٢٦ أربعين من تلامذة المدرستين التجهيزية والطبية إلى فرنسا لاقتان الفنون الحربية والطب والإدارة الملكية والعسكرية وغير ذلك مما يحتاج إليه في إدارة حكومته ويفتقر فيه إلى استخدام لافرنج لاقتصار الوطنيين إلى ذلك الحين على درس العلوم الأزهرية وهي يومئذ قاصرة على العلوم الدينية واللسانية وأنشأ مدرسة للطبجية وجعل في القاهرة معامل لسكب المدافع واصطناع سائر حاجيات الجند
والفضل في تدريب الجند على النظام الجديد راجع لقائد من قواد الفرنسيين اسمه الجنرال « سيف » ولكنه أسلم ودعى نفسه سليمان باشا وقد خدم الحكومة المصرية خدمات صادقة في حروبها ببر الشام وغيرها



ش ٦٠ : سليمان باشا الفرنسي

واصله من ليون في فرنسا ولد سنة ١٧٨٧ وسمي يوسف سيف وكان أبوه متوسط الحال يتعاطى الصناعة فلما بلغ يوسف أشده أراد والده أن يستعين به في أعماله ولكن

الغلام كان يشعر بأنه ارفع من ذلك المكان فضلاً عن ميله الفطري الى التنقل فلم يستطع المواظبة فشق ذلك على ابيه فتوعده اذا لم يثابر على العمل بان يدخله في سائر الملاحة عقاباً له فكان ذلك موجباً لسروره فادخله في مهنة البحرية سنة ١٧٩٩ وهو لم يتم السنة الثالثة عشرة من عمره فاعجبه جوب البحار وركوب الاخطار في سفن كانت الى ذلك العهد تسير بلا بخار. حتى كانت حروب ترافالغار سنة ١٨٠٥ بين الاسطول الانكليزي بقيادة الاميرال نلسون الشهير والاساطيل المتحدة لدول فرنسا واسبانيا تحت قيادة الاميرال فيلبيوف واميالين اسبانيين وكان الفوز للانكليز لكن صاحب الترجمة اظهر على صغر سنه اعمالاً تدل على استعداده للشؤون الحربية . وكان المنتظر ان يبال في مقابل ذلك مكافأة تستحق الذكر فاتفق انه تخاصم واحد رؤسائه وكان سيف عنيفاً خشناً فجرتهما المعاتبة الى المضاربة فبدا الضابط يضرب سيف ضربة جرحته فلم يستطع صبراً على ذلك ففهم بالضابط وما زال يضربه حتى قيل كفى فقبض عليه فحوكم فحكم عليه بالاعدام وهو حكم عسكري لامرء له

ولكن العناية سخرت له رجلاً من الاشراف اسمه الكونت بول دي سيغور يقال ان سيف كان قد انقذه من الموت مرة فذكر له هذا الجليل فلما علم بالحكم عاياه توسط في امره فاتفقه وارسله الى الجيش الفرنسي الذي كان اذ ذاك في ايطاليا

وبما شبت الحرب بين فرنسا والنمسا كان سيف في جملة الاسرى عند النمساويين وبقي مغترباً عامين حتى اذا كانت حملة نابوليون الشهيرة على روسيا سنة ١٨٠٢ فكان سيف في جملة جندها واظهر في اثناء وقائعها الهائلة بسالة اوجبت التفات نابوليون الخاص حتى اراد ان يقلده نشان الايجيون دونور فدعاه اليه بهذا الشان فانس منه استخفافاً فحنق عاياه وحرمه من ذلك الشرف. على انه ما لبث ان رقي في الرتب العسكرية حتى بلغ رتبة كولونيل (اميرالي) بعد رجوع تلك الحملة السيئة الحظ

ثم كانت الوقائع المشهورة التي قضت على رجل فرنسا (نابليون) بالاسر والنفي فقضى على الكولونيل سيف بالخروج من الجندية والانعطاع الى التجارة التماساً للنعيش ولكن اتى للجندي المحارب ان يساوم امرأة او غلاماً على مبيع سلعة فيبيع صوته قبل اتمام المبايعة وخصوصاً صاحب الترجمة فقد كان قليل الصبر على مثل ذلك فأنفت نفسه التجارة ولم يفلح فيها . وسمع في اثناء ذلك ان شاه العجم في حاجة الى ضباط حاذقين في تدريب الجند فكتب الى صديقه الكونت دي سيغور المتقدم ذكره ياتمس كتاب توصية . منه الى الشاه فتصح له الكونت ان يتوجه الى محمد علي باشا بهمر

فجاء مصر سنة ١٨١٩ ومعه كتاب توصية فاحسن محمد علي باشا مقابلته وكلفه بالبحث في جهات السودان عن معادن فحم الحجر ولكنه لم يعثر على شيء من فحم فعاد الى القاهرة واتفق وصوله اليها يوم الاحتفال بغلبة الجنود المصرية على الوهابية وكان محمد علي قد شاهد الجنود الفرنسية بمصر واعجب به نظامها وكانت الجنود المصرية عبارة عن فرق او وجاقات وفيهم الارناؤوط والانكشارية والمغاربة ونحوهم واكمل من هذه الفرق قائد فاذا نزلوا ساحة الوغى ركب كل جواده واستل حسامه أو بندقيته او رمحه وهجم على ما يترأى له

ففاوض محمد علي الكولونيل سيف في تنظيم الجند فرغبه فيه فعهد اليه تأليف الجند على هذه الصورة وتدريبه على الحركات العسكرية . وقد حارب سايمان باشا تحت علم الحكومة المصرية في المورة وسوريا وغيرها وتوفي بمصر سنة ١٨٦٠ وبني محمد علي في الاسكندرية ترسانة آتى اليها بالسفن والدوارع من مرسيليا والبندقية واقام فيها مدرسة جاء اليها بالاساتذة من فرنسا وانكلترا وبني حول الاسكندرية حصناً منيعاً وحصوناً اخرى في اماكن اخرى

٤ - الاصلاح التجاري

ولما اصلح الزراعة وكثرت حاصلات البلاد وجه التفاته الى تنشيط التجارة فأراد انشاء ميناء امين تأوي اليه السفن التجارية فلم تعجبه رشيد ولا دمياط خشونة مرساهما فاختر الاسكندرية فاحتفر ترعها الموصلة بينها وبين النيل ودعاهما ترعة الحمودية نسبة الى السلطان محمود الثاني فكثرت نقل البضائع فيها بين الاسكندرية وداخل القطر فاكسبت الاسكندرية بذلك اهمية كبرى وقاطر اليها التجار من اماكن مختلفة من اوروبا وغيرها واقامت فيها البنايات الكبيرة على النمط الافرنجي ووجدت فيها الفنادق والنزل للغرباء . واصلح مرفأ بولاق وغيره ووسع للاجانب في الاستيطان والتجارة فانتسعت تجارته وكثرت العلائق وعاد كل ذلك بالنفع الجزيل . وتوطيداً لاعماله هذه انشأ مجلساً تجارياً مؤلفاً من الوطنيين والاجانب للحكم في القضايا التجارية

حاصلات البلاد

قد رايت ان محمد علي عهد بالاطيان المهمة الى رجاله ليزرعوها ويستغلوها فاشتغل هو في تصريف حاصلاتها فاحتكر غلات هذا القطر ومصنوعاته وتولى بيعها راساً للتجار السوريين والافرنج واليونان والارمن . وكان يلاحظ سعر السوق ويهتم به مثل اهتمام سائر التجار في الاسعار . وكثيراً ما كان يربح الارباح الفاحشة وقد يخسر تبعاً لحال

السوق . وكان يبيع البضاعة تسليم الاسكندرية فينقلها هو على نفقته في اثناء الفيضان على السفن . وكان له في بولاق وكالات لخزن الاقطان والسكر والكتان والحناء التي ترد من الارياف وعلى تلك المخازن وكلاء لا يسهون منها شيئاً الا باصر الباشا . وكان يتاجر ايضاً بالنبر والعاج وغيرهما من واردات السودان واصناف اخرى كثيرة . ناهيك بارباح الجمارك وما يرد على مصر من تجارات اخرى . وكان يدون ارباحه من هذه التجارة في دفتر حكومته . واليك ميزانية الحكومة المصرية لسنة ١٨٢١ وفيها اصناف التجارات ومقدار ارباحها وكيفية الانفاق منها وغير ذلك :

ميزانية الحكومة المصرية لسنة ١٨٢١

الدخل	كيس	قرش
مال الميري	١٣٢٣٠٨	١٣١
ارباح الاتجار بالقطن والشمع والسكر	٢١٠٠٠	
والكتان والنبيلة والعسل والحناء وماء الورد		
وبزر الكتان والسمسم والقرطم وغيره	٢١٠٠٠	
ارباح المنسوجات الحريرية والقطنية	٨٠٠٠	
ارباح من مبيع الجلود	١٢٠٠	
» » » الحصر	١٣٧١٤	٢٥٠
» » الرز	٦٠٠	
» » النطرون	٩٠٠	
» » الصودا	٢٨٠	
» » ملح النشادر	٤٥٠	
» » القصب (خيوط الذهب)	٥٠٠٠	
ارباح جبرك السويس	١٨	
» » القصير	٢٠٠	
عوائد بضائع ستار	٢٦٠	
» تجارة دارفور في اسبوط	٥٠٠	
» » في مصر القديمة	٣٠٠٠	
» » في بولاق		

٣٦٠٠	عوائد تجارة دارفور في دمياط
٥٠٠	» » » ترعة المحمودية
٢٥٠٠	» » » في الاسكندرية
٣٥٠٠	» » » على النقود
٥٠٠٠	ضمان الملح والمشروبات
٣٧٠	» المذبح
٧٥٠	» عوائد النقة
١٢٠	» السنّا
٨٠٠	اثمان الاسماك في المنزلة
١٥٠	ضرائب بيع الاسماك بمصر وبولاق
٥٠	» بيع الحيوانات في امبابه والرميلة
٣٠٠	» على الرقاصات والمشعوذين وغيرهم
٤٠٠	عوائد التوارث
٦٠٠	» المعديات
٤٠٠	اجرة نقل البضائع
٣٥٠	قبالة المشروبات بالصعيد
١٤٠٠	عوائد الاسواق والوكالات في الصعيد وغيرها
١٠٠٠٠	عوائد النخيل
٧٢٠	عوائد ادخال الحبوب للقاهرة
٢٣٩٩٤٠	(جملة الدخل)
٣٨١	الخارج
١٠٠٠٠٠	نفقات الجند
١٢٠٠٠	المرسل الى الاستانة
١٥٠٠٠	على الامامل واجرة العمال
١٦٠٠٠	اجرة الموظفين الملكيين
٦٠٠٠	نفقات على المتزمين
١٨٠٠	» الجوامع والمدارس الخ

١٢٠٠	مستبات المتزيمين
٢٤٠٠٠	نفقات بيت محمد علي باشا واولاده
١٠٠٠٠	هدايا من المشايخ العربان الخ
١٢٠٠	نفقات الحج
٣٠٠	الكسوة
١٤٠٠	على وادي الطملات للغرس وغيره
١٨٩٤٠٠	(جملة الخارج)

وكان ينفق الباقي في بناء النكنات والمعامل والمنازل وغيرها . ولمعرفة حقيقة قيمة هذه المبالغ ينبغي تحويلها الى الفرنكات والكيس يومئذ عبارة عن ١٥٠ فرنكاً فيكون دخل الحكومة المصرية سنة ١٨٢١ نحو ٣٦٠٠٠٠٠٠ فرنكاً نحو ثلثها من الارباح التجارية . ونشر الدكتور كلوت بك ميزانية كهذه عن سنة ١٨٣٣ كان مجموع الدخل



ش ٦١ : بوغوص بك احد اعوان محمد علي في المسائل المالية

فيها ٦٢ ٧٧٨ ٧٥٠ فرنكاً منها نحو ١٥ ٠٠٠ ٠٠٠ فرنك من التجارة . وبلغ الخارج ٤٩ ٩٥١ ٥٠٠ فرنك ثلثها لتفقات الجيش

ومن اعوان محمد علي في المسائل المالية والتجارية بوغوص بك الارمني المتوفى سنة ١٨٤٤ وقد ترجمناه في الجزء الاول من تراجم مناهير الشرق الطبعة الثانية

٥ - الاصلاحات الصناعية

اما الاصلاحات الصناعية فكثيرة ولكن لم يبق منها الى الآن الا آثار بالية مع ما توخاه رحمه الله من انشاء المعامل واستجلاب الصناع من اقطار اوروبا فانه انشأ في هذا القطر معامل عديدة لمعالجة القطن والنبالة واصطناع الطرايش التونسية والورق والغزل وانواع الاقمشة من الحرير والكتان والقطن والصوف في سائر جهات القطر ومعامل الاسلحة على انواعها وغيرها . اما سبب حبوط معظم تلك المعامل فعائد الى عدم وجود معادن الفحم الحجري في القطر المصري

٦ - الاصلاحات الصحية

راى ذلك الرجل العظيم ان البلاد في احتياج كلي لهذه الاصلاحات لانتشار التدجيل والتطبيب بالكتابة والحجاجة وماشا كل فاستقدم احد مشاهير الاطباء الفرنسيين واسمه الدكتور كلوت (ثم صار كلوت بك) واليه ينسب شارع كلوت بك في القاهرة . فأنشأ المدارس الطبية والمستشفيات وفي مقدمتها المدرسة الطبية في قصر العيني (وكان هذا القصر قبلاً مسكناً لابراهيم بك الكبير من امراء المماليك) يدرس فيها الطب والجراحة ومدرسة اخرى في فن القوابل ومستشفى كبيراً في ابى زعبل (قرب المطرية) وانشأ مجلساً صحياً ومدرسة بيطرية ورتب مستشفيات واطباء للعساكر واخرى للاهالي وعين اطباء لمراقبة الاحوال الصحية في المديريات وكان معوله في تلك الاصلاحات على الدكتور كلوت بك

وهو فرنساوي الاصل واسمه الاصلي انطون برطاهي كلوت ولد في غرينوبل بفرنسا سنة ١٧٩٣م من ابوين فقيرين وربي في شظف من العيش وضيق ذات اليد وكان على صغره ولعاً بتشريح الحشرات ودرس طبائعها . وتوفي والده سنة ١٨١١م بعد ان تزح الى برينون وكان له صديق اسمه الدكتور ساييه فلما عين ما في الغلام من المواهب على حاله من الفقر جعله مساعداً له يرافقه في اعماله الطبية ويترن في الجراحة وكان كلوت يطالع ذلك العلم بنفسه ساعات الفراغ حتى قرا كتاب الجراحة تأليف (لافه) ثم راى ان برينون اصغرها لاتفي بما تجمبع اليه نفسه ولا تروي مطالعة

ففرح الى مرسيليا رغم ارادة والدته التي كانت كثيرة التعلق بولدها هذا لانه كان وحيداً لها ولكنه اصر على عزمه وضغط على عواطفه طلباً للعلم وسعياً وراء العلم وهو لا يملك الا بعض الدريهمات وشيئاً من الثياب على انه لم يلاق في مرسيليا الا الخيبة فحدثته نفسه ان يسافر في سفينة جراحاً لبحارتها ويتحمل مشاق الاسفار واخطارها سداً لعوزة وهو في التاسعة عشرة من سنه فلم يقبله ربانها وكان ذلك لحسن حظ المترجم لان السفينة غرقت في ذلك السفر



ش ٦٢ : كلوت بك مؤسس الاصلاحات الطبية بمصر

فاضطره العوز لتعاطي مهنة الخلاقة فصار يختص الى حلاق يعالج بالفصد والجراحة الصغرى . ثم عاد الى بلده ودخل المستشفى بعد عناء وتكرار الالتباس واكب على الدرس والمطالعة حتى نبغ بين اقرانه وفي سنة ١٨٢٠ نال شهادة الدكتورية . فعاد الى

مرسيليا وعين طبيباً ثانياً بمستشفى الصدقة ومستشاراً جراحياً بمستشفى الايتام فتم به بعض ذوي الحسد فأقيل من منصبه ولكنه لم يسع في الانتقام بل تضاعفت همته في العمل وفي سنة ١٨٢٥ اجتمع به الموسيو تورنو وكان تاجراً فرنسائياً من نزلة مصر بعث به المغفور له محمد علي باشا لاختبار من يليق بمنصب طبيب لجيشه فخب إلى المسير إلى مصر في ذلك المنصب فقدم عن طبيب خاطر فرأى امامه باباً واسعاً للعمل لما علمت من حاجة البلاد إلى الإصلاح الطبي فآخذ يعمل ليله ونهاره مفكراً في الوسائل المؤدية إلى المارد . وكان محمد علي باشا يركن إليه وينق براهه ويحجب مطالبه فأسس أولاً مجلساً صحياً ليستعين بأعضائه على الاجراء والتففيذ وبث الوصايا الصحية فرتبه على مثال المجالس الصحية الفرنسية ولا تمام النظام العسكري انشأ المستشفيات العسكرية ومصلحة الصحة البحرية . ولا يخفى ان المستشفيات تحتاج إلى عملة من الأطباء والتومرجية وغيرهم ولم يكن في مصر شيء من ذلك فاضطر أن يعلم كلا من هؤلاء واجباته من التطبيب وملاحظة المرضى وغير ذلك . وأشهر المستشفيات التي بنيت بناء على اشارته مستشفى أبي زعبل وانشأ في المستشفى بستناً للنبات

وفي نحو ١٨٢٦ م أسس المدرسة الطبية في تلك القرية أيضاً أراد بذلك ان لا يقتصر الطب على الجيش بل يتعلمه أبناء البلاد حتى يفيدوا أبناء جلدتهم بتطبيبهم وتعليمهم وكان في السنين الأولى من تأسيس هذه المدرسة هو وحده يلقى الدروس بواسطة المترجمين تسهيلاً لفهمها فترجمت كتب عديدة اذذاك وفي جانبها قاموس لستين الطبي وغيره من كتب الطب والجراحة والعلوم الطبيعية . وبما كان عقبة في طريق التشرج العملي ان تشرج جثث الموتى كان امراً منكراً في عيون المشاركة فبدل كلوت جهده حتى ابيح له التشرج سرّاً على ان ذلك لم ينجح من غضب الاهالي عليه حتى ان احدهم جاءه يريد قتله خلصة بمنجبر ولكنه لم يفز

وفي سنة ١٨٣٢ سار الدكتور كلوت بك في ١٢ تلميذاً من تلاميذ مدرسته هذه لامتحانهم في باريس فامتحنتهم الجمعية الطبية العلمية فحازوا استحسانها واطهروا كل نجابة وذكاء وبراعة . وهاك اسماء هؤلاء التلاميذ :

حسين الهبهاوي
عيسوي النحراوي
مصطفى السبكي
محمد الشباصي

احمد الرشيدى
حسن الرشيدى
محمد منصور
ابراهيم النبراوى

محمد علي البقلي
احمد نجيت

محمد السكري
» الشافعي

وقد كان نجاح هؤلاء المصريين في امتحانهم موجبا لسرور استاذهم كلوت بك سرورا زائدا لا هم سيكونون له عوناً في نشر الفوائد الطبية والوصايا الصحية في هذه الديار وقد نبغ منهم غير واحد بالتأليف والتطبيب والجراحة وغيرها وترجمنا بعضهم في الهلال او مشاهير الشرق



ش ٦٣: محمد علي باشا البقلي الجراح الشهير احد تلامذة الارسالية

وفي سنة ١٨٤٧ نقلت المدرسة الطبية من ابي زعبل الى القاهرة وهي المعروفة بمدرسة قصر العيني . ثم انشأ فيها فرعاً لدروس فن القبالة يتعلمها النساء لأن عوائد المشاركة لا تسمح بولادة النساء على ايدي اطباء من الرجال وانشأ هن مستشفى خاصا بهن وكان لهذه الخدمة فائدة عظيمة خصوصاً لان النساء لمبالغتهن في التحجب لا يؤذن للطبيب بمساعدتهن في الولادة ولا الكشف عليهن في تشخيص بعض الامراض فكم كان يموت منهن لنقص المعالجة

٧ - الاصلاحات العلمية

اما الاصلاحات العلمية فلا تقل أهمية عما تقدم لانه ألف مجلساً للمعارف العمومية قصد به تعليم خدمة الحكومة الملكيين والجهاديين ما يؤهلهم للقيام بمهام اعمالهم وفتح مدارس كثيرة لتعليم الشبان من اهل البلاد وبعث بعضاً منهم الى اوربا لاتقان الدروس على مثال الارشاليات العلمية بعد ذلك . وبلغ عدد التلامذة الذين ارسلوا الى اوربا في زمن محمد علي ٣١٩ تلميذاً اتفق عليهم ٢٢٤٠٠٠ جنيه وكان غرضه من الارشاليات على الغالب تخرج شبان في الفنون العسكرية والاقتصاد والميكانيكا والطب والتعدين والترجمة . وقد نشرنا اسماء تلامذة احدى الارشالية ومواطنهم والغرض من تعليمهم في السنة ١٥ من الهلال (صحيفة ٢٢٠)



ش ٦٤ : مختار بك اول ناظر للمعارف بمصر

وكانت المدارس المصرية في اول امرها تابعة للعسكرية فانغمس رجوع جماعة من طلبة احدى الارشاليات من اوربا سنة ١٨٣٦ وانشأ مجلساً خاصاً بالمدارس سماه ديوان المدارس برئاسة مختار بك احدى الطلبة القادمين من اوربا وهاك اسماء اعضاء ذلك المجلس

كلوت بك	رفاعه بك
كياني بك	بيومي افندي
ارمين بك (والديعقوب باشا ارمين)	لامبر
هكيكان بك	هامون
وارين بك	دوزول (سكرتير)

فترى ان بعض هؤلاء الاعضاء من ابناء المصريين والارمن ممن تخرجوا في مدرسة باريس والبعض الآخر من الفرساويين . فلا غرو اذا ساروا في التعليم على طرق فرنساوية ونشطوا اللغة فرنساوية . وكان من جملة ما حملوه معهم من اوربا او تولد فيهم بعد الاطلاع على تواريج الامم ان ينشئوا في مصر دولة اسلامية عربية تقابل الدولة الاسلامية التركية وكانت الحرب قائمة بينهما في الشام وما وراءها

فلما تألف ديوان المدارس وتحقق اعضاؤه حاجة الجيش الى ضباط لم يروا مندوحة عن الاستعانة بالوطنيين فاستأذنوا محمد علي في الاكثار من المصريين في المدارس وكانوا الى ذلك الحين لم يدخلوا منهم الا عدداً قليلاً فاذن لهم . فانشأوا مدارس ابتدائية وثانوية في انحاء القطر المصري على نمط المدارس فرنساوية وهذه العلوم التي كانوا يعلمونها فيها :

القرآن	مبادئ الحساب
الخط	» التاريخ
اللغة العربية	» الجغرافيا
» التركية	الرسم
» فرنساوية	

ونظراً لتغلب العنصر العربي في هذه المدارس جعلوا التعليم كله في اللغة العربية واستقدموا لها الاساتذة في باديء الراي من تلامذة الازهر لتعليم القرآن واللغة واستعانوا بانتفاعيين من ضباط الجيش القديم المتخرجين في اوربا لتعليم مبادئ العلوم ثم نشأت طائفة من الاساتذة المبرزين في العلم - على ان روح الازهر ظلت سائدة عليها كلها مدة طويلة

ولم تمض بضعة سنوات حتى اصبحت المدارس التابعة للديوان المذكور سبعة عشر مدرسة منها ١٦ مدرسة كبرى وهي :

١٨٢٤	سنة	تأسست	مدرسة الموسيقى العسكرية
١٨٢٥	»	»	المدرسة الخربية في قصر العيني
١٨٢٧	»	»	مدرسة الطب والصيدلة
١٨٢٩	»	»	» الكيمياء العملية
١٨٣١	»	»	» المشاة
١٨٣١	»	»	» الفرسان
١٨٣١	»	»	» الطبعية
١٨٣١	»	»	» البحرية
١٨٣١	»	»	» طب الحيوان
١٨٣٤	»	»	» التعدين
١٨٣٤	»	»	» الهندسة
١٨٣٧	»	»	» الزراعة
١٨٣٧	»	»	» الولادة
١٨٣٧	»	»	» الادارة الملكية والحسابات
١٨٣٧	»	»	» الالسن والترجمة
١٨٣٩	»	»	» الصنائع والفنون



ش ٦ : رفاة بك اول ناظر لمدرسة الالسن والترجمة

وبلغ عدد التلامذة في المدارس كلها نحو ٩٠٠٠ تلميذ تنفق الحكومة على تعليمهم ولبسهم وطعامهم وسكنهم . والسبب في مكابذتها الاتفاق عليهم ان معظمهم في الاصل من غلمان المماليك فهم ملك الحكومة وهي بالطبع مكلفة باعاليتهم فلما استكثر من الحكومة من التلامذة الوطنيين عاملتهم تلك المعاملة فجعات تعاليمهم مجاناً . ولم يكن لها بدء من ذلك لانهم كانوا يدخلون تلك المدارس رغم ارادتهم وهم يكرهون التعليم فيها كما كانوا يكرهون الجندية . وظل ذلك شأن التعليم بمصر الى آخر ايام محمد علي سنة ١٨٤٨

المدرسة المصرية في باريس

ولما افضت ولاية مصر الى ابنه ابراهيم توقع الناس تغييراً في التعليم لانه كان قد اعدّ اصلاحاً مهماً على اثر رحلته في اوربا . ولكن الاجل عاجله قبل مباشرة العمل وكان ديوان المدارس قد نظر منذ تأسيسه سنة ١٨٣٦ في التعليم العالي وقرر عجز مصر عن القيام به لسببين : الاول خلوها من اساتذة قادرين على تدريس العلوم العالية والثاني خلو اللغة العربية من الكتب اللازمة لهذه العلوم — ولهذين السببين قررت الحكومة الاستقرار على ارسال التلامذة الى اوربا للتخرج بالعلوم العالية . ولكنها اصبحت لا ترسل غير النجباء المتخرجين من المدارس الكبرى . ولم يكن بدءاً للتلامذة المشار اليهم من معرفة لغة البلاد التي سيقنون علمهم في مدرستها فانشأوا لهذه الغاية مدرسة مصرية في باريس يديرها رجل مصري اسمه اسطفان بك معه وكيل ارميني اسمه خليل افندي جراكيان . واما الاساتذة فعينتهم نظارة الحربية الفرنسية من ضباط جندها

فارسات الحكومة المصرية الى هذه المدرسة نحو اربعين طالباً فيهم جماعة من امراء العائلة الخديوية وفي جللتهم البرلسان حليم وحسين ابنا محمد علي والبرلسان احمد واسماعيل (الخديوي) ابنا ابراهيم . واتفق ان ابراهيم باشا مرّ بتلك المدرسة في اثناء سياحته باوربا ومعه سكرتيره نوبار باشا فاعجب بنجاحها من حيث التعليم ولكنه انتقد قصيرها في التربية لان التلامذة كانوا يرسلون اليها وهم في حدود الشباب فارتأى ان ياتوها وهم صغار بين الثامنة والتاسعة من العمر ليتعلموا ويشقفوا معاً . وعزم انه حالما يرجع الى مصر يأمر رجاله جميعاً بارسال اولادهم الى هذه المدرسة وهم احدث . ولكن المنية عاجلته والثورة الفرنسية آلت الى اقفال المدرسة سنة ١٨٤٨

المطبعة الاهلية

وانشأ محمد علي المطبعة الاهلية في بولاق على اقاض مطبعة اتى بها بونابرت معه لما اتى لفتح مصر كما تقدم فلما خرجوا منها سنة ١٨٠١ اهمات تلك المطبعة ولم ياتفت احد اليها حتى تولى عرش الحكومة المصرية سنة ١٨٠٥ المغفور له محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية وعمل على اصلاح هذا القطر وكان في جملة مساعيه العلمية احياء هذه المطبعة وتجديدها . فاستحضر لها العدد والحروف واستخدم العمال من اوربا وسوريا فاداروها واصطنعوا حروفاً جديدة تشبه حروفها الاصلية من وجه وتختلف عنها من وجه آخر . وهي قاعدة حروف بولاق المشهورة وقد طبعت بها كتب جمّة طبية وتاريخية ودينية ما لا يحصى ولا يعد . وفي شهرة مطبعة بولاق ما يقني عن تعداد فضائلها

واما الذي اصطنع قاعدة تلك الحروف فجماعة من عمالها يومئذ لم نطلع الا على اسم واحد منهم وهو الياس مسابكي من اهل دمشق الشام . وكان في جملة حروف بولاق قاعدة فارسية جميلة اهللت الان
وامر بترجمة كثير من الكتب المفيدة في التركية والعربية والفارسية وانشأ الجريدة المصرية الرسمية (الوقائع المصرية) وديوان المهندسخانة وغير ذلك

صفاته و مناقبه

كان محمد علي متوسط القامة عالي الجبهة اصلعها بارز القوس الحاجبي اسود العينين غايرهما صغير الفم باسمه كبير الانف متناسب الملاح مع هيئة ووداعة . أبيض اللحية كثيفها مع استدارة وسعة . جميل اليدين منتصب القامة جميل الهيئة ثابت الخطوات منتظمها سريع الحركة . اذا مشى يجعل يديه متصالبتين وراء ظهره غالباً وعلى الخصوص اذا مشى في داره مفكراً في امر وكذلك كان يفعل بونابرت . وقلما كان يفاخر باللباس فكان لباسه غالباً على زي الممالك يلبس العمامة او الطربوش . وابدل اللباس العسكري في أواخر ايامه بلباس واسع بسيط لا يمتاز به عن بعض اتباعه

وكان يكره التفاخر بالحاشية فلم يكن على يابه الا رجل واحد يخفوه . واذا استوى في مجلسه لا يتخذ السلاح بل يجلس وفي يده حقة العطوس والمسيحة يتلاهى بها وكان يحب العاب البليارد والداما ولا يأنف من مجالسة صغار الضباط . واما جلسائه العاديون فالقناصل وكبار السباح وكانوا يحبونه ويحترمونه ويلقبونه بمبيد الممالك او مصلح الديار

المصرية . وكان سليم القلب مع دهاء وسياسة سريع التأثر لا يعرف الكظم فكثيراً ما كان ينتقاد بدسائس المفسدين . وكان كريم النفس سخي العطاء وفي بعض الاحوال مسرفاً . وكان يتفاخر بعصاميته ويرتاح للتكامل عن سابق حياته . وكان محباً للاطلاع ولا سيما على الاخبار السياسية وكان يجلس الجرائد ويعتقد تأثيرها في الهيئة الاجتماعية فكانوا يترجونها له فيطالعها بتمعن



ش ٦٦ : محمد علي باشا بالطربوش

اما هو اجسه السياسية فكانت تقلق راحته فلا ينام الا يسيراً وقلما يرتاح في نومه ولا ينفك متقلباً من جانب الى آخر فكان يجعل عند فراشه اثنين من خدمته يتناوبان اليقظة لتغطيته اذا انكشف عند الغطاء من القلب . ويقال ان من جملة دواعي ارقه الشهقة المرتجفة التي كانت تتردد اليه كثيراً وكان قد أصيب بها في حملته على الوهابيين على أثر وعب شديد . على ان ذلك الارق لم يكن ليضعف شيئاً من سرعة حركته فكان يستيقظ نحو الساعة الرابعة من الصباح ويقضي نهاره في المشاغل المختلفة بين مفاوضة مع ذوي شوره او مراقبة استعراضات العساكر او استطلاع امور اخرى تتعلق بمصالح الامة . وكان بارعاً في الحساب بغير تعلم لانه شرع بتعلم القراءة والكتابة وهو في الخامسة والاربعين من عمره . ويقال انه ابتداءً يتعلم احرف الهجاء على احد خدمه حرره والكتابة على احد المشايخ وهذا مما يزيد شرفاً ونحراً ويبرهن على ما فطر عليه

من قوة الادراك والحذاقة والمقدرة على المهام السياسية . وكان صارم المعاملة مع لين ورقة وحسن اسلوب . وكان متسكاً بالاسلام مع احترام التعاليم الاخرى ولا سيما التعاليم المسيحية فكان يقرب اصحابها منه ويعهد اليهم اهم اعماله ويقال انه كان بالاجمال ابا حنوناً لرعيته وصديقاً مخلصاً ونصير مسعفاً لذوي قرياه اياً حقيقياً ولاولاده ولذلك تراه بعد ان اصيب بفقد اكثرهم غلب عليه الحزن حتى اثر في صحته تأثيراً رافقه الى اللحد . اما حبه للرعية فلا يحتاج الى دليل فهذه الديار المصرية عموماً اذا قصرت السنة اهلها عن تعداد ماثره ينطق ججادهما بمزيد فضله هذه الترع والجسور والبنائات والشوارع والجنائن . هذه المطابع والمدارس هذه المنظمات الجهادية والملكية والقضائية هذه الزراعة والفلاحة هذه شبه جزيرة العرب تردد ملاقاته من نجدته . وقد كان موضع احترام رعيته وذويه حتى الاجانب البعيدين منه وطناً وديناً ومشرباً وكثيراً ما تقربوا اليه بالنياشين والهدايا اقراراً بفضلته على العالم عموماً بتمهيد سبل التجارة بين أوروبا والهند على الخصوص



ابراهيم باشا بن محمد علي

ولد سنة ١٢٠٤ هـ ونولي وتوفي سنة ١٢٦٥ هـ



ش ٦٧ : ابراهيم باشا في اواخر ايامه

هو نجل محمد علي باشا وقد تقدم في سيرة ابيه معظم سيرة حياته لانهما عملا معاً في مصر وكان ابراهيم ساعد ابيه الايمن في فتوحه وسائر اعماله العسكرية . ولد في قواله عام ١٢٠٤ هـ ومال من صغر سنه للاعمال الحربية وفيه مواهب اعظم القواد يشهد بذلك ما اتاه من الاعمال المظمية في مصر والشام والمورة والسودان وغيرها مما فصلناه في ترجمة ابيه . وكان يعرف الفارسية والتركية والعربية وله اطلاع واسع في تاريخ البلاد الشرقية تولى الامارة المصرية بعد تازل ابيه عام ١٢٦٥ فسار على خطواته سيراً حسناً وان كان في الحقيقة يختلف عنه بمواهبه الاصلية فقد كان ابراهيم صارم المعاملة صعب المراس شديد الوطأة كما يغلب ان يكون رجال العسكرية . وكان ابوه لين العريكة حسن السياسة ذا دهاء وحكمة . ولم يبق حكم ابراهيم الا ١١ شهراً وتوفي قبل والده وكان ربع القامة ممتليء الجسم قوي البنية مستطيل الوجه والانف اشقر الشعر في وجهه اثر الجدري وكان كثير اليقظة قليل النوم . وكان نقش خاتمه « سلام على ابراهيم »

عباس باشا الاول

لد سنة ١٢٢٨ هـ وتولى سنة ١٢٦٥ هـ وتوفي سنة ١٢٧٠ هـ



ش ٦٨ : عباس باشا الاول

هو عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا ولد عام ١٢٢٨ هـ او ١٨١٣ م ورث احسن تربية وكان حياً لركوب الخيل فرافق عمه ابراهيم باشا في حملته الى الديار الشامية وشهد اكثر الوقائع الحربية وفي سنة ١٢٦٥ هـ تولى زمام الاحكام على الديار المصرية بعد وفاة عمه ابراهيم وكان على جانب من العلم والمعرفة لان المرحوم جده كان يحبه كثيراً فاعتنى بتعليمه في مدرسة اخطانكاه ومن مشروعاته المهمة الشروع في انشاء الخط الحديدي بين مصر والاسكندرية وتأسيس المدارس الحربية في العباسية ومد الخطوط التلغرافية لتسهيل سبل التجارة وغير ذلك

وكان له غلام يدعى البرنس ابراهيم الهامي كان على جانب عظيم من الجمال والذكاء واللطيف والمعرفة واللعلم زار الاسكندرية سنة ١٢٧٠ هـ وتشرف بمقابلة السلطان عبد الحميد

فاحبه وزوجه بابنته وغمره بنعمه . فرجع الى مصر حامداً شاكراً والمرحوم الهامي باشا هو والد ذات العفاف والعصمة حرم المغفور له توفيق باشا الخديوي السابق ووالدة مولانا الخديوي الحالي

وعباس باشا هو الذي وضع الحجر الاول لمسجد السيدة زينب بيده وقد كان لذلك احتفال عظيم حضره كثير من الاعيان ورجال الدولة وذبحت فيه الذبايح وفرقت الصدقات على الفقراء كميات كبيرة

وفي ايامه كانت بين الدولة العلية والروسين حروب فبعث لنجدة الدولة حملة كبيرة سارت عن طريق بولاق في البحر وسار هو بنفسه لوداعها هناك وقبل ركوبها النيل نهض لوداعها قائلي في الجمهور خطاباً بليغاً منشطاً

وتوفي عباس باشا في شوال سنة ١٢٧٠ او يوليو سنة ١٨٥٤ م في قصره بمدينة بنها العسل ثم نقل ودفن في مدفن العائلة الخديوية في القاهرة

سعيد باشا

ولد سنة ١٢٢٧ هـ وتولى سنة ١٢٧٠ هـ وتوفي سنة ١٢٧٩ هـ

هو ابن محمد علي باشا ولد في الاسكندرية عام ١٢٢٧ هـ (١٨٢٢ م) وكان محباً للعلم بارعاً فيه وعلى الخصوص في اللغات الشرقية والعلوم الرياضية وسلك الاجور والرسم وكان يتكلم الفرنسية جيداً . تولى زمام الاحكام عام ١٢٧٠ هـ او ١٨٥٤ م بعد وفاة عباس باشا ابن اخيه وكان مؤثراً للعدل والفضيلة مهتماً بالاصلاح الاداري . ومن اعماله المبرورة اتمام الخطوط الحديدية والتلغرافية بين اسكندرية ومصر والشروع في مد غيرها وتنظيم لوائح الاطيان واسترجاعها من المتعدين الى اربابها . وقد عدل الضرائب فجعلها عادلة ورفع كثيراً من الضرائب التي كان يتظلم منها الرعايا ونزع ترعة المحمودية وفي ايامه تمت مهادة ترعة السويس وقد نشطها تنشيطاً كبيراً واقام على طرفها الشمالي مدينة حديثة دعيت باسمه وهي بورت سعيد وغرس الاشجار في طريق المنشية

وفي السنة الثانية من توليه على مصر وضع الحجر الاول لاساس القلعة السعيدية عند راس الدلتا فيما بين القناطر الخيرية تداعت اركانها الآن وقد عثرنا على قطعة فضية مستديرة قطرها قبراطان ونصف على احد وجهيها رسم النيل عند تفرعه والقناطر الخيرية يليها على الجانبين برجا القناطر وبينهما عند راس الدلتا القلعة السعيدية وكل ذلك

في اجمل ما يكون من الرسم . وعلى الوجه الآخر كتابة تركية تفيد « ان المغفور له سعيد باشا بن محمد علي باشا المشهور قد وضع اساس القلعة السعيدية وما يليها من الاستحكامات بيده في يوم الاحد ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٢٧١ هـ لاجل حماية الديار المصرية » هذا نصها التركي

« قوله لي مشهور محمد علي صلبندن بيك ايكيوز اوتوزيدي سنه هجريه سنه اسكندريه ده دنياه كلوب يمش سنه سي شوال المكر منده خطه جسيمه مصره حكيمي جاري اولان محمد سعيد محافظه ام دنيا ايجون اشبو استحكامات قويه به بيك ايكيوز يمش بر سنه سي جهادي الثاينك يكرمي اوجنجي دوشنبه كوني ومولودنك اوتوز درنجي سنه سي كندی يديله وضع اساس ايتشدر »



ش ٦٩ : سعيد باشا

وفي ايامه ثارت مديرية الفيوم على الحكومة فبعث اليها واخذ الثورة فهدات الاحوال . ولما اختن نجله طوسون اطلق كل من كان في السجن من المجرمين حتى

القائلين . وفي اياه اعطيت بلاد السودان بعض الامتيازات وتولى عليها البرنس حليم باشا حكمداراً . وفي عام ١٢٧٦ هـ او ١٨٥٩ م توجه لزيارة سوريا فمكث في بيروت ثلاثة ايام ونزل ضيفاً كريماً على وجهاء المدينة وكان في اثناء مروره في الطرقات ينثر الذهب على الناس

وفي عام ١٢٧٨ هـ او ١٨٦١ م توفي المغفور له السلطان عبد المجيد وتولى السلطان عبد العزيز . وفي يوم السبت ٢٦ رجب عام ١٢٧٩ هـ او ١٧ يناير ١٨٦٣ م توفي سعيد باشا في الاسكندرية ودفن فيها

اسماعيل باشا

ولد سنة ١٨٣٠ وتولى سنة ١٨٦٣ وخلفه سنة ١٨٧٩ وتوفي سنة ١٨٩٠



ش ٧٠ : اسماعيل باشا

(ترجمة حاله) هو اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا الكبير . وكان لوالده ثلاثة اولاد ذكورا كبرهم البرنس احمد (ولد عام ١٨٢٥) ثم البرنس اسماعيل (ولد عام ١٨٣٠) ثم البرنس مصطفى (ولد عام ١٨٣٢) وكان البرنس احمد من نوايع الزمان ذكاه وفطنة كثير الشبه بوالده شكلاً و اخلاقاً ولكنه توفي في اثنى سني حياته بين الشباب والكهولة فاصبح صاحب الترجمة كبير ابناء ابراهيم وربى اسماعيل باشا في حجر والده وتعلم وتنقف بحياطة جده لان جده رحمه الله كان قد انشأ لأولاده الصغار واولاد اولاده الكبار مدرسة خصوصية في القصر العالي فيها نخبه من مهرة الاساتذة فتلقى صاحب الترجمة فيها مبادئ العلوم واللغات العربية والتركية والفارسية وتدرأ يسيراً من الرياضيات والطبيعات . فلما بلغ السادسة عشرة من عمره بعث به جده مع ولديه المرحومين البرنسين حليم باشا وحسين بك والمرحوم البرنس احمد باشا مع ارسالية فيها نخبه من شبان مصر الاذكياء الى مدرسة باريس يتولى رئاستهم وجيه ارمي اسمه اصطفان بك . فقضوا في تلك المدرسة بضع سنوات تلقوا بها العلوم العالية ثم عادوا الى مصر الاحسين بك فان النية ابركته هناك . ومن العلوم التي تلقاها اسماعيل اللغة الفرنسية والرياضيات وخصوصاً الهندسة وعلى الاخص فن التخطيط والرسم . وهذا هو سبب شغفه بعد ذلك بتنظيم الشوارع وزخرفة البناء

ولما عادت الارسالية كان عباس باشا الاول واليا على مصر فمك اسماعيل معه على صفاء ومودة حتى وقع بين عباس باشا وسعيد باشا نقور مبني على اختلاف في اقتسام الزكة وانحاز سائر افراد العائلة الخديوية الى سعيد وفي جملتهم اسماعيل . فساروا كافة الى الاستانة ورفعوا دعواهم الى جلالة السلطان فصدرت الارادة الشاهانية بانفاذ المرحوم فؤاد باشا الصدر الاعظم وكان يومئذ فؤاد افندي وجودت افندي وهو وجودت باشا المؤلف الشهير الى مصر . فاتيا وسوياً الخلاف وتصالح افراد هذه العائلة الكريمة فعادوا الى مصر الا اسماعيل فانه بقي في الاستانة وتعين عضواً في مجلس احكام الدولة العلية

وفي سنة ١٨٥٤ توفي عباس باشا الاول وتولى عمه سعيد باشا فعاد صاحب الترجمة الى مصر فولاه عمه المشار اليه رئاسة مجلس الاحكام فاهتم بشأنه اعظم اهتمام ولظمه على مثال مجلس احكام الدولة العلية

وفي عام ١٨٦٣ توفي المغفور له سعيد باشا فانضت ولاية مصر الى اسماعيل باشا

وهو خامس ولايتها من السلالة المحمدية العلوية فاخذ منذ تبوئه الاحكام في رفع شان هذه الديار واعادة رونقها الذي كان لها في عهد محمد علي باشا فاطلق يده في النفقة لتنظيم الشوارع وتشييد الابنية وانشاء المشروعات النافعة على انواعها مما سيأتي تفصيله غير مبال بما قد يجبر اليه ذلك من الضيق

وكانت ولاية مصر تستقل في الاسرة الخديوية الى من يختاره جلالة السلطان الاعظم بقطع النظر عن علاقته بالوالي السابق . وكان ولاية مصر يلقبون بالعزراو والوالي او الباشا واذا لقبوا احيانا بالخديوي فانما يكون ذلك على سبيل التجميل والتفخيم اما اسماعيل باشا فهو اول من نال رتبة الخديوية ولقب الخديوي فاصبحت ولاية مصر ارثاً صريحاً في نسله ينتقل منه الى اكبر اولاده ومنه الى اكبر اولاده وهكذا على التعاقب وهاك اهم نصوص فرمان المؤذن بذلك الصادر في ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢٩٠ هـ الموافق ٨ يوليو عام ١٨٧٣

الفرمان الخديوي

« ان كيفية وراثة الحكومة المصرية المقررة في فرماتنا الصادر ثاني ربيع الاخر عام ١٢٨٥ هـ قد غيرت على وجه ان تنتقل الخديوية من متبوعي كرسيا الى بكر ابنائه ومن هذا الى بكر ابنائه ايضاً وهلم جرّاً علماً بان ذلك ادنى الى المصلحة واشد ملاءمة لاحوال البلاد المصرية . واختصاصاً لك بانعطافي الذي صرت له املاً بحسن سعيك واستقامتك واجتهادك وامانتك وابنائاً لذلك اجعل قانون الوراثة لخديوية مصر ومتعلقاتها وما يتبعها من البلاد وقائماتية سواكن ومصوع وتوابعهما كما تقدم بيانه . بحيث تكون الولاية لبكر ابنائك ثم ابكر ابنائه من بعده . فاذا لم يرزق من تولى الخديوية ولداً ذكراً كانت الولاية من بعده لا كبر اخوته او لا كبر بقى اخيه الا كبر كما تقرر . ولا تكون هذه الوراثة لانباء البنات . ولاجل تأييد هذه الاحكام ينبغي ان تكون الوصاية في حال كون الوارث قاصراً على الصورة الآتية وهي :

« اذا توفي الخديوي وكان كبير ولده قاصراً اي غير بالغ من العمر ثماني عشرة سنة يكون هذا القاصر بالحقيقة خديوياً بحق الوراثة فيصدر اليه فرماتنا بوجه السرعة . واذا كان الخديوي المتوفى قد نظم قبل وفاته اسلوباً للوصاية وعين كفيته وذوي ادارتها بصك مثبت بشهادة اثنين من رؤساء حكومته فاوكلت الاوصياء بوضون اذ ذاك على ازمة الاعمال عقب وفاة الخديوي . ثم ينهون بذلك الى الباب العالي فيثبتهم في مناصبهم . ولكن اذا توفي الخديوي بغير وصية وكان ابنه قاصراً فجلس الوصاية عند

ذلك يؤلف من «تولي إدارة الداخلية والحربية والمالية والخارجية والحقانية وقائد العسكر ومفتش المديرية». فيجتمع هؤلاء الذوات وينتخبون للخديوي وصياً باجماع الرأي او باغليته فإذا تساوت الآراء لاثنتين من المنتخبين كانت الوصاية لرفعهما رتبة باعتبار الترتيب السابق من الداخلية فما بعدها . ويشكل مجلس الوصاية من الباقين فيباشرون جميعاً امور الخديوية ويعرضون ذلك لسلطنتنا السنية ليصدق عليه بالفرمان الشريف . وكما انه لا يجوز تبديل الوصي وتغيير هيئة الوصايا قبل انتهاء مدتها في الصورة الاولى اي فيما اذا كان تنظيمها بحكم وصية الخديوي المتوفى فكذلك لا تغير في الصورة الثانية . واما اذا توفي الوصي او احد اعضاء مجلس الوصاية في خلال تلك المدة فينتخب بدل الاول احد اعضاء المجلس وبديل الثاني احد ذوات المملكة . وبمجرد بلوغ الخديوي القاصر ثماني عشرة سنة يكون راشداً فيباشر ادارة امور الخديوية وذلك مما تقرر لدينا واقتضته ارادتنا السلطانية

« ولما كان تزايد عمارة الخديوية المصرية وسعادة حالها ورفاهة سكانها من أهم الامور لدينا وكانت ادارة المملكة المالية ومنافعها المادية المتوقف عليها تكامل وسائل الراحة وتوفر أسباب السعادة قائمة على الحكومة المصرية راينا ان نذكر كيفية تعديل الامتيازات وتوضيحها على شرط بقاء جميع الامتيازات الممنوحة سابقاً للحكومة المصرية . وذلك انه لما كانت ادارة المملكة الملكية والمالية بجميع فروعها واحوالها ومنافعها عائدة بالحصص على الحكومة ومتعلقة بها وكان من المعلوم ان ادارة اي مملكة وحسن انتظامها وتزايد عمراتها وسعادة سكانها مما لا يتم الا بالتوفيق والتطبيق بين الادارة العمومية والاحوال والموقع وامزجة السكان وطبائعهم فقد منحنا كم الرخصة المطلقة في وضع القوانين والنظمات الداخلية حسب الحاجة والازوم . ولاجل تسهيل تسوية المعاملات سواء كانت من قبل الرعية او من قبل الحكومة مع الاجانب . ولتوسيع نطاق الصناعة والحرف وتوفير اسباب التجارة منحنا كم ايضاً الرخصة الناة في عقد المشاركات وتجديد المقاولات مع مأموري الدول الاجنبية في امور المملكة الداخلية وغيرها على شرط ان لا يكون ذلك موجباً للاخلال بمعاهدات الدولة السياسية

« ولكون خديوي مصر حائزاً لحق التصرف المطلق في الامور المالية قد اعطيت له الرخصة في عقد القروض من الخارج بغير استئذان عند ما يجد لذلك لزوماً على شرط ان يكون القرض باسم الحكومة المصرية . وبما ان امر المحافظة على المملكة وصيانتها من الطوارق (وهو اهم الامور واحوجها الى العناية) من اقدم الوظائف المختصة

بخدوي مصر قد منحناه الاذن المطلق بتدارك اسباب المحافظة وتنسيبها على مقتضى ضرورات الزمان والحال وبتكثير او تقليل عدد العساكر المصرية الشاهانية حسب اللزوم بغير تقييد ولا تحديد . وابقينا كذلك لخديوي مصر امتيازه القديم بمنح الرتب العسكرية الى رتبة ميرالاي والملكية الى الرتبة الثانية على شرط ان تكون المسكوكات المضروبة في مصر باسمنا الشاهاني وتكون اعلام العساكر البرية والبحرية في القطر المصري كاعلام عساكرنا السلطانية بلافق او تميز ولا يجوز لخديوي مصر ان ينشئ البوارج المدرعة بغير استئذان اما سائر السفن والبوارج ففي استطاعته ان ينشئها متى شاء » انتهى

وقد امتاز اسماعيل باشا عن سائر ولاة مصر قبله انه حجب سكنى الديار المصرية الى الاجانب من جالية اوربا واميركا وغيرهما بما مهده من وسائل الراحة والطمأنينة مع الاخذ بنصرهم وتأبيد مشاريعهم وتنشيطهم وتوسيع نطاق التجارة فتقاطروا اليها افواجا واقاموا فيها على الرحب والسعة لما آتسوه من الكسب الحسن والعيش السهل وفي عام ١٨٦٩ احتفل اسماعيل باشا بافتتاح ترعة السويس وكان قد بوشر بحفرها على عهد عمه سعيد باشا فحضر ذلك الاحتفال ملوك اوربا او من يقوم مقامهم . وكان له رنة بلغ صداها اربعة اقطار المسكونة لما اعدده فيه اسماعيل من وسائل الزينة مما قد تقصر عنه همم الملوك العظام . وفي جملة ذلك انه بنى الاوبرا الخديوية بالقاهرة لتكون مسرحاً يشاهد فيه ضيوفه صنوف التمثيل وكانت المدة غير كافية لتشيد ذلك البناء فبذل الدرهم والدينار فلم تمض خمسة اشهر حتى تم البناء وسائر معدات التمثيل على ما نشاهده الآن وهو من المراسع التي لا مثيل لها الا في عواصم اوربا العظمى

قناة السويس

ويجدر بنا في هذا المقام ان نأتي على تاريخ هذه القناة من اقدم ازمائها فنقول : لا يخفى ان الفاصل بين البحرين الابيض والاحمر برزخ السويس وما برج ملوك مصر من عهد الفراعنة يسعون في الوصل بينهما لتسهيل طرق التجارة بين الشرق والغرب ولم يكن الناس اكتشفوا راس الرجاء الصالح فكان برزخ السويس فاصلاً بين الشرق والغرب فاهتم رجال السياسة من الملوك وغيرهم في الوصل بينهما بحيث تجري السفن من الواحد الى الآخر ولو بقناة صغيرة . ولكن القدماء كانوا يعتقدون ان البحر الاحمر اعلى من البحر الابيض المتوسط فخافوا اذا فتحوا ما بينهما ان تطوف الماء وتفرق

البلاد فوجهوا عنايتهم الى الوصل بين البحرين بطرق اخرى . ويقال بالاجمال ان مساعيهم كانت ترمي الى احدى ثلاث طرق وهي (١) الوصل بينهما بواسطة النيل والصحراء (٢) بواسطة النيل وفروعه (٣) بواسطة ترعة مألحة - واليك خلاصة السعي في كل منها :

١ - الوصل بين البحرين بالنيل والصحراء

هذه اقدم طرق الايصال بينهما واول من شرع بها مهربوع احد ملوك العائلة السادسة الفرعونية في القرن السابع والثلاثين من قبل الميلاد واتمه حنو من العائلة الحادية عشرة . وبعض المؤرخين يذهب الى ان بطليموس فيلاذلفوس هو اول من اوجد هذا الاتصال في القرن الثالث قبل الميلاد ولعل الصواب انه اعاده بعد اهماله وكان الاتصال المذكور يتم بطريق الصحراء بين برنيس على البحر الاحمر وقفت على النيل بقرب قوص بمصر العليا . فكانت المنقولات تحمل على الجمال او نحوها من برنيس الى فقط ومن هناك تنقل على مراكب نيلية الى البحر المتوسط عن طريق دمياط او رشيد . وما زالت هذه الطريق عظيمة الاهمية حتى اكتشفوا راس الرجاء الصالح جنوبي افريقيا سنة ١٤٩٧م فمحطت اهميتها . ولما فتح خابج السويس كادت تهمل بالسكينة لكنها لاتزال تستعمل في بعض الاحوال . وقد أصبح الاتصال الان بين القصير على البحر الاحمر وقنا على النيل عوضاً عن برنيس وقفت وقد يكون الى فقط ولا تستعمل الا اذا كان المقصود المواصله بين البحر الاحمر ومصر العليا راساً

٢ - الوصل بواسطة النيل فقط

لا بد قبل الكلام في ذلك من كلمة نقولها في تاريخ فروع النيل لانها الآن غير ما كانت عليه في عصر الفراعنة والبطالسة والرومان . فالنيل الان ينقسم بقرب القاهرة الى فرعيه الكبيرين فيسيران شمالاً يمر الشرقي منهما بينها فيت غمر فسمنود فالمنصورة وينتهي الى البحر المتوسط بالقرب من دمياط . والغربي يمر ببنوف فكفر الزيات فمدسوق الى ان يصب في ذلك البحر بالقرب من رشيد . وهذان الفرعان هما الفرعان الوحيدان للنيل الآن وقلما يتفرع منهما غير الترع الاصطناعية

اما في الازمنة الخالية فكانت لها فروع اخرى كبيرة اكبرها متشعب من الفرع الشرقي . وكيفية ذلك ان هذا الفرع بعد ان يصل الى قرب بنها يسير منه فرع غربي ينقسم الى عدة فروع تنتهي الى البحر المتوسط بثلاثة تصب عند بحيرتي المنزلة والبرلس اهمها فرع كبير شرقي يقال له فرع بلوسيوم كان يخرج من الفرع الشرقي قرب بنها

ويسير نحو الشمال الشرقي فيمر بيوباستس (تل بسطة) فالصاحية فدفنة الى ان يصب في البحر المتوسط بالقرب من بلوسيوم (طينة) شمالي الفرما . اما بحر القلزم او البحر الاحمر فكان متصلاً بالبحيرة المرة الكبرى بتضيق صالح لسير السفن وكانت هذه البحيرة خليجاً يدعى خليج هيروبوليس نسبة الى مدينة كانت قائمة على مسافة قصيرة من راسه بالقرب من فيثوم (تل المسخوطة)

والوصل بين البحرين بواسطة النيل يتم بحفر ترعة موصلة بين النيل والبحر الاحمر اما البحر المتوسط فان النيل يصب فيه . واول من فكر في ذلك سيني الاول من ملوك العائلة التاسعة عشرة فاراد ان يصل النيل بالبحيرة المرة بترعة . ويظن ارستوتل وسترابو وبلينيوس ان سيزوستريس (رعمسيس الثاني او الاكبر) هو اول من فعل ذلك في الجيل الرابع عشر قبل الميلاد . وربما كان ظنهم هذا مبني على ان هذا الملك هو الذي اسس مدينة فيثوم المتقدم ذكرها فرجحوا انه احتفر اليها ترعة من النيل لريها . وهذه التربة توصل بين النيل وخليج هيروبوليس فيتم الاتصال المطلوب . اما المعول عليه بالاسناد الى المصادر التاريخية الوثيقة ان اول من اخرج ذلك الى حيز الفعل انما هو الملك نخاو الثاني من العائلة السادسة والعشرين (سنة ٦١٠ ق م) فاحتفر ترعة تنشأ من فرع بلوسيوم عند بوباستس بالقرب من الزقازيق وتسير فيما يدعى الآن وادي القنال حتى هيروبوليس ويقال ان امتداد هذه التربة كان ٦١ ميلاً من الاميال الرومانية (نحو ٥٧ ميلاً انكليزياً)

فلما استولى الفرس على مصر اتهمها الملك داريوس (دارا) بن هستاسبس سنة ٥٢٠ ق م وكان المضيئ بين هيروبوليس والبحر الاحمر كاذ يتلىء من الرواسب ، فامر بحفره وتوسيعه وكان طوله نحو عشرة اميال . ولا تزال آثاره باقية الى هذا العهد بالقرب من شالوف عند الطرف الجنوبي للبحيرة الكبرى وترعة الاسماعيلية . . ويشاهد هناك بعض الاثار الفارسية الدالة على صحة ذلك . وكان المعروف اذ ذاك ان البحر الاحمر اعلى من النيل كما تقدم فلم يجسر نخاو ولا داريوس على ايصال ترعتهما هذه الى الخليج تماماً خشية ان يختلط المائمان او يطوف المالح على العذب . فتمت المواصلة اذ ذاك على هذه الصورة : تسير السفن من البحر المتوسط في فرع بلوسيوم الى بوباستس ومنها في تلك التربة الى هيروبوليس . ومن هذه كانوا ينقلون المحمولات الى مراكز البحر الاحمر على الدواب او غيرها فكانوا يقاسون في ذلك بعض المشقة . فلما تولى بطليموس فيلاذلفوس وجه اهتمامه الى اصلاح ذلك اخلل سنة ٢٨٥ ق م فاحتفر ترعة

•وصلة بين هيروبوليس ورأس البحر الاحمر وترعة أخرى من هيروبوليس الى خليج هيروبوليس ووسع المضيق . فاصبح هناك ترعتان كلتاهما متصلة بالبحر الاحمر واتخذ حواجز واحتياطات اخرى لمنع طغوى المياه المالحة على العذبة بحيث يمكن للسفن ان تمر الى الخليج والى البحر الاحمر مع توفى الطغيان . وابتنى عند مصب الخليج فى البحر الاحمر مدينة دحاها ارسينوا جعلها محطة بحرية تنتهى اليها المراكب القادمة عن طريق النيل وتقلع منها السائرة فى البحر الاحمر

ثم اخذ ماء النيل يتحول عن فرع بلوسيوم شيئاً فشيئاً حتى جف مأؤه فبطلت تلك التزعة . حتى اذا كان الاسلام وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص امره الخليفة بانشاء ترعة يسهل نقل المؤن عليها الى الحجاز فاحفر قناة دحاها خليج امير المؤمنين فابتدأ بها عند مصر القديمة حيث يبتدىء خليج مصر اليوم فسار بها فى ظاهر الفسطاط حتى القاهرة ومنها الى المطرية ومنها الى بوباستس حيث تبتدىء التزعة القديمة ومن بوباستس الى البحر الاحمر . وما زالت تسير السفن فى خليج امير المؤمنين الى ايام الخليفة المنصور فامر بردمه منعاً لامداد العلويين الذين ثاروا فى المدينة . وما زال مردوماً الى الان . ويقال ان الحاكم بامر الله الفاطمي امر بحفره سنة ١٠٠٠ لليلاد لتسير فيه السفن الصغيرة ثم اهمل فطمسته الرمال . وظل من آثاره الى عهد غير بعيد اخليج الذي كان يقطع القاهرة من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى وهو المعروف بخليج مصر . كان ينشأ من فم الخليج عند مصر القديمة ويسير نحو الشمال الشرقى وقبل ان يبلغ نظارة المالية ينعطف نحو الشرق الجنوبي حتى جامع السيدة زينب فيعود الى سيره نحو الشمال الشرقى فيمر بجانب بركة الفيل ثم سراي درب الجمامين فتنكة الجبانية ثم يقطع شارع محمد علي فيمر بجانب سراي منصور باشا الى ان يقطع السكة الجديدة قرب اتصالها بشارع الموسكى فيمر تاركاً كنيسة اللاتينيين وكنيسة السريان الى يساره وكنيسة الارمن وكنيسة القبط الى يمينه الى ان يصل الى بداية سكة مرجوش فيتركها الى يمينه ثم يقطع سور القاهرة عند باب الشعرية ويسير خارج القاهرة الى شارع الظاهر فيمر تاركاً جامع الظاهر الى يمينه حتى يلتقي بترعة الاسماعيليه وهناك ينتهى

وكانت فائدة هذا الخليج قاصرة على رى المدينة وبعض ضواحيها وكانوا يحتفلون بفتحته سنوياً عند وفاء النيل فلما توزعت المياه فى القاهرة بالانابيب الى المنازل لم تبق له فائدة فاذنت الحكومة لشركة ترمواي القاهرة بردمه ومد خط الترمواي فوقه وهو الفرع المعروف بترمواي الخليج الآن

٣ - الوصل بينهما بقناة مالحة

وهي الباقية الى الان نعي قناة السويس . وقد فكر في حفرها الفراغة ولكنهم خافوا طغيان الماء كما تقدم . وفكر فيه ايضاً المسلمون منذ فتحوا مصر - فذكروا ان عمرو بن العاص اراد فتح قناة توصل بين البحرين فنعه عمر بن الخطاب لئلا يتخذها الروم طريقاً الى الحجاز . واراد ذلك الرشيد بعده على ان يحفر ترعة بمائلي بلاد الفرما نحو بلاد تنيس بحيث يكون مصب البحر الاحمر في البحر المتوسط كما هو حاله اليوم فشاور وزيره يحيى بن خالد فقال له : اذا يخطف الروم الناس من المسجد الحرام والطواف وذلك ان مراكبهم تنتهي من البحر القلزم (الاحمر) الى بحر الحجاز فنطرح سراياها بمائلي جدة فيخطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة » فامتنع عن ذلك . وربما فكر فيه غيره من ملوك المسلمين ولم يخرجوه الى حيز الفعل ثم ذهبت دولة العرب واخذ الافرنج يهبون من سباتهم وسعوا في اكتشاف الطرق التجارية - وكانت التجارة بين اوروبا والمشرق في الاجيال الاخيرة محصورة على نوع ما في فينيسيا (البندقية) وكان الفينيسيون ابرع الناس فيها واكثرهم اشتغالاً بالاسفار بين البحرين عن طريق مصر . فلما اكتشف راس الرجاء الصالح تحولت تلك التجارة الى يد البرتغاليين فشق ذلك على الفينيسيين فاهتموا بانشاء ترعة توصل بين البحرين تغابروا سلطان مصر اذ ذاك (قنسو الغوري) وما زالت الخبرات بهذا الشأن دائرة حتى الفتوح العثماني حتى سنة ١٥١٧ م فبطلت واهمل المشروع . فلما كانت الحملة الفرنسية اهتم نابوليون بونابرت بذلك الاتصال بواسطة برزخ السويس فاستكشف البرزخ ومعه المهندس الشهير موسيو لاير سنة ١٢١٣ هـ او ١٧٩٨ م وتفحصاه تفحصاً مدقّقاً فزعم لاير ان البحر الاحمر يعلو المتوسط ٣٠ قدماً فعُدل عن فتح ترعة موصلة بين البحرين راساً وقدم التقرير الآتي ويتضمن افضل ما رآه من الطرق :

- (١) الاتصال بواسطة النيل وفروعه وذلك بترعة من الاسكندرية الى الرحمانية على فرع رشيد . وفي النيل من هناك الى القاهرة وبحلج امير المؤمنين من القاهرة الى البحيرة المرة حيث يقام حواجز . ومن هناك الى السويس بترعة مالحة
- (٢) الوصل بين البحرين راساً بان تحفر ترعة بين السويس والبحيرة المرة وترعة اخرى بين البحيرة المرة وبلوسيوم . الا ان هذا التقرير لم يباشر تنفيذه قبل ان قضي على تلك الحملة بالانسحاب من مصر

وفي سنة ١٢٥٥ هـ او ١٨٣٧ م انشأت شركة البواخر الشرقية خطا تجاريا بين الهند وانكلترا عن طريق برزخ السويس بان تأتي المنقولات في البحر المتوسط الى اول البرزخ فتنتقل في البر الى السويس ومنها في البحر الاحمر الى الهند وغيرها

وفي سنة ١٢٦٤ هـ او ١٨٤٦ م تعينت لجنة مختلطة للنظر في تقرير لاير فقررت ان الفرق بالارتفاع بين البحرين لا يعبأ به الا انها انحابت ولم تصل الى نتيجة وترك ذلك الى احد اعضائها الموسيو تالابوت فكان من رايه تتبع الترعة القديمة من السويس الى تل بسطة (قرب الزقازيق) راساً واحتفار ترعة من هناك الى راس الدلتا حيث القناطر الخيرية الآن فتقام لها قناطر تسير عليها مياه تلك الترعة الى البر الغربي ومن هناك تم الترعة الى الاسكندرية . فكانه يريد ايصال البحرين بترعة تمر بين السويس والاسكندرية وتقطع راس الدلتا فلم يصادف مشروعه استحساناً لما كان يحول دون ذلك من المشاق . ثم قدم الخواجات بارولت تقريراً من مقتضاه ان يوصل البحر الاحمر ببجيرة المنزلة الى دمياط ثم يقطع النيل وتم الترعة الى رشيد فيقطع فرع رشيد ايضاً وتوصل الترعة الى الاسكندرية . قام يصادف هذا نجاحاً ايضاً لمشابهته بمشروع تالابوت

وفي سنة ١٢٧١ هـ او ١٨٥٥ م اهتم لينان بك وموجل بك تحت ادارة الموسيو دلسبس في امر هذه المواصلة بعد ان حصل هذا الاخير على البراءة في ذلك من سعيد باشا والي مصر اذ ذاك فاقروا على وجوب فتح ترعة في خط مستقيم بين السويس وبلوسيوم مارة في البحيرات المرة ببجيرة التماسح فالمنزلة . وان تصل هذه الترعة من طرفيها بحواجز عند التقائها بالبحرين . واقراً ايضاً على احتفار ترعة عذبة من بولاق مصر توصل المياه الى بلوسيوم . فعمل الموسيو دلسبس تقريراً في ذلك وعرضه سنة ١٨٥٦ على لجنة دولية مؤلفة من نواب دول اوستريا وانكلترا وفرنسا واطاليا وهولندا وبروسيا واسبانيا فادخلت فيه تعديلات من مقتضاها ان تنتهي تلك الترعة من طرفها الشمالي في نقطة على مسافة ١٧ ميلاً ونصف الى الغرب من بلوسيوم حيث بورت سعيد الآن وسبب ذلك ان مياه البحر المتوسط هناك عمقها بين ٢٥ و ٣٠ قدماً على مسافة ميلين من الشاطئ . اما عند بلوسيوم فلا يتباغ هذا العمق الا على مسافة خمسة اميال . وان تغفل الجواجز عند طرفي الترعة . وتم الاتفاق على ذلك واخذوا في العمل وانتهى حفرها في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ في زمن الخديوي اسماعيل فاحتفل بفتحها احتفالاً عظيماً حضره ملوك اوربا و مندوبوهم كلف مصر نحو مليون جنيه

القناة والحكومة المصرية

تم انشاء هذه القناة بعقود مبرمة بين الحكومة المصرية والشركة التي انشأتها . فأول عقد أبرم في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ بين سعيد باشا والي مصر وبين فردينان دلبس صاحب المشروع واذن له بمصادقة السلطان عبدالمجيد بتشكيل شركة من مقولي العالم لجمع المال اللازم لحفر القناة الموصلة بين البحرين ويكون لها حق الانتفاع بربعها ٩٩ سنة من يوم فتحها . وانه بعد انقضاء المدة المذكورة تحل الحكومة محل الشركة فيأول اليها جميع حقوقها وتصدر الزعة وما يتبعها من الابنية ملكاً لها الا الادوات والاثاث فانها تدفع اثمانها . وتعهد سعيد باشا في ذلك العقد ان يشارك الشركة هو وحكومته لخراج هذا المشروع لحيز الوجود . وتعهد في لائحة صدرت بعد سنتين ان يكون اربعة اخماس الفعلة الذين يشتغلون في حفر القناة من المصريين واشترطت اشياء اخرى لصلحة الشركة وتعهدت الشركة من الجهة الاخرى ان تنجز العمل في ست سنوات وان تتكفل هي بالنفقات اللازمة وان القناة تكون طريقاً حراً لكل طارق بلا تفریق بين الدول او الامم وان يكون للحكومة المصرية ١٥ في المئة من صافي الربح ولها ان تشتري من اسهم الشركة المقدار الذي تريده

واضطرت الحكومة سنة ١٨٦٦ الى عقد وفاق ثالث مع الشركة يقضي على الحكومة بغرامة - وذلك ان السلطان عبد العزيز اعترض على تعهد سعيد باشا بتشغيل المصريين في القناة رغم ارادتهم واعتبر ذلك من قبيل السخرة الجبرية وهي تخالف الحرية الشخصية فاضطر اسماعيل باشا وهو الخديوي يومئذ ان يدفع للشركة غرامة مقدارها مليون ونصف من الجنيهات

ابتدأت الشركة بالحفر سنة ١٨٥٩ واعلنت الاكتاب باسمها فاشتريت الحكومة المصرية علي عهد سعيد باشا ١٧٧ ٦٤٢ سهماً وذلك يعدل نحو ٤٤ في المئة من راس مال الشركة واشترت فرنسا ١٦٠ ٢٠٧ سهماً اي نحو ٥٢ في المئة ولم تشتري انكلترا الا ٨٥ سهماً

فتفتحت القناة للملاحة سنة ١٨٦٩ ويده الحكومة المصرية ٤٤ في المئة من اسهمها ثم كان ما سيأتي ذكره من تهور اسماعيل في النفقات على البلاد وعلى نفسه واضطر للاموال فجعل يبدد مما في يديه من الاسهم . واحتاج اخيراً الى مبلغ كبير وكان لايزال عنده من الاسهم ١٧٦٠٠٠ فتقدمت فرنسا لابتعاها فانتهت انكلترا لما يترتب على ذلك من تغلب نفوذ فرنسا في ذلك الطريق . فما زالت تسعى حتى ابتاعت تلك الاسهم بمبلغ

٤.٠٠٠.٠٠٠ جنيه وهي لو بقيت الى اليوم لبيعت بثلاثين مليوناً او أكثر وتورط اسماعيل في السخاء فاحتاج الى مال آخر فاقترض مليون جنيه من شركة السنديكات الكبرى ورهن عندها حصة مصر من ارباح القناة اي ١٥ في المئة . فلما اقتضى اسرافه تداخل اوروبا في الشؤون المالية المصرية ظهر للمولجين بالبحث والتفتيش ثقل ما تحمّلته مصر من الديون فوضعوا قانون التصفية وعجزت مصر عن دفع المليون المذكور فتنازلت عن الرهن وتألّفت شركة فرنسوية دفعت الدين وقامت مقام مصر في الاستيلاء على حصتها المشار اليها . ويقدرّون جملة ما وصلها من ذلك باربعين مليون جنيه وكان اسماعيل قبل بيع اسهم القناة قد باع ارباحها لعشرين سنة فلما باع الاسهم لانكلترا سوت مسألة تلك الارباح بان تسدها الحكومة المصرية باقساط مقدارها ٢٠٠.٠٠٠ جنيه كل سنة الى سنة ١٨٩٦

وارادت الشركة ان تمد اجل امتيازها فعرض المستشار المالي ذلك بصفة مشروع يقضي بان تزيد الحكومة مدة امتياز الشركة ٤٠ سنة فضلاً عن الستين الباقية بحيث يصير آخرها سنة ٢٠٠٨ وتقبض مصر في مقابل ذلك اربعة ملايين جنيه تستولي عليها في اثناء اربع سنوات (من سنة ١٩١٠ — ١٩١٣) ويكون لها من سنة ١٩٢١ حصة من الربح تبدأ بأربعة في المئة وتزداد الى ستة في المئة فثمانيه فعشرة فاثني عشر في المائة الى سنة ١٩٦٩ وهي نهاية مدة الامتياز الاصلية . ومتى دخلت مدة الامتياز الجديد تستولي الحكومة المصرية فيه على خمسين في المئة من ارباح الشركة الصافية . ومتى انتهت هذه المدة سنة ٢٠٠٨ تصير القناة وابنيها ملكاً لها الا الادوات والاثاث فتدفع قيمتها ولما نشر المستشار مشروعه طلب الاهلون عقد الجمعية العمومية لالاخذ رايها فيه وفوضت الحكومة اليها الحكم القطعي بشأنه فقررت رفضه

عود الى اسماعيل

وفي السنة الاولى من ولاية اسماعيل حلت ركاب السلطان عبد العزيز في القطر المصري فلاقى ترحاباً جديراً به

وفي عام ١٨٧٢ تعدى الاحباش على حدود مصر مما يلي بلادهم واسروا بعضاً من رعايا مصر فبعثت الحكومة المصرية تطلب ردهم فجرت المفاوضات فأل ذلك الى حرب مجرد فيها اسماعيل حملة لم تنل غرضاً فانتهت الحرب بالصلح . وفي عام ١٨٧٣ شخص رحمه الله الى دار السعادة فاحتفل بقدومه فعاد وقد حازر ضي الحاضرة الشاهانية ورجال

المابين الهابوني . وفي تلك السنة احتفل بزواج أنجاله الثلاثة وهم المغفور لها توفيق باشا الخديوي السابق والبرنس حسن باشا والبرنس حسين باشا احتفالاً واحداً تحدث به الناس زمناً طويلاً ومما زاد ذلك الاحتفال بهجة أنهم نالوا عندئذ رتبة الوزارة الرفيعة معاً

الديون المصرية

ولنأت الآن الى امر هو أهم الامور المتعلقة بصاحب الترجمة وعليها مدار مآل اليه امره — نريد به امر الديون التي تعاظمت على مصر في ايامه . وايضاحاً لذلك نذكر ملخص تاريخ الدين المصري . فأول من وضع جرثومة الدين المصري المغفور له سعيد باشا عام ١٨٦٢ وقدره الاسمي ٣٢٩٢٨٠٠ جنيه بفائدة ٧ بالمائة وفي السنة التالية تولى صاحب الترجمة تحت الحكومة المصرية فأخذ في البذل والانفاق في التشييد والبناء وغير ذلك حتى زادت النفقات على الدخل . فكان اذا اراد عملاً جنح الى الاستقراض لايبالي بعاقبة ذلك حتى بلغت ديون مصر نحو مئة مليون جنيه فأصبحت حملاً ثقيلاً على الخزينة المصرية وعلى اهالي البلاد لانه كان يضرب الضرائب الفادحة ليفي منها فائدة تلك الديون ويستخدم العنف في تحصيلها من الاهالي حتى آل الامر الى مداخلة الدول الاجنبية للمحافظة على اموال رعاياها اصحاب الديون

فتخارت الدول وتشاورت في احسن الوسائل لضمان تلك الاموال واستهلاكها فألفت لجنة دولية مشتركة سموها صندوق الدين العمومي صدر الامر العالي بتشكيله في ٢ مايو عام ١٨٧٦ وورد في ذلك الامر ان هذا الصندوق قد انشئ لتأمين ارباب الديون على ديونهم واستلام ما يستحق لهم من الفوائد وغيرها وان الحكومة لايجوز لها تجديد قرض الا بالاتفاق مع صندوق الدين وان الدعاوي التي يترأى لصندوق الدين رفعها على الحكومة تنظر في المجالس المختلطة

وكانت الديون المصرية قسمين دين الحكومة ودين الدائرة السنية فضموها في ٧ مايو من تلك السنة الى دين واحد فبلغ قدره ٩١ مليون جنيه وسموه الدين الموحد بفائدة ٧ بالمائة وتم استهلاكه في ٦٥ عاماً . ثم رأى اسماعيل باشا ان توحيد الدين على هذه الصورة لايتيسر له انمامه فأصدر في ١٨ نوفمبر منها امراً يقول فيه ان تصدر الحكومة المصرية عليها سندات بمبلغ ١٧ مليون جنيه تكون ممتازة برهن خصوصي هو النسبة الحديدية المصرية ومينا الاسكندرية وفائدته ٥ بالمائة وسماء الدين الممتاز على ان كل هذه الوسائل لم تكن كافية لاقناع الدول لان الحكومة لم تكن تقوم

بإستهلاك الديون حسب الشروط فعيّنت الدول عام ١٨٧٨ لجنة مالية مختلطة لمراقبة حسابات الحكومة المصرية فرأت فيها عجزاً مقداره مليون ومائتا ألف جنيه فتنازل اسماعيل باشا عن املاكه الخاصة واملاك عائلته للحكومة وهي التي تعرف باملاك الدومين وتقرر في تلك السنة استقراض ثمانية ملايين جنيه ونصف وجعلوا املاك الدومين رهناً لها وهذا هو الدين المعروف بدين روتشيلد

اقتل

وكانت اعمال الحكومة المصرية تجري بمقتضى ارادة الخديوي راساً اما بعد مداخلة الاجانب باحوال المالية فلم ير اسماعيل بدءاً من جعل حكومته شوروية فشكّل مجلس النظر على ما هو عليه الان برئاسة نوبار باشا وصادق على تعيين ناظرين احدهما انكليزي وهو المستر ولسن للمالية والاخر فرساوي وهو المسيو بلينير للاشغال العمومية . فرأى مجلس النظر ان يقتصد شيئاً من نفقات الجند فرفت جانباً منهم قنار المرفوتون وجاء جماعة منه وفيهم ٤٠٠ ضابط الى نظارة المالية وامسكوا بنوبار باشا والمستر ولسن وطلبوا اليهما دفع ما تأخر لهم من رواتبهم وخطبواهم بعنف وشدّة حتى عات الضوضاء وكادت تأول الى ثورة لولا ان اقبل اسماعيل باشا وخطب الجند ووعدهم وامر بانصرافهم اما هم فخالما راوه ذعروا وكانه جاءهم برقية او سحر فانكفأوا راجعين . والمظنون ان ذلك حصل بالتواطؤ من قبل وهي اول ثورة عسكرية حدثت في هذا العهد

ثم استقال الوزيران نوبار ورياض تخلصاً من عبء التبعية لما آلسوه في اعمال الخديوي من الخطر فشكّل مجلساً آخر برئاسة ابنه توفيق باشا (الخديوي السابق) على ان ذلك لم يقلل شيئاً من القلاقل لان الداء لم يكن في المجلس ولكنه كان في مقاصد اسماعيل لانه استعظم اغلال يديه بمجلس فيه ناظران اجنبيان فقلب هيئة ذلك المجلس في ٢ افريل عام ١٨٧٩ واخرج الناظرين الاجنبيين وعهد برئاسة المجلس الى المرحوم شريف باشا فعظم ذلك على دولتي انكلترا وفرنسا لانهما اعتبرتتا تلك المعاملة اهانة لهما فعمدتا الى الانتقام فسعتا في ذلك لدى الباب العالي سرّاً وجهرّاً وفي ٢٦ يونيو عام ١٨٧٩ صدر الامر الشاهاني باقالته وتولية المغفور له توفيق باشا وفي ٣٠ منه سافر اسماعيل باشا من القاهرة الى الاسكندرية ومنها الى اوربا ويقال انه خاطب ابنه توفيق باشا عند سفره قائلاً :

« لقد اقتضت ارادة سلطاننا المعظم ان تكون يا أعزّ البتين خديوي مصر فاوصيك بخونك وسائر الآل برّاً واعلم اني مسافر وبودي لو استطعت قبل ذلك ان ازيل

بعض المصاعب التي أخاف أن توجب لك الارتباك على اني واثق بحزمك وعزمك فانسع
راي ذوي شورك وكن اسعد حالاً من ابيك »
وما زال بعد سفره مقيماً في اوربا حتى افضت به الحال الى الاقامة في الاستانة
العلية فأقام فيها الى ان توفاه الله فيها في ٦ مارس عام ١٨٩٥ وله من العمر ٦٥ سنة فحملت
جثته الى مصر ودفنت فيها

اعماله وآثاره

قلنا ان اسماعيل باشا كان شديد الشغف بتنظيم المدن حتى قيل انه يريد ان يجعل
القاهرة تضاهي باريس بالنظام والترتيب فنظم طرقها ووسعها واكثر من فتح الشوارع
الجديدة وابتناء الابنية الفاخرة كالاوربا الخديوية والقصور الباذخة في القاهرة
والاسكندرية واعظم تلك الابنية سراي الجيزة وهي مما تقصر عنه هم الملوك حتى
ضربت بها الامثال وانشأ المتحف المصري في بولاق والمكتبة الخديوية وهما من
اجل الآثار وانفعها . اما المتحف فقد انشأ بأمره ماريت باشا وقبره فيه . وكان
المتحف اولاً في بولاق ثم نقل على عهد الخديوي السابق الى سراي الجيزة ثم نقل في
عهد الخديوي الحالي الى بناية بنوها له خاصة بجوار قصر النيل



ش. ٧١ ماريت باشا مؤسس المتحف المصري

ومارييت باشا فرنساوي الاصل ولد في بولون سيرمير سنة ١٨٢١ ونشأ على حب الآثار المصرية ودرسها . ثم اتفق سنة ١٨٥٠ ان الانكليز انفذوا الى مصر وقدأ لغويا يبحث في مكاتب الديور المصرية عن الكتابات القبطية القديمة فعثروا في دير بوادي النطرون على اوراق كثيرة ارسلوها الى لندن فاقندي الفرناساويون بهم وكانوا انما يرجون بايجانهم هذه العثور على حقائق جديدة تتعلق بتاريخ اليونان . وكان مارييت قد اشتهر بينهم بمعرفة هذه اللغة فعينوه في هذه المهمة براتب مقداره ثمانية آلاف فرنك فسافر في ٤ سبتمبر سنة ١٨٥٠ حتى جاء القاهرة فرأى انه لا يستطيع الذهاب الى ذلك الدير او غيره الا بوصية من بطريرك القبط وكان البطريرك قد غضب من تصرف الوفد الانكليزي لانهم حملوا ما حلوه من الكتب جبراً . وبعد السعي والالتماس رضي ان يكتب الى مارييت كتاب توصيه بأسم رئيس دير الانبا مقار . على ان مارييت لم يكن يرجو الحصول على ذلك الكتاب قبل مضي ١٥ يوماً . فلما لم يضيع فرصة اخذ يتعهد مشاهد القاهرة فسار الى القلعة . وكان ذهابه اليها سبباً لتغير عظيم في مستقبل حياته لانه اشرف من سورها على ضواحي العاصمة فرأى اهرام الجيزة واهرام سقارة فتأقت نفسه الى زيارتها وقد نسي ما جاء من اجله فركب الى سقارة وتوغل في محرائها يتوقع العثور على آثار مهمة لقربها من انقاض منف العظمى فوقف يتفرس في تلك الرمال القاحلة فرأى فيها حجراً فائتاً يشبه رأس الانسان فتأمله فاذا هو رأس ابي الهول . وكان قد شاهد امثال هذا التمثال قبلاً فلم يهيمه ذلك الاكتشاف لغرابته ولكنه توسم منه خيراً لما سبق الى ذهنه مما قرأه في استرابون عن آثار منف وما زال حتى وفق الى اكتشاف السراييون في تاريخ طويل فصلناه في ترجمته في مشاهير الشرق الجزء الثاني ولما تولى اسماعيل هم بانشاء متحف للآثار المصرية فلم يجد اولى منه . وتوفي مارييت سنة ١٨٨٠ اما المكتبة الخديوية فازالت في درب الجماليم حتى نقلت الى بناية بنوها لها والمتحف العربي بباب الخلق تفتخر بها مصر على سائر الامصار الشرقية لما حوته من الآثار العلمية وينها جانب كبير من الكتب الخطية التي يعز وجودها ومن اعمال اسماعيل انه جرء الماء بالانابيب الى بيوت العاصمة وكان الناس يستقون قبلاً بالقرب والصهاريج وعمم زرع الاشجار في المدن وضواحيها واثار القاهرة بالغاز وتدارك ما ينجم عن الحريق باستجلاب آلات الاطفاء وهو الذي لظم معظم فروع الادارة على ما هي عليه الان فقسم القطر المصري



ش ٧٢ : نوبار باشا معين الحديوي اسماعيل في انشاء المجالس المختلطة

الى ١٤ مديرية وعين لها المراكز واسس مجلس النواب ونظمه . ونظم مجالس القضاء الاهلي والقضاء الشرعي وجعل لكل روابط وحدوداً . ووضع نظام المجالس الحسبية والشا مجلس حسي القاهرة . وعلى عهده انشئت المجالس المختلطة بمساعي وزيره نوبار باشا فانفذ سنة ١٨٦٧ الى اوربا مندوباً مفوضاً لخبرة الدول العظمى في انشاء محاكم مختلطة تقوم مقام المحاكم القنصلية التي كانت مرجع محاكمة الاجانب في ذلك الحين ففوض في سعيه هذا سبع سنوات بتردد في انائها بين عمالك اوربا ويفاوض عظامها واملوكها والخزينة المصرية مفتوحة بين يديه فانفق اموالاً طائلة ولكنه عاد ظافراً غانماً . وقد اراد اسماعيل بتلك المجالس تقايل نفوذ القناصل وحصر النوسط الاجنبي ولكنها كانت سبباً لزيادة النفوذ والتساع دائرته . وكانت مصاحبة البريد قبلاً شركات اجنبية فانشأ مصلحة البوسطة المصرية وجعلها من المصالح الاميرية كما هي الان

البريد المصري

كان البريد في زمن محمد علي ينقل على الخيل او على ايدي السعاة بين القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد . ولما تكاثر الاجانب شعروا بالحاجة اليه فانشأوا بريداً افرنجياً تولاه رجل ايطالي سنة ١٨٤٠ وتولاه غيره حتى دخل في خدمته ايطالي آخر اسمه جاكو موتسي وكان نشيطاً درباً فعمل على توسيع نطاقه فانشأ له نحو سنة ١٨٥٤ فروعاً في دمياط والمنصورة وزفتي ودمهور ورشيد وطنطا وغيرها



ش ٧٣ : موتسي بك — اول مدير البريد المصري

فقامت المناظرة بين البريد الاوربي وبيد الحكومة المصرية . ولم تكن الحكومة تستطيع الغاء ذلك البريد احتراماً للامتيازات الاجنبية فدمت في ضم البريدين وجمعت فائحة ذلك الاتفاق رخصة وقتية اعطتها لصاحبي البريد الاوربي تيتوكين وموتسي تخولهما ادارة البريد بمصر الى عشر سنوات على ان تقل المراسلات بالسكة الحديدية المصرية مجاناً فكان ذلك فائحة تنظيم البريد

وتوفي تيتوكين بعد سنتين واستقل موتسي بالعمل وخطر له الرجوع الى بلده فاراد ان يبيع الرخصة لبعض البنوك الافرنجية فاغتنت الحكومة هذه الفرصة وعرضت على موتسي المذكور ان يعيد البريد للحكومة قبل انتهاء مدة الرخصة ويتولى

ادارته بنفسه على شروط رضىها وانضم البريدان سنة ١٨٦٥ وسما معاً « البوسطة الخديوية » وسمي جاكو موتسي مديراً عاماً عليها وانعم عليه بالرتبة الثانية مع لقب بك فصار اسمه موتسي بك وهو اول مديري البريد المصري

وتكاثر قدوم الاجانب الى مصر في عصر اسماعيل وزادت الحركة التجارية زيادة كثيرة وزادت الحاجة الى البريد فانشأ موتسي بك فروعاً له في البلاد والقرى الكبرى في مصر السفلى والعليا وعلى شواطئ البحرين الابيض والاحمر وجعل ديوانه المركزي في الاسكندرية وسن له لأئحة وقوانين رسمية وجعل لمراسلاته تعريفة عمومية . وكانت المراسلات تتقل في اول عهد البريد بلا طوابع . فاصطنع موتسي بك طوابع البريد المصري لاول مرة سنة ١٨٦٦ وجعل رسمها مثل رسمها الان في وسطه صورة ابي الهول والاهرام بشكل يضي وحوله اسم البريد وقيمة الطابع وما زال البريد المصري مستقلاً عن البريد الافرنجية الى سنة ١٨٦٨ فمقد اول معاهدة في هذا السيل مع بريد النمسا ثم عقد معاهدة اخرى مع بريد ايطاليا وفي سنة ١٨٧٣ عقد معاهدة ثالثة مع بريد انكلترا وفي السنة التالية (١٨٧٤) دخل البريد المصري في اتحاد البوسطة العام

﴿ المطابع والجرائد ﴾ وحسن اسماعيل مطبعة بولاق وزاد فيها وامر بترجمة الكتب المفيدة وطبعها ونشرها واسس معملًا للورق ونشط المطابعات فلم يكن في القاهرة الا جريدة الوقائع المصرية تصدر على غير نظام فجعل لها ادارة خاصة بها . وتكاثرت على عهده المطابع والجرائد العربية كجريدة التجارة ومصر والوطن والاهرام والكوكب الاسكندري وروضة الاسكندرية وروضة المدارس واليهسوب ونزهة الافكار و- مدينة الابصار وبالجملة فقد كانت للعلم في ايامه نهضة مرجع الفضل بها اليه لانه كان يحب العلماء ويجيز المجيدين منهم ويأخذ بناصرتهم مادياً وادبياً وكان يشهد الاحتفال بامتحان التلامذة بنفسه ويسلم الجوائز لمستحقها بيده وقد ينهض عند تقديمها تنشطاً لهم

﴿ المواصلات ﴾ ولم يكن في القطر المصري يوم توليه الا خط حديدي يمتد بين القاهرة والاسكندرية فانشأ كثيراً من الخطوط الاخرى الممتدة الى سائر انحاء القطر شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ومد اسلاك التلغراف حتى اوصلها الى السودان وقد بلغت نفقات الخطوط الحديدية والآلات التجارية والعربات والآلات التلغرافية التي احدثها بين عام ١٢٨١ و ١٢٩٠ هـ ١٢٧٣ ١٢٥٨ هـ جنبها على تقدير المرحوم صالح مجدي بك ﴿ الابنية ﴾ ومن آثاره مدينة الاسماعيلية بناها على قنال السويس وسماها باسمه وجعل

فيها الحدائق والقصور وانشأ المنارات في البحرين الابيض والاحمر وزين حديقة الازليكية بغرس اشجارها وتسويرها ورتب فيها الموسيقى وبنى بنايات كثيرة بالقرب من طره على طريق حلوان لمعامل البارود والاسلحة الصغيرة اتفق على بنائها مبالغ كبيرة ولكنه لم يستعملها . وبنى ليمان الاسكندرية والحمامات المعدنية في حلوان ولولاها لم تعمر حلوان وبنى المرصد بالعباسية وكثيراً من معامل السكر في سائر انحاء القطر هذا فضلاً عن الترع الكثيرة والجسور الهائلة . ومن اشهر تلك الترع الابراهيمية بالصعيد والاسماعيلية بين القاهرة والسويس . ومن اعظم الجسور كبري قصر النيل الموصل بين القاهرة والجزيرة وبنى حوضاً لترميم السفن في السويس



ش ٧٤ : سوق الرقيق في الخرطوم — تاجر يساوم على جارية

ونما تم على يده من الاعمال العظيمة ابطال تجارة الرقيق واتمام فتح السودان واخضاعها فافتتح مملكة دارفور عام ١٢٩١ هـ وما بعدها حتى بلغت جنوده الدرجة الرابعة من العرض وراء خط الاستواء . وعني في تحسين احوال السودان فهد شلال عبده . وفتح سداً كبيراً جنوبي مديرية فشوده طوله ستون ميلاً كان يعيق مسير السفن في النيل الابيض فتسهلت طرق التجارة كثيراً . ومن مآثره تسهيل اكتشاف ما غمض من قارة افريقيا بمد اصحاب الخبرة كما سيأتي في مقدمة الكلام عن الحوادث السودانية

النهضة العلمية في ايامه

وقد علمت ما كان من رواج العلم في زمن محمد علي ثم اصابته صدمة في زمن عباس وسعيد . والاول حالما تولى اقل المدارس كلها الا واحدة سماها المدرسة المفروزة لتخريج الضباط البرية والبحرية — حتى مدرسة الطب فانه ابدلها بمدرسة بسيطة لاجراج الاطباء للجيش فقط . وكان يختار من تلامذة هاتين المدرستين جماعة يرسلهم الى اوربا لاتمام دروسهم كما كان يفعل جده محمد علي

وجاء بعده سعيد باشا ولم يكن اكثر رغبة من سلفه في التعليم وكان مع ذلك متقبلاً ينشيء المدارس ثم يامر باقفلها ثم يفتحها ويقفلها على ما يبدو له او تمس الحاجة اليه او تبعت الحالة عليه . وكان عباس الاول لما اقلل المدارس استبقى ديوانها فاجهز سعيد باشا على ما بقي وحل ذلك الديوان وما زال محلولاً حتى اعاده اسماعيل

تولى اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ وليس في مصر الا مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية ومدرسة حربية ومدرسة طبية صيدلية . وكانت هذه المدارس في حالة يرثى لها من الاختلال والتضعف فامر بتنظيمها وعهد بذلك الى ادهم باشا وكان قد تولى ديوان المدارس بعد مختار بك سنة ١٨٣٩ الى سنة ١٨٤٩ فقوض اليه احياء التعليم مهما كلفه احياءه . فأنشأ في ناحية العباسية مدرسة ابتدائية ومدرسة تجهيزية ومدرسة حربية للفرسان والمشاة ومدرسة هندسية ومدرسة للطب . واستقدم للمدرسة الحربية مديراً واساتذة من اوربا وعهد بالمدارس الاخرى الى اساتذة من الوطنيين المنخرجين في فرنسا . ولو امعنت النظر في الاحوال السياسية التي كانت محيطة باسماعيل لرأيت انشاء هذه المدارس لمثل الغرض الذي انشأها له جده محمد علي منذ اربعين سنة . لان عنايته الكبرى كانت متجهة على الخصوص الى المدارس الحربية والى ما يهيء رجالاً يخدمون خدمته . واقتدى بجمده ايضاً في ارسال الشبان الى اوربا لاتمام علومهم

وسهل اسماعيل قدوم الاجانب الى مصر ورغبهم فيها فاشأوا المدارس على ما يلائم اغراضهم ولكنها عادت بالنفع على الشبيبة المصرية وكثيراً ما كانت الحكومة تنشط هذه المدارس بالرواتب السنوية . وحدث في ايام اسماعيل نهضة ادبية بمن وفد على مصر من رجال الادب من كل الطوائف والنشئت الصحف وتألفت الجمعيات . فرأى الحال ماسة الى زيادة العناية في التعليم فأنشأ نظارة المعارف العمومية وعهد اليها بتنظيم المدارس على نمط جديد . فالحقوا مدرسة الحربية بنظارة الحربية وسموا ما بقي من المدارس « المدارس الملكية » تحت نظارة المعارف العمومية وقسموها الى ثلاث طبقات باعتبار

درجة التعليم : ابتدائية وثانوية وعليا وانشأوا مدارس لم تكن من قبل كـ مدرسة الادارة
ثم صارت مدرسة الحقوق ومدرسة دار العلوم ومدرسة الصنائع والفنون في بولاق
ومدرسة المعلمين واعادوا مدرسة اللسان لتخريج شبان يتولون الترجمة والتحرير في
الدواوين . اما التعليم العالي فظل محصوراً في المدرسة التجهيزية واكثر وزراء اسماعيل
عمالاً في ذلك المرحوم علي باشا مبارك



ش ٧٥ : علي باشا مبارك - وزير المعارف المصرية

ولم تمض عشر سنوات من حكم اسماعيل حتى كمل نظام هذه المدارس وعنت
الحكومة بانشاء الابتدائيات في سائر أنحاء القطر فبلغ عددها بضعة آلاف وزاد عدد
التلامذة على مئة الف وفي جملتها مدارس للبنات . غير ما انشاء الاجاب من المدارس
الخصوصية واكثرها لجماعة المراسين من الطوائف النصرانية
وفي عهده تأسست الحافل الماسونية الوطنية وبمهايته تعزز شان الجمعية الماسونية
في مصر وانتشرت مبادئها حتى انتظم في سلكها نجمله المغفور له الخديوي السابق
وجامعة كبيرة من امراء البلاد ووجهائها



ش ٧٦ : السيد جمال الدين الافغاني في موقف الخطابة

وحدثت في اواخر ايام اسماعيل حركة فكرية وافقت قدوم السيد جمال الدين الافغاني الى مصر فزادت الحركة . وجمال الدين من كبار الرجال كان له مطعم في الاصلاح السياسي فاتي مصر سنة ١٨٧١ على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تكن له عزيمة على الاقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستأثته مساعيه الى المقام واجرت عليه الحكومة راتباً مقداره الف قرش مصري كل شهر نزلاً اكرمه به لاقى مقابلة عمل . واهتدى اليه بعد الاقامة كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فاوردى واستفاضوا بحره ففاض . وحلوه على التدريس فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الاعلى والحكمة النظرية من طبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم اصول الفقه الاسلامي . وكانت مدرسته ينته فعظم امره في نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائده الاخذ عنه واعجبوا بعلمه وادبه

وانطلقت الاسن بالثناء عليه وانتشر صيته في الديار المصرية . ثم وجه عنايته لتزويق حجب الاوهام عن انوار العقول فنشطت لذلك الباب واستضاءت بصائره وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وانشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسميه — وكان القادرون على الاجادة في المواضيع المختلفة قليلين

فنبغ من تلامذته في القطر المصري كتيبة لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم واغلامهم احداث في السن شيوخ في الصناعة وما منهم الا من اخذ عنه او عن احد تلامذته او قلد المتصاين به وقد ترجمناه مطولاً في الجزء الثاني من تراجم مشاهير الشرق وخلاصة القول ان مصر كانت في ايام اسماعيل زاهرة والناس في رغد ورخاء وخصوصاً بعد ارتفاع اثمان الاقطان في اثناء حرب اميركا فان ثمن القنطار الواحد بلغ ١٦ جنياً فكان سكان هذا القطر السعيد وفيهم الكاتب والشاعر والتاجر والصانع يتحدثون بما آثره وانعامه وتنشيطه . على ان العقول منهم كانوا لا يفغولون عن ذكر ما كان من اسرافه فوق ما تحمله حال البلاد وتباً بعضهم بمنقلب تلك الحال ووقوع مصر في هذه الدين وتمررها لمطامع الدول الاجنبية . والواقع انه لم يترك هذه الديار الا وقد بلغت ديونها زهاء مئة مليون جنيه كرايت . وهي لا تزال تن من وطأتها الى الان وكان ذلك من اعظم الاسباب لمداخلة الاجانب في ادارة البلاد ومراقبة اعمالها

على اننا لا ننكر ان الاصلاحات التي اجراها ببعض تلك الاموال قد عادت على البلاد بالنفع الجزيل . ولكننا لا نرى انها تعوض الخسارة كلها وزد على ذلك انه لو احسن التصرف في النفقات وسار بها سيراً قانونياً لكانت العواقب احسن كثيراً ولاصبحت مصر في غنى عن كل هذه التكاليف . ويقال ان مقدار الاوال التي دفعت من خزينة الحكومة المصرية بأمره يغير تسمية المدفوع اليه — بمعنى انه كان يرسل الى المالية تذكرة بأفضائه يقول فيها ادفموا الى رافعه المبلغ الفلاني فيدفعونه وهم لا يعلمون مصيره — فقد جمعت هذه المبالغ فبلغت ٨٤ مليوناً من الجنيهات . فاذا سحت هذه الرواية كان هذا المبلغ وحده كافياً لوفاء دين مصر

صفاته

كان اسماعيل باشا ربة متملىء الجسم قوي البنية عريض الجبهة كثيب الاحية مع ميل الى الشقرة اما عيناه فكانتا تتقدان حدة وذكاء مع ميل قليل نحو الحول او ان احدهما اكبر من الاخرى قليلاً

وكان جريئاً مقداماً ذا قوة غريبة على اقامة المشروعات كثير العمل لا يعرف
التعب ولا الملل ولا مستحيل عنده . وكان ساهراً على ماجريات حكومته لافوته فائنة
واما اعمال الدائرة السنية فقد كان يطلع على جزئيات اعمالها وكلياتها فلا يباع
قطار من الفحم الا بمصادقته

وكان عظيم الهية جليل المقام لا يستطيع مخاطبه الا الاتقياد الى رأيه حتى قيل
على سبيل المبالغة ان الذين يخاطبونه يندفعون الى طاعته بالاستهواء او النوم المغنطيسي
وكان حسن الفراسة قل ان ينظر في امر الا استطلع كنهه فاذا نظر الى رجل
عرف سره او تنبأ بمستقبل امره . وما يتناقلونه عنه انه ادرك مستقبل احمد غرابي
وهو لا يزال ضابطاً صغيراً فأوصى المغفور له الخديوي السابق ان لا يرقه لثلا يتمكن
من بث روحه الثورية فتقود الى مالا محمد عقباه

وكان يتكلم الفرنسية جيداً وهي اللغة التي يخاطب بها الاجاب ويحسن العربية
والتركية والفارسية ويحب الفخر والبنخ والابهة وكان منعماً في الترف كثيراً من
السراري والحظايا شديد الوطأة على العامة

ولكنه مع ذلك كان كثير الميل الى تنشيط المعارف ورفع منار العلم . ويؤيد
ذلك ان مصر بليت عام ١٨٧٤م بطفيان النيل فاسابها جهد عظيم فوجه التفاته الى
حال المزارعين والتجار فاراد جماعة من تجار الاسكندرية او شيموا له تمثلاً تذكراً
لفضله فابي وامر ان يقام بدل ذلك التمثال مدرسة للتعليم

تركته ووصيته

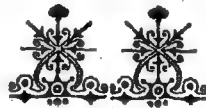
يعتبر تقدير تركه اسماعيل تدبيراً مدققاً لكثرة فروعها واختلاف جزئياتها
وتفرقها في البلاد ولكن المعروف من تركته انه استبدل معاشه قبل عتاته باثنين
وعشرين الف فدان من الاطيان باع الفين منها للاوقاف العمومية و١٥٠٠ للجناب
العالي فبقي له ١٨.٥٠٠ فدان منها ١٢ الف فدان في تفتيش اتيابي البارود وقفها على
زوجاته الثلاث في حياتهن ثم يرثها ورثته بعدهن . والباقي وقدره ٦٥٠٠ فدان يقسم
على الورثة . وترك غير ذلك مما ورثه عن والدته وهو ٥٠٠٠ فدان وهما لها المرحوم
عباس باشا الاول وهي سرهونة و٩٠٠ فدان وقصر في حلوان وسراي القصر العالي
و٣٤ فداناً تابعة لها . وما ورثه عن ابنه المرحوم البرنس علي باشا جمالي الذي توفي
منذ بضعة عشرة سنة وهو ٦٠٠ فدان . وترك في العباسية قصر الزعفران وفي الاستانة

قصر مبركون وهو يحتوي على قصرين كبيرين وقصرين صغيرين . وترك فيها أيضاً قناق بايزيد ونقدر قيمة ارضه بثلاثين ألف جنيه واصله للمرحوم البرنس حلیم باشا ورثه عن اخيه زينب هـ تم فاخذته جلالة السلطان منه ووهبه للفقيد . فهذه التركة كلها ما عدا سراي الزعفران تقسم على الورثة بعد ايفاء ديونه التي تقدر بنحو ١٨٠ ألف جنيه

اما وصيته فانه كان قد اضاف ٤٧٠٠ او ٤٨٠٠ فدان من اطيانه في ايام ولايته الى الاطيان الموقوفة على اهل قواله وقدرها ١٠ آلاف فدان في كفر الشيخ وجعل لنفسه الشروط العشرة في هذا الوقف بما فيها من حق التغيير والابدال . ثم آلت نظارة هذا الوقف اليه ففصل ٧٠٠ فدان التي اضافها اليه عملاً بحقه ووقفها على حاشيته كلها ولم يستثن احداً منهم فرنساوياً كان مثل سكرتيره او انكليزياً مثل طبيبه او غيرهما من الاتباع والجواري اللواتي يبلغ عددهن ٤٥٠ جارية عدا ٤٠٠ بيضاء كان قد زوجهن باعيان مصر قبل مفارقتها هذه البلاد

وقد اقام صديقه الحميم راتب باشا وكيلاً لحرمة واوصى ان يعطى ١٥٠ جنياً شهرياً وان تعطى حرمة ٥٠ جنياً شهرياً وان يضاف راتبها الى راتبه اذا توفيت في حياته ويؤخذ راتبهما كليهما من تفتيش آتياي البارود

وتأول نظارة وقف قواله بعده الى البرنس زبيدة هانم بنت محمد علي باشا الصغير ابن محمد علي باشا الكبير . وتأول نظارة وقف القصر العالي الى البرنس عثمان باشا فاضل ولهذا الوقف بيوت ونحو ١٢٠٠ فدان من الاطيان ويباع دخله نحو ٥ آلاف جنيه سنوياً . وقد ترك سراي الزعفران لحرمة الثلاث . وكذلك كل منقولاته وقيمته غير معلومة



محمد توفيق باشا الخديوي السابق

ولد سنة ١٨٥٢ وتولى سنة ١٨٧٩ وتوفي سنة ١٨٩٢

هو أكبر أنجال المرحوم اسماعيل باشا الخديوي السابق ولد سنة ١٨٥٢ وادخله والده مدرسة المنيل وسنه تسع سنوات فدرس فيها اللغة والجغرافيا والتاريخ والطبيبات والرياضيات واللغات العربية والتركية والفرنساوية والانكليزية وكان



ش ٧٧ : محمد توفيق باشا الخديوي السابق

مياً للعلم من صغر سنه فاحرز منه جانباً أهله لرئاسة المجلس الخصوصي في حياة والده وسنه ١٩ سنة . ثم تقلد نظارة الداخلية ونظارة الاشغال العمومية ورئاسة مجلس النظار ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره تزوج بكريمة المرحوم الهامي باشا وهي مشهورة بالجمال والتمقل والكمال . وفي السنة التالية (١٨٧٤) ولد له بكره (الخديوي الحالي) فسماه عباس حلمي . ثم ولد البرنس محمد علي سنة ١٨٧٦ والبرنس خديجة هانم

سنة ١٨٧٧ والبرلس نعمت هانم سنة ١٨٨١ وما زال يتقلد المناصب في عهد المرحوم ابيه حتى قضت الاحوال باقائه كما تقدم في ترجمته . فاستلم رحمه الله ازمة الاحكام في ٢٦ يونيو سنة ١٨٢٩ وجاءه التلغراف من الصدر الاعظم يؤذن بذلك هذا نصه :

« بناء على ان الخطة المصرية هي من الاجزاء المنمة لجسم ممالك السلطنة السنية وان غاية حضرة صاحب الشوكة والاقتدار انما هي تأمين اسباب الترقى وحفظ الامن والعمارة في الممالك وبناء على ان الامتيازات والشرائط المخصوصة الممنوحة للخدوية المصرية مبنية على ما للحضرة الشاهانية من المقاصد المذكورة الخيرية . وبناء على تزايد اهمية ما حصل في القطر المصري ناشئاً عما وقع فيه من المشكلات الداخلية والخارجية الفائقة العادة وجب تنازل والد جنابكم العالي اسماعيل باشا . ثم انه بناء على ما اتصفت به ذاتكم السامية الآصفية من الرشد وحسن الروية على ما ثبتت لدى ملجاء الخلافة الاسمي من ان جنابكم الداوري ستوفقون الى استحصال اسباب الامنية والرفاهية لصنوف الاهالي والى ادارة امور المملكة على وفق ارادة الحضرة الشاهانية الملوكاية توجهت الارادة العلية بتوجيه الخديوية الجليلة الى عهدة استئصال آصافيتكم وبناء على الفرمان العلي الشأن الذي سيصدر حسب العادة على مقتضى الارادة السنية السلطانية التي صار شرف صدورها . وبناء على ما كتب في التلغراف الى حضرة المشار اليه اسماعيل باشا من تخليه عن النظر في امور الحكومة وقرغه منها بصورة وقوع انفصاله . وقد تحرر تلغراف هذا العاجز لكي يعلن حال وصوله للعلماء والامراء والاعيان واهل المملكة جميعاً وتبأشر من بعده امور الحكومة . وهذا من التوجيهات الوجهية الى اثر استحقاق آصافيتكم لتجري التنظيمات والترقيات مبدأً ومقدمة وبصير تكرير الدعاء بتوفيق الذات الجليلة الفخيمة السلطانية ولذلك صارت المبادرة الى ايفاء لوازم التهنية لحضرتكم ايها الخديوي المعظم والامر والفرمان على كل حال لمن له الامر اقدم »

الامضاء

خير الدين

فصدرت الاوامر باعداد ما يلزم للاحتفال بذلك وجلس سموه في القلعة يستقبل المهنيين من الوزراء والعلماء بتقديمهم تقيب الاشراف ثم شيخ الجامع الازهر ثم جاء القناصل وبعد ذلك دخل الذوات وامراء العسكرية والملكية ثم رجال الحفائية ثم النواب ووجهاء البلاد ثم ارباب الجرائد ثم الموظفون والمستخدمون وغيرهم . ومن

جملة من وفد النهضة وقد ماسوني جاء بالنيابة عن الشرق الاعظم المصري فقدم عبوديته
فقال من سموه عواطف الرضاء عنهم وعن اعمالهم ووعدهم رعاية محافلهم وحمايتهم
فانصرفوا شاكرين . وبعد ذلك ارسل الجناب الخديوي تلغرافاً الى الباب العالي جواباً
على التلغراف المؤذن بارتقائه الى كرسي الخديوية .

كسيف طانت مهالة مصر

لا تولاما توفيق باشا

اقبل اسماعيل ومصر تحت المراقبة المالية وقد فرغت خزينتها من المال وافسدت
قلوب جندها على امرائهم حتى كسروا قيد الحرمة بالثورة التي احدثها اسماعيل . وقد
تنافرت قلوب سكان هذا القطر بسياسة خديويها المعزول فانه اغضب العامة بشدة
وطأته عليهم وجعل الاغنياء في خطر على اموالهم وبعث الاجانب على سوء الظن
بالحكومة لتأخرها عن دفع ديونهم ولم يتفق الدول على العمل في حفظ حقوقها .
وقد اشتد كره العرب للاتراك وخوف الاتراك من الافرنج فلم يكن ثمت مندوحة عن
الاستعانة باوروبا لتسوية الاحوال واستقرارها

وكان في جملة المشاكل التي خلفها اسماعيل بمصر اضطراب العلائق بينها وبين
الباب العالي . وكان الباب العالي قد منح اسماعيل امتيازات اهمها اربعة (١) جعل ولاية
المهد في الابناء (٢) حق عقد المعاهدات التجارية مع الدول (٣) عقد القروض
المالية (٤) زيادة عدد الجند حسب الحاجة . فلما اقبل اسماعيل اراد السلطان الغاء
هذه الامتيازات وتصدت للدفاع عنها انكلترا وفرنسا صاحبتا المراقبة على احوال
مصر . وكانت فرنسا تحب قطع علاقة مصر مع الباب العالي او حلها على الاقل . واما
انكلترا فكانت لا ترى خروج مصر من سيادة الدولة العثمانية . واتفقت الدولتان على
بقاء الارث في البكر من الابناء لانه ادعى الى منع الفتن والدسائس ودافعنا عن
تفويض مصر في عقد المعاهدات التجارية وعقد القروض . لكن السلطان افاح في
تحديد عدد الجند فجعله لا يزيد على ١٨٠٠٠ جندي وصدر فرمان بذلك في ١٤
اوغسطس سنة ١٨٧٩ وهذا نصه :

الفرمان بولاية توفيق باشا

« الدستور الاكرم والمعظم الخديوي الانغم المحترم نظام العالم وناظم منازم الامم
مدير امور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأي الصائب محمد بيات الدولة

والاقبال مشيد اركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى مكمل ناموس السلطنة العظمى المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى خديوي مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلاً الحامل لنيشانتا الهمايوني المرصع الغماني وليشانتا المرصع المجيدي وزيري سفير المعالي توفيق باشا ادام الله تعالى اجلاله وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله

« انه لدى وصول توقيعنا الهمايوني الرفيع يكون معلوماً لكم انه بناء على انفضال اسماعيل باشا خديوي مصر في اليوم السادس من شهر رجب سنة ١٢٩٦ هـ وحسن خدماتكم وصدافتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولتنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا ان لكم وقوفاً ومعلومات تامة بخصوص الاحوال المصرية وانكم كفؤ لتسوية بعض الاحوال الغير المرضية التي ظهرت بمصر منذ مدة واصلاحها وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة مع الاراضي المنضمة اليها المعطاة الى ادارة مصر توفيقاً للقاعدة المتخذة بالفرمان العالي الصادر في ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ هـ المتضمن توجيه الخديوية المصرية الى اكبر الاولاد وحيث انكم اكبر اولاد الباشا المشار اليه قد وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية ، ولما كان تزايد عمران الخديوية وسعادتها وتأمين راحة كافة اهاليها وسكانها ورفاهيتهم هي من المواد المهمة لدينا ومن اجل مرغوبنا ومطلوبنا وقد ظهر ان بعض احكام الفرمان العالي الشأن المبني على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبين فيه الامتيازات الحائزة لها الخديوية المصرية قديماً نشأت عنها الاحوال المشككة الحاضرة المعلومة فلذلك صار تثبيت المواد التي لا يلزم تعديلها من هذه الامتيازات وتأكيدها وصار تبديل المواد المقنضي تبديلها وتعديلها واصلاحها فما تقرر اجراؤه الآن هو المواد الآتية وهي :

« ان كافة واردات الخطة المذكورة يكون تحصيلها واستيفائها باسمنا الشاهاني . وحيث ان اهالي مصر ايضاً من تبعه دولتنا العلية وان الخديوية المصرية ملزمة بادارة امور المملكة والمالية والمدنية بشرط ان لا يقع في حقهم ادنى ظلم ولا تعد في وقت من الاوقات تخديوي مصر يكون مأذوناً بوضع النظمات اللازمة للداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة . وايضاً يكون خديوي مصر مأذوناً بمقتد وتجهيد المشارطات مع مأموري الدول الاجنبية بخصوص الجمرك والتجارة وكافة امور المملكة الداخلية لاجل ترقى الحرف والصنائع والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السارة التي بين الحكومة والاجانب او بين الاهالي والاجانب بشرط عدم وقوع خلل بمعاملات

دولتنا العلية البولوتيقية وفي حقوق متبوعة مصر اليها . وانما قبل اعلان الخديوية
المشارطات التي تعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الى بابنا العالي . وايضاً
يكون حائزاً للتصرفات الكاملة في امور المالية لكنه لا يكون مأذوناً بعقد استقراض
من الآن وصاعداً بوجه من الوجوه وانما يكون مأذوناً بعقد استقراض بالاتفاق
مع المدائين الحاضرين او وكلائهم الذين يتعينون رسمياً . وهذا الاستقراض يكون
منحصرأ في تسوية احوال المالية الحاضرة ومخصوصاً بها . وحيث ان الامتيازات
التي اعطيت الى مصر هي جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها
الخديوية واودعت لديها لا يجوز لاي سبب او وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها او
بعضها اترك قطعة ارض من الاراضي المصرية الى الغير مطلقاً . ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠
الف ليرة عثمانية وهو الوركو المقرر دفعه في كل سنة في اوانه . وكذلك جميع النقود
التي تضرب في مصر تكون باسمنا الشاهاني . ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ثمانية
عشر ألفاً لان هذا القدر كاف لحفظ امنية اياملة مصر الداخلية في وقت الصلح . وانما
حيث ان قوة مصر البرية والبحرية مرتبة من اجل دولتنا يجوز ان يزداد مقدار العساكر
بالصورة التي تستتب فيها حالة دولتنا العلية محاربة . وتكون رايات العساكر البرية
والبحرية والعلامات المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم . ويباح
لخديوي مصر ان يعطي الضباط البرية والبحرية الى غاية رتبة اميرالاي والمملكة الى
الرتبة الثانية . ولا يرخص لخديوي مصر ان ينشئ سفناً مدرعة الا بعد الاذن وحصول
رخصة صريحة قطعية اليه من دولتنا العلية . ومن الواجب وقاية كافة الشروط السالفة
الذكر واجتناب وقوع حركة تخالفها . وحيث صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد
السابق ذكرها قد اصدرنا امرنا هذا الجليل القدر الموشح اعلاه بمخطنا الهايوني وهو
مرسل محبة افتخار الاعالي والاطنم ومختار الاكابر والاقاخم علي قواد بك باشكاتب
المابين الهايوني ومن اعظم دولتنا العلية الحائز والحامل للنياشين العثمانية والهجيدية ذات
الشان والشرف «

« حرر في ١٩ شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٦ من هجرة صاحب العزة والشرف »

وكان توفيق باشا من اشد الخديويين غيرة على الوطن المصري ولم يكن له بث من
تشكيل وزارة يثق بها تعينه على الحكومة مع تحديد سلطته وسلطتها وعلاقة البلاد
بالدولة العثمانية . فانتدب المرحوم شريف باشا لتشكيل وزارة قلبي الدعوة لكنه عرض
عليه لائحة في انشاء الدستور فلم يوافق الخديوي عليها فقدم استعفاه في ١٨ اوجسطس

سنة ١٨٧٩ قبل . فعزم الخديوي رحمه الله ان يتولى رئاسة الوزارة بنفسه . ولم يطل ذلك فانتدب رياض باشا لتشكيل الوزارة فشكلها في ٢٢ سبتمبر تحت رئاسته وفي اثناء ذلك وافق الخديوي على تعيين المفتشين الماليين لمراقبة مالية مصر وهما المسيو بارنج (اللورد كرومر) عن انكلترا والمسيو باينيار عن فرنسا . وكانت الحكومة الخديوية قد اصدرت امراً عالياً بمجودود سيادة هذين المفتشين فجاءت لهما حق الحضور في مجلس النظار على ان يكون لهما رأي استشاري . فلم تمض بضعة اشهر حتى استقرت احوال الحكومة وتشكلت الوزارة وتقررت العلائق بين مصر والسلطان وبينها وبين المراقبين او المفتشين الماليين . ولم يتم حسن التفاهم بينهما وبين الوزارة الا بعد حين . وكان في جملة العراقيل في سبيل الازمة المالية مسألة تصفية الديون وتقدير الميزانية الجديدة

تصفية الديون

اما تصفية الديون فتعينت لها لجنة في ٥ ابريل سنة ١٨٨٠ من خمسة اعضاء اورباويين وعضو وطني هو المرحوم بطرس باشا غالي لينوب عن الحكومة المصرية . واخذت اللجنة في عقد جلساتها والعمل مع المفتشين الماليين وفرغت من ذلك في ١١ يوليو من تلك السنة ووضعت قانوناً صادق عليه الجانب الخديوي هذه خلاصته : (١) ان صافي ايرادات السكك الحديدية والتلغرافات ومينا الاسكندرية يكون مخصصاً لتسديد قوائد واستهلاك الدين الممتاز دون غيره اما قائده فتنقى ٥ بالمائة على القيمة الاسمية . والقيمة التي تدفع سنوياً لفائدة واستهلاك هذا الدين تكون ١١٥٧٧٦٨ جنيهات سنوياً

(٢) ان صافي ايرادات الجمارك وعوائد الدخان الوارد ومديريات الغربية والمنوفية والبحيرة واسيوط بما فيه جميع الرسوم المقررة الا ايراد الملح والدخان البلدي . جميع صافي هذه الايرادات تبقى مخصصة لتسديد الدين الموحد والفائدة باعتبار اربعة بالمائة

(٣) ان املاك الدائرة السنية واملاك الدائرة الخاصة المذكورة في الكشف والرهون العقارية المسجلة وغيرها تكون ملكاً للحكومة وهي تكون مخصصة لضمانة دين الدائرة السنية العمومي

(٤) تسوية الدين السائر تكون من البوائقي من سلفة الاملاك الاميرية ومن النقود الباقية لغاية سنة ١٨٧٩م في خزينة النظارات والمديريات والمصالح التي لم تخصص للدين المنتظم ومن الزائد من دفعات المقابلة وموجودات نقدية في صندوق الدين العمومي

ومن المبالغ التي يمكن تحصيلها من المتأخرات لغاية ١٨٧٩ م ومن العوائد والرسوم والاموال من اي نوع كانت . ومن العقارات الجائز للحكومة التصرف بها ولم تكن مخصصة . وما ينتج من تغيير البونات او السندات . ومن سندات الدين الممتاز التي توجد على مقتضى المدون في البند السادس من قانون التصفية . ومن الجزء المخصص لاستهلاك الدين المنتظم حسب المدون في البند ١٥ من القانون . ومن الزيادات التي تظهر في الموازين كما هو مبين في البند السابع من قانون التصفية

هذه شذرة صغيرة من قانون التصفية ومن احب التفصيل فليراجع القانون نفسه فانه مؤلف من ٩٩ بنداً ومعه كشفان عن التسويات التي حصلت وغيرها

وبذات الحكومة جهدها باثناء ذلك في تخفيف اقبال الاهلين وفي نشر الامن فاصدرت امراً بالغاء الضرائب الدينية والشخصية وابطلت بون حليم باشا . ثم داهمتها الثورة العسكرية المعروفة بالحوادث العراقية فاحدثت فيها انقلاباً سياسياً لا يزال باقياً الى الآن واليك تفصيلها :

الثورة العسكرية او الحوادث العراقية

تمهيد في العرب والترك

ما زالت مصر منذ دخلت في حوزة الاتراك قبل العثمانيين وبعدم وهي ترى للتركي حقاً في السيادة تهابه وتخشى بأسه وتتوقع منه الاستبداد - رغم قلة الاتراك وكثرة العرب . وقد ظهر نفوذهم على الخصوص في الجندية فقد كانت المناصب العالية والرواتب الفادحة والكلمة النافذة للتركي وما على العربي الا الطاعة . ويندر فيهم من يجسر على الشكوى او التظلم جهاراً ولعل اول من فعل ذلك منهم احد عراقي وهو جندي صغير . وقد جرأه على ذلك سعيد باشا بما كان له من الرغبة في رفع شأن ابناء العرب . وهاك ما رواه احمد عراقي نفسه في اثناء كلامه عن سيرة حياته قال :

« وكان المرحوم سعيد باشا عليه سحائب الرحمة والرضوان قد تولى الحكومة الخديوية في ١٥ شوال سنة ١٢٧٠ وامر بدخول اولاد مشايخ البلاد واقاربهم في العسكرية فدخلت من ضمنهم وانتظمت في سلك الاورطة السعيدية المصرية بقناطر فم البحر في شهر ربيع اول عام ١٢٧١ وجعلت فيها وكيل بلوك امين من اول يوم صار انتظامي في سلك العسكرية بعد امتحاني بحضور ابراهيم بك امير الالاي وحسن افندي الالفي حكيم الالاي . ثم ترقيت الى رتبة بلوك امين في شهر رجب من السنة المذكورة بعد اعادة الامتحان مع الطالبين لذلك من غير واسطة احد غير الجدد والاجتهاد.

وبعد عام نظرت فرايت بعض الباشجاويشية المصريين ترقى الى رتبة الملازم الثاني وعلمت ان البلوك امين لا يترقى الا الى رتبة الصول قول اغاسي وفيها يفتى عمره . فجزعت من ذلك وذهبت الى امير الالاي وطلبت منه ترتيب في رتبة جاويش في اورطة كانت افرزت لارسالها الى مدينة المنصورة . فسألني امير الالاي المذكور عن سبب ذلك حيث ان راتب الجاويش اقل ١٠ غروش من راتب البلوك امين وان كانت الرتبتان متساويتين . فافصح له عما خالج فكري واتي اذا صرت جاويشاً سهل علي الحصول على رتبة الباشجاويش ثم الانتقال الى رتبة ضابط . فمجب لذلك الخطر واسر في الحال بمجملي جاويشاً . فكنت في هذه الرتبة سنتين وفي تلك المدة حُب الى الاعتزال عن الناس والاشتغال بدراسة قوانين العسكرية مع التدبر في معانيها حتى اتقنت قانون الداخلية وقوانين تعليم النفر والبلوك والاورطة وبغض فصول من تعليم الالاي . وفي اوائل عام ١٢٧٤ امر سعادة راتب باشا بجمع الصف ضباط فاجتمعنا حوله في فسحة قصر النيل وبلغنا ارادة المرحوم سعيد باشا وقال - ان اتدبنا بلغه انكم تقولون فيما بينكم كيف يصير ترقى الصف ضباط الجدد وتأخير من هو اقدم منهم في الرتب وانه امر ان لا يترقى احد بعد الان الا بعد الامتحان علماً وعملاً فاق اقرانه في الامتحان ترقى الى الرتبة التي يستحقها ولو لم يلبث في رتبته الاولى غير شهر واحد فن اراد منكم الامتحان فليقدم الى الامام . فعند ذلك تقدمت امام سعادته واحجم الآخرون خوفاً وهلعاً ظناً منهم انه يريد معاقبة من يتظاهر بذلك . ولما كرر عليهم الطلب خرج آخر وآخر حتى بلغ عدد الراغبين في الامتحان نحو ٣٠ شخصاً فصار امتحانهم بحضوره تحت رئاسة المرحوم اسماعيل باشا الفريق فكنت اول فائز في الامتحان هـ

وخفى ذلك ان الوطنيين يشكون من ترقية سوامم وتأخيرهم . فلم يكن ذلك الا ليزيد الضغائن في صدور الاتراك والشراكية من كبار الضباط . وخصوصاً في زمن اسماعيل فانه لم يكن يرى رفع شأن الوطنيين فكانت الضغائن تزايد بينهم وبين الاتراك والشراكية ولكن اسماعيل كان شديد الوطأة بخافه العرب والاتراك فلم يحدث في ايامه ما يخشى عاقبته وان يكن هو اول من جراً الجند على التمرد وطلب الحقوق كما تقدم في سيرة حياته

فلما افضت الخديوية الى المرحوم توفيق باشا وكان محباً للوطنيين رفيقاً بهم راغباً في رفع شأنهم تمسكوا الصعداء . وانعم على الضباط بالرتب وفي جملتهم احمد عرابي

اول نشأة عراقي

هو في الاصل من ابناء الفلاحين ويرجع بنسبه الى الامام الحسين وقد قص ترجمة حياته للهلال في بضع وعشرين صفحة نشرت في تراجم مشاهير الشرق الجزء الاول فتتطفت منها قوله في نشأته الاولى قال :

« ومولدي بقرية هرية رزنة بمديرية الشرقية على ميلين من شرقي الزقازيق وهي بلدة قديمة جداً من ضواحي مدينة بوباسطة كرسي مملكة العائلة ٢٢ في زمن شيشاق ابن نمرود التي يقال لها الآن (قل بسطة) . وعشيرتي فيها نحو ربع تعدادها وكان والدي رحمه الله تعالى شيخاً عليها الى ان توفي في شهر شعبان سنة ١٢٦٤ هـ في زمن الهواء الاصفر عن ثلاث نسوة واربعة اولاد وست بنات . وكنت ثاني اولاده الذكور وسني ٨ سنوات وترك لنا ٧٤ فدناً ولوشاء لاستكثر من الاطيان الزراعية ولكنه كان رحمه الله يراعي مصلحة ابناء عمومته حيث ان اطيان القرية كثيرها كانت مكلفة باسماء المشايخ يوزعونها بمعرفتهم على اهل بلادهم بحسب الاحتياج وظلت كذلك الى عهد المغفور له عباس باشا الاول وهو اول من كلف الاطيان باسماء الافراد والزهم بدفع خراجها ومازاد عنهم بترك المعيري ويسمونه المتروك . وكان والدي عليه سخائب الرحمة والرضوان عالماً فاضلاً تقياً تقياً اقام بالجامع الازهر ٢٠ سنة تلقى فيها الفقه والحديث والتفسير وبرع في كثير من العلوم النقلية والعقلية على كثير من المشايخ كشيخ الاسلام القويسني رحمه الله تعالى وغيره من العلماء الاطهار — ولما آلت اليه وظيفة الشياخة على عشيرته جدد عمارة المسجد المنسوب الى عشيرته بالقرية وفيه اربعة اعمدة من الحجر الصوان القديم ومنبر من الخشب عجيب الصنعة . وانشأ بجوار المسجد مكتباً لتعليم القرآن الشريف وجعل له فقيهاً صالحاً عالماً يسمى الشيخ نجم من سلالة السيد العزاوي والزم الاهالي بتعليم اولادهم . وكان رحمه الله يشدد عليهم في ذلك حتى صار نحو نصف تعداد الناحية المذكورة يحسنون القراءة والكتابة وكل منهم يعرف واجباته الدينية . ومنهم نحو مائة وخمسين فقيهاً عالماً ومنهم المرحوم الشيخ محمد حسين الهراوي من علماء الجامع الازهر والشيخ العارف بالله ابراهيم المصباحي نفع الله به المسلمين . فلما بلغ سني ٥ سنوات ارساني والدي الى المكتب المذكور . فاقمت فيه ثلاثة اعوام خففت فيها القرآن الشريف وعمري اذ ذاك ثمانين سنين وبضعة شهور . فلما توفي والدي كفلني اخي الاكبر المرحوم السيد محمد عراقي الذي توفي في ٢٥ شعبان سنة ١٣١٨ رحمه الله تعالى واخذت عنه مبادئ علم الحساب وتحسين الخط مع ملاحظة



ش ٧٨ : احمد عرابي بلباسه العسكري

بعض اشغال الزراعة . ثم بنا لي المجاورة في الازهر حين بلغت اثني عشر عاماً فكنت اجود القرآن علي اقاربي واهل بلدي نهائياً واتوجه الى بيت عمي ليلاً وتلقيت قليلاً من الفقه والنحو وبعد سنتين رجعت الى بلدي » اهـ

وقد تقدم ما قاله عن نفسه في زمن سعيد باشا وقدارتي في ايامه الى رتبة مقام وظل في هذه الرتبة كل ايام اسماعيل . فلما تولى توفيق باشا احسن اليه برتبة اميرالاي علي الالاي الرابع . ولما تشكلت الوزارة الرياضية التي تقدم ذكرها كان ناظر الجهادية فيها عثمان رفقي باشا وهو شركسي منعصب علي العرب وفي جملة مساعيه ان يمنع ترقية المصريين من العسكر الدامل في الالايات والاكتفاء بما يستخرج من المدارس الحربية وصدرت اوامره بذلك . ثم اردفها باحالة عبد العال حلي بك اميرالاي السودان علي ديوان الجهادية ليكون معاوناً وكان عمره اذ ذاك اربعين سنة . ورتب بدله خورشيد نعيان بك من جنسه علي الالاي المذكور وكان سنه فوق السنين وهو ضعيف لا يقدر على الحركة العسكرية وامر بوفت احمد بك عبد الغفار قائمقام السواري وترتيب شاكر بك طبازه من جنسه بدله وهو طاعن في السن ثم ختمت تلك الاوامر وقيدت بدفاتر الجهادية

وكان احمد عرابي قد نال منزلة بين اقرانه لما فطر عليه من الجرأة والخبرة فاراد الضباط ابناء العرب الاجتماع للاحتجاج علي هذه المعاملة فاخاروا ليلة اقيمت فيها وليمة بشي فيها القرآن بمنزل نجم الدين باشا بمناسبة عودته من الحج في ١٤ صفر سنة ١٢٩٨ قال

احمد عرابي يروي الواقع بنفسه وهو من جملة المدعوين :

« ولما وصلت الى منزل الداعي وجدته غاضباً بالدوات العسكرية وغيرهم فجلست بجوار المرحوم نجيب بك وهو رجل كردي الاصل وبجانبه المرحوم اسماعيل كامل باشا الفريق وهو شركسي الاصل ولكنه يتظاهر بحب العدل والانصاف فاخبرني نجيب بك بما صار وانه نصح لناظر الجهادية بالاعراض عن هذا الاجحاف فلم يصنع لقوله ولذا فهو ساخط ومضطرب ثم اوعز اليه ان يخبرني بما سمع منه . فاخبرني نجيب بك بحقيقة الحال همساً في اذني فقلت لاسماعيل باشا كامل « احق هذا ؟ » فقال « نعم واعطيت الاوامر الى الكتيبة للاجراء على مقتضاها » فقلت له « ان تلك لقمة كبيرة لا يقوى ناظر الجهادية عثمان رفقي على هضمها » وبعد تناول طعام الائمة حضر لي احد الضباط واخبرني بان كثيراً من الضباط ينتظرونني بمنزلي وفيهم عبد العال بك حلي وعلي بك فهمي . فامرعت اليهم وهم في هياج عظيم وقد بلغهم صدور اوامر ناظر الجهادية قبل ارسالها اليهم . فلما رأيوني اخبروني بما سمعته من المرحوم اسماعيل باشا كامل . فقلت لهم « قد سمعت من غيركم فاذا تريدون » فقالوا « انه ليس ذلك فقط بل انه قد كثر اجتماع الشراكسة بمنزل خسرو باشا الفريق صغيراً وكبيراً وهم يتذاكرون كل ليلة في تاريخ دولة المماليك بحضور عثمان رفقي باشا ويلمعون حزبك ويقولون قد حان الوقت لرد بضاعتنا وانهم لا يملكون من قلة وظنوا انهم قادرون على استخلاص مصر وامتلاكها كما فعل اولئك المماليك » . وقد تحققت ذلك ممن يوثق بخبره . فقلت لهم « وماذا تريدون اذاً ؟ » فقالوا انما جئناك لآخذ رأيك فيما دهمنا من الخطب العظيم » . فقلت لهم « أرى ان تطيبوا نفوسكم وتهذبوا روعكم وتعتمدوا على رؤسائكم وتفوضوا لهم النظر في مصالحكم وهم ينتخبون لكم رئيساً منهم يشقون به كل الوثوق ويطيعون امره ويحفظونه بعبادتهم » . فقالوا كلهم « قد فوضنا الامر اليك وليس فينا من هو احق به واقدر عليه منك » . فقلت لهم « لا . . انظروا غيري وانا اسمع له واطيع له والنصح له جهدي » فقالوا « لا نبغي غيرك ولا نتق الا بك » فقلت « فارجعوا لانفسكم فان هذا امر عسير لا يسع الحكومة الاقتل من يقوم به او يدعو اليه » . فقالوا « نحن نفدبك ونفدي الوطن بارواحنا » . فقلت لهم « اقسموا لي على ذلك » فاقسموا . وفي الحال كتبت عريضة الى دولة رئيس النظار رياض باشا مقتضاها الشكوى من تعصب عثمان رفقي لجنسه والاجحاف بحق الوطنيين والتمست فيها اولاً تشكيل مجلس نواب من نهباء الامة المصرية تنفيذاً للامرا الخديوي الصادر ابان توليته . ثانياً ابلاغ الجيش الى ثمانية عشر الفا تطبيقاً لمنطوق فرمان السلطاني . ثالثاً تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة للمساواة بين جميع

اصناف الموظفين بصرف النظر عن الاجناس والاديان والمذاهب . رابعاً تعيين ناظر الجهادية من ابناء البلاد على حسب القوانين العسكرية التي بايدينا . ثم تلوت العربية هذه على مسامع الجميع فوافقوا كلهم عليها فامضيتها باذائي وختمتها بختمني وختم عليها ايضاً علي فهي بك امير الالي الحرس الخديوي وعبد المال بك امير الالي السودان « اه



ش ٧٩ : رياض باشا

ويظن اللورد كرومر ان الحركة الاصلي لهذه الحركة الاميرالاي علي فهي قومندان

الالاي الاول وعليه حراسة القصر الخديوي . وكان قد استاء من معاملة الخديوي فاراد
ان ينتقم لنفسه فدبر هذه المظاهرة

فوز العراقيين الاول

ولما وصلت العريضة الى رياض باشا استخف بها واهمل الرد عليها اياماً وهو يحرض
اصحابها على سحبها وهم يرفضون . ثم بلنهم ان عريضتهم كان لها وقع سيء عند الخديوي
وحاشيته الاثراك . ثم ارسل الخديوي يلح على الوزارة بسرعة الرد فقررت مرةً محاكمة
العارضين في مجلس عسكري بعد ان يقبض عليهم ويسجنوا . لكن ذلك السروصل لم
فاستعدوا للدفاع فلما جاء امر النظر بدعوتهم الى قصر النيل دبروا شائهم مع الالايات
وذهبوا الى القصر فجددوهم من السلاح واقفوهم تحت المحاكمة واذا برجال الالاياتهم قد
دخلوا بالقوة واقفدوهم وساروا بهم الى سراي عابدين والخوا في طلب عزل ناظر الجهادية .
فلم تحدد الحكومة بدءاً من اجابة الطلب لان القوة في غير ايديها . فاجابهم الخديوي بعزل
رفقي باشا وتعيين محمود باشا سامي البارودي مكانه وهو من حزبهم ويقال انه هو الذي ابانهم
قرار مجلس النظر بالقبض عليهم



ش ٨٠ : محمود باشا سامي البارودي

واثر خضوع الحكومة لمطالب الوطنيين هذه المرة تأثيراً شديداً اذ تحقق لديهم انهم اذا اتحدوا وثبتوا لا بد من نيل ما يطلبونه . وقام في نفوسهم حقدٌ على رياض باشا والخديوي وقوى هذا الاحساس فيهم قنصل فرنسا يومئذ البارون درين لانه كان يحسن اعمال رجال العسكرية في اعينهم فيزدادون تمرداً وبلغ ذلك الى الجنب الخديوي فشكاه الى حكومته فاقالته . وبعث الخديوي الى كبار الضباط وطيب خاطرهم واكد لهم ثقته في رياض باشا وانه سيزيد الرواتب ويساوي بينهم على اختلاف اجناسهم اما زعماء الثورة فلم يزالوا خائفين من نجاحهم السريع واعتبروا تلك المحاسنة مكيدة من الحكومة لتسكين جاشهم ثم تحتال للاغتيال بهم فاكثروا من التحفظ وشرعوا في عقد مجالس سرية ليلية في منزل احمد عرابي يدعون اليها خواصهم ويتفاوضون في امر اجتماع كلمتهم والوقاية من الاغتيال . فاقترحوا على ديوان الجهادية اقتراحات عديدة تعزز جانبهم فتتمكن عرابي بذلك من استمالة قوم العسكرية فطفق بيت افكاره بين الاهلين من مشايخ العربان وعمد البلاد واعيانها وعلمائها وتجارها استجلاباً لمساعدتهم في مشروعه العائد الى نفعهم على ما زعم وكتب اليهم في ذلك منشورات تورية ايقاعاً بالوزارة الرياضية

وفي ٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ هـ او ٢٠ ابريل ١٨٨١ م اصدر الجنب الخديوي باقتراح رياض باشا رئيس النظار امراً عالياً بشأن زيادة مرتبات الضباط والعساكر وتعديل النظامات والقوانين العسكرية بناء على طلب محمود باشا سامي ناظر الجهادية فاحتفل هذا احتفالاً فاخراً في قصر النيل دعا اليه النظار والفتش احتفاءً بصدر ذلك الامر خطب فيه رياض باشا ومحمود سامي واحمد عرابي ثناء طيباً على المكارم الخديوية لما منحته لجماعة الجهادية من الانعام

وفي ٢٨ شعبان او ٢٥ يوليو كان الجنب الخديوي في مصيفه في الاسكندرية فاتفق ان عربة احد تجار الاسكندرية صدمت جندياً من الطبجية صدمة قضت عليه فحمله رفقاؤه الى سراي راس التين وطلبوا الى الخديوي النظر في امره فوعدهم فسكن جاشهم . وبعد بضعة ايام تشكل مجلس حربي اصدر حكمه على النفر الذي حمل رفقاؤه على المسير الى راس التين بالاشغال الشاقة طول حياته . اما رفقاؤه وهم ثمانية فحكم عليهم بثلاث سنوات في السجن وبعد ذلك يرسلون الى السودان انفاراً للجهادية . فبعث عبد العال امير الاي الفرقة السودانية الى ناظر الجهادية محمود سامي يشكو من قسوة ذلك الحكم فرفع سامي تلك الشكوى الى الخديوي فتكدر واستدعى في

الحال الوزراء تلغرافيا الى الاسكندرية فاتوها في ٧ رمضان او ٢ اوغسطس وعقدوا برئاسته مجلساً قدم فيه ناظر الجهادية استعفاء فقبل وعين بدلاً منه داود باشا يكن واستلم الاعمال وعاد النظر الى العاصمة وهدأت الاحوال بحسب الظاهر. والواقع ان الوطنيين ساءهم قبول استعفاء محمود باشا سامي لانهم يعدونه من اكبر انصارهم . تغير القلوب بين الخديوي والعرابين

فاصبح العرابيون ينظرون الى الخديوي ووزرائه بعين الازتياب والخنر وشاع يومئذ ان الخديوي استغنى شيخ الاسلام بقتلهم لانهم خانوا الدولة والامة وهي اشاعة كاذبة لكنها أخذت مأخذ الصدق وازداد العرابيون بها حنراً وسوء ظن

وفي ١٥ شوال او ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ بعد عود الجناب الخديوي من الاسكندرية صدر امر من نظارة الجهادية الى آلي القلعة بالتوجه الى الاسكندرية وامر آخر الى آلي الاسكندرية بالجيء الى المحروسة فاعز عرابي الى آلي القلعة ان تلك الاوامر لا يقصد بها الا تقريب كلمتهم فصرح ذلك الا لاي بعدم امثاله لما أمر به . وفي خلال ذلك كان عرابي يخاطب الآليات بالاشارة ان يستعدوا للحضور الى ساحة عابدين في اول سبتمبر ثم ارسل كتابه الى الخديوي والى نظارة الجهادية يخبرهم فيها ان الجيش سيحضر الى سراي عابدين لابتداء اقتراحات عادلة تتعلق باصلاح البلاد وكتب مثل ذلك الى قناصل الدول مبيناً ان لاخوف من هذه الحركات على ابناء تابعيتهم لانها متصلة الغاية بالاحوال الداخلية . فارسل الجناب الخديوي وقدأ الى زعماء الثورة وهم عرابي وعبد المال واحمد عبد الغفار ينصحهم ان يكفوا عن اجراءاتهم وتوجه بنفسه ومعه السير اوكلن كلفن قنصل انكلترا والنظار الى آلي عابدين واخذ ينصحهم فتظاهروا بالانتصاح وتوزعوا في نوافذ السراي وقاية لها . ثم توجه الجناب الخديوي ورفقاؤه الى القلعة للغرض عينه . فاجابه الجيش هناك « نحن مطيعون لاوامر ولي نعمتنا غير اننا اخبرنا بان المقصود من تسفيرنا اغراقنا عند كوبري كفر الزيات » فقال سموه لمن معه « يظهر ان العساكر مغرورون » ثم تركهم وقصد العباسية لايقاف عرابي فلم يجده وقيل له انه سار في جنده الى عابدين فعاد سموه ايضاً اليها

مظاهرة ساحة عابدين

واشار عليه كلفن ان يبقى في الساحة ويدعو عرابي اليه ويأمره بالترجل ففعل فسأله عن الغرض من هذا الاجتماع فاجابه انه جاء يطلب اموراً عادلة فقال ماهي ؟ فاجاب « اسقاط الوزارة وتشكيل مجلس نواب وزيادة عدد الجيش والتصديق على قانون

العسكرية الجديد وعزل شيخ الاسلام »

قال الخديوي « كل هذه الطلبات ليست من خصائص العسكرية »

فكف عرابي واشارت القناصل على الخديوي ان ينقلب الى داخل

ثم قال فنصل انكلترا الى عرابي بالتيابة عن الجناب الخديوي « ان اسقاط الوزارة من خصائص الخديوي وطلب تشكيل مجلس النواب من .تعلقات الامة ولا وجه لزيادة الجيش لان البلاد في طمأينة فضلاً عن ان مالية مصر لا تساعد على ذلك اما التصديق على القانون فيسند بعد اطلاع الوزراء عليه . اما عزل شيخ الاسلام فلا بد من اسناده الى اسباب »

فاجاب عرابي « اعلم يا حضرة القنصل ان طاباتي المتعلقة بالاهلين لم اقدم عليها الا لانهم انايوني بتنفيذها بواسطة هؤلاء العساكر لانهم اخوتهم واولادهم فهم القوة التي ينفذ بها كل ما يعود على الوطن بالمنفعة . واعلم اننا لا نتنازل عن هذه الطلبات ولا نبرح هذا المكان ما لم تنفذ »

قال القنصل « اذا تريد تنفيذ اقتراحاتك بالقوة الامر الذي يخشى منه ضياع بلادكم »

فقال عرابي « ذلك لا يكون ومن ذا الذي بنازعنا في اصلاح داخلينا ؟ فاعلم اننا

نقاومه اشد المقاومة الى ان نفى عن آخرنا »

القنصل - « واين هذه القوة التي ستقاوم بها »

عرابي - « في وسعي ان احشد في زمن يسير مليوناً من العساكر طوع ارادتي »

القنصل - « وماذا تفعل اذا لم تمل ما طلبت »

عرابي - « اقول كلمة ثانية »

القنصل - « وما هي »

عرابي - « لا اقولها الا عند القنوط »

ثم انقطعت المحادثات بين الفريقين نحواً من ثلاث ساعات تداول القناصل والخديوي في اثناها داخل السراي واستقر الراي على اجابة طلبات عرابي وانفاذها تدريجياً لان بعضها يحتاج لخبرة الباب العالي

فاصر عرابي على تنزيل الوزارة قبل انصرافه فنزلت واستدعي شريف باشا وبعد الدنيا والتي قبل بان يشكل وزارة جديدة بشرط ان يتمهده رؤساء الحزب العسكري بالامثال لاوامره وان يقدم عمد البلاد ضماناً على ذلك فحصل وتشكلت الوزارة وجعل محمود سامي ناطراً للجهادية



ش ٨١ : شريف باشا

فاوعز شريف باشا الى عراقي ان يتوجه بآلايه الى راس الوادي في مديرية الشرقية
 عبد العال ان يسير بآلايه الى دمياط فامثلا وسارا الى حيث امرنا باحتفال عظيم
 طرب عبدالله نديم محرر جريدة الطائف وحسن الشمسي محرر جريدة المفيد في
 محطه خطباً هناؤا بها الحزب الوطني على فوزه
 هذه الثورة العسكرية الثالثة اذا اعتبرنا ثورة الضباط في ايام اسماعيل الاولى وكل
 منها انقضت باسقاط الوزارة او بعزل وزير كبير
 ولما استقر عراقي في راس الوادي جعل يتجول في انحاء المديرية يبيت بمباديه في
 نفوس عمد البلاد ومشائخ العربان فاندعته الحكومة الى العاصمة وعرضت عليه رتبة
 لواء ومنصب وكيل نظارة الجهادية فقبل الثانية ورفض الاولى ليبقى الآلاي في عهده
 ولما استوى على منصبه الجديد جعل يعقد المحافل في منزله علانية وتوسط بالعفو عن
 حسن موسى العقاد احد تجار المحروسة وكان مبعداً في السودان . فاجابه الجواب
 الخديوي الى ذلك ثم سعى في عزل الشيخ العباسي من مشيخة الاسلام واستبداله
 بالشيخ الامباري

وفي ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ هـ (٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ م) صدقت الحكومة
 المصرية على القوانين العسكرية الجديدة وهي من ضمن طلبات الجهادية يوم حادثة عابدين
 تحتوي على قانون الاجازات العسكرية البرية والبحرية وقانون المستودعين وقانون

معاشات الجهادية البرية والبحرية وفروعها وقانون القواعد الاساسية في المنظمات العسكرية وقانون الترقى وقانون الضمان والامتيازات والاعانة العسكرية . وبعد التصديق عليها جاء الى شريف باشا وقد جهادي وقدموا له الشكر على اعتنائهم بمطالبهم وبينوا ارتياحهم الى وزارته واكدوا له اخلاصهم



ش ٨٢ : السلطان عبد الحميد

وفي ١١ اذي القعدة او ٤ اكتوبر من تلك السنة صدر الامر العالي باعتماد اللائحة في انتخاب مجلس النواب بناء على تقرير رفع الى شريف باشا مديلاً بالثبوت وسبقاً توقيع بمنع من طلب تشكيل المجلس النيابي ومن مقتضى تلك اللائحة ان يكون النواب واحداً او اثنين من كل مديرية و٣ من مصر و٢ من الاسكندرية وواحداً من دمياط على شروط مذكورة في اللائحة . ووزعت نظارة الداخلية منشورات بشأن ذلك الى المديريات

مصر والدولة العثمانية

لا يخفى ان مصر عالت امتيازها واستقلت ادارتها رغم ارادة الباب العالي وما برحت الدولة منذ منحت ذلك الامتياز وهي تحين الفرص لارجاع سيطرتها الى وادي النيل وكان من جهة مطالب العرابيين تشكيهم من النفوذ الاجنبي بمصر وامتياز الاجانب على الوطنيين من كل وجه وكتب عرابي الى الاستانة يشكو ذلك للسلطان وهو يومئذ

السلطان عبد الحميد وكان قد اخذ في مطاردة الاحرار طلاب الدستور بعد ان قلب دستورهم واصبح لفظ الدستور يرعبه

فلما جاءته شكوى العرايين من الاجانب وجد باباً للمداخلة بشؤون مصر لكنه يعلم ان من جملة مطالبهم الدستور ومجلس النواب وهو يكره الدستور واسمه فكيف يتقبل ان يعلن في بعض ولاياته ؟ . فضلاً عن الاشاعات التي كانت تتناقل يومئذ عن رغبة العرب في احياء دولتهم وخلافتهم في مصر وسوريا . فأول خاطر بدا للسلطان ان يرسل جنداً عثمانياً يحل وادي النيل بحجة اخاد الثورة . وامر باعداد الحملة في سبتمبر سنة ١٨٨١ ولكن مصر تحت المراقبة الاجنبية فلا يسهل على السلطان احتلالها . وكانت سياسة فرنسا على الخصوص مقاومة كل توسط عثماني بشؤون مصر . اما انكلترا فلم تكن ترى بأساً من ان يرسل السلطان قائداً عثمانياً يتوسط في حل ذلك المشكل . فاحتجت فرنسا بان ذلك قد يقود الى احتلال عسكري . فعرضت الدولة العثمانية لحل هذه المعضلة ان يخلع الخديوي وينصب مكانه حليم باشا - وهو من طلاب العرش المصري وانما منعه منه فرمان اسماعيل القاضي بانتقال الارث الى الابناء - وكانت انكلترا من اشد المعارضين لهذا التبديل وفرنسا تعارض من الجهة الاخرى بارسال جنود عثماني . فاكتمت الباب العالي بارسال مندوب يدوب عنه بحجة حقه بالسيادة على مصر فارسل رجلين هما فؤاد بك وعلي نظامي باشا فوصلا الاسكندرية في ٦ اكتوبر سنة ١٨٨١

فاحتجت انكلترا وفرنسا على ذلك وامرتا المراقبين في مصر ان يستقبلوهما بالترحاب ويمتصهما من كل مداخلة سياسية . ولما بلغ الخديوي وصول المندوبين استغربه وسأل وكيلى انكلترا وفرنسا عن السبب فاجابا انهما لا يعلمان . على ان الدولتين انكلترا وفرنسا الحبا على الباب العالي ان يقصر زمن تلك الزيارة على قدر الامكان . وغاية ما اتاه المندوبان انهما استعرضا الجند وخطب علي نظامي باشا في الضباط يذكرهم بأن الجناح العالي نائب جلالة السلطان بمصر وان من يعصى الخديوي يعصى اوامر الخليفة وعادت الدولتان الى طلب خروج المندوبين حالاً فصارا في ٢٠ اكتوبر . وعادت الدولتان الى التفكير في ملافة ما ينشئ وقوعه في مصر . وظهر الخديوي بعد حادثة ٩ سبتمبر ريباً في الجند وضباطه وانه لا يرى سيلاً الى الامن الا باخضاع الجيش . وبلغ ذلك العرايين فانسع الخرق بين الطرفين

مجلس النواب المصري

واراد شريف باشا رتق هذا الخرق بسياسة واسلوب فرأى ان يعقد مجلس

النواب ويفوض اليه النظر في مطالب الامة واعضاؤه نوابها فينتقل النفوذ من الجيش اليهم فتوازن القوى . فصدر الامر العالي في ٨ اكتوبر بمقد مجلس النواب في ٢٣ ديسمبر وتم انتخاب النواب على لائحة اسماعيل باشا التي وضعها سنة ١٨٦٦ فكان مؤلفاً من اثنين وثمانين عضواً اقيم منهم المرحوم سلطان باشا رئيساً وعبد الله باشا فكري رئيساً للكتبة واعدت قاعة المجلس في ديوان الاشغال لتكون



ش ٨٣ : عبد الله باشا فكري رئيس كتبة مجلس النواب

مقر انعقاده . وحضر تلك الجلسة الجناب الحديوي وقال المقالة الافتتاحية بين فيها شدة رغبته في تأليف ذلك المجلس وتنشيطه . وقال انه يرجو ان يكون مساعداً له في نشر العلوم والمعارف بين افراد الامة مخلصاً في خدمة مصالحها . وحضر تلك الجلسة ايضاً جميع الوزراء ورجال الدولة فتكلم كل منهم حسب مقتضى المقام . ثم نظر المجلس في بعض الامور الداخلية وارفضت الجلسة . وعكف مجلس شورى النواب على الاهتمام بشؤونه فرتب اقالمه وانتخب رؤساءها ثم وجه التفاته على الخصوص الى اللائحة الاساسية الجديدة التي كان قد وعده من مجلس النظار بارسالها اليه لينظر فيها لان مجلس النواب افتتح بمقتضى لائحة اسماعيل

وما لبث شريف باشا ان راي النواب والجنود اتحدوا وتكاتفوا واقضت سنة ١٨٨١ والامر والتهي بمصر لعراي وحزبه وصارت الجرائد اذا ذكرته لقبته باللقاب الامراء وكبار الحكام الفاتحين مع ان الحكومة كانت قد اصدرت قانوناً للمطبوعات يقيد به اقلام الكتاب

انكلترا وفرنسا

وعادت الدولتان الى المباحثة في الطريقة المؤدية الى سلامة القطر وصيانة حقوق الاجانب فيه اذا انقذت شعلة الثورة . ووافق ذلك اعضاء وزارة فرنسا الى غمبتا الشهير فوافقوا رايه زاي انكلترا بوجوب نصرة الخديوي وتأييد منصبه ضد مناوئيه وهم كثيرون غير الجيش المصري - فقد كان حلیم باشا وانصاره يبذلون المال والسعي في الرجوع الى التوارث الاصلي والسلطان من الجهة الاخرى يتحين الفرص ليعيد سيادته الفعلية - فاعلنت الدولتان انهما لا تسمحان بحركة تؤدي الى تغيير حالة مصر السياسية واتفقتا على احتلال مختلط من الجندين الانكليزي والفرنساوي يوثى به الى مصر عند الحاجة واعلنتا الخديوي بذلك بمذكرة مؤرخة في ٢ يناير سنة ١٨٨٢ بعثتا بها الى وكيلهما وصلت هذه المذكرة الى مصر في ٢٦ ديسمبر بعد ان فتح مجلس النواب بحضور الجناب الخديوي وتلا خطابه الافتتاحي كما تقدم. فلما علم يعزم الدولتين على نصرته اجاب شاكرآ في ٦ يناير . فأثرت هذه اللائحة في النفوس تأثيراً عظيماً واضطرب منها الجند فاجتمعوا في سراي قصر النيل للمناكرة في مضمونها فراهبهم منها امور كثيرة وايقنوا ان المراد منها مزيد المداخلة وجعل البلاد تحت حماية فرنسا وانكلترا . ثم وفد عليهم ناظر الجهادية (محمود سامي) فقوضوا الراي اليه فسكن جاشهم وطيب انفسهم وتوجه بعد ذلك الى النظار وقاوضهم في الامر وابلغهم انفعال العساكر من هذه اللائحة ثم سار معهم الى الخديوي فبسطوا لديه الامر والراي والتمسوا المداخلة بما ينسب الانار التي نشأت عن اللائحة المذكورة . فاستقر الراي على اشعار الباب العالي بها مع الملاحظة بان لا حاجة لقبول مضمونها فسكنت الخواطر بذلك واطمأنت النفوس . واصبحت القوات العاملة في مصر حزينين : (١) الحكومة يعضدها المراقبان (٢) النواب يعضدهم الجند

وكانت الميزانية التي لا بد من عرضها على مجلس النواب للمصادقة عليها مؤلفة من قسمين الاول الايرادات التي تخصصت لوفاء الدين والثاني النظر في سائر الايرادات فلما اجتمع مجلس النواب في ٢ يناير سنة ١٨٨١ وفد شريف باشا على المجلس لتقديم اللائحة الاساسية الجديدة التي اعددها له فقدمها وخطب في ذلك خطاباً اثر في اذهان النواب وقد جاءت هذه اللائحة مشتملة على احكام حرية وجود مطلقة يكون بمقتضاها للنواب حق النظر في القوانين والتفقات العمومية وان لا ينفذ قانون ولا يعتبر نظام ما لم يصادق عليه في مجلسهم مع الحرية التامة لهم في ابداء آرائهم . فتعينت لجنة

من اعضاء المجلس لمراجعة هذه اللائحة . وبعد الاجتماع مرات عديدة قررت اكثر بنود اللائحة ووقع الخلاف بين النواب والنظار في شأن ما يتعلق منها بالميزانية وفي ٢٧ صفر من تلك السنة اعد النواب اللائحة المذكورة الى النظار بعد ان بينوا ما يريدون تعديله فيها . فرأى النظار ان يغيروا شيئاً من تعديلات النواب فلم يقبل اولئك واصروا على تنفيذ تعديل لجنهم . وفي ١١ ربيع اول سنة ١٢٩٩ هـ (٣١ يناير ١٨٨٢ م) اعد النظار اللائحة الى النواب مرفوقة بمقادة ان وكي الدولتين فرنسا وانكلترا لا يريان حقاً لمجلس النواب في تقرير الميزانية ولكنهما مع ذلك يقبلان المخبرة في هذا الشأن بشرط ان يستقر الاتفاق بين النواب والحكومة على سائر بنود اللائحة . وبناء على ذلك تطلب الحكومة من النواب تصديقهم على اللائحة مع اغفال ما يتعلق بالميزانية لينما يعطي النواب رأيهم النهائي فيه . فنظر النواب في تلك الاقادة عدة ساعات فقرروا احوالها الى اللجنة التي كانت مكلفة بتقحيح اللائحة وطلبوا اليها اعادة النظر في التعديلات التي ادخلها مجلس النظار فصدقت على بعضها ورفضت البعض الآخر وادخلت على البند المتعلق بالميزانية تعديلاً على مقضى ما رادت . وقررت في الوقت نفسه عدم قبول توسط القنصلين في ذلك الامر

وفي يوم الخميس ١٣ ربيع اول (٢ فبراير) سارت لجنة مؤلفة من ١٥ نائباً الى الجنب الخديوي يطلبون تنفيذ ما قرروه واستعفاء الوزارة . فوعدم سموه الى صباح السبت وانصرفوا فتقابل مع شريف باشا بحضور القنصلين فاصر شريف باشا على رابه واستعفى للحال . فاستدعى الجنب الخديوي لجنة النواب وكلفها ان تختار رئيساً للوزارة فقالوا ان ذلك من حقوق الجنب الخديوي فالح عليهم فامتنعوا . ولكنهم قالوا نريد وزارة تنفذ لائحتنا فاخترهم محمود باشا سامي وقلده منصب الوزارة وعهد اليه تشكيل وزارة جديدة . فشكلها وجعل احمد عرابي ناظراً للجهادية . فمسر الحزب الوطني كل السرور ووردت لهم التهاني من سائر اعماء القطر من وطنيين واجانب واقام النواب احتفالاً لفوزهم . وفي ١٥ ربيع اول او ٤ فبراير اجتمع ضباط الجهادية من رتبة الصاغفول آفاسي فما فوق ومثلوا بين يدي الجنب الخديوي لاطهار الطاعة فشكرهم سموه وخطبهم بما شرف عن حبه لاصلاح البلاد . وفي ١٩ ربيع اول حضر محمود سامي الى مجلس النظار فقوبل بالتعظيم والتكريم وسر النواب بنفوذ رايهم فخطب فهم ونشطهم وقر لهم على اللائحة كما عدلوا . فلما علم الناس بالتصديق على لائحة النواب اقاموا الاحتفالات في مصر والاسكندرية سروراً بفوز الحزب الوطني واصبح الجهاديون

القوة المتسلطة في البلاد واليهم بوجه الثناء لأن تلك التي قد أدركت بمساعيهم
ولما جلس عرابي على مسند لظارة الحربية والبحرية احسن عاياه وعلى عبد العال
برتبة لواء باشا « ثم سعى في ترقية كثيرين من رفاقه الضباط وقرر قانون الضمان
والمعاشات بصفة جمعت القلوب على ولائه . وعهد الى التخلص من الحزب الشرطي الذي
كان لا يزال متخللاً الجهادية فشكل لجنة لفرز الضباط المستودعين ففرزت نحو الستمائة
اكثرهم من الاتراك والشركاء فاصبحت الجهادية وطنية محضة . وذكرت جرائم
اوربا اذ ذاك ان الحزب الوطني وفي مقدمته عرابي كان يهدد مجلس النواب ويتوعدده
بالسوء اذا لم يسر على غرضه . فغضب رئيس المجلس المذكور في الجريدة الرسمية ما
ينفي تلك التهمة . ثم تخصصت جريدة الطائف لنشر محاضر مجلس النواب والتكلم
بافكار اعضائه والدفاع عنهم . وفي اواسط ربيع آخر او مارس استعفى بلينيار احد
المراقبين الماليين فعين بدلاً منه الموسيو بريدف . وفي ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ هـ
او ٢٥ مارس سنة ١٨٨٢ م انقض مجلس النواب من اعماله لتلك السنة وقد قرر فيها
(١) القانون الاساسي (٢) لائحة الداخلية (٣) لائحة الانتخاب (٤) امور
اخرى مهمة . وقد قرر في لائحة الانتخاب ثبوت حق الانتخاب والنيابة معاً لاي
من كان من رعايا الحكومة سواء كان مولوداً في القطر المصري او مقبلاً فيه منذ عشر
سنين . ولما ودع النواب الجناب الخديوي سلم سموه كلا منهم امراً مؤذناً بتعيينه عضواً
في المجلس المشار اليه الى خمس سنوات

استفحال الثورة

فتمكن الارتباط بذلك بين الجهادية والنواب واضيف اليهما الوزارة لانها وطنية
ايضاً فازدادت مشاكل الخديوي والمراقبين وازدادوا اعتقاداً بوجوب احتلال القطر
بجند مختلط من الفرنسيين والابكيين . وانكثرت في ذلك باعثاً على سوء ظن الدول
الاخرى وتفضلت هذه المشكلة باحتلال تركي بشروط لا يخشى معها رجوع
النفوذ العثماني

على ان العثمانيين كانوا يرون في استفحال امر الوطنيين على الخديوي فائدة لهم
وربما ساعدوا على ذلك تحت طي الخفاء املاً باسترجاع مصر الى حوزتهم . فلا غرو
اذا تمسك الوطنيون بمطالبهم واتحدوا في ذلك العسكر والنواب والوزارة . وقد زادهم تمسكاً
بها اغراء بعض المتطرفين من الافرنج فقد كان منهم جماعة يحسنون تلك الثورة
ويطرون القائمين بها ويبشرونهم باستقلال مجيد واشهر هؤلاء المغرورين الفريد بلات

الانكليزي

فلا غرو بعد ذلك اذا تهور الوطنيون في مطالبهم وتصوروا في انفسهم القدرة على كل شيء فاغلوا ايدي المراقبين ونبذوا سلطة الخديوي واحتقروا الافرنج فعم الخوف انحاء القطار وسادت الفوضى وضاعت سلطة المديرين

وهم في ذلك نهض الباب العالي يقيم الحجة على لائحة الدولتين القاضية باتحادهما في مسألة مصر واحتلالها عند الانقضاء وخاطب الدول الاخرى بذلك فاجابت روسيا والنمسا والمانيا وايطاليا انهن يرغبن في بقاء مصر على حالتها السياسية تحت رعاية السلطان وسببته في هذا الجواب «سوزرين Suzerain» ومعنى ذلك في اصطلاح السياسة ان يكون للسلطان السيادة الاسمية على مصر . وهو يريد ان يسمى سوفرين Sovereign اي صاحب السيادة الفعلية . وعند التحقيق يتضح ان سيادته على مصر اقرب الى هذا اللقب مما الى ذاك . لانه صاحب الحق الرسمي في خلق الخديويين وتوليته ولا يقدر صاحب اللقب الاول على ذلك فالسلطان «سوزرين» على بلغاريا لانه لا يقدر ان يولي اميرها او يعزله ولكنه سوفرين على مصر

وتغيرت وزارة فرنسا في اثناء ذلك وتولى حكومتها دي فريسينه بدلاً من غبنتا وهو يخالفه في سياسته بمصر فلا يرى احتلالها بجند مختلط وعرض على انكلترا رايه في حل المسألة المصرية بخلع الخديوي وتولية حلیم باشا بشرط ان لايزداد نفوذ العثمانيين فرفضت انكلترا هذا الراي

مشكل جديد

قد رايت ان احمد عرابي رقي كثيرين من الضباط ابناء العرب واضطهد الاتراك والشراسة وامر بنقلهم الى السودان فبلغه انهم يكيدون له ويتآمرون على قتله فامر بالقبض على جماعة كبيرة منهم وفيهم عثمان باشا رفيق ناظر الحربية السابق وحاكوم بمجلس حربي فصدر الحكم على اربعين منهم بالنفي المؤبد الى اقصى السودان . فتولدت مشكلة جديدة لان رفيق باشا حائز على رتبة فريق من السلطان وله وحده حق الحكم في هذا الشأن ووافق الخديوي على ذلك فاغضب وزراءه وطال الاخذ والرد في المسألة ثم تقرر تعديل ذلك الحكم بالنفي بدون تعيين السودان او غيرها . فغضب العرابيون والوزارة الآن منهم فبعثت تستقدم النواب لتشكو اليهم تصرف الخديوي وانه يضيع امتيازات مصر بدون ان يشاور وزراءه وقد اسروا عزمهم على خلق الخديوي واخراج اسرته وتولية محمود باشا سامي حاكماً على مصر

فاجتمع النواب من انحاء القطر وحاولوا تسوية الخلاف عبثاً فتعينت لجنة في ٢٥
 جادى الآخرة سنة ١٢٩٩ هـ او ١٤ مايو ١٨٨٢ م لتعرض على سموه قبول
 الاقتراح بشرط ان ينزل رئيس النظر فقط وان يجعل مكانه مصطفى باشا فهمي.
 فتوجهوا وعرضوا ذلك على سموه فقبل بعد التردد . فساروا الى مصطفى باشا يسألونه
 اذا كان يقبل تلك الرئاسة فأبى . فعادت المسألة الى مركزها الاول بل زادت تعجماً
 فوقفت حركة الاعمال وبانت العيون شاخصة الى ماسيكون . واجتهد سلطان باشا في
 تسوية ذلك الخلاف بكل طريقة ممكنة وساعده ناظر المعارف فلم ينجح . وهم في ذلك
 ورد تلغراف من لندن يبيى بصدور الامر الى الاسطول الانكليزي الراسي في بحر
 المانش ان يتأهب ليسافر في ٢٨ مايو الى البحر المتوسط . فأوجس الناس خيفة
 وكان الموسيو دي فريسينه قد عاد الى مخبرة انكلترا في ايها افضل لمصلحة مصر
 الاحتلال الفرنسي الانكليزي او التركي . وتقرر ارسال العمارتين الى مياه الاسكندرية
 وان يطلب من الباب العالي التوقف عن المداخلة الا اذا دعتا الدولتان المتحدتان الى
 ارسال جنده عثماني . وكان راي فرنسا ان الدولتين اذا رأتا حاجة الى الاحتلال العسكري
 تطلبيا الى السلطان ان يرسل جنداً عثمانياً للاحتلال بشروط معينة
 ولما بلغ السلطان عزم الدولتين على ارسال اسطوليهما الى المياه المصرية غضب ورفع
 احتجاجه الى الدول ولكن ذلك لم يقف في طريق الاساطيل
 ففي مساء الجمعة غرة رجب او ١٩ مايو سنة ١٨٨٢ وردت على ميناء الاسكندرية
 دارعة انكليزية وفي الصباح التالي دارعتان اخريان وثلاث دوارع فرنساوية فاطلقت
 المدافع للسلام كالمادة . ثم جعلت البواخر ترد الى ذلك الثغر حتى تكامل الاسطولان
 ولم يكن معها اسطول عثماني . فكثير قول الناس في سبب قدوم هذه العمارات على هذه
 الصورة . ثم اشيع ان قدومها كان يوافق مع الباب العالي وبارتياح الدول عموماً بشرط
 ان تصرع بعد انتهاء المشاكل الى الانسحاب
 وفي ٧ رجب او ٢٥ مايو من تلك السنة قدم قصصلا انكلترا وفرنسا بلائاً نهائياً من
 دولتيهما تطلبان فيه سقوط الوزارة واخراج عراي من القطر المصري بان تضمنا له حفظ
 رتبة ورواتبه ونياسينه وابعاد عبد المال حلمي وعلي فهمي الى الارياض في جهات
 لا يخرجان منها مع حفظ رتبتهما ورواتبهما ونياسينهما وان الدولتين حازمتان على تنفيذ
 كل ذلك . وهما تكلفان الجناب الحديوي ان يصدر عفواً عاماً عن الذين لهم دخل
 في المسألة . فرفض النظر هذا البلاغ ولم يجيبوا عليه بدعوى ان لا علاقة للدول

الأروبية معنا فإذا شئت فليخارن الاستانة اما نحن فإننا مستعدون للمقاومة » فأخذ سلطان باشا يسعى في التوفيق لحبط مسعاه . وفي ٨ رجب أو ٢٦ مايو استعفت الوزارة محتجة على بلاع الدولتين وطلباتهما فكلف شريف باشا بتشكيل وزارة جديدة فإني واصر على الالباء فأطلعه قنصل فرنسا على تلغراف وارد إليه من وزارة فرنسا هذا نصه :

« الامل ان يقبل شريف باشا رئاسة الوزارة واكدوا له اننا لعضده ونؤيده بكل جهدها » فلم يقنعه ذلك واصر على الرفض

ثم عقدت جلسة عند الجنب الخديوي حضرها بعض رؤساء الجهادية وفي مقدمتهم طلبة عصمت فقال شريف باشا انه يقبل ان يشكل وزارة جديدة بشرط ان تنفذ الجهادية مآل طلبات الدولتين فقال طلبة « نحن مطيعون انما يستحيل علينا تنفيذها ولا حق للدولتين بطلب ذلك لان هذه المسائل من اختصاص الباب العالي » قال ذلك وخرج فنبه الضباط . وبتاريخه ورد تلغراف من راس التين بالاسكندرية ان العساكر هناك لا يقبلون غير عرابي فانظروا عليهم وانهم اذا مضت ١٢ ساعة ولم يرجع الى منصبه لا يكونون مسئولين عما يحدث مما لا يستحب وقوعه . فراد الاشكال والاضطراب فتمكن شريف باشا وغيره من اصرارهم على رفض تشكيل وزارة جديدة . وعند الغروب اجتمع النواب ورؤيسهم وحضر عرابي وجعل يخطب فيهم وخطب ايضاً عبد العال وغيره يطلبون تازل الخديوي فتفاهم الخطب فارسل الجنب الخديوي بخبر الباب العالي ان الجند غير راضين عن استعفاء الوزارة وانهم اقاموا الحجة على طلب الدولتين . فاجابه ان الحضرة السلطانية امرت بتشكيل لجنة عثمانية تأتي مصر بعد ثلاثة ايام للنظر في هذا الامر . فأمر الجنب الخديوي ان يرجع عرابي الي مركزه مؤقتاً للتأمين على الاجانب لينما يصل الوفد العثماني فسر الجند بذلك . وبعث عرابي منشوراً الى قناصل الدول يضمن تأييد الامن لجميع سكان القطر المصري من وطنيين واجانب مسلمين وغير مسلمين وفي الوقت عينه اقترح ثلاثة امور :

١ إعادة لائحة الدولتين والسحاب اسطولهما

٢ وضع قانون اساسي تين فيه حدود كل من الجنب الخديوي ووزرائه

٣ قطع الخبايا والملاقات توافع الدولتين ومع سائر الدول الا بواسطة الدولة العثمانية

ثم عمل العرابيون على خلع الخديوي وتولية البرنس حليم باشا وكثيراً ما كانوا

يصرحون بذلك في مجالسهم
 وكان السلطان من الجهة الاخرى يسعى في اغتنام هذه الفرصة لاسترجاع نفوذه
 بمصر واعترفت الدولان السلطان اولاهن بحل هذا المشكل . وبعد ان كانت فرنسا من
 اكبر المقاومين للتدخل العثماني صرح دي فريسييه ان كل الوسائل لحل المسألة
 المصرية يمكن اتخاذها الا الاحتلال العسكري للفرساي . خلافاً لراي غمبتاسلفه . وكان
 الخديوى من الجهة الاخرى راغباً في توسيط الباب العالي لعله يؤيده . وعرض البرنس
 بسبارك عقد مؤتمر دولي للقرار على هذه المسألة فلم يرض السلطان بالمؤتمر لكنه
 اتدب رجلين من كبار رجاله اوفدهما الى مصر احدهما درويش باشا والاخر اسعد
 افندي وكانت مهمتهما القبض على الحبل من الطرفين لارضاء الحزبين فيكون السلطان
 مع الفائز منهما . فكانت مهمة درويش باشا توطيد علائق الولاء مع الخديوى ضد عرابي
 وبعكس ذلك مهمة اسعد افندي . وكان في جملة الاوامر المعطاة لدرويش باشا ان يقبض
 على عرابي ورفاقه ويرسلهم مغلولين الى الاستانة وان يلغي مجلس النواب ويقوي
 نفوذ امير المؤمنين وقرق الاوسمة في العراقيين وفي حزب الخديوي
 فأتت هذه السياسة طبعاً الى زيادة التفريق وتفاقم الفوضى وكره الاجانب قافضى
 ذلك الى حادثة الاسكندرية في ١١ يونيو

حادثة الاسكندرية

وسببها ان القلق والاضطراب استوليا على سكان القطر وكثر انشاعات ونزع
 النزلاء الاجانب الى الجلاء خوفاً من امر يأتي فاصبحت الاسكندرية ملجأ الوافدين
 من جالية الريف على امل ان يكونوا فيها آمنين من غوائل التعدي لكثرة من فيها
 من الاجانب او بالحرى للاحتماء بجوار الاسطولين الانكليزي والفرساي
 ثم احس الاجانب فيها ان سفلة الاهالي ومعظم الجهاديين قد اغلظوا في
 معاملاتهم واستبدوا في امورهم فكانوا يخطرون في الازقة نبهاً يمتنون الرقيق
 ويستعبدون الوضع وقد لاح لهم ان اولئك الاجانب يريدون بهم شرّاً فجعلوا يتوقعون
 منهم ما يتدعون به الى الوقعة بهم توهماً منهم ان اولئك من الد الاعداء لوطنهم .
 فلمل الاجانب بتلك المقاصد فجعلوا يتأهبون سرّاً للدفاع بما امكنهم من اقتناء الاسلحة
 والرجال واخفائهم في منازلهم واستشاروا اميري الاسطولين فوافقهم ثم عرضوا الامر
 على الفناصل الجنرالية في القاهرة بواسطة مندوب مخصوص فانكروا عليهم ذلك
 فلبثوا يتوقعون المقدور

اما اهل الفتنة قادر كوا تحذر الاجاب منهم فهموا بهم في ٢٤ رجب او ١١ يونيو وابتدوا الفتنة بمحاصم بين حمار والطبي اتصلا منها الى الاغارة على البيوت والمنازل والفتنك بكل من مروا به في السبل . فلم تكن ترى الا اخلاطاً من السفلة بين صعيدي وسوداني وبدوي وفيهم الحمارة والخالون وامثالهم يهجمون جماعات على من لقوه في طريقهم فقتلوا نحو ٣٠٠ نفس وقتل منهم نحو هذا العدد . كل ذلك والاسطولان لم يجر كاساً كناً . وتمارض مأمور الضابطة المدعو السيد قنديل ولم ينزل يومئذ الى المدينة وجرح في هذه الواقعة عدد كبير من كبار الاجاب وفيهم قنصل اليونان والمستر كوكسن قنصل انكلترا في الاسكندرية وقنصل ايطاليا وفيس قنصلها وقنصل روسيا وكثيرون غيرهم . فأمر محافظ الاسكندرية (عمر باشا لطفي) الاميرالاي سليمان داود ان يبعث الجند ليقاف الاهالي ومنهم من ارتكاب تلك الفظائع . فاجاب انه لا يستطيع ذلك الا بعد ان يأتيه امر من عرابي . فجاء الامر نحو الساعة الخامسة بعد الظهر فسار الجند والمحافظ امامهم ساعياً على قدميه يسكنون الخواطر وينادون باعادة الراحة . فراوا المخازن قدنهب والارزاق قد تبعثرت على قارعة الطريق . وعند الغروب هدأت الغوغاء وكف الناس فدخل كل منزله وانقضى الليل ولم يحدث شيء . وفي اليوم التالي كثر عدد المهاجرين بحراً حتى خيل للناس انه لم يبق في المدينة احد من الاجاب . فزل من المدينة في يوم واحد نحو عشرة آلاف تفرقوا في السفن . كل ذلك خوفاً مما كانوا يخشون حدوثه من مثل ما قاسوه . واتصت هذه الاخبار بالداخلية فانتشر الاضطراب وعمت البلوى وتقاطر الناس من سائر الاقطار الداخلية الى السواحل يطلبون الفرار كما فعل الاسكندريون واسقرت الحال على ذلك بضعة ايام حتى كاد يخلو القطر من النزلاء وقد قدر بعضهم عدد من هاجر في تلك المدة فبلغ زهاء مائة وخمسين ألفاً

ولما بلغ خبر حادثة الاسكندرية الى اهل العاصمة اضطربوا وفي صباح ١٢ يونيو خاطب القناصل درويش باشا معتمد الحضرة السلطانية بكلام عنيف وسألوه ان يتخذ التدابير الفعالة لصيانة الاروبيين واموالهم في جميع أنحاء القطر فعقد مجلساً في طابدين حضره الجناب الخديوي ودرويش باشا ومن معه وشريف باشا ووكلاء الدول العظمى السياسيون وبعد المناكرة اقرروا ان تعطى للقناصل ضمانات اكدية تكفل اعادة الامن والحفاظة على ارواح الاروبيين واموالهم ومن اخص هذه الضمانات ان يمثل عرابي لاي الاوامر التي تصدر له من الخديوي فدعي وشغل فاجاب بالقبول وتعهد بإجراء

ما يضمن الراحة واخذ. درويش باشا على نفسه تبعة تنفيذ الاوامر الخديوية بمعنى ان يكون مشتركاً مع عرابي ومستولاً معه في تنفيذ تلك الاوامر. فرضي وكلاء الدول بذلك وانصرفوا واخذ عرابي بهم قياماً بتمهده فنشر المنشورات بمنع الاجتماعات وابطال كل ما يوجب الارتباب. وكانت قد تعينت لجنة بامر الجباب الخديوي للنظر في امر حادثة الاسكندرية تحت رئاسة عمر باشا لطفي محافظها وفيها مندوبو القناصل فاجتمعت اللجنة في الاسكندرية وباشرت اعمالها وقررت ما خيل لها انها تدابير فعالة لاعادة الامن

وفي ٢٦ رجب او ١٣ يونيو (حزيران) وصل سمو الخديوي الى الاسكندرية يصعبه درويش باشا مندوب الحضرة السلطانية فصفت لها الجنود من المحطة الى سراي راس التين واطلقت المدافع تحية لها. ثم زاره قناصل الدول الاقتصلا انكلترا وفرنسا فانهما بقيا في مصر فابدى لهم اسفه الشديد لما حدث ووعدهم بصرف العناية الى اخاد الفتنة وخطبهم درويش باشا ايضاً بمثل ذلك وزاد عليه انه واثق الثقة التامة باخلاص الجهادية. الا ان الخديوي اسر الى المستر كولفن المراقب العمومي الانكليزي انه غير واثق باستمرار الامن والراحة وانه يعتبر مهمة درويش باشا كأنها قد اتمت ولم تفلح وانه لا يرى بداً من مجيء جنود عثمانية لاعادة الراحة. وكان في ثكنات الاسكندرية نحو من ثمانية آلاف جندي بالاسلحة الكاملة ومعهم من المهمات ما يكفي خمسين ألفاً ثم بلغت القناصل رعاياها ان يتخذوا اقرب السبل للنجاة مما ربما يحدث واوعزت اليهم ان يهاجروا من المدينة فتناقلت اللسان هذه الاخبار فتأكد الناس ان الساعة آتية لا ريب فيها وعينت كل دولة من الدول الاجنبية سفناً لنقل رعاياها المهاجرين مجاناً فتسارع الفقراء من كل ناحية متقاطرين من مدن الداخلية والارياض الى الاسكندرية وبورت سعيد حيث كانت تلك السفن معدة لنقلهم الى بلادهم. وكان المستر مالت وكيل انكلترا السياسي لا يزال في العاصمة فجاء امر من لندن بان يحضر الى الاسكندرية ويرافق الخديوي حينما توجه فاتاها واتى معه المسيو سنكوفيتش وكيل فرنسا نخلت العاصمة من رجال السياسة وخلا جوها لعرابي وجماعته واستفحل امرهم ولا سيما لما بلغهم من انقسام دول اوربا في المسألة المصرية فظنوا انهم في مأمن من الاغتيال. ثم حسب القناصل ان تغيير الوزارة يأتي بحل هذه المشكلة فاشاروا على الجباب الخديوي بذلك فشكل وزارة جديدة تحت رئاسة اسماعيل راغب باشا وبقي عرابي ناظراً للجهادية والبحرية فكان رأي هذه الوزارة ان الطريقة المثلى للامانة الامر ان يصدر عفو عمومي

وان يعلن في الجرائد الرسمية « ان كل من عليه مسئولية او اشتراك بالحوادث الاخيرة فعليهم العفو الا المشتركين في حادثة الاسكندرية وهم تحت المحاكمة » فوافقها الجناب الخديوي على ذلك . وفي ٥ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ او ٢١ يونيو سنة ١٨٨٢ م بعث الجناب الخديوي منشوراً الى راغب باشا يطلب اليه التحري الحسن في مسألة حادثة الاسكندرية فاجابه بتلبية الطلب .

ثم جاءت الاخبار بعزم الدول على عقد مؤتمر في الاستانة لاجل البحث في المسألة المصرية وتمنع الباب العالي من ذلك بدعوى ان ليس في مصر ما يوجب الاضطراب اعتماداً على تقارير درويش باشا المرسله منه . وكان ذلك مما شدد غزائم الحزب الوطني ولا سيما راوا الباب العالي واثقاً بهم بأبي عقد مؤتمر دولي . وكان عرابي يؤكّد لاتباعه ان وجود هذه الاساطيل في ميناء الاسكندرية لا يخشى منه البتة لانها انما انت هذا البحر للتنزه كما فعلت مرات عديدة قبل هذه . اما انكلترا فلم تنفك ساعية في عقد المؤتمر بدعوى انه يستحيل اعادة الامن الى مصر بغير واسطة فعالة . وكان الباب العالي يجيب على ذلك بقوله انه بعد تشكيل الوزارة الجديدة صار يرجو استقرار السلام ووافقه على رايه هذا دول المانيا واوستريا وايطاليا والروسية . وهذه الموافقة كانت مبنية على خوف الدول من مطامع انكلترا في مصر . فلما علمت هذه بنياتهم اكدت لهم انها تتعهد متى عقد المؤتمر مع سائر الدول الا تسعى البتة الى ضم ارض ما اليها او الاستيلاء على مصر او قسم منها او الحصول على امتياز ما سياسي او تجاري بدون ان يكون فيه نصيب لسائر الدول فوافقها الجميع على عقد المؤتمر اما الدولة العلية فاضرت على عدم لزومه

وفي ٧ شعبان او ٢٤ يونيو عقد المؤتمر في الاستانة ولم يكن للدولة العلية معتمد فيه فقرر ما يأتي « ان الحكومات التي وقع وكلاؤها بالنيابة عنها على ذيل هذا البروتوكول تتعهد انها لا تقصد البتة اغتنام ارض ما ولا الحصول على امتيازات ما ولا ان يكون لرهاياها من الامتيازات التجربة ما لا يستطيع ان يناله غيرهم من رهايا اي الدول في مصر وذلك في اي مسألة حصل الاتفاق عليها بسعيها واشتركا في الخبرات لتنظيم امور تلك البلاد » . وقد كانت انكلترا في اثناء سعيها الى عقد المؤتمر تحشد الجنود استعداداً للحرب وكانت في الوقت عينه تلح على سائر الدول ان تساعدوا في ذلك وجاء في اثناء ذلك الى عرابي نيشان من لدن الحضرة السلطانية فاقنعه الناس دليلاً على رضا الباب العالي عن اعماله وكان هو يحاول اقناعهم ان جميع الدول تساعده

على مقاومة انكلترا اذا مست الحاجة . وفي ٥ شعبان او ٢٢ يونيو تمارض المسترمات وكبل انكلترا فأنزل الى احدى السفن وبقي فيها بضعة ايام ثم سافر الى برندي . وفي ٢٥ منه تنحى المستر كوكسن قنصل انكلترا في الاسكندرية بدعوى مرضه بسبب الجراح التي كان قد اصيب بها في اثناء حادثة ١١ يونيو وهكذا فعل قنصل مصر . اما باقي القناصل فبقوا في الاسكندرية الى ٩ يوليو . وكان الخديوي ودرويش باشا مقيمين في سراي راس التين وعرابي مقيماً في الترسانة وتحت امره في نجر الاسكندرية تسعة آلاف مقاتل

وفي جلسة المؤتمر السابعة اقرت الدول على كتابة لأئحة مشتركة يقدمونها الى الباب العالي يطلبون منه ارسال جنود عثمانية الى مصر لاجداد الفتنة ففعلوا فاني فانتخذت انكلترا ذلك ذريعة لتدخلها بالقوة

ضرب الاسكندرية

أما فرنسا فقد علمت ما كان من تغير سياستها بمدتغير وزارتها وأصبحت لا ترى الاشتراك مع انكلترا في امور مصر وانما هي تشاركها فقط في حماية قناة السويس ولم تشأ مشاركة الانكليز في تحمل تبعه الاحتلال العسكري . ولذلك فلما راس الاسطولان في مياه الاسكندرية تفردت انكلترا بالعمل . فاخذ الاميرال سيهور قومندان العمارة الانكليزية يترب الاسباب لمباشرة العدوان فادعى أن الجهادية يحصنون القلاع في الثغر وينقلون أحجاراً ضخمة يلقونها عند فم المضيق لسد مدخل المينا فيمنع المدد ويحصر الاسطول وقال ان هذا التحصين مناف لحقوقه . فكلف الحكومة المصرية أن تكف عن التحصين حالاً والّا اضطر الى اطلاق مدافعه عليها فيدكها عن آخرها . فاجابه طلبة باشا عصمت أن لاصحة لما يقول وان الجهادية لم يهتموا قط بتحصين القلاع . وشاع ذلك فخافت الناس وأوعز الى الجناح الخديوي بواسطة المستر كوفن أن يتنحى صيانة لحياته فاجابه « لا يليق بي أن أترك الكثيرين من رعيتي الامناء في اوان الشدة ولا يليق بي أيضاً أن أترك البلاد في اوان الحرب » ثم توسطت قناصل الدول في الاسكندرية بين الاميرال سيهور وبين الجهادية المصرية فلم ينجحوا . فتقدم عرابي وسامي الى كاتب سير مجلس النظار أن يكتب تقريراً في المسألة مفاده « أن الاميرال تجاوز الحدود فيما يطلب وانه لا بد من مقاومته وأن عرابي وقومه مفوضون في أمر الدفاع عن البلاد »

وداروا به على منازل النظار وطلبوا التوقيع عليه فوق بعضهم اختياراً والبعض اضطراراً ويقال ان الخديوي نفسه صدق عليه أو الجيء للتصديق ثم ارسلوه الى الاميرال سيمور . وأرسل عرابي منشوراً الى المديرين يطلب اليهم أن يكونوا مستعدين للامداد بالجند والمال

وفي مساء ٢٢ شعبان أو ٩ يوليو جاء المستر كارتر ايت الى الخديوي وأعلنه رسمياً عزم الاميرال سيمور على مباشرة القتال صباح الثلاثاء في ١١ يوليو وألح عليه أن يترك سراي راس التين ويلجأ الى سراي الرمل ففعل . ثم كتب رسمياً الى درويش باشا يطلب اليه ان يحافظ على حياة الجناب الخديوي والقي عليه التبعة اذا اصيب بسوء . وفي ٢٣ شعبان أو ١٠ يوليو كتب الاميرال سيمور رسمياً الى كل من درويش باشا وراغب باشا رئيس الوزارة يعلمهما عن خروج رجال الوكالة الانكليزية من القطرا المصري اشارة الى قطع العلائق الودية واعلنت خارجية انكارترا سائر الدول بذلك « وانها لم تر بداً منه لكنها تصرح ان ليس لها ارب خفي او نية خيرية وانما عام هذا من قبيل الدفاع وحرصاً على مصلحة الجناب الشاهاني » وفي مساء ذلك اليوم سافر الاسطول الفرنسي متجهراً تاركاً سفينتين من سفنه فقط

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ أو ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ م اطلقت العارة الانكليزية مدافعها على حصون الاسكندرية وما زالت الى الساعة واحدة ونصف بعد الظهر فهدمت معظمها وانفجر مستودع البارود في قلعة اطه . فجاء راغب باشا الى الجناب الخديوي في الرمل واخبره ان الحصون قاومت اشد مقاومة وان كثيراً من سفن الانكليز قد غرقت وكان يقول ذلك مسروراً . ولكن قوله هذا مالبث ان نقض بورود الخبر الصحيح . ثم جاء عرابي فوقف بين يدي سموه فسأله عن حالة الحصون فقال « لم يمد في وسعنا المقاومة ولا بد لنا من تدابير اخرى او ان نتساهل مع الاميرال » وبعد المخاطبة تقرر ارسال طلبية عصمت الى الاميرال وعاد عرابي من حيث أتى . فعاد طلبه باشا من عند الاميرال واخبر الجناب الخديوي ان الاميرال يطلب احتلال ثلاث قلاع والا فانه يستأنف القتال الساعة ٢ بعد الظهر . ثم قال « ولكنني قلت له ان هذه المدة لا تكفي لاتمام المخاطبة بشأن ذلك فطلبت تطويلها فاني

فاتيت لاعلم سموكم ملتصقاً رأيكم ، فمقد مجلس تقرر فيه انه لايجزى للحكومة المصرية الترخيص في احتلال جنود اجنبية بدون مخبرة الباب العالى الا ان الوقت لم يسمح بتبليغ ذلك القرار للاميرال

ولما رأى رجال الحصون المصرية عجزهم عن مقاومة السفن الانكليزية رفعوا العلم الايض اشارة الى ايقاف العدوان فانقطعت السفن عن قذف النار . وكانت الحصون قد تهدمت فعلم الثائرون ان ذلك التسليم يعقبه احتلال الجيوش الانكليزية للمدينة فوزعوا في غلس في ١٣ يوليو فرساناً في احياء المدينة يأمرؤن الوطنيين بالخروج من الاسكندرية حالاً وكانت هذه الاوامر تصدر من الاميرالاي سليمان داوود وامر ايضاً زمراً من الرعام ان تطوف المدينة وتحرقها فابتدأوا من الساعة الاولى بعد الظهر فكانت الاسكندرية مساء الاربعاء مضطربة الجوانب منهوبة المخازن لا ترى فيها الا لهما متصاعدة واناساً حاملين الامتعة والمصاغ فارّين الى داخلية البلاد

وكان الخديوي في سراي الرمل وبعيته عثمان باشا واسماعيل باشا الشركسيان وزبير باشا السوداني والجنرال ستون باشا وفدريكو بك وطونينزو بك ودي مارتينو بك واباتي بك وتيكران باشا وزهراب بك وغيرهم لايزيد عدد الجميع على خمسين . وبعد ظهيرة ذلك اليوم جاء الى سراي الرمل نحو أربعماية فارس وبعض المشاة واحتاطوا بها فستلوا عن الغاية من مجيئهم فقالوا « قد أتينا للمحافظة على السراي » والحقيقة انهم جاؤا مأورين باحراقها وقتل من يخرج منها . وفي الساعة ٧ مساءً بعث عرابي يستدعيهم اليه فساروا وتخلف منهم أحد البكاشية ومعه ٣٥٠ فارساً فقتل بين يدي الجانب الخديوي واقسم أنه يموت بين يديه واقتدى رجاله به وأخبره أنهم كانوا قد أتوا يريدون شراً . وفي خلال ذلك أرسل الاميرال سيمور ثلاث دوارع من أسطوله لترسو بجوار سراي الرمل صيانة لحياة الحضرة الخديوية ويقال أنها هي التي كانت السبب في انسحاب الفرسان العراقيين . ثم جاء المحافظ الى الخديوي يخبره بما كان من النهب والحرق في احياء المدينة . فأرسل سموه كامل باشا الشركسي وزبير باشا ليمعنا الناس من ذلك

الاسكندرية بعد الحرب

ونحو الساعة ٢½ بعد ظهر ٢٦ شعبان أو ١٣ يوليو كانت جنود عرابي قد أنجحت عن الاسكندرية . فجاء زهراب بك بهذا النبأ الى الخديوي وأبى الاميرال سيمور عازم على انزال جنود بحرية الى رأس التين وأنه يدعو الحضرة الخديوية الى سفينته حيث يكون آمناً . ففضل سموه التوجه الى سراي رأس التين فصار وبعبته درويش باشا حتى جاء السراي فوجد هناك الاميرال سيمور وبعضاً من جنوده ينتظرونه في ساحة القصر . وفي المساء نزل بعض وكلاء الدول وهأوه بسلامته وكان في السراي ٣٠٠ من الحامية الانكليزية . وفي الصباح التالي أنزل الاميرال فرقة أخرى من رجاله يطوفون الشوارع ومعهم عدد من المدافع تسكيناً لخواطر الباقين فيها وقد قدرت الخسائر بستمائة من الوطنيين وخمسة من الانكليز على الدوارع غير المذابح التي حصلت في أثناء ذلك في طنطا والمحلة الكبرى وسمند وجبات أخرى . وبعد انتقال العائلة الخديوية الى رأس التين استدعى الجناب الخديوي زهراب بك وجعله ترجماناً بين السراي والضباط الانكليز وعهد اليهم أن يمنع أيأ كان من دخول القصر لان العرايين كانوا قد عينوا نفرأ من الجواسيس لتجسس حالة السراي . أما عرابي وأتباعه ففروا الى كفر الدوار وعسكروا هناك على نية الدفاع ولما استتب المقام للانكليز في الاسكندرية اخذوا في تنظيف الاسراق وقتل الجثث ودعوا المهاجرين ان يعودوا الى منازلهم لاعادة الراحة والطمأنينة واستدعي أثناء ذلك درويش باشا الى الاسكندرية فوجه وكتب راغب باشا الى الاميرال سيمور يخبره ان اجراءات عرابي من الان فصاعداً مخالفة لاوامر الخديوي وانه هو وحده (عرابي) المسئول عنها ثم كتب الجناب الخديوي الى احمد عرابي يأمره بالامساك عن جمع المساكين واعداد التجهيزات لان الحكومة الانكليزية لاخصومة بينها وبين الحكومة المصرية وانه مستعدة لتسليم المدينة متى رأت فيها قوة منتظمة والبلاد في أمن وأمره ان يأتي الى سراي رأس التين حالاً فاجاب عرابي د ان مقاومة العمازة الانكليزية حصلت باقرار مجلس النظار

ودرويش باشا وان النظار هم الذين اعلنوا الحرب على الانكليز وهكذا حصل فاذا كان الاميرال الان قد عدل عن المحاربة الى المسالمة بعد وقوع الحرب فذلك يعد طلبا للصالح ولا يجوز ان يكون انكاراً للحرب » الى ان قال « انه يميل الى الصالح ولكن مع حفظ شرف البلاد والحكومة فاذا كان الاميرال يريد تسليم المدينة فليسلمها ولتخرج مراكمه من الاسكندرية وانه للمحافظة على شرف الحكومة الوطنية ينبغي الاستمرار على الاستعداد العسكري حتى تفارق المراكب المياه المصرية وانه يعتبر قول الانكليز هذا مكيدة لان الانكليز لا يزالون في الاسكندرية ولذلك لا يمكنه الحضور اليها » ثم طلب التمام مجلس النظار في مركز الجيش للمداولة في الامر وبعد ذلك يصرف الجيش ويحضر

مسامي العراقيين

فيظهر ان اصرار عراقي هذا هو السبب في اتساع الخرق لان الحكومة الانكليزية لم تكن تطمع باحتلال هذه البلاد على ما يظهر من اقوالها . وكتب عراقي الى وكيل الجهادية يعقوب سامي في القاهرة ايقاعاً في الحضرة الخديوية واتهمها بالتعامل على الجهادية الوطنية وانها هي التي جلبت كل هذه المتاعب الى القطر المصري وطلب اليه ان يتروى في الامر ويطفر في صلاحية هذا الوالي للتولية عليها او عدمه . فلما وصل كتاب عراقي هذا الى يعقوب سامي جمع اليه الدوات والاعيان والرؤساء الروحانيين في ديوان الحرية في غرة رمضان سنة ١٢٩٩ هـ (١٢ يوليو ١٨٨٢ م) وعقدوا جلسة تحت رئاسة وكيل الداخلية قام فيها عدة خطباء اتهموا الجناح الخديوي ببيع الوطن . واستقر الرأي اخيراً على لزوم الاستمرار على اعداد التجهيزات الحرية وان تعين لجنة من ستة اشخاص يتوجهون الى الاسكندرية لاستدعاء النظار الى العاصمة للاستعلام منهم عن حقيقة ما حصل . وبناء على ذلك القرار سار الوفد فركب الدوار وتداول مع عراقي ورؤساء الجند فاختر منه اثنان هما علي باشا مبارك واحمد بك السيوفي للتوجه الى الاسكندرية للفرض المتقدم ذكره . فوصلا اليها وقابلا الجناح الخديوي صباح الاثنين في ٢٤ يوليو وعرضاله الحالة فاصدر امراً عالياً يقضي بعزل عراقي عن نظارة الجهادية واعان ذلك في البلاد . ثم ارسل الى الباب العالي يخبره بعصيان عراقي وان الجند انحاز اليه وهو المسئول عنه

اما عراقي فلم ينفك عن اعداد المعدات واتحصين بمساعدة رفقائه لمحاول مد ترعة

المحمودية بجهة كفر الدوار فلم يفلح وجعل يشيع في البلاد ان الخديوي مشترك مع الانكليز على اضاءة البلاد الى غير ذلك من اثاره خواطر الاهلين ولما وصل الامر بعزل عرابي الى العاصمة اجتمع المجلس المتقدم ذكره في نظارة الداخلية وقرروا بقاء عرابي للدفاع عن الوطن وايقاف اوامر الخديوي لانه خرج عن قواعد الشرع الشريف

واستولى العرابيون على الخطوط الحديدية والبرقية فنصب الاميرال سيمور سلكاً تليفافياً بين الاسكندرية وبورت سعيد واعان الخديوي ثانية عصيان عرابي . غير ان هذه الاوامر والمنشورات كانت تذهب ادراج الرياح لان الاهلين اصبحوا منقادين للحزب الوطني انقياداً امست البلاد به آلة يدزعيم الثورة يديرها كيف شاء

ثم نزل العرابيون نحو الاسكندرية وعسكروا في الرملة فخرجت اليهم فرقة من الانكليز في ٥ اوغسطس فلم تقو عليهم فتقهقرت الى الاسكندرية ثم عادت اليهم ثانية وقد تشددت فتقهقر العرابيون وتحصنوا بين ابي قير وخطوط الرملة ثم تقهقروا الى كفر الدوار فاعتبر الانكليز من ذلك الحين - التهم في مصر حالة حرية يحتاجون فيها الى الامداد فاستمدوا انكلترا فامدتهم بقوات كانت تنوارد اليهم عن طريق السويس . اما عرابي فكان في كفر الدوار في اربعة الايات من المشاة والاي من الفرسان والاي من الطبجية وبطارية من مدافع الرش وكثير من العربان وقد قدرت الجنود الانكليزية التي سارت لمحاربة عرابي باربعة عشر الفا من المشاة واربع فرق من الفرسان والاف من الطبجية معهم ٣٦ مدفعاً ونحو ست فرق من المهندسين . ثم انضم الى هذه القوة بعد ذلك قوة هندية مؤلفة من تسعة الاف جندي ويقال بالاجمال ان جميع الحاميات الانكليزية التي كانت في مالطة وقبرص وجبل طارق انضمت الى حملة مصر

على ان هذه الاعدادات لم تكن لثني العرابيين عن عزيمهم فان عرابي كتب الى المديرين بتاريخ ١٢ اوغسطس ان يجدهوا جنداً يبلغ مجموعه ٢٥ الفا . وطلب ان يكون فيهم الخفراء لانهم اقرب الناس الى الحركات العسكرية تلبية لما تدعوه اليه الحالة من السرعة في حشد الجيوش وفرض ايضاً على المديرين اموالاً يجمعونها من الاهالي امداداً للحرب فلا تسئل عن الطرق التي كانوا يجمعون بها تلك النقود . واخذ في تقوية الاستحكامات وتشديد الطوابي فدها بين ما فوق الرملة باربعة كيلو مترات الى كفر الدوار وانشأ في كفر الدوار سداً عرضه ٣٠ متراً وخندقاً عرضه اربعة امتار جعله فاصلاً بين السد وارضه اكثر فيها من مواقع الاستحكام . وكان الخط الدفاعي الاول ممتداً بما بعد المحلة بمسافة الف متر على طول الخط الممتد من الرملة الى البيضة وجعل ما وراء هذا الخط من المرتفعات

والتلال مواقع محصنة الى كفر الدوار فكانت كلها نحو ٥٠٠ موقع . واتم مثل هذه الاعمال الدفاعية من كفر الدوار الى ابي حمص ويوجد بين ابي حمص ودمنهور تل بفضل سائر التلال مساحة وارتفاعاً فاختره عرابي موقعاً يقيه من الانكليز اذا قضت عليه الحال بالنهقر الي دمنهور وعزز دمنهور بالمدافع



ش ٨٤ : مؤتمر الاسكندرية سنة ١٨٨٢

كل ذلك والخبايا جارية مع السلطان بشأن اشتراكه في المؤتمر للنظر في مصلحة القطر المصري وهو يابى الاشتراك حتى اوعز اليه البارون دي رينغ ان فرنسا تحب الاتفاق مع العرايين فرضي ان تشترك فيه فانتدب للنيابة عنه سعيد باشا الصدر الاعظم وعاصم باشا ناظر الخارجية في ٢٠ يوليو . واعلن سعيد باشا المؤتمر في ٢٦ منه ان جلالة السلطان بعد حملة عثمانية الى مصر ولا حاجة الى مداخلة الدول الاوربية في هذه المسألة . واخذت الدولة في اعداد ٥٠٠٠ جندي لهذه الغاية . فقال اللورد دفرين وهو صغير انكليترا في الاسكندرية لا بد قبل كل شيء من اصدار منشور شاهاني يعلن عصيان عرابي . فوافقه واصدره فنشر في الجرائد فوجدوه لا يفي بالرام . فترتب على ذلك تباعد بين الدولة العلية وانكليترا وزاد التباعد سعي السلطان في عرقلة مساعي الجند الانكليزي بمصر او لتوقفه في سبيل ما يحتاجون اليه من الدواب وغيرها لجل انقالمهم ما يطول شرحه . فقطع اللورد دفرين العلائق السياسية مع الباب العالي . وانصرفت العناية عن ارسال جند عثماني او غيره

اما في مصر فقد تركنا الجند الانكليزي في الاسكندرية وقد غادروا الغرايون

وتحصنوا في دمنهور وكفر الدوار وادرك عتلاء الوطنيون عاقبة تلك المقاومة فقام جماعة منهم بنو فونهم العواقب بلا فائدة والظاهر ان عرابي كان معولاً في مساعيه على مساعدة الباب العالي. ثم مالبث ان سمع بتصرف السلطان بعصيانته ثم جاءته صورة المنشور السلطاني بهذا الشأن وفجواه تهيف عرابي على عصيانته وانه يجب عليه الخروج للجناب الخديوي

وفي اواسط اغسطس وصل الجنرال السير وولسلي الى الاسكندرية واستلم قيادة الجيش. ثم اخذت تتوارد القوات الانكليزية فبلغت في اواخر الشهر المذكور نحو ٢٥ الفاً وكان قدوم هذا القائد العظيم داعياً لتيقن الناس بفوز الحملة الانكليزية نظراً لما اشتهر به من البسالة والدراية العسكرية. وبعد وصوله الى الاسكندرية نشر اعلاناً مآله انه لم يأت الى مصر الا لتأييد سلطة الخديوي وهو لا يحارب الا الذين يخالفون اوامر ملك البلاد وتنبأ انه سيدخل القاهرة في ١٥ سبتمبر من تلك السنة. ثم اخذت العساكر الانكليزية تستكشف مراكز العرابيين في كل يوم فكانوا اذا ظفروا بشرذمة من العرابيين ولقوا منها مقاومة قابلوها بقوة السلاح فتولي الادبار تاركة في ساحة القتال من جرح منها فينقلونه الى معسكره اما القتل فكانوا يدفنونهم

وفي ٥ شوال سنة ١٢٩٩ هـ او ٢٠ اغسطس ١٨٨٢ م حصلت بين الفريقين معركة في كفر الدوار استمرت ساعتين وعدد العرابيين ضعفاً عدد الانكليز واجلحت عن انهزام قسم عظيم من العرابيين واقتلابهم الى تل الوادي واحتل الانكليز بعض مواقع العصاة بعد ان قتلوا منهم ١٦٨ واسروا ٦٢. وجرت معركة اخرى في اليوم التالي لم يفز بها احد الطرفين. وفي اليوم الثالث ٧ شوال اقتتل الفريقان في كفر الدوار اقتتالاً تمزز فيه جانب الانكليز بنجدة جاءتهم على قطار مخصوص فتراجع العرابيون وتربصوا تحت امرة طلبة عصمت في مواقعهم يتوقعون فرصة. وكان العرابيون بعد كل واقعة يكتبون الى اخوانهم في العاصمة وغيرها انهم ظلفرون. اما عرابي فذهب لتحصين التل الكبير في مديرية الشرقية

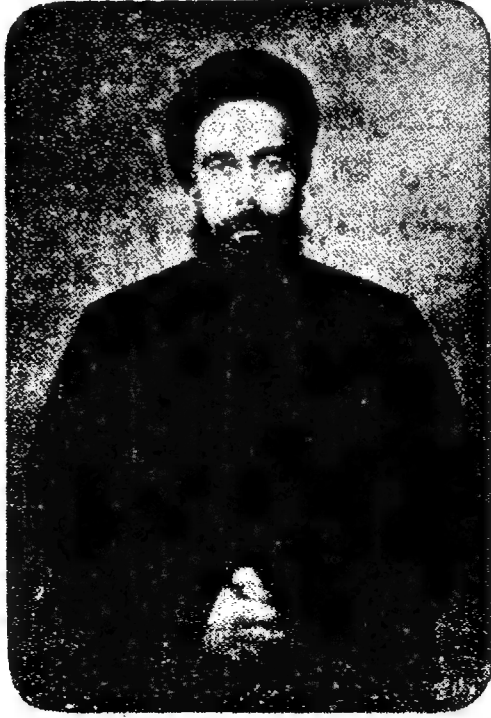
وبعث سير الاحوال ووزارة واغب باشا على الاستعفاء فاستقدم الجناب الخديوي رياض باشا من اوربا وكان متقياً فقدم في اواسط اغسطس وبعد قدومه دعا الخديوي شريف باشا الى تشكيل وزارة جديدة فابي الدعوة وتعين رياض باشا ناظراً للداخلية وعمر باشا لطفلي ناظراً للجهادية

وارسل الانكليز فرقة من جيوشهم تسير الى مصر عن طريق الاسماعيلية فاشتبكوا في ٩ شوال سنة ١٢٩٩ هـ او ٢٣ اغسطس سنة ١٨٨٢ م مع العرابيين بين

المسخوطة والاسماعيلية وكان الفوز للانكايز . واستولى الانكايز ايضاً على المحسمة فاصبحوا على عشرة اميال من التل الكبير وفي ٢٨ اوغسطس حصات واقعة القصاصين بين المحسمة والتل الكبير . وفي ٢٩ شول او ١٢ سبتمبر ورد لجناب الخديوي في الاسكندرية تلغراف من سلطان باشا ينبيء باستعداد الانكايز لمهاجمة التل الكبير حيث تحصن العصاة ثم ورد تلغراف آخر من الاسماعيلية يعلن هجوم الانكليز على التل من كل ناحية وصوب في الساعة الرابعة والدقيقة ٣٠ بعد منتصف الليل وان العراقيين لم يقفوا امام الانكليز الا ٢٠ دقيقة استولى الانكايز باقتضائها على التل فغضبوا ٤٠ مدفعاً وقتلوا الف رجل واسروا الفين واستولوا على المؤن والذخائر ثم اخذوا تتبعون الجند المنهزم

واقعة التل الكبير

وتفصيل ذلك ان عراقي كانت قد وصات اليه نسخة من جريدة الجوائب وفيها منشور السلطان باعتباره ماصياً فاغتاز وكاد يقع في اليأس لان حجته الكبرى كانت انه مدافع عن حقوق الدولة العلية في مصر فتشاور مع عبد الله نديم وافر على اخفاء ذلك عن الجند . فلما كانوا في التل الكبير وقد تحصنوا فيه بقوة ٣٠ الف مقاتل و ٧٠ مدفعاً زحفت الجنود الانكليزية بقيادة الجنرال وولسلي بقوة ١٣ الفاً و ٦٠ مدفعاً وقبل وصولهم الى معسكر العراقيين ارسلوا جواسيس من المصريين ومعهم نسخ من الجريدة المشار اليها ففرقوها في الضباط وكبار الجيش . فلما اطلع اولئك عليها خارت قواهم وبئسوا من الفوز لان معظمهم كان يقاتل لاجل السلطان فعمل عراقي بذلك فجمع اليه الضباط وشاورهم فاقروا على استمرار الدفاع محاربة ورياء . وفيه كتب علي بك يوسف امير الاي المقدمة الى عراقي انه قد تحقق ان العدو لا يخرج في هذه الليلة فاصدر عراقي امره ان يرتاح الجيش . اما العساكر الانكليزية فسارت من اول الليل لاقترب لها عزيمة وفي مقدمتها بعض الضباط المصريين الذين كانوا من حزب الجناب العالي وامامهم عربان الهنادي يرشدونهم الى الطريق فباغوا المقدمة في اخر الليل فاخلى لهم علي بك يوسف الطريق ومروا بين العساكر لاراداً يرددهم فاطلقوا النار على الاستحكامات واوقفوا بالجند الراقدة فالقت الاجناد اسلحتهم وفرت فاستيقظ عراقي من نومه على دوي المدافع وخرج من خيمته فارناع لما علم ان العدو قد استولى على الاستحكامات وانهمزمت الجنود المصرية فاخذ يناديهم فلم يلبه بحجب ثم رأى خيمته اصبحت بقبلة فطارت فقام انه لا ينجيه من الموت الا الفرار . فركب جواداً كريماً



ش ٨٥ : عبد الله نديم خطيب الرايين

وفرّ وتبعه عبد الله نديم فحاول بعض خيالة الانكليز ادراكهما فاستطاعوا وما زالا
حق وصل محطة ابي حماد فنزلوا في القطار وامرو السائق بالمسير فتعلل فهداه فصار
حق وصل القاهرة

عراي في القاهرة

فتوجه عراي توّاً الى قصر النيل وعقد مجلساً من امراء العسكرية والملكية
واخبرهم بما كان واستشارهم فاختلفت الآراء فهض البرنس ابراهيم باشا وخطب في الناس
محرّضاً على الدفاع فوافقوه بحسب الظاهر . واستقر الرأي على انشاء خط دفاعي في
ضواحي الجروسة . فسار عراي في فرقة من المهندسين نحو العباسية يستشيرهم عن السب
المواقع لبناء ذلك الخط فقال له احد الضباط د انك بجهلك وسوء تدبيرك قد احرق
الاسكندرية وتريد الآن ان تحرق مصر فاذا لم يكن لك فيها ما يهملك فاعلم ان لها فيها
لساء واطفالاً واملاكاً لاسلم بضائعها تنفيذاً لاغراضك الا تدري انك تعرض مصر

للخطر بإنشاء الاستحكامات وتجعل منازلها هدفاً لكرات المدافع فنحن لانوافقك على ذلك واني اقول لك ذلك بالاصالة عن نفسي وبالتبابة عن جميع الضباط الحاضرين فلا ترجُ منا مساعده ويكفي ماقد جرى »

فانذهل عرابي وارتيك في امره لاسيما لما رأى الباقيين مستحسنين ماقاله وفتحهم فكرٌ راجعاً على عقبيه كثيراً فاجتمع باصدقائه ودعاهم الى النظر في الامر فلم يجدوا افضل من رفع عريضة الى الجناب الخديوي يعتذرون بها عن افعالهم ويقدمون له الخضوع فحرروا عريضة وارسلوها مع وفد مؤلف من بطرس باشا غالي وعلي باشا الروبي ومحمد رؤوف باشا ثم اردفوها بعريضة اخرى ارسلوها مع عبدالله نديم في قطار مخصوص وكان ذلك في غرة ذي القعدة سنة ١٢٩١ هـ او ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م فأبى الخديوي قبول العريضة وامر بالقبض على الروبي وسجنه . اما نديم فانه ركب القطار الذي قدم عليه وعاد من قوره بعد ان وصل كفر الدوار ثم اختفى بعد ذلك ولم يتيسر للحكومة القبض عليه الا بعد عشر سنوات قضاها محتفياً في الارياق

دخول الانكليز القاهرة

اما الجنود الانكليزية فانها بعد استيلائها على التل الكبير سارت فرقت ببابيس فالزقازيق واستولت عليهما ثم سارت حتى اتت العباسية خارج القاهرة في مساء الخميس ١٤ منه وعسكرت في سفح المقطم تخاف الناس ان يدخل الانكليز مصر محاربين ولكن الامر جاء بخلاف ما كانوا يتوهمون لان الجيوش الانكليزية دخلت العاصمة بحالة سلمية في يوم الجمعة ١٥ سبتمبر طبقاً لما تنبأ به الجنرال وولسلي والقت القبض على عرابي . وبعد وصول الجنرال وولسلي الى القاهرة اتفد السير الجنرال افلر : وود الى كفر الزيات فوصلها في ١٦ منه فسلمت فأمر بنسف الطابية التي كان قد بناها العرابيون في قرية اصلان وسلمت باقي الحصون في بورت سعيد ورشيد واخيراً دمياط فانها لم تسلم الا في ٢١ سبتمبر

وبعد وصول الجنود الانكليزية الى القاهرة احتلوا قشلاقات العباسية والقلمة والمقطم وقصر النيل ونزل الجنرال السير وولسلي في سراي عابدين وكان من جملة قواد هذه الحملة الدوق دي كنوت ابن ملنكة انكلترا . واودع عرابي ومحمود سامي في سجن العباسية والاسرى من الملكية في سجن الضبطية والجهادية في القلمة ثم صدرت الاوامر الخديوية بتعيين حكام المديرية من اهل النزاهة والاخلاص وصدرت اوامر اخرى بتعيين لجنة مخصوصة في الاسكندرية لتحقيق مواد السرقة

والقتل والحرق التي وقعت فيها في حادثي ١١ يونيو و ١١ يوليو الى غاية ١٦ منه وتقديم التقارير بما تستطلعه . واوامر اخرى بتعيين مثل هذه اللجنة في طنطا لتحقيق مثل هذه الحوادث التي حدثت خارج الاسكندرية . وارسلت نظارة الداخلية منشورات الى المديرين يستقدمون من وقعت عليهم الشبهة بالاشتراك مع العرابيين . ولا تسئل عن التهامي التلغرافية التي وردت للجذاب الخديوي وللجنرال وولسي بما اتاهما الله من النصر المبين

وفي ٢٣ سبتمبر الفيت جريدتنا الزمان والسفير وفي ٢٥ منه اقبل الجذاب الخديوي الى العاصمة ومعه شريف باشا وسائر النظار فتواردت الجماهير للملاقة سموه في المحطة ثم ركب والى يساره ابن الملكة وامامه الجنرال وولسي والمستمر مالت الى سراي الاسماعيليه وفي اليوم التالي سار الى سراي الجزيرة للتشريفات الاعتيادية واستمرت الزينة في القاهرة ثلاث لبال متوالية

حاكمة العرابيين

وفي ١٥ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ هـ او ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م امر سموه بتشكيل لجنة مخصوصة بالقاهرة تحت رئاسة اسماعيل باشا ايوب لتحقيق قضية من كان له يد في الحوادث الاخيرة وان تقدم ما تقررر لنظارة الداخلية لتنفذه . واصدر امراً آخر بتشكيل محكمة شرعية في القاهرة تحت رئاسة محمدرؤوف باشا للحكم في الدعاوي التي تقدم من اللجنة المختصة وان تكون احكام هذه المحكمة قطعية لا تستأنف . واصدر امراً آخر بتشكيل لجنة عسكرية بالاسكندرية للحكم في الدعاوي التي تقدم لها من اللجنتين المختصتين اللتين تشكلتا في الاسكندرية وطنطا وان تكون احكامها قطعية تحت رئاسة عثمان نجيب باشا

فشرع كل من هذه اللجنات والمحاكم في اجراء ماعهد اليه . وفي ١٨ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ هـ او ٢ اكتوبر سنة ١٨٨٢ م تعين الشيخ محمد العباسي لمشيخة الجامع الازهر بدلاً من الشيخ الامباي . وكافأ الجذاب الخديوي سلطان باشا بعشرة آلاف جنيه على صداقته التي ابداه اثناء الثورة . ثم اسدر الجذاب العالي امراً بالغاء الجيش المصري لصرف العساكر التي جاهرث بالعصيان والاكتفاء بمحاكمة الضباط وكبار القادة كمرابي وعبد العال وغيرهما . ثم امر بتنظيم جند جديد . وفي ١١ ذي القعدة او ٢٤ اكتوبر صدر العفو عن الملازمين والبوزباشية الذين كانوا في جيش عرابي مع بعض الاستثناء

والنعم الجناب الخديوي بالنيشان المجيدي والعثماني من رتب مختلفة على ٥٢ ضابطاً من ضباط الجيش الانكليزي . واخذت الحكومة المصرية بمشاركة قناصل الدول تسعى في تسكين البال وتوطيد الراحة والقبض على من اشترك بتلك الثورة ومكافأة الذين ساعدوا في اطفاؤها وبرهنوا على اخلاصهم للمليك البلاد . وعينت في الاسكندرية لجنة للنظر في تعويض الخسائر التي تكبدها اهاليها بسبب الحرق والنهب واخذت الحكومة في محاكمة زعماء الثورة العرابية على ايدي اللجان المتقدم ذكرها وفرغت من ذلك في ٣ دسمبر سنة ١٨٨٢ ثم التأمّت اللجنة مراراً للنظر في تثبيت تلك الاحكام ثم عرضت على الجناب العالي فتكرم بالعفو عمن حكم عليهم بالقتل فأصبحت الاحكام بعد ذلك العفو تقضي بتجريد من الرتب والالقباب والنياشين ونفيهم وهاك ماصدر بشأن ذلك



ش ٨٦ : احمد عرابي في منفاه

(١) الحكم الصادر على كل من احمد عرابي وطلبة عصمت وعبد العال حلمي ومحمود سامي وعلي فهمي ومحمود فهمي ويعقوب سامي المقضي جزاؤهم بالقصاص وقع مدله بالنفي الى الابد من الاقطار المصرية وملحقها

(٢) ان هذا العفو يبطل ويقع اجراء الحكم على المذكورين بالقتل اذا رجعوا الى الاقطار المصرية او ملحقاتها
 ثم ارتأى مجلس النظار ان تضبط املاكهم المنقولة وغير المنقولة وان يعين لهم في مقابل ذلك راتب سنوى كاف لمعينتهم فصدر بذلك امر عال في ٢٠ شوال او ١٤ ديسمبر من تلك السنة فعمت لجنة لاجراء ذلك . ثم صدرت الاحكام المختلفة على من بقي من اتباع عرابي كل بحسب استحقاقه . وكان الامر بالنفي على ما تقدم يقضي بتسفيرهم حالاً وانما رات الحضرة الخديوية امهالهم الى ١٦ صفر او ٢٧ ديسمبر وعند ذلك وكبوا في قطار مخصوص مع من ارادوا استصحابه من ذويهم الى السويس ومنها الى جزيرة سيلان منفاهم



ش ٨٧ : احمد عرابي عند رجوعه

وما زالوا هناك الى سنة ١٩٠١ حتى اذن الجناح الخديوي لهم بالعودة الى مصر يقضون فيها بقية حياتهم بدلاً من منفاهم في سيلان . وقد توسط لهم بذلك الدوك اوف كورنول ويورك ولي عهد انكلترا يومئذ بعد زيارته سيلان ومشاهدة المنفيين في

منفاهم مع مايشام من الذل والضعف . وقدم احمد عرابي الى هذا القطر بعد غيابه عنه نحو ١٩ عاماً

ثم اصدر الجنب الخديوي امراً عالياً بتاريخ ٢٢ صفر سنة ١٣٠٠ هـ الموافق ٣ يناير سنة ١٨٨٣ م بالعفو عن اهالي القطر المصري الذين اشتركوا في الثورة العرابية ماعدا الذين سبق صدور الحكم عليهم لغاية تاريخه

ولاحظ رياض باشا ان نيات الانكليز منصرفة الى التساهل مع عرابي ورفقائه في اثناء محاكمتهم وهو يريد التشديد فأبى نفسه الكظم على ما في ضميره فقدم استعفاءه من نظارة الداخلية وخاضت الجرائد بهذا الشأن ولاسيما جريدة الديبا وابانت ما لهذا الوزير الخطير من المآثر الفراء في التنظيمات الادارية وحرية التصرف بالاحكام . وقد اجتمعت تلك الجرائد على استحسان فعله مؤثراً الاستعفاء على قبول خدمة لا يستطيع فيها التصرف بالحرية التي تقتضيها مصالح الامة التي هو اكثر الناس غيرة عليها . فلما قبل استعفاؤه عين بدلاً منه اسماعيل باشا ايوب ثم توفي هذا بعد يسير فعين بدلاً منه خيرى باشا

الثورة المهدوية والحوادث السودانية

مع ما تقدمها وما انتهت اليه

ولم تكد مصر تفرغ من الحوادث العرابية او الثورة العسكرية المصرية حتى ظهرت الثورة السودانية بظهور محمد احمد المهدي السوداني وكان لها تأثير شديد في تاريخ مصر الحديث فرأينا ان نأتي على تاريخها تباعاً من ظهور المهدي الى انقضاء تلك الحركة واسترجاع السودان وان تجاوزنا مدة الخديوي السابق ونعمد الكلام بفذلكة عن تاريخ السودان المصري منذ فتحه محمد علي الى الحوادث المهدوية

تاريخ السودان من فتح محمد علي الى ظهور المهدي

قد تقدم ما كان من فتح السودان في زمن محمد علي باشا على يد ابنه اسماعيل باشا سنة ١٨٢٠ وما بعدها حتى غدر به الملك النمر صاحب شندي وقتله وثأر له الدهر دار . وأول وال عينته الحكومة المصرية على السودان بعد الفتح الاميرالاي عثمان بك سنة ١٨٢٥ ولم يبق فيها الا سنة فخلعه بحو بك وغيره فغيره كما ترى في هذا الجدول :

١ - ولاية السودان في زمن محمد علي	١٨٥٧-١٨٥٩ > اراكيل باشا
عثمان بك من سنة ١٨٢٥ - ١٨٢٦	١٨٥٩-١٨٦٢ > حسن باشا سلامه
محو بك « ١٨٢٦ - ١٨٢٦	١٨٦٢-١٨٦٣ > محمد باشا راسخ
خورشيد باشا > ١٨٢٦ - ١٨٣٩	٤ - في زمن اسماعيل باشا
احمد باشا ابو ودان > ١٨٣٩ - ١٨٤٤	موسى باشا حمدي سنة ١٨٦٣ - ١٨٦٥
احمد باشا المشكلي > ١٨٤٤ - ١٨٤٥	جعفر باشا سامي > ١٨٦٥ - ١٨٦٥
خالد باشا > ١٨٤٥ - ١٨٥٠	« > مظهر > ١٨٦٦ - ١٨٧١
٢ - في زمن عباس الاول	١٨٧١ - ١٨٧٣ > ممتاز باشا
عبد اللطيف باشا من سنة ١٨٥٠ - ١٨٥١	اسماعيل باشا ايوب > ١٨٧٣ - ١٨٧٧
رستم باشا > ١٨٥١ - ١٨٥٢	غوردون باشا > ١٨٧٧ - ١٨٧٩
اسماعيل باشا > ١٨٥٢ - ١٨٥٣	٥ - في زمن توفيق باشا
سليم باشا > ١٨٥٣ - ١٨٥٤	روؤف باشا سنة ١٨٧٩ - ١٨٨٢
علي باشا سري > ١٨٥٤ - ١٨٥٥	عبد القادر باشا حلمي > ١٨٨٢ - ١٨٨٣
٣ - في زمن سعيد باشا	علاء الدين باشا > ١٨٨٣ -
علي باشا شركس سنة ١٨٥٥ - ١٨٥٧	غوردون باشا > ١٨٨٤ - ١٨٨٥

ولكل من هؤلاء الولاة تاريخ لا محل لذكره هنا وانما نشير الى اهم الحوادث بوجه الاختصار — ففي ايام احمد باشا ابو ودان ذهب محمد علي باشا بنفسه لزيارة السودان سنة ١٨٣٩ فتفقد مستعمرته الجديدة وعاد . وبعد سنتين حمل احمد باشا المذكور لفتح السودان الشرقي ففتح التاكا وما زال الولاة يوسعون سيادة مصر على السودان الى اواخر ايام الخديوي اسماعيل . وفي اوائل ايامه بولاية موسى باشا على السودان سنة ١٨٦٣ قدم السير صموئيل باكر الانكليزي لاكتشاف منابع النيل ومعه امرأته فقامى عذبا شديدا

وفي ولاية جعفر باشا ثار الجهادية السود من كسله لتأخر مرتباتهم وسوء معاملة قوادم فتعنت الحكومة في اخاد الثورة وقد سفك بسببها دماء غزيرة

ومن اهم حوادث السودان في تلك الفترة سعي الحكومة في ابطال تجارة الرقيق ولم يصدر الامر رسميا بابطالها الا في زمن اسماعيل باشا بولاية موسى باشا قاصدر اوامره المشددة اليه سنة ١٨٦٣ فتعقب تجار الرقيق وم يومئذ رجال السطوة والثروة واصحاب الكلمة العليا هناك . فقبض على سبعين مراكبا مشحونة بالارقاءين كاكافشودة واتى بهم

الى الخرطوم ولم يطلق التجار حتى اخذ عليهم المواليق ان لا يعودوا الى هذه التجارة. ثم انتدب اسماعيل باشا السير صموئيل باكر سنة ١٨٦٩ لفتح خط الاستواء على ان يكون والياً عليه وعقد له على ١٧٠٠ رجل فسافر الى الخرطوم عن طريق سواكن ومنها خرج الى خط الاستواء والحكومة تعضده فاعلن ضم بعض بلاد خط الاستواء رسمياً الى الدولة المصرية اهمها بلاد يونيورو وخلع ملكها كباريكة واقام مقامه رجلاً يوالي الحكومة وعقد شروطاً ودية مع ملكها وعاد الى مصر سنة ١٨٧٣ واستعفى من منصبه على خط الاستواء فعين اسماعيل الكولونل غوردون (غوردون باشا) مكانه فسافر الى ذلك المكان سنة ١٨٧٤ وبذل جهده في اصلاح تلك البلاد والسودان يومئذ بولاية اسماعيل باشا ايوب. ثم استقال غوردون سنة ١٨٧٦ وعاد الى بلاده



ش ٨٨: كباريكة ملك يونيورو في خط الاستواء ذاهب الى معسكر صموئيل باكر وظهر في اثناء ذلك الزبير باشا وانشأ دولة لنفسه في بحر الغزال ودارفور وقددون اعماله بنفسه ونشرت سيرته في تاريخ السودان لشقير بك. فلما تم له الفتح وعلم اسماعيل بامرء خافه وتنفى لوقيضى عليه وجرت حوادث اقتضت مجيء الزبير الى مصر لمرض اختلاف جرى بينه وبين حكامدار السودان وهو حسن الظن في الدولة المصرية وكان يرجو ان يتفق مع الخديوي على تنظيم البلاد التي فتحها فاتي مصر ومعه الهدايا من العساكر واحمال الزبير واللسن فاحسن الخديوي وقادته لكنه امره ان يبقى بمصر

وما زال فيها وانضمت بلاده الى مملكة السودان المصرية
وفي سنة ١٨٧٧ عادت حكمداية السودان الى غوردون باشا واخذ في تنظيم
الحكومة والادارة وفي تلك السنة عقد اسماعيل باشا معاهدة ابطال تجارة الرقيق مع
اسكترا وعهد الى غوردون بتنفيذ ذلك ونشره وهي مهمة شاقة كان لها تأثير شديد في
الثورة السودانية التي بدأت في ايام خلفه رؤوف باشا كما سترى

اسباب الثورة السودانية

لثورة على حاكمها الالامزهام تلجأ اليه عند فراغ الحيلة من نيل حقوقها . واما
الاسباب التي اعدت السودان للثورة فكثيرة اهمها :

١ - انتظار المسلمين المهدي

للمشهور بين المسلمين من اوائل الاسلام انه سيظهر رجل منهم يؤيد الدين وينشر
لواء العدل ويستولي على الممالك الاسلامية يسمى المهدي ويسندون ذلك الى احاديث
نبوية بحث كثيرون من علماء الاسلام في صحتها وفسادها وفي مقدمتهم العلامة ابن خلدون
وتمة للموضوع نذكر الذين ادعوا المهديوية من اول الاسلام الى الآن :

١ : محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية ظهر في المدينة سنة ١٤٥ هـ فدعا
الناس اليه وكان له اخ اسمه ابراهيم نصره وقام بدعوته ففتح البصرة والاهواز وفارس
ومكة والمدينة وبعث عماله الى اليمن وغيرها وكان ذلك في زمن الامام مالك فاقفى له وشد
ازره فكثرت دعائه حتى كاد يذهب بالدولة العباسية لولم يستدرك المنصور امره ويتغلب
عليه ويقتله

٢ : عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق مؤسس الدولة الفاطمية
في المغرب التي فتحت الديار المصرية في اواسط القرن الرابع للهجرة وبنيت مدينة القاهرة
على يد القائد جوهر . وقد اتسعت دولة الفاطميين وامتدت سلطتهم وطالت ايام حكمهم
٣ : محمد بن عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدي المرعي ويكنى ابا عبد الله اصله
من جبل السوس في اقصى بلاد الغرب رحل الى المشرق حتى انتهى الى العراق واجتمع
بابي حامد الغزالي وغيره فأخذ العلم عنهم واشتهر بالنسك والتقوى وساح في الحجاز
وجاء مصر ثم سار الى الغرب واقام بمراكش وغيرها وتأسست على يده دولة عظيمة في
اوائل القرن السادس للهجرة هي دولة عبد المؤمن

٤ : العباس الفاطمي ظهر بالمغرب في آخر المائة السابعة للهجرة وادعى المهديوية

فشكلت الناس حوله وعظمت شوكته حتى دخل مدينة فاس عنوة واحرق سوقها وبعث عماله الى الانحاء لكنه قتل غيلة فانفضى اجله وسقطت دعوته

٥ : السيد احمد ظهر في اوائل القرن التاسع عشر الميلاد في جهات الهند وحارب الاسياخ على حدود بنجاب الشمالية الغربية سنة ١٨٢٦ ولم تقم له قائمة

٦ : محمد المهدي السنوسي بن الشيخ محمد السنوسي الذي ظهر في المغرب في اواسط القرن الماضي واصله من جبل سوس بجزائر الغرب بنج (والده) سنة ١٨٣٧ ولاقى من بعض اولي الامر الاسلامي ترحاباً ولشر دعوته وايدها وكان مقامه الرئيسي في جغبوب على مقربة من واحة سيوانحو الغرب ولكنه انشأ زوايا عديدة في اماكن اخرى من بلاد الغرب يبلغ عددها ثلاثماية كلها تعلم طريقته وتعاليمه

٧ : محمد احمد المهدي السوداني وقد نحس في دعواه منحي الشيعة فقال انه الامام الثاني عشر الذي ظهر مرة قبل هذه وفي تسمية اتباعه بالدرراويش تأييد لرغبته في قول الشيعة لان لفظ درويش فارسية

٢ — عنف الحكومة المصرية في معاملة السودانيين

ما برحت الحكومة المصرية منذ دخول السودان في حوزتها وهي تنظر الى السودانيين انهم احط من سائر رعاياها وتستعمل العنف في معاملتهم يكفي شاهداً على ذلك ما اتاه اسماعيل باشا بن محمد علي من التثكيل في الملك النمر صاحب شندي كما تقدم في فتح السودان فقد ظل كثيرون من اعقاب اولئك المظلومين يتحينون فرصة ينتقمون بها من الحكومة وكانوا اول القائمين بنصرة محمد احمد

٣ — جور الحكام في تحصيل الضرائب

كان تحصيل الضرائب في السودان منوطاً بجماعة الباشبوزوق فكانوا يسومون السودانيين في تحصيلها انواع الخسف والذل وقد يقتضونها مراراً وروى المستر فرنك باور تفصيل امتلكوا بالخرطوم اذ ذاك ان الضرائب كانت تضرب على اهل السودان بلا شفقة . فيضربون ضريبة على كل فرد منهم وعلى الاولاد والنساء يقتضونها ثلاث مرات في السنة مرة لصاحب القضاء واخرى للجاني واخرى للحكمدار . وكان الزارع اذا زرع حنطة لا يؤذن له بزراعتها حتى يدفع ثلاثة جنيهات كل سنة ويدفع سبعة اخرى في مقابل التصريح له بريها من ماء النيل . فاذا تردد في الدفع سيق الى السجن واذا صبح زرعه دفع ذلك المال مرتين مرة للحكومة ومرة لجيب الباشا . واذا كان من اصحاب السفن التجارية التي تجري في النيل فرض عليه اربعة جنيهات عن كل سفينة فاذا لم يرفع العلم

المصري على سفينته غرم بأربعة اخرى . ومن تأخر عن تأدية تلك الضرائب اقتضتها الحكومة منه بالسكر باح وقد يعاقب ذلك المسكين باحراق منزله او سلب امتعته .
والخلاصة ان السوداني لم يكن يباشر امراً الا ادى عليه ضريبة

٤ — منع تجارة الرقيق

من المقرر المشهور ان التجارة السودانية محصورة في اصناف معدودة اهمها تجارة الرقيق . والنحاسون اول تجار الرقيق اشبه بالملوك والقواد منهم بالتجار في حاشية كل منهم مئات او الوف من الرجال بين خدمة وعمال وعبيد يقومون لقيامه ويقعدون لعوده . فالنحاسون عمد السودان وعيون اعيانه وقادة اعماله تهابهم الحكام وتخشى سطوتهم الحكومة . وما زالت تجارتهم رابحة واعمالهم سائرة حتى قام اهل العالم المقدن لابطال تجارة العبيد فجاء السودان السير صموئيل باكر للقيام بتلك المهمة ثم انيطت بغوردون باشا فأخذ يطوف الاصقاع والمدن في انحاء السودان يعام الناس الحرية الشخصية ويأمر التجار بالكف عن الاسترقاق جملة . وهي صدمة قوية ارتجت لها اركان السودان لان منع النخاسة لم يقتصر على تقليل ارباح النحاسين ولكنه عرضهم لاستبداد الجباة لانهم كانوا يؤدون الجانب الاكبر من الضرائب عبيداً او ماشية فأصبحوا بعد ابطال النخاسة لا يقوون على تأديتها . فاستبد بهم الجباة وساموهم الذل والعسف حتى خيف عصيانهم ولكن غوردون باشا لحسن سياسته ولين جانبه لم يحدث في ايامه اضطراب . فلما فادر السودان تولاه رجل لم يكن عالماً بمحمل الضعف ليتلافى خطره . فكان غوردون اوقد ناراً في بعض جهات البيت فجاء غيره لا يدري كيف يطفىء تلك النار فتعاظمت والتهمت المدينة برمتها . فلما قام المهدي يدعو الناس الى رفع المظالم آس من اولئك التجار اصفاء وكانوا له عوناً في اضرار تلك الثورة

• — انتظار السوداني ان يكون المهدي منهم

من المتداول بين شيوخ اهل السودان وفقهائهم ان المهدي سيظهر من بينهم استناداً الى اقوال يروونها عن بعض الائمة منها قول الامام القرطبي في طبقاته الكبرى ولبه « وزير المهدي صاحب الخرطوم » وقول السيوطي وابن حجر « ان من علامات ظهور المهدي خروج السودان » ولذلك رايهم رحبوا بالشيوخ السنوسي لما قام لكن النجاح قدر لمحمد احمد لاسباب اهمها :

١ استخفاف الحكومة به عند ظهوره وتردد هاهنا الضربة القاضية على تلك الثورة كما يتضح لك من سيرة حياته

٢ قيام العربيين بالثورة بمصر فانه هاج خواطر الاهلين وجراًهم على النهوض مع اشتغال الحكومة عنهم
 ٣ ضعف الحاميات المصرية في السودان فان مجموع الجند الذي كان في اصقاع السودان الواسعة من حلفا الى خط الاستواء لايتجاوز ٤٠ ٠٠٠ رجل موزعة في ١٥ مديرية وليس عندها معاقل حصينة

لشأه محمد احمد المهدي

اجله ومولده



ش ٨٩ : محمد أحمد المهدي

ولد في جزيرة ضرار من اعمال دنقلة سنة ١٨٤٣ وهو من ذرية رجل اسمه حاج

شريف واسم ابيه عبد الله واهه زينب وكان ابوه نجاراً يصنع المراكب والسواقي وضاق به الرزق في دنقلة فرحل باهله الى شندي ثم الخرطوم وابنه محمد احمد طفل ثم مات الوالد. وكان محمد احمد ميالاً الى التدين من صغره فأخذ في درس القرآن وتفهم قواعد الاسلام وانتهى في دروسه الى محمد الخير في الغبش تجاه بربر واشتهر بين اقرانه بالمبالغة في الزهد حتى قيل انه كان يمتنع عن اكل زاد استاذة لانه يجرى عليه من الحكومة وهو يعتقد انه مال الظلم

وبعد ان اتم دروسه على محمد الخير مالت نفسه الى التصوف فذهب الى الشيخ محمد شريف حفيد الشيخ الطيب صاحب الطريقة السمانية وهو اذ ذاك مقيم عند قبر جده في ام مرّحي وسأله الدخول في مضاف تلامذته وذلك في سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦١م فاجابه محمد شريف الى طلبه فاقام عنده منقطعاً الى الصلاة والعبادة وما لبث ان اظهر من التقشف والزهد ما يميزه عن سائر التلامذة حتى انه كان يشتغل في منزل سيده بما هو منوط بالعبادة والجوارى من احتطاب واستقاء وطحن وطبخ وهو غير مكلف بشيء من ذلك وكان كلما وقب للصلاة يبكي حتى يبلل الارض بدموعه واذا جلس امام شيخه نكس راسه ولم يرفع طرفه اليه الا اذا كلمه فيرفع طرفه بادب واحترام واقام على ذلك سبع سنين . فلما رآه شيخه على هذه الحالة وانه سالك طريق المريدين وتاهج منهج الصالحين مال اليه واحبه وجعله شيخاً واعطاه راية واذن له في الذهاب حيث شاء لاعطاء المهود وتسليك الطريقة . فذهب الى الخرطوم وتزوج بابنة عم له واقام مع اخوته بيت طريقته بغيرة وجد

وفي سنة ١٨٧١ رحل مع اخوته الى جزيرة اباء والخرطوم وبني فيها جامعاً وخلوة للتدريس فاجتمع عليه سكان تلك الجزيرة وهم دغيم وكنانة وغيرهم من عرب البادية واخذوا المعهد عنه ودخل بعضهم في تلمذته وفي جملتهم علي ود حلو الذي جملة بعد ادائه المهمة خليفته الثاني . ولم يمض الا القليل حتى اشتهر صيته وكثر اتباعه وكان استاذ محمد شريف قد انتقل الى القادية قرب جبل اولي على النيل الابيض فكان يزوره في كل موسم او عيد لتقديم واجب الطاعة . وقبل الدخول عليه يجعل الرماد على راسه والشعبة في رقبته وفروة الضأن على صلبه تشبهاً بالبعد في ذله فكان محمد شريف يحل الشعبة من رقبته والفروة عن صلبه ويلبسه اخر الثياب فيقيم عنده اباما ثم يعود الى مركزه في جزيرة اباء . وفي بعض زياراته حدثه عن خيرات البلاد التي رحل اليها وسهولة العيش فيها وزين له الاقامة في المراديب بين

أبا والكوة فانتقل إليها سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧٢ م وكانت العراذيب على خصبها خالية من السكان والزراعة فعمرها وأقام فيها على صفاء تام مع محمد أحمد برهة ثم لم يلبث أن تكدر هذا الصفاء فصار جفاءً ثم فوراً ثم عداءً

واختلفوا في سبب العداء والغالب أنه حسد من محمد الشريف لتلميذه لأقبال عربان العراذيب إليه فأخذ يخفض من سطوته ويثاوته . وتعاضم النفور بينهما وظهر . فأخذ محمد أحمد في انتقاد أعمال استاذة ومن جملتها أن الشريف كان يأذن للنساء في حضور مجلسه وتقبيل يده ولم يكن يرى مانعاً من الرقص والغناء فأخذ محمد أحمد يعلم تلامذته أن ذلك يخالف الشرع فبعث محمد الشريف إليه ووبخه وبخا اسمه من الطريقة وهي اهانة عظيمة في نظرهم

وكان محمد أحمد يحب الطريقة وله خلفاء وتلامذة فيها فلم يكن تركها سهلاً عليه فعمد إلى الملاينة فذهب إلى استاذة والتمس العفو وقد ذرى الرماد على رأسه وجعل في عنقه الشعبة وهي عود ذو شعبتين توضع في العنق علامة التذلل والاستعطاف وانتهره محمد شريف وطرده واهانه . فلم يعد محمد يستطيع الكظم فالتجأ إلى شيخ آخر من الطريقة المذكورة اسمه الشيخ القرشي وكان بينه وبين الشيخ الشريف منافسة خفاف هذا طاقبة الأمر فاستقدم محمد أحمد واستدناه فأتى وكان لذلك الأباه رنة في آذان أهل السودان . وعظم محمد أحمد في عيني الناس وانتقل إلى جزيرة أبا . وبعد قليل مات الشيخ القرشي فبنى محمد على قبره قبة . وبالغوا في إكرامه نكابة بالشيخ الشريف وازداد الرجل شهرة بالتقوى والكرامة في معظم أنحاء السودان وهو إلى ذلك الحين لم يدع المهدوية

وكان استبداد جبهة الأموال ضارباً أطنا به وحال السودان كما تقدم من القلاقل والاضطراب فكان محمد أحمد إذا ذكر الضيق الذي أصابهم من ظلم الحياة بسبب ذلك إلى خطية بني الإنسان وإن العالم قد فسد والناس قد ضلوا عن سواء السبيل فأنهم ما نالهم من غضب الله وإن الله سيبيث رجلاً يصلح ما فسد ويملا الأرض قسطاً وعدلاً هو المهدي المنتظر . وقد كان ذلك حديث الناس في سائر أنحاء السودان فخيموا اجتمعوا تحدثوا في ما يقاسونه من الضنك وما ينتظرونه من الفرج على يد ذلك المنتظر حتى أصبح لفظ المهدي يدوي في سائر مجتمعاتهم ومنازلهم في الأكوخ والأسواق والمساجد والزوايا على الطرق والعطشور وحيثما وجد اثنان أو ثلاثة فلا حديث لهم إلا للفرج المنتظر على يد المهدي

قيامه بالدعوة

وكان محمد احمد على بينة من هذا الشعور العام وحديثه نفسه ان يكون هو الرجل المنتظر لكنه لم يصرح به لاحد . وهو في ذلك جاءه عبد الله التعايشي من البقارة وكان يشتغل بالتنجيم وكتابة الاحجية وله مطامع كبيرة فاستحث محمد احمد على القيام بالدعوة واكد له انه هو المهدي المنتظر من علامات زعم ان اياه وصفها له وانه وجدها كلها في محمد احمد . فجاء ذلك وفقاً لما في خاطر محمد احمد فاعتقد انه المهدي وقرب التعايشي وتعاونوا على بناء قبة له واستقدم تلامذته واقام في جزيرة ابا واخذ يفتش الكتب ويبحث عما يؤيد دعواه ويتبين صفات المهدي وعلاماته واخذ يظهر دعواه لتلامذته سرّاً من اواسط سنة ١٨٨١



ش ٩٠ : الدراويش

ثم خرج سائحاً الى بلاد الغرب مع رجاله وعليهم لباس الدراويش وهي الجبة المرقعة والسبعة والعكاز وجعل يبث دعوته بين رؤساء القبائل على ان يكفوا ذلك

حتى تأتي الساعة. وعاد الى ابا واخذ في مكاتبة الناس في هذا الشأن . وبلغ ذلك الحكومة فلم تعبأ به حتى اذا جاءت الوشاية بشأنه من محمد الشريف واطلعها على بعض تلك المنشورات بدأت تهتم بامره . وكان حكمدار الخرطوم يومئذ رؤوف باشا فكتبه بما نسب اليه فاجابه بكتاب يؤيد به دعوته . فجمع علماء الخرطوم واطلعه على الكتاب فاتهموه بالجذب ولكنهم اجازوا القبض عليه فانتدب لهذا الامر محمد بك ابو السعود احد معاوني الحكومة فسار في قلة من الرجال فوصل جزيرة ابا في ٧ اغسطس سنة ١٨٨١ فوجد محمداً في الغار جالساً وحوله جمهور من تلامذته فسلم عليه وقال : ان حكمدار السودان بلغه امر الدعوى التي قت بها وارساني لآتي بك اليه بمدينة الخرطوم وهو ولي الامر الذي نجب طاعته « فاجابه محمد احمد « اما ما طلبته من الوصول معك الى الخرطوم فهذا بما لا سبيل اليه وانا ولي الامر الذي نجب طاعته على جميع الامة المهدية » ثم شرع في تقديم الادلة على انه المهدي المنتظر فاغلق له ابو السعود في الجواب وقال « ارجع عن هذه الدعوى فانك لا تطيق حرب الحكومة ولا ترى معك من يقاتلها » فاجابه محمد احمد وهو يبتسم « انا اقاتلكم بهؤلاء » وأشار الى اصحابه ثم التفت اليهم وقال « انتم راضون بالموت في سبيل الله » فقالوا نعم . فالتفت الى ابي السعود وقال له « قد سمعت ما اجابوا به فارجع الى ولي امرك في الخرطوم واخبره بما رايت وسمعت » فلما راى ابو السعود صدق عزم محمد احمد واعوانه على نصرة دعواهم وان النصيح لا يجع فيهم طاد مسرعاً الى الخرطوم وقص على رؤوف باشا ما رآه وسمعه

مناهضة الحكومة له

فجهز رؤوف باشا حملة من بلوكين بحث بها الى جزيرة ابا وكان محمد احمد قد واعد رجاله على الصبر فاطاعوا فلما انت جنود الخرطوم هجموا عليهم وقتلوا معظمهم وعاد الباقون ليخبروا بما كان . وهي اول وقعة جرت بين الدراويش والحكومة وعرفت بواقعة ابا واشتهر فوز المهدي فيها فعده اتباعه من كراماته لانه غلب الحكومة الظالمة . ولكن محمد احمد لم يكن يجهل مركزه بالنسبة للحكومة فخاف اهتمامها بامره وهو هناك لا يقوى على مناهضتها وما كل مرة تسلم الجرة فعزم على الهجرة وجعل وجهته جبل قدير . فقاتل لاصحابه ان الذي جاءه في المنام وامره بتلك الهجرة فاطاعوه وصاروا وهم يدعون الناس الى طاعة المهدي واعتز به ملك على جبل في الطريق يقال له جبل الجراة فخالف محمد احمد فخار به فكانت الغلبة للدراويش فاشتد ازرم وثبنوا في دعوتهم حتى اتوا جبل قدير في ١٣١ أكتوبر سنة ١٨٨١ فلاقاه ملكه واسمه ناصر وانزله على الرحب والسعة فامر محمد ببناء مسجد للصلاة

وكان علي فاشودة في ذلك الحين مدير من قبل الحكومة المصرية اسمه راشد بك علم بقدم المهدي الى جبل قدير فاستأذن رؤوف باشا في تادييه وطال انتظاره الاذن وبلغه ان المهدي ورجاله في ضيق من المرض فزحف وهو يستتير يريد مباغتتهم ولكن امرأة مؤمنة اتتهم بالخبر فاستعدوا للقاء وعادت العائدة علي راشد بك ورجاله وغنم الدراويش ما كان معهم من الزاد والذخيرة في ٩ ديسمبر منها

وكان لهذا الخبر وقع شديد علي رؤوف باشا في الخرطوم وخاف علي فاشودة واخذ في التجنيد بقيادة جيكلر باشا وبعث يستنجد مصر فاستضعفته فزله وولت مكانه عبد القادر باشا حلي والحق جيكلر بوجوب المبادرة فاذن له . فحشد جنداً مختلطاً من العساكر والباشا بوزوق وعقد لواءه ليوسف باشا الشلاحي في اواسط مايو سنة ١٨٨٢ وبعث الشلاحي الى المهدي يصحبه في الطاعة فاجابه جواباً يدل علي استخفافه به ويدعوه الى طاعته . والتقى الجيشان في جبل الجراة . وفي ٢٩ مايو جرت واقعة قتل فيها الشلاحي وجماعة من كبار قواده وغنم الدراويش ما كان معهم من المؤونة والذخيرة والعدة فازدادوا تصديقاً لدعوتهم وشاع ذلك النصر في انحاء السودان فاعظمه السودانيون وارتفع قدر المهدي عندهم وتواند اليه الناس يبايعونه حتى بلغ عددهم ٢٠.٠٠٠ في قدير وحدها — وهذه صورة المبايعات :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة علي سيدنا محمد وآله مع التسليم . اما بعد فقد بايعنا الله ورسوله وبايعناك علي توحيد الله والان شريك به احداً ولا نسرق ولا نزني ولا ناتي بيهتان ولا نصيبك في معروف بايعناك علي زهد الدنيا وتركها والرضى بما عند الله رغبة بما عند الله والدار الآخرة وعلي ان لا نفر من الجهاد »

فلم تمض سنة ١٨٨٢ حتى اصبحت السودان شعلة ثورية تنادي باسم محمد احمد . وابي دعوته جماعة من كبار الرجال منهم عامر المكاشف في سنار والشريف احمد طاهان من مشائخ السبائية شرقي النيل الازرق ومحمد زين وود الصليحاني وفضل الله رد كريف والحاج احمد عبد الغفار وغيرهم . وبضمهم تفانى في نصرته وقتل في سبيل دعوته . فاهتمت الحكومة بشان المهدي واخذ عبد القادر باشا حلي في تحصين الخرطوم وجند ثلاث اورط من السود واخذ في تمرينهم واحترف خندقاً وراء سور الخرطوم واتام عليه الابراج نصب فيها المدافع فاطمان الموالون للحكومة علي انفسهم ثم حمل عبد القادر باشا بنفسه لاختداد تلك الثورة فاتي سنار لحاربة احمد المكاشف وكان قد استحصل امره هناك فخاربه في ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٣ ففر المكاشف وغلب رجاله ودخل عبد القادر سنار وطمان الناس ثم حارب احمد عبد الغفار قرب الرصيرض فشنت شملة وامر العلماء ان يكتبوا الرسائل وينشروها في تكذيب دعوة محمد احمد

سقوط كردوفان

وكانت كردوفان في أثناء ذلك قد اخذت بالثورة واتحد دعاة المهدي على طرد خدمة الحكومة المصرية وكان مديرها سعيد باشا يقيم في طاسمها الابيض قبذل جهده في اخراج الثورة فلم يفلح والدراويش بزادون قوة وعدداً حتى هددوا بارا وكشجيل والبركة والحكومة في الخرطوم ثم سعيده باشا بالجند ثم راي المهدي ان يقدم لنصرة دعاة بنفسه وفي اوائل سبتمبر سنة ١٨٨٢ اصبح على مقربة من الابيض فكتب الى محمد سعيد باشا يدعوهم الى التسليم فجمع الباشا رجال مجلسه وشاورهم في الامر فأقروا على شنق الرسل وان لا يبعثوا جواباً ولكن اهل الابيض كانوا على دعوة المهدي سرّاً وهم الذين دعوه الى فتحها وفي مقدمتهم الياس باشا اعظم تجار كردوفان وحاكمها السابق فالتزموا الى العصاة في تلك الليلة هم وبعض الحامية وبقي محمد سعيد باشا في نحو عشرة آلاف من الجند الباشيوزوق واما جيش المتمهدي فكان جراراً فيه ٦٠٠٠ تحمل البنادق التي غنوها من الجنود المصرية بالمواقع الماضية واما سائر قواته فتبلغ ستين ألفاً . ويقول سلاتين باشا في كتابه (البار والسيف في السودان) ان حملة البنادق لم تأت معه الى الابيض بل بقيت في قدير

وفي ٨ سبتمبر هجم العصاة على الابيض فارتدوا خاسرين وقد غنم منهم الجند المصري ٦٣ راية من جملتها راية المتمهدي نفسه واسمها « راية عزرائيل » وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف وفي جملتهم محمد اخو المهدي ويوسف اخو عبدالله التعايشي ولم يقتل من الحامية الا ٣٠٠ فعظم ذلك على المتمهدي وادرك خطر الهجوم على الاسوار الحصينة وعوّل من ذلك الحين ان لا يهاجم سوراً وانما يفتح البلاد بالتضييق عليها بالحصار حتى يضئها الجوع وتعهد الى التسليم . ثم جاء العصاة مدد فاشتد ازهرهم فشددوا الحصار على الابيض وعلى بارا وكان في بارا نور عنقره احد امراء العرب وكان موالياً للحكومة ولكنه راي مقامه حرجاً وتحقق الفشل فكتب الى المهدي سرّاً انه اذا ارسل اليه اميراً من اكابر امرائه سلم له فارسل اليه ولد النجمي فخرج نور عنقره مع محمد الخير وكان يلقي سر سوارى اي قائد الخيالة وسلموا لولد النجمي فقبلهما وانقضت سنة ١٨٨٢ والحصار شديد على الابيض وبارا والعصاة يتكاثرون في سنار وغيرها

وكان المهدي قد ارسل فرقاً من جنده لنشر دعوته في دارفور وبحر الغزال فانتشرت الثورة هناك ولكنهم لم يفتحوها سنة ١٨٨٢ الا بمضامن بلادها وفي اوائل سنة ١٨٨٣ فتحوا بارا في ٥ يناير واضطرت الابيض الى التسليم من الجوع في ١٩ منه فدخلت

كردوفان في حوزة الدراويش وغنموا منها شيئاً كثيراً من المؤن والذخائر والأسلحة والاموال وصار المتهدي من ذلك الحين حاكماً على كردوفان وقبض على سعيد باشا ورجاله وبعد اسرهم مدة اكتشف على تقرير بعثوا به سرّاً الى الخرطوم وامر بقتلهم ثم سلمت سائر بلاد كردوفان

حكومة المهدي

فلما فتح الأبيض ودانت له كردوفان اخذ في تنظيم حكومته على غير نظام الحكومة المصرية . واهم اقسام الادارة على ابسط وجوها ثلاثة الجند والمال والقضاء فجعل على الجند خليفته عبدالله النعاشي قائداً عاماً لجماعة الدراويش يدير حركاتهم . وانشأ ادارة سماها بيت المال وفيه تحفظ الاموال كالعشور والغنائم والفقرة والزكاة والغرامات التي يضر بونها على شارب المسكر او السارق وعهد بادارة بيت المال الى صديق له اسمه احمد ولد سليمان . اما القضاء فقام عليه رجلاً اسمه احمد ولد علي كان قاضياً في دارفور وسماه قاضي الاسلام . وكان محمد احمد منذ اوائل ظهوره قد عين خلفاءه وجعلهم اربعة مثل الخلفاء الراشدين يتولون الامر بعده الواحد بعد الآخر اولهم عبدالله النعاشي والثاني علي ولد الحلو والثالث محمد الشريف والرابع محمد السنوسي ولكن هذا رفض الخلافة وعلم هذا المتهدي ان الحكومة المصرية ستحمل عليه بكل قوتها لاستخراج كردوفان من يديه فأخذ يحث الناس على الجهاد ويحقر الدنيا في اعينهم ويحبب الآخرة اليهم وهم يقدون اليه زرافات وقبائل يتبركون به وقد آمنوا بدعوته بعد ان ذاقوا الراحة والاستقلال على يده فتخلصوا من الضرائب ونجوا من البشوق واستبداهم فاعتقدوا انه المهدي المنتظر الذي جاء « ليملا الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً » وما ساعدتهم على هذا الاعتقاد تظاهر هذا الرجل بالتقوى والزهد فلم يكن يلبس غير السراويل والحية فوقها منطقة من خوص يقضي نهاره في الصلاة ونشر المنشورات يحث بها الناس على ترك الدنيا والتمسك بالآخرة ويضع لهم القوانين والاحكام ومن امثلة ذلك منشور نشره من الأبيض سنة ١٣٠١ وقعت لنا نسخة منه نشرها مثلاً لتعاليمه وهالك نصها بالحرف الواحد على علائها اللغوية :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد واله مع التسليم . وبعد فن عبد وبه محمد المهدي بن السيد عبد الله اعلماً منه الى كافة المشايخ في الدين والامراء والنواب والمقاديم اتباع المذكورين . يا عباد الله اسمعوا ما اقول لكم وكونوا على بصيرة واحمدوا ربكم واشكروه على النعمة التي خصكم بها وهي ظهورنا

فهو شرف لكم على سائر الامم ولكن المطلوب منكم يا احبا بنا المهاجرة في سبيل الله والمجاهدة في سبيل الله والزهد في الدنيا وكل ما فيها فالى البوار ولو كانت لها بال لكن وبكم يحليها وانظروا في اهلها الذين كانت في كل ما يطالبوه وصارت لهم بعد ما كانت عسلاً حنظلًا وسما وصاروا في غابة العذاب والحلاك وشدة التعب والمشقة ولو كان فيها خير لما صاوروا هكذا وبعد ذلك فلم العذاب الشديد فان عجبكم هذا فافعلوا والا فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين وجاهدوا في سبيل الله فلهزة سيف مسلم في سبيل الله افضل من عبادة سبعين سنة . ووقفه في الجهاد على قدر فواق ناقة يعني حلبة ناقة الفضل من عبادة سبعين سنة . وعلى النساء الجهاد في سبيل الله فمن صارت قاعدة وانقطع منها ارب الرجال فليجاهد يديها ورجليها والشبابه فليجاهدن نفوسهن ويسكن بيوتهن ولا يترجن تبرج الجاهلية الاولى ولا يخرجن الا لحاجة سرعية ولا يتكلمن كلاما جهوراً ولا يسمعن الرجال اصواتهن الا من وراء الحجاب ويقمن الصلاة ويطعنن ازواجهن ويسترن بثيابهن فمن قعدت كاشفة فاتحة راسها ولو لحظة عين فتؤدب وتضرب سبعة وعشرين سوطاً ومن تكلمت بفاحشة فعليها ثمانون سوطاً ومن قال لآخيه يا كلب او يا خنزير او يا يهودي او يا ٠٠٠ او يا ٠٠٠ فيضرب ثمانين سوطاً ويحبس سبعة ايام ومن قال يا فاجر او يا سارق او يا زاني او يا خائن او يا ملعون فعليه ثمانون سوطاً او يا كافر او يا نصراني او يا لوطي فعليه ثمانون سوطاً ويحبس سبعة ايام ومن تكلم مع اجنبية وليس يعاقد عليها ولا لامر شرعي فيجوز ذلك الكلام فيضرب سبعة وعشرين سوطاً ومن حلف بطلاق او حرام يؤدب سبعة وعشرين سوطاً ومن شرب الدخان يؤدب ثمانين ويحرق النباك ان كان عنده وكذلك من خزنها في فمها ومن عملها بانفه ومن ابقاها فيه يؤدب مثل ذلك ومن باعها واشتراها ولم يستعملها يؤدب سبعة وعشرين سوطاً ومن شرب الخمر ولو مصة ابرة فيؤدب ثمانين سوطاً ويحبس سبعة ايام وجاره ان لم يقدر عليه يحكم امير البلد وان لم يكلمه فيضرب ثمانين سوطاً ويحبس سبعة ايام ومن ساعد شارب الخمر بشربة ماء او اناة فيؤدب كذلك ويحبس ويجاهد نفسه في طاعة الله حقيقة اشد من الجهاد بالارماح لان النفس اشد من الكافر مقاتلة فالكافر تقتاله وتقتله وتكون لك الراحة منه وهي عدوة في صورة حبيب فقتلها صعب ومسلكتها تعب . ومن ترك الصلاة عمداً فهو عاصي الله ورسوله قيل كافر وقيل يقتل وجاره ان لم يقدر عليه يحكم امير البلد وان لم يكلمه فيضرب ثمانين سوطاً ويحبس سبعة ايام وقيل اموالهم غنيمة . وبنت خمس سنين ان لم يسترها اهلها فيضربون من غير حبس ومن علم بآمة معها زوج بغير عقد وصبر يوماً

قيل يقتل وقيل يجبس وماله غيمة واعلموا ايها الاحباب ان خلافتكم وامارتكم ونيابتكم عنا في الاحكام والقضايا لاجل ان تشفقوا على الخلق وتزهدوا في الدنيا ليتروكها وترغبوا في الآخرة ليرغبوها وطلبوها وتعلموا عداوة نفوسهم ليحذروا منها وتنصفوا من انفسكم اذا ادعوا اليكم فيها فما اشكل عليكم فأمرهم فيه بالصبر لغاية طلب الامراء وجمعهم عندنا وبصير تنبيهه بحسب الحكم فيه من الله ورسوله واعلموا يقيناً ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكونوا عباد الله مع الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه واعلموا ايها الاحباب ان القضايا التي كانت من اثني عشر رجب الماضي عام ١٣٠٠ ببقعة ماسة قد صار رفعها مطلقاً ما عدا الامانة والدين ومال اليتيم واما التي بعد الاثني عشر رجب الماضي وقبل الفتوح تسمع فيه الدعاوي . واما قتل النفس ففيه تفصيل في كونه خير ولي المقتول في اخذ الدية او القصاص واما بعد الفتوح بالنسبة الى العهد فيتعين فيه القصاص لا غير فاعملوا بذلك طبق المنشور وكذلك مال الخلع اخذه عموماً من الازواج بعد الدخول بهن والاستمتاع بهن والاستيلاء عليهن فلا يصح اخذه منهن فاحكموا فيه بالحكم الذي فصله الله تعالى في القرآن العظيم واعلموا يا احبابي ولا تخالفوا وامثلوا الامر وكونوا سامعين طائعين لامري ولا تغيروا ولا تكفروا النعمة التي من الله عليكم بها فقيدها بالشكر . وتزوج الغنية بعشرة ريال مجيدي او انقص والعزبة بخمسة ريال مجيدي او انقص ومن خالف هذا فعليه الادب بالضرب والحبس في السجن حتى يموت في سجنه ومقطوع من اهل زمريتنا ونحن بريئون منه وهو بريء منا والسلام » (الختم)

وكان مع ذلك لا ينفصل طرفه عين عن بث العيون والارصاد لاستطلاع حركات الحكومة ومعرفة اغراضها فكان يعرف كل ذلك في حينه معرفة تامة فلا تحدث حادثة او تنوي الحكومة نية او تخطو الجنود المصرية خطوة الا ويعلم بها هو . وارسل في اثناء ذلك قواده تبث دعوته في انحاء السودان فبعث عثمان دقنة الى السودان الشرقي بثولي قيادة العصاة هناك وارفقه بالمشورات الى قبائل السودان الشرقي لتكون عضداً له وكان عثمان دقنة هذا من تجار الرقيق في سواكن وكان ناقماً على الحكومة

حملة ميكس باشا

وكانت الحكومة المصرية في اثناء ذلك اخمدت الثورة العرابية (في ١٥ سبتمبر ١٨٨٢) واحتل الانكليز مصر واصبحوا اصحاب الرأي النافذ وقد اقروا على الغاء جيش عرابي وانشاء جيش جديد وكان بعضهم قد وشى بعبد القادر باشا فاستدعته الحكومة الى مصر وارسلت حلاء الدين باشا حاكماً على السودان في ٢٠ فبراير سنة ١٨٨٣ وحضرت سلطة في الادارة

الملكية وعهدت بقيادة الجند الى سليمان باشا نيازي وجعلت هيكل باشا الانكليزي رئيساً
لاركان حربه



ش ٩١ : هيكل باشا

واعادوا حملة لمحاربة المهدي كلها من جيش عراقي والحكومة تسي* الظن به وقد
ارسلته اما ليهلك او ينتصر فيعوض على الحكومة ما افسده ولكن تلك الحملة كانت مشومة
وآلت الى استفحال امر المهدي ودراو يشه لانها هلكت عن آخرها على شكل لم يسمع به
ولم تطلع الحكومة على سبب ذلك الا بعد حين واليك هو :

جاء هيكل باشا في بادئ الرأي الى الخرطوم والحكومة لم تصمم على فتح الايض
فاقام هناك مدة قبلته ان بضعة آلاف من العصاة بقيادة الامير احمد المكاشف
وكيل المهدي هناك فخرج اليهم هيكل وحاربهم عند مراية بالقرب من جزيرة ابا فقتل
المكاشف وعدد من قواده ورجاله وفر الباقون وكان لتلك الواقعة تأثير حسن في ارجاع
ثقة اهل سنار والخرطوم الى الحكومة وقوة جنودها

فصممت الحكومة على ارسال حملة تفتح الايضا فكتب هيكس باشا الى الحكومة بالقاهرة انه لا يتحمل تبعة هذه الحملة الا اذا كانت القيادة له وحده فسلمت له بذلك ولكنها ارسلت معه علاء الدين باشا حاكم دار الخرطوم فطلب هيكس مدداً من الرجال والمال . وسار علاء الدين باشا الى شرقي النيل الازرق فاستخضر اربعة آلاف رجل . وفي اواخر ارجستاس تمت ممدات الحملة فاجتمعت في ام درمان . وفي ٨ سبتمبر استعرض هيكس باشا جنوده وفي ٩ منه خرجت الحملة من ام درمان قاصدة الدويم وبينهما مئة وعشرة اميال . وكانت تلك الحملة مؤلفة من اربع اوط من الجنود المصرية معظمهم من الذين حاربوا في سبيل الثورة العراقية وخمس اوط سودانية واطرة من الطبجية والخيالة وكانت الجنود المصرية تحت قيادة سليم بك عوفي والسيد بك عبد القادر وابراهيم باشا حيدر ورجب بك حديق . والباشيزوق بقيادة خير الدين بك وعبد العزيز بك ووالي بك وملحم بك ويحيى بك . والطوبجية والسواري بقيادة عباس بك وهي وبلغ عدد جنود الحملة احد عشر الفا منهم . بعة الاف من المائة المصريين والباقيون من الباشيزوق والخيالة وتوابع الحملة من الجمالة وغيرهم وفيها ٥٠٠ رجل و٥٠٠ فارس واربعة مدافع كروب وعشرة مدافع جبلية وستة من نوع النوردنفلت وكان فيها من الضباط الافرنج الكولونيل فركوهار رئيس اركان حرب والبكباشية سكندروف وورتر ومامي وايفانس وغيرهم ومكاتبو اتمس والدالي نيوز والغرافيك

وفي ٢٠ سبتمبر وصلت الحملة الدويم وهناك اجتمعت بعلاء الدين باشا . اما هيكس فكان لا يزال في الخرطوم وقد ارسل تلغرافاً الى القاهرة انبا الحكومة بخروج الحملة من الخرطوم وبين العربدة التي ينتظر ملاقاتها في طريقه نظراً لحرارة الاقليم وقلة المياه . وكان في عزمه ان يجعل مسير الحملة من الدويم الى الايضا عن طريق باره وطول هذه الطريق ١٢٦ ميلاً يقيم في اثنائها محطات فيها قوات عسكرية لحفظ خط الرجوع (خط الاتصال) الى الدويم فيفتح اولاً بارة وقيم بها مدة ثم يخرج على الايضا

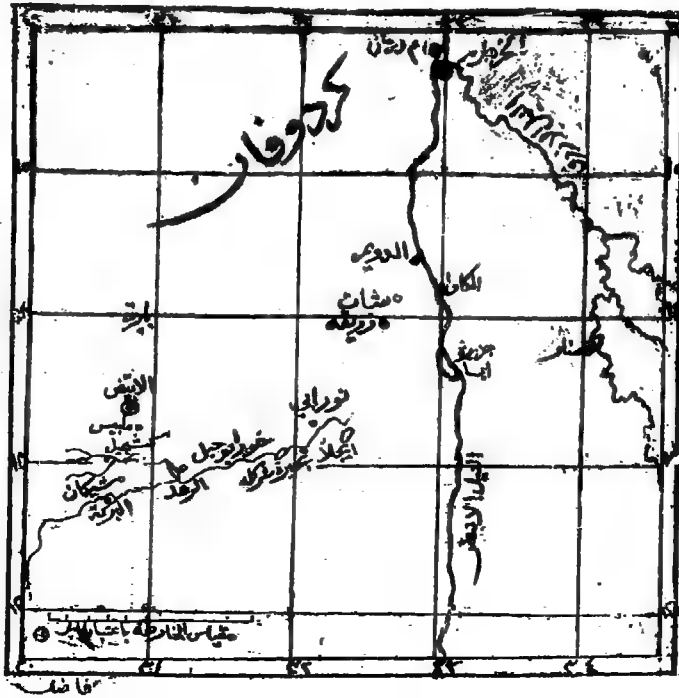
فلما جاء الدويم وانضم الى الحملة تفاوض هو وعلاء الدين باشا في الامر فقال نلاء الدين انه ارسل اناساً جسوا الارض فقالوا ان طريق بارة قليلة المياه وان احسن طريق للايضا يمثل هذا الجند الكبير طريق خور ابو حبل والزمدا الى الجنوب فان الماء كثير فيها . نعم ان طولها ٢٥٠ ميلاً ولكن مئة منها سهلة يسير بها الجند بكل راحة والماء كثير الا ان المسافة بين الدويم ونوراني وطولها ٩٠ ميلاً قليلة المياه فاقمعه علاء الدين باشا ان الماء في تلك المسافة يسهل الحصول عليه وبناء على ذلك قررا ان تسير الحملة عن طريق خور

ابو حبل فوصلوا في ٢٤ سبتمبر الى شات واستولوا على ابارها وانشأوا نقطة عسكرية . وبدأ الجند منذ خروجهم من الدويم يقدرون العواقب الوخيمة وينتظرون البلاء العظيم . وكان سيرهم على شكل مربع يتأهب للقاء العدو في مقدمته الدليلان فالطلائع فالضباط العظام واركان الحرب ثم المربع وهو مؤلف من المشاة المصريين وفي ساقته الخيالة والجمال والاحمال والاثقال وفي وسط المربع الطوبجية وتد شبه سلاتين باشا ذلك المربع بغاية من الروؤس والاعتناق اذا اطلق العدو عليها رصاصة يستحيل ان تخطئها كلها

وزد على ذلك ان الجمال لم تكن تستطيع الرعى بالنظر الى انحصارها في المربع فجاعت واكلت قش ارحالها وخارت قواها حتى مات كثير منها . وفي ٣٠ سبتمبر وصلت الحملة الى قرية تبعد ٣٠ ميلا عن الدويم اسما زريقة

كل ذلك والحاررة تشدد واللفظ يتعاضم بين الجند وكلهم خائف سوء العاقبة ثم حدث نقور بين هيكس وعلاء الدين وسببه اختلافهما في الراي بشأن خطة المسير . فرأى علاء الدين ان النقط العسكرية في خط الاتصال لا حاجة اليها لانها تقتل عدد الجند فخالفه هيكس في ذلك لان قطع ذلك الخط يقطع كل امل برجوع احد من رجال الحملة حياً اذا قدر انكسارها في ساحة الحرب على انهم لم ينشئوا نقطة عسكرية بعد شات اما محمد احمد فخالما علم بمسير حملة هيكس جمع رجاله ودعاهم الى الجهاد في سبيل الله وخرج بنفسه وعسكر بقرب شجرة كبيرة بضواحي الابيض ينتظر وصول الحملة فاقنطى به خلفاؤه وامراؤه فخرج كل منهم برجاله وعسكروا هناك وبنوا الاكواخ والكتول (نوع من العشش)

اما الحملة فما زالت سائرة تسحف سحفاً كثافاً ثقلاً بالقدر المحتوم حتى وصلت الرهد في ٢٠ اكتوبر فاقامت هناك ٦ ايام شاهدت في انائها طلائع الدراويش وشرذمات منهم بها جونغها . وفي ٢٦ اكتوبر سارت ولم تكبد تترك معسكرها حتى احتلته العصاة فعلم علاء الدين اذ ذاك خطأ في افعال خط الاتصال وقد اصبحوا محاطين بالعدو من كل الجهات . وكان في عزمهم المسير الى الابيض عن طريق البركة ولكن الجواسيس اخبروا هيكس ان العصاة نزلوا البركة ومعهم خلفاء المهدي وامراؤهم بعدتهم ورجالهم فتشاور علاء الدين وهيكس في هل يرجعون الى الرهد او يسرون الى كسجيل ومنها الى ملبيس فالايض . لان خور ابو حبل يتشعب عند الرهد الى شعبتين تسيران احدهما الى البركة والاخرى الى كسجيل . فاقر الرأي على المسير الى كسجيل فساروا في ٣ نوفمبر عشرة اميال بين الغابات والاحراج



ش ٩٢ : خريطة واقعة هيكل باشا

وقد اخطأوا الطريق ثم وقفوا وانشأوا زريبة باتوا فيها الى الصباح فاستأنفوا المسير حتى صاروا على مسافة ميلين من شيكان بين كشجيل والبركة وقد اجهدهم العطش فهجمت عليهم شرذمة من العصاة فتبادلوا اطلاق الرصاص وقبضوا على بعض منهم فعلموا ان الدراويش هناك بكثرة عظيمة فجمع هيكل كبار رجاله وعقدوا مجلساً تشاوروا فيه فلم يقرروا على امر . وكثر اللقط بين الجنود وتساقط الرعب على قلوبهم واقتنوا بالهلاك وفي الصباح التالي عزم هيكل على المسير تحت رحمة الله فجعل جيشه ثلاثة مربعات وساروا في طريق وعمر كثير الاشجار والصخور فحصل بينه وبين الدراويش واقعة قتل فيها كثير من رجاله . ثم سار ايضاً فام بئس ميلاً حتى هاجوه ثانية في شيكان . وقد رأينا في منشور ارسله المهدي الى عثمان دقنة يخبره بتلك الواقعة ويسمي مكان وقوعها علوبة وكانت تلك الهجمة القاضية لم تنق على تلك الحملة ولم تذر لان الدراويش هاجوها من كل جانب حتى صار الجنود المصريون يطلقون الرصاص بعضهم على بعض وهم لا يعلمون فقتل هيكل وكل قواده وجنده . ولم ينج منهم الا نحو ثمانمائة رجل اكثرهم من الضعفاء الذين اختبأوا بين الشجر او تحت جثث القتلى وفي جملتهم رجل اسمه

محمد نور البارودي كان في خدمة هيكس وهو الذي روى اكثر ما تقدم من مهلك هذه الحملة

فرجع المهدي وخلفاؤه وقواده الى البركة وقد سكروا من خمر النصر وتركوا بعض الامراء يجمعون الاسلاب والغنائم الى بيت المال . وبعد ١٥ يوماً عاد المهدي الى الابيض بالمدافع والذخيرة والاول التي اكتسبوها من حملة هكس . وكان دخوله الابيض باحتفال شائق . ولا ريب ان تغلبه في موقعة شيكان جعل حكومة السودان تحت اخضه لان كثيراً من القبائل كانوا يترددون في امره وينتظرون حربه مع هيكس باشا فلما علموا بما كان انضموا اليه وصاروا من اعوانه



ش ٩٣ : سلاتين باشا

وكان سلاتين بك (سلاتين باشا الآن) الى ذلك الحين مديراً على دارفور وقد قاسى مشقات جسيمة في مناوأة العصاة وتمردهم . وكان يرجو الفرج على يد حملة هيكس . فلما علم بفشلها لم يردّ بداً من التسليم فبعث الى المهدي بذلك وان يتفد اليه بعض اقاربه ليسلم البلاد له فبعث اليه الامير محمد خالد ويكنى زقل اميراً على دارفور

واوصاه بسلاطين خيراً . فوصل الدراويش دارا ونهبوها وارسلوا بعضاً من حسانها هدية للمهدي . وجاء سلاطين مخفوراً الى الابيض واباع المهدي واظهر الاسلام والايمان بالدعوة وسمي عبد القادر واقام سلاطين من ذلك الحين ملازماً لعبد الله التعايشي يقف عند بابه في جملة الملازمين

السودان الشرقي

وفيما كان هيكس يتجشم الاخطار في قطع الصحاري والقفار ينتظر المقدور كان عثمان دقنة ينشر دعوة محمد احمد في السودان الشرقي وقد اجتمع حوله احزاب كبيرة . وقد حدثنا صديق رافق الحوادث في السودان الشرقي وعرف خفاياها قال : ان توفيق بك محافظ سواكن اذ ذاك تصرف مع العربان الذين يتولون خزانة الطريق بين سواكن وكسلا تصرفاً اوجب نفورهم وذلك انه ولي عليهم شيخاً اسمه محمد الامين ليكون مسئولاً عنهم لدى الحكومة على جاري العادة وكانوا يكرهون هذا الرجل . فاتهمسوا من المحافظ ان يبذله بسواء فاني الا توليته فغضبوا جميعاً ونفروا من الحكومة وهم كشار فانفق محي عثمان دقنة بمنشور المهدي فانضموا اليه جميعاً فاشتد ازره بهم ثم انضم اليه غيرهم . فسار لماواة الحكومة في سواكن وضواحيها فهاجوا سنكات في ١٨ أغسطس سنة ١٨٨٣ واكنهم عادوا خاسرين فساروا الى طوكر وحاصروها فارسلت الحكومة محمود طالما باشا قائد حامية السودان الشرقي لاقاها فباغتته الدراويش وكسروه شر كسرة . وحاولت الحكومة مقاومة الدراويش بكل وسيلة وحصلت وقائع كثيرة في تمايب ورنكات وغيرهما فلم تعد منهم بطائل . وما زالت سنكات وطوكر محاصرتين تطالبان المدد فاعدت الحكومة في اوائل سنة ١٨٨٤ حملة تحت قيادة باكر باشا سارت الى سواكن لفتح الطريق بين سواكن وبربر وطرد العصاة من البلاد الواقعة بينهما فسارت ومعها نجدة من مصوع وكسلا فلاقها العصاة في التب بغتة في ٢ فبراير فاربوها ففشلت وعادت بخفي حنين . كل ذلك وحامية سنكات لا تزال محاصرة وفيها توفيق بك محافظ سواكن المتقدم ذكره وكان رجلاً باسلاً شهماً اظهر في حصاره شجاعة لم تعهد الا بالقبيل من الناس وكان قد جاء سنكات عرضاً وانحصر فيها . وسنكات قرية صغيرة لا تزيد حاميته على ستين رجلاً وقد ضيق عثمان دقنة السبل عاينها وقطع المزن عنها حتى كاد اهلها يهلكون جوعاً فكتب عثمان الى توفيق ان يسلم فلا يقتله فاني الا البقاء على ولاء الحكومة . فلما جاء باكر باشا

وعاد خائباً بعث عثمان اليه ان يسلم فيسلم وان الامل باتفاذه قد انقطع فلم يجبه الا بالنيات . ولما رأى توفيق بك اخيراً ان المؤن فقدت والجند جاءت واهل البلد مات جمع اليه رجاله واهل سنكات وشاورهم في الامر وحثهم على الثبات على ولاء الحكومة . فقالوا نحن على ما تريد فقال « قد نفذ زادنا والطريق مقطوع بيننا وبين المدد فلنخرج مستقلين فاما ان نسير الى سواكن واما ان يلاقينا العصاة فنُدافع عن انفسنا حتى الموت »

فخرجوا في اوائل فبراير سنة ١٨٨٤ بعد ان هدموا الطواري واخربوا المنازل وما ساروا ميلين حتى لاقاهم عثمان دقة برجاله وهاجمهم فقاتل توفيق بك حتى قتل شهيد الامانة والبسالة ولم ينج من رجاله واهل القرية الا نفر قليلون

اخلاء السودان

وكان ذلك من جملة العوامل لتأييد دعوى المتهمدي ونشر سطوته وخوف الحكومة عاقبة امره . وبدلاً من مواصلة العمل في كبح جماح العصاة واسترجاع ممالكهم من بلادها اقرت بمشورة الحكومة الانكليزية على اخلاء ما بقي من السودان في قبضتهم وسحب جنودها منها والتخلي عن السودان المصري كله للدراويش واصدرت بذلك امراً بتاريخ ٨ يناير سنة ١٨٨٤ وانفذت الحكومة الانكليزية الجنرال غوردون باشا الى السودان للنظر في افضل الوسائل لسحب حامية السودان وسكانها من الافرنج وغيرهم وتثبيت حكومة منتظمة على سواحل البحر الاحمر وغير ذلك . فسار غوردون باشا ومعه الكولونيل ستيوارت كاتم اسراره فوصلا القاهرة فانبأ السير افان بارنغ (اليوم اللورد كرومر) ان الحكومة الانكليزية قد فوضت اليه اخلاء السودان واعادة حكم الامراء الذين كانوا يحكمونها لما فتحها محمد علي باشا ويقال لهم الملوك او ان يولي غيرهم كما يترأى له

غوردون باشا

فسار غوردون عن طريق كرسكو وابي حد فوصل بربر في ٩ فبراير سنة ١٨٨٤ وفي ١٨ منه وصل الخرطوم فتلقاء اهاليها بالاكرام . وكان السودانيون يخبونه ويكرمونه لئين جانبهم وكرم اخلاقه . ومن الغريب ان يسير غوردون بنفسه بلا جيش الى بلاد اشتعلت بنار الثورة ولكنه كان كثير الاتكال على الله وقد صرح بذلك عند وصوله الخرطوم فقال « لم آت لاتقاذ السودان بجيش ولكنني اتكلت على الله فلا احارب الا بسلاح العدل »



ش ٩٤ : غوردون باشا

سافر غوردون من القاهرة في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٤ ومعه مساعده الكولونيل ستوارت قاصدين الخرطوم في عظمور ابي حمد فبر فالخرطوم مصحوبين بواصر عالية خلاصتها في ما يأتي :

١ ان يسحب الموظفين المصريين وعائلاتهم واموالهم من سائر انحاء السودان الى مصر

٢ ان يقيم مقامهم موظفين من اهل السودان يدبر شؤونهم بحكمته كانه يؤسس دولة جديدة

٣ ان يجمع كلمة القبائل المجاورة للخرطوم ويحركها على قبائل الهندوة في السودان الشرقي فيفتح الطريقين بين بربر وسواكن وبربر وكسلا

٤ ان يفتح سنار وسائر البلاد الواقعة بين النيلين الازرق والابيض (الجزيرة)
٥ ان يرسل ٥ بواخر لنقل عائلات الجنود المصرية في مديريات خط الاستواء

وبحر الغزال

٦ ان يدبر طريقة ان بقي في دارفور ان ينسحبوا الى مصر عن طريق دنقلا هذه كانت مقاصده عند خروجه من مصر وخلصتها خلاء السودان فلما وصل بربر اراد ان يتلوها على اهلها فذمه حسين باشا خليفة مدير بربر لان التصريح بذلك يعجل على بقية نفوذ الحكومة . فأطاعه ولكنه تلاها في التمتع فكانت داعياً الى سرعة سقوط بربر بعد ذلك . واما غوردون فوصل الخرطوم في ١٨ فبراير كما تقدم . وفي يوم وصوله جمع اعيان الخرطوم كافة في بناية المديرية وافهمهم مهمته ثم خرج الى سراي الحكمندارية فلاقاه مئات من الناس وتراموا على يديه ورجليه يقبلونها وهم يقولون « يا سلطانتا يا والدنا يا مخاصم كردوقان » ثم اخذ غوردون وستيوارت في تدبير شؤون الاحكام فانشأوا اقلماً مختلفاً في الحكمندارية للنظر في قضايا الناس وانصافهم على اختلاف طبقاتهم . فأخرج دفاتر الحكومة القديمة وفيها قيود لذمات مطلوبة من اصحاب الاطيان خراجاً عن اطيانهم فوضع تلك الدفاتر في باحة عمومية واولد فيها النار ولما اتهمت النيران وتعالى لهيها استخرج الكراييج والعصي وسائر ادوات الضرب والصفع التي كان يستخدمها الحكمنداريون قبلاً والقها في ذلك المهييب واهل الخرطوم ينظرون . فكان لذلك تأثير حسن في اذهانهم ثم انشأ مجلساً وطنياً مؤلفاً من اعيان المدينة وبعد قليل زار الترسانة والمستشفى واخيراً ذهب لتعهد السجن ومعه ستيورات وكوتلجن والمستربوارفصل اكلترا هناك . فرأى فيه حوادث تنفتت لها الاكباد فضلاً عن القنارة وشاهد بين المسجونين اولاداً وشيوخاً بعضهم قد ثبتت براءتهم ولا يزالون في السجن واخرون سجنوا لهمة فقضوا ثلاث سنين في السجن قبل ان تثبت عايتهم جنابة . ورأى هناك امرأة قضت خمس عشرة سنة مسجونة لذنب اقترفته في صباها فامر غوردون باخراج المسجونين كافة وتنظيف السجن فلم يأت المساء حتى خرجوا زرافات ووحداً وعم يطلبون الى الله تعالى ان يطيل عمره . وقضى اهل الخرطوم تلك الليلة سهارى قاضوا الانوار الملوونة واولدوا المشاعيل وباتوا فرحين مسرورين

واراد غوردون ان يمكن محبته من قلوب اهل السودان فخنف الضرائب وانصف المظلومين وابطل كثيراً من الضرائب ثم اعد دمنه واولفني فيه الاوامر الصادرة بشأن الغاء تجارة الرقيق وهاك مفاد المنشور

منشور الى اهل السودان كافة

اعلموا ان راحتمكم هي غاية ما نرجوه وبما اني اعلم ان ابطال تجاره الرقيق ندم ساء كم

وها لكم ما وضعته الحكومة من القصاص على من يعاطاها وغير ذلك مما صدر من الاوامر العالية بشأن تأكيد الغائها فقد رايت التماسا لراحتكم ان ابطال كل تلك الاوامر وانحكم الحرية التامة فلا يعترضكم احد في اتخاذ الرقيق نخدمتكم والسلام لكم

الخرطوم غوردون باشا

ففرح تجار الرقيق بهذا المنشور ولكنهم استدلوا منه على ضعف الحكومة وانها انما اضدرته بالرغم منها لانها لم تقوَ على تنفيذ امرها في ابطال تلك التجارة . ثم حول نظره الى امر المهدي فارسل اليه في الايض كتابا يطلب فيه اطلاق الاسرى و هو له كردوفان وارفق الكتاب بخلة نفيسة فرد محمد احمد الخلة وبعث الى غوردون ان يسلم فيسلم وان المهدي لم يقيم بدعوته طمعا في الولاية

وكان غوردون باشا في اثناء مسيره الى الخرطوم قد تدير امره مهمته هذه فرأى ان ترك السودان وشأنها بعد اخلائها بمود على مصر بالو بال فلا تلبث الثورة ان تنتشر ويزحف الدراويش الى حدود مصر فبعث يوم وصوله الخرطوم رسالة يرقية الى الحكومة الانكليزية يطلب فيها ان تبعث اليه الزبير رحمت باشا حالا حتى اذا اخلي السودان ودبر حكومته جعل الزبير باشا خلفا له عليه خوفا من استفحال امر المهدي وخروجه على مصر فابت الحكومة ارسال الزبير فشق ذلك عليه كثيرا

ثم ما لبث ان علم بانتشار دعوة المهدي وانضمام معظم القبائل اليه فاصدر منشورا بتواعد فيه الثائرين بعذاب اليم وينصح لهم ان يثوبوا الى طاعة الحكومة

وكان الكولونيل متيوارث قد سار في مئة رجل بالاعلام البيضاء لمسالة القبائل القاطنة على النيل الابيض وتلاوة منشورات غوردون عليهم فكان كما بعد عن الخرطوم ازداد نفور الناس منه حتى صاروا يعترضون مسيره ويحاربونه واكثرهم من قبيلة البقارة فعاد الى الخرطوم خائرا فارسله غوردون ثانية في ٢ مارس سنة ١٨٨٤ بمنشورات اخرى فعاد بخي خنين . وما زالت الثورة تقترب من الخرطوم وضواحيها حتى احدثت بها من كل الجهات . وفي اثناء ذلك جاءت حملة من الدراويش لحصار الخرطوم فذهب جمع منهم الى حلفاية شمالي المدينة فانهمزت حاميتها فجرد غوردون في ١٦ مارس عليهم في مقاتل بالبنادق وفيهم الباشبوزوق والجنود المنظم لاسترجاع حلفاية فمات لهم الدراويش حتى غدرهم وكسروهم شر كسرة فعادوا القهقري الى الخرطوم وقد قتل منهم جمع كبير ففشل غوردون لهذه الكسرة وحاكم قواد تلك التجربة واكبرهم سعيد باشا وحسن باشا وكلاهما من اهل السودان فحكم عليهما بالاعدام لثبوت اخيانه عليهما فقتلا قطعت اعضاؤهما

سقوط بربر ومهلك ستيوارت

وفي ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٤ وصلت الاخبار بسقوط بربر والقبض على مديرها وارساله اسيراً الى الابيض وتولى بربر امير من امراء الدراويش اسمه محمد الخير. وكان سقوط بربر ضربة قوية على الخرطوم لانها كانت واسطة الايصال بينها وبين مصر. فادرك غوردون صعوبة مركزه وتحقق يقيناً ان انفاذ مهمته لم يعد ممكناً بالحسنى فلا بد من استعمال قوة الجند فطلب الى حكومته ارسال حملة لمساعدته فترددت انكثرا مدة قبل الاقرار على الحملة. على انها اقرت في مايو على وجوب ارسالها ولكن جنودها لم تبدأ بالمسير الى السودان الا في سبتمبر فنذر اهل الخرطوم وشكوا الى غوردون حالمهم وفي جملتهم الاجانب المقيمون هناك فقال لهم من اراد الذهاب فليذهب اما انا فلا استطيع الخروج الا بعد انفاذ الحماية والناس او ان اموت معهم. ولكنه اشار على ستيوارت ان يسير الى مصر بمن اراد مرافقته من الاجانب وعهد اليه ايصال تقاريره اليومية عن احوال الخرطوم من اول مارس الى ٩ سبتمبر وهو يوم سفر ستيوارت وظن غوردون ان ذهاب ستيوارت بهذه التقارير الى مصر يفيد الحملة القادمة لاتخاذها فركب ستيوارت باخرة وركب معه بعض الافرنج ورافقته باخرتان فوصل بربر وضربها ومراً بها فعادت الباخرتان وجرت باخرته حتى اذا تجاوزت ابو حمد الى واد قر ضايقتها الدراويش من البرثم جنحت فذل من فيها فلقبهم الدراويش وقتلهم وحملوا الاسلاب والاوراق الى المهدي. كل ذلك وغوردون يستحث الانكليز ويستنهض مهمهم وينذرم بالخطر القريب فجاء خبر هلاك ستيوارت ومن معه قبل خروج الحملة. على ان تلك الحملة لم تصل الخرطوم الا في ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ اي بعد سقوطها ومقتل غوردون بيومين

حركات الدراويش

فلتنظر في حركات الدراويش واجراءاتهم في معسكرهم في اثناء حصار الخرطوم المختصاً مما رواه سلاتين باشا في كتابه «السيف والنار في السودان» وما احكاه غيره من الامرى الذين رافقوا تلك الحوادث داخل الخرطوم وخارجها

تركنا المتهمدي وقد عاد ظافراً الى الابيض بجعله ورجله فبعد وضوله اليها انفذ بعض امرائه لتأييد سلطته في دارفور وبحر الغزال وما جاورهما ثم علم ما كان من امر السودان الشرقي وظفر عثمان دقنا في سنكات وثمانين والتب وحصار كسلة

وتكاثر دعاة المهدي بعد انتصاره على هيكس وتقاطر الناس اليه قبائل وجماعات فيأماً بنصرته وكانوا يعسكرون بغيامهم وابلهم وخيلهم حول الابيض فقلت مياه الابيض فخاف المهدي ان يصيبهم جهد فاشار بالانتقال الرهد وفيها الماء غزيراً فانقلوا اليها رجالاً

ونساء واولاداً في اواسط افريل سنة ١٨٨٤ باحالمهم واثقالهم ودوابهم واقاموا هناك والمهدي يقضي نهاره في الصلاة والوعظ والحث على الجهاد . ثم سمع بخروج الجنود المصرية من الخرطوم على اهل الجزيرة فبعث محمد ابا جرجا اميراً عليها في عدد عظيم من الدراويش على ان يمد اهل الجزيرة ويحاصر الخرطوم . فحصلت بينه وبين جنود الخرطوم وقائع انتصرت في اولها الجنود المصرية ثم عادت العائدة عليهم بعد ذلك كما رايت . وارسل المهدي الشيخ محمد الخير اميراً على يبرفسار اليها وحاصرها وفتحها وارسل مديرها حسين باشا خليفة اسيراً الى معسكر المهدي في كوردوفان . فالتقى بسلاتين باشا وتشاطرا مصيبة الاسر . اما دتقلا فكان مديرها مصطفى بك ياور (ثم صار مصطفى باشا) قد كتب الى المهدي غير مرة يسلم اليه فلم يركن هذا الى تسليمه بل بعث السيد محمد علي وبعض الشائعية ليحسوه فغار بهم وفرق شملهم وكان الماجور كشنر (اللورد كشنر باشا) قد جاء بهمة سرية لاستطلاع نوايا مصطفى بك ياور واحوال السودان فشهد بعض مواعنه مع الدراويش

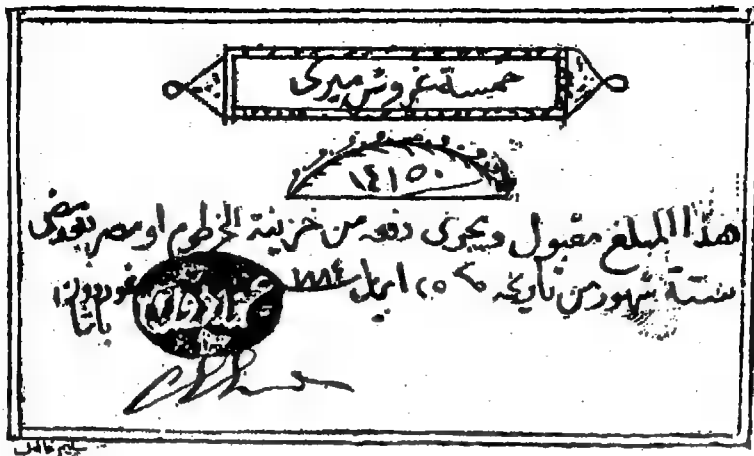
وخلاصة الامر ان حجار السودان ورماله كادت تنطق بصوت واحد « صدق محمد احمد بدعواه » وكان الي ذلك الحين مقبلاً في الزهد فكثب اليه امرأؤه من اتجاه مختلفة ان ينزل برجاله الى النيل الابيض فكانت بؤجل مسيره مظهرًا الازدراء بقوة اعدائه والاعتداد بقوته ويستعرض جنوده كل جمعة استعراضاً عمومياً يحضره هو بنفسه والجيش اذ ذاك ثلاثة اقسام يراس كل منها خليفة من خلفائه . ولكن الخليفة عبد الله التعايشي كانت له الرئاسة الكبرى ويلقب « رئيس الجيش » وفرقه تسمى « الراية الزرقاء » يتوب عنه في قيادتها اخوه يعقوب التعايشي . وفرقة الخليفة علي ولد الحلو تدعى « الراية الخضراء » وفرقة الخليفة محمد الشريف تسمى « الراية الحمراء » او « راية الاشراف » وتحت كل من هذه الرايات الثلاث رايات صغيرة لا يخصصها عدٌ يجتمع حول كل راية منها مئات من الدراويش

وكيفية الاستعراض عندهم ان يقف امراء الراية الزرقاء براياتهم صفًا واحداً بولون وجوههم المشرق ويقف امراء الراية الخضراء صفًا آخر يقابل الصف الاول وجهاً لوجه ويقف امراء راية الاشراف صفًا آخر يقابل الشمال فيولفون مرعاً بنقصه ضلع كانه باب يدخل به المهدي وحاشيته فيمر بجانب الصفوف يجيها قائلاً « الله يارك فيكم »

فلما انقضى رمضان تلك السنة قال محمد احمد انه قد اوحى اليه في الرؤيا « الحضرة » ان ينزل لمحاصرة الخرطوم وامر رجاله بذلك

حصار الخرطوم

فزحفوا برجالهم واحملهم واتقاهم ودوابهم فضربوا نقارتهم وساروا حتى اشرفوا على الخرطوم وسلاتين معهم فمسكروا هناك تحت راية التعايشي . وسار الامراء الآخرون يبحثون عن مكان آخر يسكنون فيه . ثم امر المهدي ان يحدد جندة بالخرطوم ويشددوا الحصار عليها فامر ابا جرجا وولد النجومي ان يحاصرها برجالها من البر الشرقي للنيل الابيض عند مكان اسمه كلا كلا وامر ابا عنجه وفضل المولى ان يحاصرها طابية ام درمان على البر الغربي . وما زالوا محاصرين تلك الطابية حتى فتحوها في ١٥ يناير سنة ١٨٨٥ وهي اول طابية فتحوها من حصون الخرطوم . ويؤخذ من تقرير كتبه الشيخ المضوي احد قواد المهدي في ذلك الحصار ان المهدي كان حازماً ان يشدد الحصار على الخرطوم حتى تسلم من الجوع كما فعل بالابيض وان رجال ولد النجومي وحدهم بلغوا عشرين ألفاً . وربما كانت قوة الدراويش كلها ستين ألفاً او سبعين او أكثر



ش ٩٥ : نقود غوردون

أما غوردون فلم يقض في الخرطوم شهرين حتى نفذت النقود من خزيتها فاصطنع نقوداً من الورق بفئات متفاوتة يتعامل بها الناس الى اجل مسمى . وقد شاهدنا كثيراً منها عند وصولنا المدة سنة ١٨٨٥ وفي الشكل ٩٥ صورة احداها برسمها الاصلي تماماً على ان ذلك قلما خفف من ضيق اهل الخرطوم ونزلاتها فانهم ما انفكوا يشعرون بالضغط يوماً بعد يوم والحصار يزيدهم تضيقاً حتى اصبحوا يحاطون بالعدو من كل جهة وقلّ زادهم او نفد وجاعوا وغوردون يصبرهم ويعدهم بقرب وصول الحملة الانكليزية

لأنقاذهم ولكنها تأخرت كثيراً فلما الناس الانتظار واشتد الجوع حتى اكلوا لحوم القبط والكلاب ومضغوا سعف النخل وجذور الذرة . كل ذلك وهم وانقون بوعده غوردون ولكنهم اصبحوا يسيئون الظن به اخيراً

الحملة الانكليزية لانقاذ غوردون

اما الحملة الانكليزية التي اقروا على ارسالها لانقاذ غوردون فبرحت مصر في اوائل الحريف وعدد رجالها ستة الاف من نخبة الجند الانكليزي واكثر قوادها من الاشراف اذ تسابق الانكليز الى الانتظام في سلك هذه الحملة لزعيمهم انها عبارة عن (فسحة) على النيل . فلم يصل من رجالها الى كورتي الا بعضهم وتفرق الباقيون في نقط خط الاتصال . ومن كورتي سارت حملة في عطور صحراء بيوضة الى المقة بقيادة الجنرال ستيوارت والقصد بها سرعة الوصول الى الخرطوم . وسارت حملة اخرى على النيل الى بربر بقيادة الجنرال ايل . وكنا بمن سار برفقة حملة العطور فشهدنا واقائعها وسمعنا اطلاق مدافعها ورنات قنابلها ورصاصها فقطعت الحملة جكدول قابا طليح فلاقاها العرب على الآبار فحصلت بين الفريقين واقعة شفت عن انهزام العرب فتمتعهم الانكليز الى المقة ساروا بقيادة الجنرال ستيوارت ليلاً وقد كنت في جناتهم في تلك الليلة الليلاء فكنا سائرين لا نرى شيئاً من آثار الطريق المؤدي الى المسكن المقصود لشدة الظلام فاضطررنا الى الاستدلال عليها بالابرة المغنطيسية (البصلة) والنجم القطبي وكنا تارة نصعد على آكام متعسين وطوراً نعتز ارجل جمالنا باعشاب او أنجم شوكية ولم تكن نخرج صوتاً ولا نقدح ناراً لئلا يكون بقرنا من الاعداء من يستطلع احوالنا فتحبط مقاصدنا . ولم يأت آخر الليل حتى اصبحنا وليس فينا من لم يأخذ منه النفس . أخذاً عظيماً . وكانت تأخذ من احدنا سنة الوسن وهو على ظهر الجمل فينتبه وهو على وشك السقوط فيعتدل

وعند ما أصبح يوم غرة ربيع اخر او ١٨ يناير اشرفنا على النيل المبارك عن بعد والمقة عن يسارنا ولم نكد نقف والغزاة في الضحى حتى خرج الينا من اسوار المدينة (المقة) جيش جرار من العربان وقفوا على مرمى رصاص منا وقد حالوا بيننا وبين النيل وجعلوا يطلقون علينا النار من وراء الاشجار والصخور فامر الجنرال ستيوارت بالترجل وانشاء زريبة وما كدنا نفعل حتى احتدمت نيران العدو فامر الجنرال بتشكيل مربع ثم وقف وراء احد المدافع ويده المنتظر يراقب حركات العدو فاماتبه رصاصة في بطنه فسقط على الارض وسقطت قلوبنا معه . وكان مجاهدي المستر سانكي هربرت كاتب سر الجنرال المذكور فسانته ما ظنه ب حياة الجنرال فاجاب متأسفاً انه لا

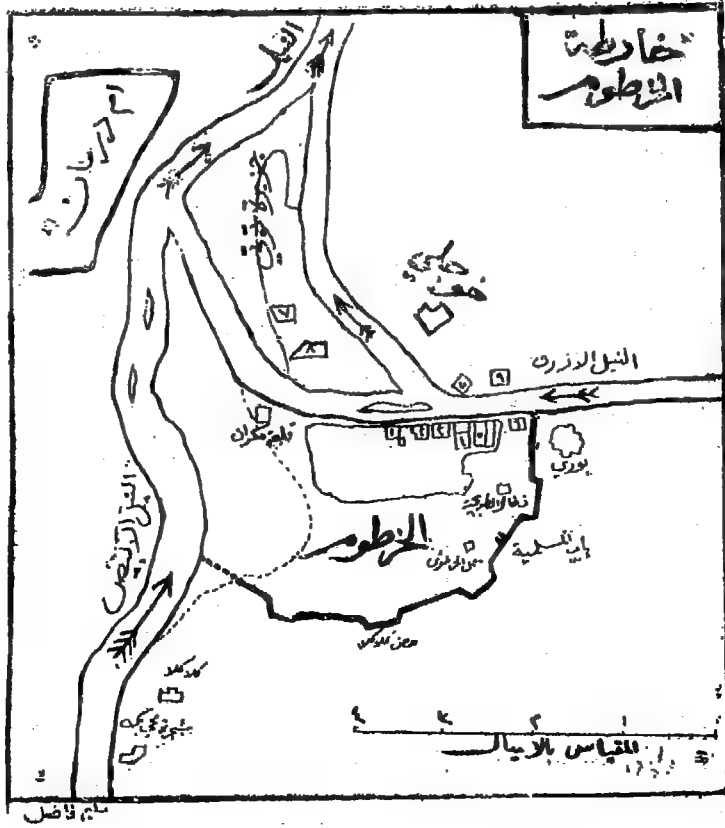
يرجوه شفاء . وما اتم كلامه حتى اصيب هو برصاصة في راسه فشقق وسقط ميتاً لا حراك به وكان خادمه بجانبه يخاطبه في بعض حاجاته فلما رآه ساقطاً رفع يده منادياً يا سيدي يا سيدي ولم يتم قوله حتى اصيبت يده عند المعصم برصاصة ثقتها من الجانب الواحد الى الآخر . وكنا نرى كثيرين غيره يسقطون مثل تلك السقطة . فلا تسلم عما حل بالجند من اليأس الا انهم تجلدوا واقاموا عليهم اكبر ضباطهم قائداً فاقموا تشكيل المربع بعد ان رفعوا الجنرال جريحاً جرحاً بايناً لم يش بعده اكثر من شهر واحد فأت عند انسحاب الحملة ودفن عند آبار جكدول في وسط الصحراء

فسار المربع ونحن داخله قاصداً النيل فهاجنا الاعداء ببسالة غريبة ثم ما لبثوا ان اقتربوا من مربعا حتى تشتت شملهم فسرنا حتى ادركنا النيل عند الظلام بعد مفارقتنا اياه نحواً من اسبوعين فحينئذ نجية ملتاح وعسكرنا على ضفته للمبيت تلك الليلة . وفي الصباح التالي جاءت العساكر مع من كان معهم في الزرية ثم انتقلنا الى قرية جنوبي المقة يقال لها القبة

وكان غوردون قد اتفد للملاقاة تلك الحملة اربع بواخر كانت في مياه الخرطوم ليستعينوا بها في الوصول اليه وبعث يقول لهم انكم اذا لم تصلوا النيل في بضعة ايام ذهبنا هباء منثوراً وقد علم السير شارلس ولسن خلف الجنرال ستيوارت على تلك الحملة بذلك في ٢١ يناير وكان يجب ان يبادر حالا الى الخرطوم بدلاً من ان يقضي اربعة ايام بجوار المتمة بلا داع فغادرها في ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥ على باخرتين لم تصلا الخرطوم الا في ٢٨ منه وكانت قد سقطت وقتل غوردون في ٢٦ منه فعاد السير شارلس كاسف البال ولم يصل المتمة الا بعد شق الانفس لان باخريته انكسرت واصابه من الخطر ما لا محل لتفصيله هنا

سقوط الخرطوم

اما كيفية سقوط الخرطوم فعلى ما يأتي . من تأمل هذه الخارطة (ش ٩٦) علم ان الخرطوم واقعة موقعاً طبيعياً حصيناً للغاية فهي محاطة من الشمال والغرب بالنيل ومن الجنوب والغرب بسور منيع ورائه من الخارج خندق عميق والجند قائمون على السور ليلاً ونهاراً ويزي بين بنايات الخرطوم وسورها ارضاً لا بناء فيها وقد ذكرنا ان المهدي حاصر الخرطوم وشدد الحصار عليها لكي تسلم من الجوع فلم تمض مدة حتى انباء جواسيسه ان حملة انكليزية قادمة لاقاذا الخرطوم وغوردون قبعث اليها جنداً لاقاها في ابي طليح تحت قيادة موسى ولد الحلو وابي صافية فعادت خاسرة فارسل جنداً آخر الى المتمة بقيادة نور عنجة فانكسر ايضاً كما تقدم . فلما



ش ٩٦ : دلالات الأرقام في خريطة الخرطوم

- (١) الحكدارية (٢) السراي (٣) حواصل الخنطة (٤) الترسانة
(٥) القشلاق (٦) طاية بوري (٧) مخازن البارود (٨) قرية توتي
(٩) الطاية البحرية (١٠) السراي الشرقية

بلغه خبر انكسار رجاله اراد التوجه على اتباعه فامر باطلاق مئة قنبلة وقنبلة وهي اشارة النصر عندهم فاطمان الدراويش ولكن محمد احمد جمع امراءه وخلفاءه في جلسة سرية وقال لهم ان الحضرة جاءت فاوحت اليه ان يهاجر الى الابيض . فاعترضه الامير محمد عبد الكريم قائلاً « ان الهجرة ميسورة لنا في كل حين والطريق الى الابيض مطلق لنا فلنهاجم الخرطوم أولاً فأذا امتنعت علينا هاجرنا الى الابيض واذا فتحناها فلا يقوى الانكليز ولا غريم على اخذها منا » فاستحسن المهدي رايه وصبر بضعة ايام وهو يستقصي اخبار الانكليز وحركاتهم . وفي ٢٥ يناير بلغه قيام الباخريين من المثة

فاقر على مهاجمة المدينة في صباح اليوم التالي (يوم الاثنين في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥) فبعث الى القوات المحاصرة يقول انه علم بالوحي ان الله قد جدل ارواح اهل الخرطوم كلها في قبضته

وفي مساء ذلك اليوم ٢٥ منه قطع المهدي النيل الابيض من ام درمان وكل من اراد الجهاد معه ونزل الى معسكر ولد النجومي في كلا كلا وخطب هناك خطاباً حث رجاله فيه على الجهاد واوصاهم ان لا يقتلوا غوردون باشا . ولما تم خطابه عاد ببطانته الى ام درمان وفي الصباح التالي ٢٦ منه الساعة الاولى بعد نصف الليل زحف الدراويش من كلا كلا بقيادة ولد النجومي وانقسموا فرقتين فرقة تهاجم السور بين النيل الابيض وباب المسلية وفرقة تهاجمه من ناحية بوري (انظر الخارطة) وكان السور بين باب المسلية والنيل الابيض قد تهدم بعضه مما يلي النيل لمجاورته ارضاً يغمرها ماء النيل في فيضانه ترى حدودها في الخارطة منقطة . وكان الماء قد انحسر عنه اذ ذاك وتهدم بعضه فتكونت فيه ثغور دائمة عليه بتقطيع السور هناك الى قط . فعول الدراويش على ان يدخلوا المدينة من تلك الثغور على انهم اذا فازوا بالدخول منها عدلوا عن الهجوم من جهة بوري ودخل القسمان معاً من جهة النيل الابيض

مقتل غوردون

فزحفوا سكوتاً حفاة تحت جناح الليل لا تسمع لهم حركة حتي صاروا عند تلك الثغور فردموا الخندق ووسعوا الثغور وصاحوا صباح الحرب قائلين « في سبيل الله » ودخلوا يزاحم بعضهم بعضاً وقد غاصوا في الاوحال الى الركب فبغتت الحامية فاطاعة بعض الطلقات وكان فرج باشا قائد الحصون على باب المسلية فانتبه الاو قد قضي الامر ولم تبق فائدة بالدفاع ففتح الباب وسلم فانها للدراويش على المدينة كالسيل وهم ينادون « للكنيسة .. للسراي » وامنعوا في الاهالي المساكين قتلاً ونهباً لم يبقوا ولم يندروا . وسار بضعة منهم الى السراي حيث يقم غوردون وكان قد يئس من قدوم الحملة وبات تلك الليلة حوالي نصف الليل ولم يكن يغمض جفنه حتى سمع اطلاق النار فصعد الى سطح السراي واشرف على الاسوار فرأى العرب قد دخلوا السور ولم يعد باليد حيلة فلبس ثيابه وتقلد سلاحه وهم بالنزول فلاقاه ثلاثة من الدراويش في اعلى السلم فسأل اولهم قائلاً « ابن محمد احمد » فأجاب بطعنة قاضية وضربه آخر بالسيف نحره قتيلاً ولم يده دفاعاً . ويقال ان قتلته من رجال ولد النجومي ولم يكن ولد النجومي معهم فجاء بعدئذ فساءه قتله فأمرهم بحرق جثته الى باحة السراي وان يقطع راسه ويحمل الى المهدي في ام درمان فحملوه اليه في منديل كبير في الساعة الاولى من النهار وكان سلاطين مقيدة

في خيمته بام درمان وقد سمع اطلاق المدافع وعلم بهجوم العرب على الخرطوم ثم سمع
بفتحها فوقف حزينا كئيبا فرحاملو راس غوردون به ويدهم رجل اسمه شطا كان
يعرفه سلاتين قبلا فكشف له عن راس غوردون وقال « اليس هذا راس
عمك الكافر »

فان ذلك المنظر في سلاتين كثيرا وكان قد هزل جسمه من الاسر والخوف وكاد
يغمى عليه ولكنه تجلد وقال بصوت ضعيف « انه مات في سبيل الدفاع عن واجباته
هنيئا له فقد استراح من متاعبه » فقال له شطا ضاحكا « اتمدح الكافر انك ستاتي ما
لقيه قريبا » فتأمل حال سلاتين اذ ذاك



ش ٩٧ : راس غوردون يريه الدراويش لسلاتين باشا

ثم حملوا الراس الى المهدي فظهر كبره لذلك وكان سلاتين يظن ان المهدي لو
اراد ان يبق عليه واوصى رجاله بذلك ما نجرا احد على مخالفة اوامره
هكذا سقطت الخرطوم عاصمة السودان في ايدي الدراويش وبسقوطها سقط
كل امل بافتتاحها . ولكن المهدي لم يبق فيها بل اقام في ام درمان وبني هناك مدينة
جعلها عاصمة ملكه من ذلك الحين
اما الحملة الانكليزية فانها تسببت من المقة الى كورني فاقامت هناك مدة ثم عادت
الى دنقلا فصر فسببت معها كل من اراد مراقبتها من سكان شمالي كورني واصبحت
السودان من ذلك الحين مملكة المهدي السوداني

موت المهدي وخلافة التعايشي

فلما فتحت الخرطوم وعادت الحملة الانكليزية الى مصر ازداد الناس وثوقاً بدعوى المهدي مع ما شاهدوه من توفيقه في مشروعاته فانه كاد لا يشهد موقعة الا انتصر فيها ولا حاصر مدينة الا فتحها . واذا اعتبرت ما لاقت الحملة الانكليزية القادمة لا تقاذ غوردون من العراقيل والعوائق عجبت لما اتفق لمحمد احمد هذا من غرائب التوفيق . فالتخذ اشياعه ذلك دليلاً على كرامته وايقن هو انه اصبح المالك المتصرف في السودان من اقصائه الى اقصائه وخيل له انه سيفتح الامصار ويخضع الملوك والسلطين فننتشر سلطته في الخافقين . على انه لم يكن يرجو ان يتم ذلك كله على يده ولكنه كان يقول انه لن يموت الا بعد فتح الحرمين وبيت المقدس ثم ينزل الكوفة ويموت فيها . ولكن ساء قاله لانه لم يكن يؤيد سلطته ويقيم في طاصمته «ام درمان» بضعة اشهر حتى داهمته الوفاة في ٢١ يونيو سنة ١٨٨٥ فيها على اثر اصابة شديدة بالحملتي التيفوسية لم تنجع فيها حيلة ففارق هذا العالم على عنقرب «سرير سوداني» وحوله خلفاؤه الثلاثة وخاصة امرائه منهم احمد ولد سليمان ومحمد ولد البصير وعثمان ولد احمد والسيد الملكي . فلما شعر المهدي بدنو الاجل قال لمن حوله بصوت منخفض «ان النبي صلى الله عليه وسلم اختار الخليفة عبد الله خليفة لي وهو مني وانا منه فاطيعوه ما اطعوني . استغفر الله» ثم تلا الشهادتين وجعل يديه متعطمتين على صدره واسلم الروح

ولم يكذب بخرج النفس الاخير من انفاسه حتى تقدم الحضور فبايعوا عبد الله وسموه «خليفة المهدي» وكان في جملة من حضرموت المهدي امرائه طائفة ويدعونها «ستنام المؤمنين» فسارت لابلاغ خبر وفاته الى نساائه الاخريات وتعزيتهن وكان الناس قد تجمهروا مئات والوفاء حول المنزل ينتظرون الخبر عن سيدهم ومهديهم فلما علموا بموته ضجوا وصاحوا فلوغز اليهم ان البكاء والندب حرام لان المهدي انما فارق مقامه في الارض بمجرد ارادته ليلقي وجهه ربه . ففعلوا الجنة ولفوها بالاكفان واحترفوا لها حفرة في تلك الغرفة حيث فارقها الروح ودفنوها وجعلوا فوقها بعد ذلك مقاماً من الخشب يغشاها ستر اسود وبثوا فوقه قبة وسموا ذلك المقام «قبة المهدي» يزورها الناس للتبرك واحترفوا بجباب القبة بئراً يستقي الزائرون منها للشرب وللوضوء وحول القبة درايزون من الخشب «ش ٩٩»

وكان سلاطين باشا قندال العفون المهدي قبل وفاته خلعت قيوده وعاد الى ممية التعايشي فشاهد تلك الحوادث شهادة عين ووصفها في كتابه السيف والنار والسودان وصفاً تاماً



ش ٩٨ : طيب المهدي

فبعد دفن المهدي سار خليفته عبد الله الى الجامع وخطب في الناس وانبأهم بوفاة المهدي فبكى وبكى الناس ثم اوصاهم بالطاعة والاتحاد للعمل باوامره وبعد الخطبة تقدم الناس لمبايعته فتلوا صورة المبايعة التي ذكرناها قبل الان ولكنه غير العبارة الاولى منها فجعلها « يايعنا الله ورسول الله ومهدينا ويايعناك على توحيد الله الخ »

اوصاف المهدي

كان محمد احمد طويل القامة عريض المنكبين اسمر اللون قائمه قوي البنية . وكان اول قيامه بدعوته ربيع القامة فاصبح في او اواخر ايامه سميناً ضخماً . وكان كبير الراس عريض الجبهة حاد العينين اسودهما خفيف اللحية اسودها وعلى خديه آثار الاخايد العرضية الثلاثة من كل جانب كسائر الدناقلة ابناء قبيلته . وكان متناسب الانف والقم لا ينفك



ش ٩٩ : قبة المهدي وفيها قبره

مبتسماً فتظهر أسنانه وبين الاماميتين منها فلجة تشبه الثمانية « ٨ » تعد عند السودايين وغيرهم من المشاركة علامة السعد ويقال لصاحبها أفلج وكان ذلك من جملة ما حجب المهدي الى النساء وكن يسمينه « ابو فلجة »

وكان يلبس جبة بيضاء قصيرة مضربة تراها دائماً مفسولة نظيفة مطيبة برائحة خشب الصندل والمسك وعطر الورد وكان مشهوراً بين أتباعه بهذه الرائحة حتى نسبوها اليه فسموها « رائحة المهدي » وذكر بعضهم خطأً كان في خده ادعى انه من علامات المهدوية

وقد علمت من تدبر ترجمة حاله انه كان نبياً مدبراً رضي الخلق حسن السياسة ماهراً في التأثير على عواطف الناس اذا تكلم ظهر للسامعين ان جوارحه كلها تتكلم

فاذا ذكر مآثم بني الانسان او وصف النعيم المقبل او حث على الجهاد بكى وتخضع وابكى السامعين . ويظهر من مجمل سيرة حياته انه صبور على البلوى كاظم للغيظ مسالم للاحزاب محسن اليهم راغب في امتلاك قلوبهم باللطيف وحسن الاسلوب وكان ذلك من اكبر العوامل في نشر دعوته وقيام الناس بنصرته ولو امد الله في اجله لكان فتح السودان صعباً على الجنود المصرية نظراً لاستهلاك قواده في سبيل نصرته . اما خلفيته فكان على غير خلقه من الدين والدعة والمسألة الى حد حاج غير الخليفين الآخرين وغيرهما من الامراء فقام الشقاق بين الدراويش فضغت عزائمهم وفدت امورهم وتضعفت احوالهم وسهل الفتح على المصريين

تعاليمه

ذكرنا في ماتقدم ما كان من اعماله الحربية منذ ظهوره الى وفاته فتقتصر الآن على ذكر ما احدثه من التعاليم والتقاليد بين مسلمي السودان :

(١) علم الزهد في الدنيا وملذاتها وبند المجد الدنيوي فابطل الرتب والالقاب الرسمية وغير الرسمية وساوى بين الغني والفقير وفرض على اتباعه لباساً واحداً يمتازون به ويدل على تزهدهم وهو الجبة المرقعة

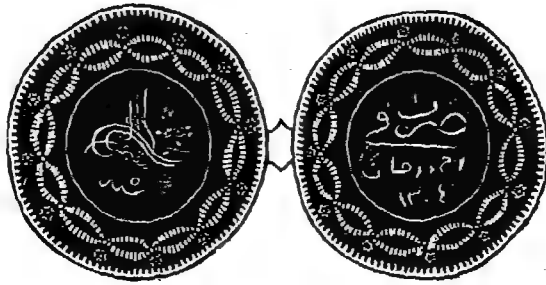
(٢) جمع المذاهب الاربعة (المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي) ووحدها بتسوية بعض ما بينها من الخلاف والغاء البعض الآخر واختار آيات من القرآن الكريم تتلى كل يوم بعد صلاة الصبح وصلاة العصر سماها « الراتب » وسهل طرق الوضوء

(٣) حرّم الاحتفال بالاعراس احتفالاً يدعو الى النفقة ومنع شرب الخمر وغيرهما مما يتناولونه في الاعراس وخفض مهر الزواج فجعله عشرة ريالات وبدلتين للبكر وخمسة ريالات وبدلتين للثيب وجازى من يخالف ذلك بسلب امواله كلها . وابدل ولائم الاعراس بطعام من التمر واللبن فتسهلت بذلك وسائل الزينة على الفقراء وقد كانت نفقات العرس الباهظة حائلة بينهم وبين الاقتران

(٤) ابطال الرقص واللعب ومن رقص او لعب فقصاصه الجلد واخذ امواله وترى تفصيل ذلك في منشور المهدي الذي تقدم نشره

(٥) منع الحج الى الحرمين خوفاً على قواته من التفريق وتعاليمه من الضياع لعلمه انها تخالف تعاليم اهل الاسلام . ووضع قصاصاً على من يشك في دعوته او يتردد في تنفيذ اوامره ان تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ويكفى لثبوت التهمة عليه شهادة

شاهدين وقد يكفي ان يدعي علمه ذلك بالوحي . وتأيداً لدعوته احرق كل كتاب او ورقة تخالف هذه التعاليم
وقد ضرب المهدي نقوداً باسمه هذه صورة قطعة فضية منها بحجمها الطبيعي (ش ١٠٠) على احد وجهيها اسم المدينة التي ضربت فيها « ام درمان » وعند اسفل ذلك تاريخ ١٣٠٤ هـ وهي سنة استقلالهم بالاقطار السودانية وفي اعلاها رقم واحد يقصدون به السنة الاولى من سلطنتهم . وعلى الوجه الآخر ما يشبه الطغراء يقرأ منها كلمة « مقبول » كأنهم يريدون بها ان هذه النقود مقبولة عند حكومتهم وعند اسفل الطغراء يقرأ سنة ٥ ربما يقصدون بها السنة الخامسة من ظهور المهدي او هجرته



ش ١٠٠ : نقود المهدي

وكان المهدي قد بعث امراءه الى الانحاء لبث دعوته وتأيد سلطنته وحث الناس للمهاجرة الى ام درمان فسعى محمد خالد في دارفور قائم اخضاعها وسار ابو عنجه الى كردوفان وكانت قد سلمت الى المهدي الاسكان الجبال الجنوبية منها فاخضع بعضهم وبقي البعض الآخر مستقلاً اما ما بقي من السودان الغربي من ضفاف النيل الايض الى حدود وداي فقد دانت المهدي برمتها

السودان الشرقي

اما في السودان الشرقي فازالت سنار وكسلا محاصرين وقد دافعت حاميتهم دفاعاً حسناً حتى اضطرت الى التسليم فلم تنقض سنة ١٨٨٥ حتى بلغ نفوذ المهدي وسلطته جنوباً الى لادو من مديرية خط الاستواء ولم يبق من السودان في حوزة الحكومة المصرية الا سواكن وحدها

واتفق في اثناء حصار سنار ان القوة المحاصرة لها كانت تحت قيادة الامير عبد الكريم وهو من اقارب المهدي فدفعته حامية سنار فانفذ التعايشي ولد النجومي وهو من اعظم قواد الدراويش ففتحها في اغسطس سنة ١٨٨٥ فبعث التعايشي الى عبد الكريم ان يأتي هو ورجاله الى ام درمان وكان قد اخذ معه لحصار سنار الجنود السودانية بلواء الخليفة محمد الشريف وهو من اقارب المهدي ايضاً فلما فتحت سنار على يد ولد النجومي ثم دعي عبد الكريم الى ام درمان حمل عبد الكريم ذلك من التعايشي محل الاهانة له وذاع على الالسنه اذ ذاك ان عبد الكريم قال لو ضمت اليه رجاله ورجال الخليفة الشريف لخرج الخلافة من يد التعايشي ودفعها الى الخليفة الشريف لانه اولى بها من ذلك . فبلغ ذلك الكلام مسمع التعايشي فبعث الى اخيه يعقوب وهو عمه وقائد جنده واختبره الخبر واوصاه ان يكون الجند على استعداد عند وصول عبد الكريم . فلما وصل عبد الكريم لاقاه التعايشي بالتحية والتهنئة واننى على ما بذله في حصار سنار ثم شرفه وبعث الى الخليفين وسائر الاشراف (اقارب المهدي) فادخلهم غرفة داخلية ولما استتب بهم المقام امر كاتبه قتل اعليهم منشوراً كان قد كتبه للمهدي في الايض يحرض اتباعه به على طاعة التعايشي

فلما تمت تلاوة المنشور قال عبد الله ان عبد الكريم خائن فانكروا ذلك عليه ودافعوا عن صداقته وامانته فتظاهر بالعنف عنه ولكنه اشترط اخراج الجنود السودانية من قيادته الى قيادة اخيه يعقوب فقبل الشريف وسائر الاقارب بذلك رغم ارادتهم ثم اشار التعايشي الى الخليفة علي ولد الحلو بطرف عينه ان يجددوا المباينة وبين الطاعة فوضعوا ايديهم على القرآن واقسموا ان يسلوا الجنود السودانية وان يحافظوا على الطاعة . ولا ريب ان الشريف ورجاله فعلوا ذلك قهراً . وفي انفسهم حزازات يودون لو انهم يذهبون بحياة التعايشي . وكانت تلك الحادثة امثلة ذات بال اصبح بها مقاوموه مقصومي الاجنحة لا يستطيعون حراكاً ولكنهم حققوها عليه واخذ كل من الفريقين ينظر الى الآخر بعين الحذر . على ان الظواهر كانت تدل على اتحاد وارتباط متينين . اما التعايشي فما انضك يدعو الناس من الجهات البعيدة للمهاجرة الى ام درمان ليعمرها ويحشد فيها قوة عظمى يستعملها عند الحاجة

حرب الاحباش

وفي اثناء ذلك تعدى بعض السودانيين على الاحباش في بلاد الحبشة واخربوا كنيسة من كنائسهم والتجأ المتعدون الى قلايات وهي في بلاد الدراويش مما يلي حدود الحبشة فقام حاكم المدينة فجاء الاحباش بمجندين كبير تحت قيادة الرس اادل

واخربوا البلدة واحرقوها حتى صارت قفراً بأوي اليها الضباع والذئاب وساقوا الاولاد والنساء اسارى الى الحبشة . فبلغ النعاشي ذلك فكتب الى يوحنا نجاشي الحبشة اذذاك ان يرسل الاسرى ويعين الفدية التي يريدونها ولكن بعث ايضا يونس احد قواده بجند الى قلابات وامره ان يحصنها ويقيم فيها حتى يأتيه امر اخر

وبعد قليل جاء نباء ان يونس في ضيق فبعث ابا عنجة يتولى قيادة الدراويش في قلابات فسار في جنده وانقذه من ضيقه . وقبض على ١١ اميراً ظهر انهم قاتلوا على قتل يونس وبعث الى الخليفة يستشير في امرهم فبعث اليه ان يقتلهم ثم ندم فبعث ان لا يفعل ولكن سبق السيف العزل

فجمع ابو عنجه هذه القوة وسار نحو راس عادل لينتقم منه فوفق في هذه الحملة على غير انتظار وتغلب على رجال راس عادل واخرجهم من محلتهم واستولى على الخيم والمؤن وكل الامتعة واسر امراؤه راس عادل وابنته . وكان بهذه الغلبة قد فتح كل مقاطعة محيرة فسار توجاً الى غندر على امل ان يلاقي فيها خزائن واموالاً فلم يجد شيئاً فاحرق البلدة وعاد وهو ينهب ويسلب كل ما مر به بطريقه حتى ساقوا امامهم قطعاً من لساء الاحباش واطفالهم سوق الاغنام فلما وصلوا قلابات بعثوا الاسرى الى ام درمان فاخذ الخليفة خمسهم وضموا الباقي الى بيت المال وقد مات منهم في الطريق مئات من الجوع والتعب واصبح الطريق بين قلابات وابي حراز مملوءاً بجثث اولئك المساكين وفي جملتها جثث ابنة راس عادل وابنة لكن المنية طاجلت ابا عنجة فمات ولم يتجاوز ٣٢ سنة من عمره ثم ما لبث النجاشي ملك الحبشة ان جند للانتقام من الدراويش على خراب غندر فحمل بجند كبير على قلابات وكانت جنود ابي عنجه لا تزال هناك ولم تفقد الا قائدها الاكبر فتأهبوا للدفاع فوصل النجاشي وعسكر بالقرب من قلابات وانتهت الحرب بهرب الاحباش وقتل ملكهم وتركوا المعسكر غنيمة للدراويش فوجدوا في جملة الغنائم تاج النجاشي يوحنا مصنوعاً من الفضة ومجلى بالذهب وسيفه وكتاباً مرسلأ اليه من ملكة الانكليز فحملوا ذلك غنيمة الى ام درمان

فتح مصر

ومن اغرب مطامع النعاشي فتح مصر وضمها الى مملكته على حين ان المهدي نفسه لم يجاهر بذلك صريحاً . فلما توفي هذا كتب النعاشي كتاباً الى جلالة السلطان وآخر الى سمو الخديوي وآخر الى ملكة الانكليز يطلب اليهم جميعاً ان يسلموا له ويدعوا لسلطانه وارسل الكتب مع رسل خصوصيين الى مصر فعاد الرسل ولم ينالوا جواباً غير الاحتقار والازدراء فشق ذلك عليه وحقد عليه عليهم



مبنى ١٠١: مجلس الشاي وقضاء

فلما قدر له بالفوز على الاحباش حدثته نفسه ان يجرّد على مصر فيفتحها ويقيم
لنخاساً من البقارة او الثعالب اميراً يتولى حكومتها او يأتي هو بجلالة قدره من يثته
في ام درمان فينصب عنقريه في سراي هابدين ا

ولم يرَ بين قواده اولى بهذه المهمة من عبد الرحمن ولد النجومي وكان من اشده
الدرأوش بطشاً واصبهم مراساً واكثرهم استهلاكا في نصرة الدعوة وكان قبل ظهور
المهدي تاجراً بين مصر والسودان قد خبر الارض وعرف الطرق فارسله في حملة
اكثرها من قبائل الجمالين والداقله وغيرهم ممن جاوزوا حدود مصر العليا وخالطوا

سكان تلك الاقاليم متظاهراً ان قصده بذلك فتح مصر برجال هم ادرى بها من غيرهم . ولكن الحقيقة انه لم يجهل الخطر الذي يهدد ذلك المشروع فلم يدخل في تلك الحملة احداً من اقاربه وابناء عشيرته ولا من قبائل البقارة وغيرهم من عرب غربي النيل الايض لانهم من حزبه فاذا خرم لحين الحاجة اما الدناقلة والجمالين فاكثرتهم من حزب الخليفة محمد الشريف وقد رايت ما بينه وبين التعايشي وما كان من تغير قلوبهما فما انفك هذا بعد ذلك يعتبر الشريف عدواً له تحت طي الخفاء فبعث احزابه في حملته هذه وفي فئته انهم اذا فتحوا مصر عاد الفخر له واتسعت مملكته واذا انكسروا تقهقروا الى دنقلا وقد ضعف شأنهم وتخلص هو من دسائسهم

فجعل دنقلا محط رحال تلك الحملة واقام يونس ولد الدغيم اميراً على دنقلا يقيم فيها ويدير شؤونها وولد النجمي يقود الحملة ولا يعمل الا بمشورة يونس فلما اعدّ التعايشي تلك الحملة بعث كتباً اخرى الى مصر وفيها الانذار الاخير فبقي الرسل مدة في اصوان ثم اعيدوا بلا جواب فبعث التعايشي راس النجاشي يوحنا الى يونس امير دنقلا على ان يرسله الى وادي حلفا تهديداً للمصريين . وامر ان يسير ولد النجمي بحملته على مصر فلا يحرك ساكناً في حلفا بل يهاجم اصوان فاذا فتحها يقيم فيها حتى تأتية اوامر اخرى

فخرج ولد النجمي من دنقلا في مايو سنة ١٨٨٩ في جيش لا نظام له والحكومة المصرية عالة بكل حركة من حله وترحاله . وكان سردار الجيش المصري اذ ذاك الجنرال غرانفل باشا المشهور بالتأني وصدق الروية فضلاً عن الرقة ولين الجانب فحصى حلفا واصوان وسائر الحدود

فلما دنت حملة الدراويش من ارجين بجوار حلفا اقتربت شزيمة منهم الى النيل وولد النجمي لا يعلم بها فخرجت اليها الحامية المصرية بقيادة وودهاوس باشا فكسروها شر كسرة

وكان غرانفل باشا قد خرج من اصوان فبعث الى ولد النجمي يبين له خطر موقفه وينصح له ان يسلم فيسلم فأبى فسار السردار بجيش معظمه على البر الغربي للنيل وبعضه على البر الشرقي لان الدراويش كانوا قادمين على البر الغربي جرت بينهم وبين الحاميات مناوشات ليست بذات بال حتى وصلوا توشكي وهناك حصات الواقعة التي قضت على تلك الحملة فقتل قائدها وتشتت شملها واليك التفصيل

واقعة توشكي

توشكي قرية حقيرة على البر الشرقي وبعضها على البر الغربي للنيل بين كروسكو وحلفا على بضعة أميال من هيكل ابي سمبل شمالاً مؤلفة من اعشاش صغيرة من الطوب والقش متفرقة على ضفة النيل في مسافة من الارض على موازاة النيل يبلغ طولها ثلاثة أميال وعرضها منه الى الصحراء نحو نصف ميل وفيها بعض التخييل

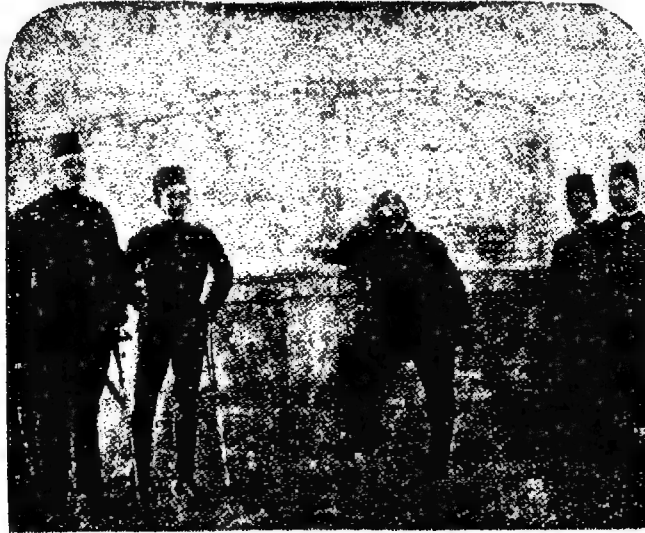
وفي البر الغربي مقابل توشكي على بعد اربعة أميال منها جنوباً سلسلة تلال عالية من حجر الغرانيت تمتد من الضفة غرباً نحو ثلاثة أميال في الصحراء وعند طرف هذه السلسلة والى جنوبها كان معسكر الدراويش بقيادة ولد النجومي وعلى نحو تلك المسافة شمالاً سلسلة اخرى . وبين السلسلتين سهل متصل بالصحراء وفيه حصات الواقعة

وكان السردار مقيماً في توشكي فبعث طلائعه في صباح ٣ اغسطس سنة ١٨٨٩ باكرراً لاستكشاف معسكر العدو فعادوا واخبروا بان العرب يستعدون للمسير فخرج السردار لمجرد الاستكشاف فلم يكده بشرف على معسكرهم حتى رآهم هاجين كالجراد فبعث الى الجند في توشكي وكان بعضهم لم يتناول طعاماً ولا تهيأ للمسير فساروا بسرعة من ملح البعير وهم لم يأكلوا بعد ولا حملوا من الماء الا شيئاً قليلاً فصمم السردار اذ ذاك ان لا يكف عن الدراويش حتى يشتت شمائمهم في ذلك اليوم وكان قد علم بما كانوا فيه من الضيق والجوع . وهاك اساء الارط التي شهدت تلك الواقعة وهي الارطة التاسعة بقيادة البكباشي لويده والعائنة بقيادة البكباشي دن والكثيرة بقيادة البيوزباشي كمستر والطبيعية بقيادة البكباشي رندل فضلاً عن القيادة الراكين والاورطة الثانية من البيادة جاءت متأخرة وقال الذين شهدوا واقعة توشكي ان الارط السودانية عمات في ذلك اليوم اعمالاً عجيبية وبالغوا برغبتهم في الحرب حتى عصوا اوامر قوادهم لما دعواهم الى الكف عنها والخلاصة ان الواقعة المشار اليها لم تنقض الى الساعة الثانية بعد الظهر من ذلك اليوم (٣ اغسطس سنة ١٨٨٩) . وبلغ عدد قتلى الدراويش ١٢٠٠ قتيل وزاد عدد اسراهم على اربعة آلاف وفيهم النساء والاولاد فضلاً عن الاسلاب والاعلام والسيوف والرماح ولم يقتل من الجيش المصري الا ٢٥ وجرح ١٤٠

ووجد بين قتلى الدراويش اذ ذاك اعظم امراء تلك الحملة ما عدا عثمان الازرق وعلي ولد سعد وحسن النجومي ومبرغني سوار الذهب وشيخ الايض فقد نجح هؤلاء بنحو ألف واربعمائة شريد وهم الذين استطاعوا الفرار من تلك الموقعة فقط . اما ولد النجومي فقد قتل وحز رأسه وجيء به الى السردار

فكان ذلك النصر مبيّناً سرّاً به المغفور له الخديوي السابق فبعث الى السردار يهنئ به لعلمه انه امثولة عامت التعايشي ما لم يكن يعام . اما الذين قتلوا من الجنود المصرية فابتنوا لهم مقاماً قرب مكان الواقعة ضموهم اليه وبنوا فوقه قبراً نقشوا فوقه باللغة العربية حفرّاً على واجهة القبر كتابة هذا نصها

« شيد هذا الاثر تذكراً لواقعة توشكي التي حصلت في ٦ الحجة سنة ١٣٠٦ هـ وانهزم فيها جيش العصاة السوداني المرسل تحت امرة عبد الرحمن ولد النجومى فتشتتوا بعد قتل اميرهم وكان الجيش المصري تحت قيادة سعادة السردار غرانفل باشا وفي هذا القبر دفنت جثث العساكر المصرية الذين استشهدوا وهم بالميدان »



ش ١٠٢: توديق باشا في توشكي

وبعد الواقعة سار الخديوي السابق في بعض رجال معيته لتفقد احوال الحدود فركب الى مكان تلك الواقعة ووقف امام قبر شهدائها ينأمل ما اظهره جنده من البسالة في ذلك القتال . وقد نشرنا رسمه رحمه الله واقفاً امام ذلك القبر وقد اسند راسه على كفه متأملاً (الظر الشكل ١٠٢)

﴿ قحط عظيم ﴾ وكان خبر ذلك الانكسار صدمة قوية على الدراويش في ام درمان فمر فواقدر انفسهم ووقفوا عند حدهم ولكنهم لم يكادوا يتخلصون من عواقب تلك

الكسرة حتى داهمهم قحط غلت فيه اثمان الحنطة وقل الزاد واشتدت وطأة الجوع على الفقراء حتى اكلوا سيور الجلد التي يشدون بها مقاعدهم فكثرت النهب وازداد الضغط وكانت وطأة الجوع في الغالب اشد على المارين بام درمان والقادمين اليها بما باهلهما حتى انصلت الحاجة ببعضهم الى بيع اولادهم بيع الرقيق انقاذاً لهم من الموت جوعاً . قال سلاطين « وكانت الجثث ملقاة في الشوارع والمنازل مئات وليس من يدفنها فاصدر النعاشي منشوراً قال فيه ان كل صاحب منزل مطالب بدفن الجثث التي تشاهد ملقاة قرب منزله فقلت الجثث على الشوارع ولكن بعضهم كانوا يحفرون حفراً بقرب المنازل يدفنونها بها تخلصاً من مشقة الحمل الى المدافن . وكانت مياه النيلين الازرق والابيض تجري امام ام درمان حاملة مئات من الجثث فارق اصحابها الحياة على ضفاف النيل او بالقرب منها فالتقوها اهلهم او اصحابهم فيه » وخلاصة القول ان الجوع اهلك من الدراويش اضعاف ما ابادته الحروب منذ ظهور المهدي الى ذلك اليوم . ورافق هذا الضيق جراد جارف اكل ما بقي من الزرع

على ان النعاشي ما زال يث دعائه في سائر الانحاء لتأييد دعوته وكانت بقية من خط الاستواء لا تزال على ولاء الحكومة بقيادة امين باشا فانفذت المانيا حملة بقيادة ستانلي الرحالة الشهير لانقاذ امين باشا ففاست في سبيل ذلك مشقات جسيمة تمكنت بعدها من الخروج به وبعض الحامية فدخلت مديرية خط الاستواء بحوزة الدراويش ولم يبق للحكومة من السودان المصري الا سواكن وطوكر

وقد فصانا تاريخ النعاشي واصله وصفاته واخلاقه ومناقبه وحكومته وادارتها من حيث الجند والمالية والقضاء والبريد وسائر احوالها مطولاً في الجزء الاول من كتابنا تراجم مشاهير الشرق نكتفي منها هنا بوصف حكومته :

حكومة النعاشي وادارتها واعمالها

١- المالية

تسمى المالية عند الدراويش « بيت المال » او هي بيوت المال يختص كل بيت منها بنوع من انواع الدخل والخرج اهمها خمسة وهي : ١ بيت المال العمومي ٢ بيت مال الملازمين ٣ بيت مال الخمس للخليفة ٤ بيت مال ورشة الحربية ٥ بيت مال ضابطة السوق

« بيت المال العمومي » : هو عبارة عن الخزانة العمومية لمملكة الدراويش يجمع دخلها من المصادر الآتية : ١ الزكاة والفقرة ٢ الاسلاب والغنائم المكتسبة بالحرب ٣ العشور وهي ما يدفعه التجار على بضائعهم (المكس) ٤ ضريبة



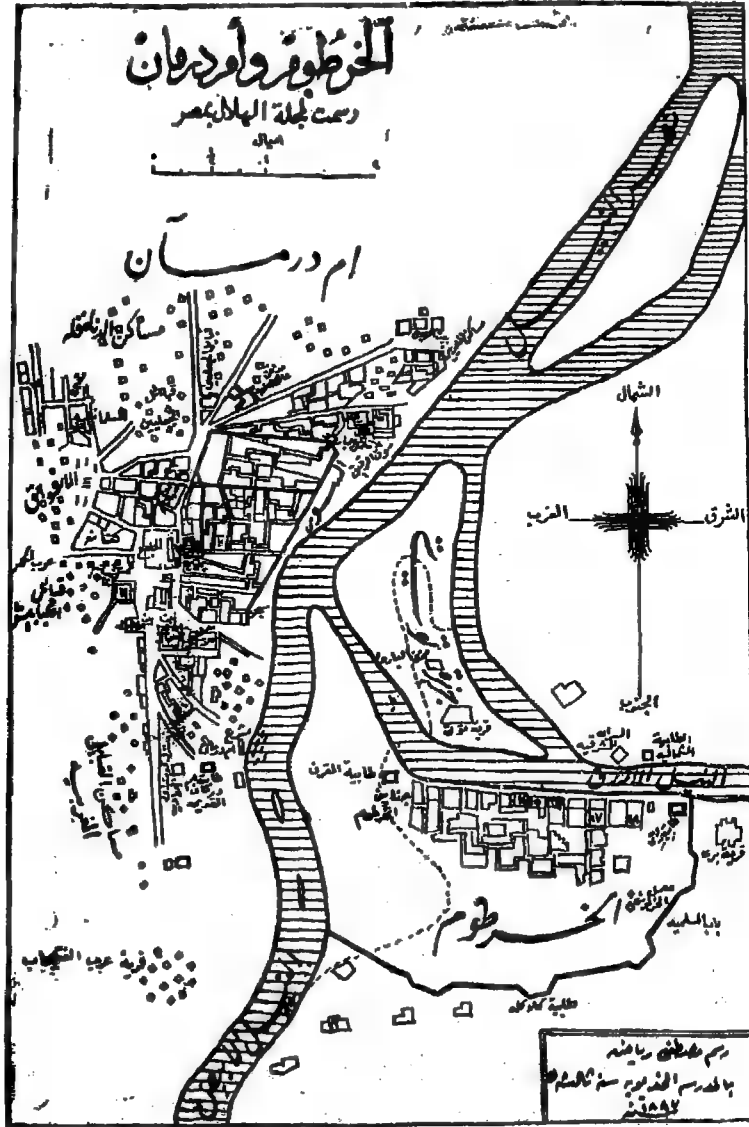
ش ١٠٣ : عبد الله التعايشي

الصنع ٥ ضريبة الفوارب ٦ قروض يمقدها بيت المال مع التجار ولا ينوي دفعها ٧ ضرائب العبور في النيل من ضفة الى اخرى (المعديات) ٨ غلة الارض الواقعة غربي النيل الابيض وشرقي النيل الازرق وهي تمتد جنوباً الى كركوج وفشوده وشمالاً الى حجر العسل ٩ معين يستولي عليه بيت المال العمومي من بيوت المال الاخرى

واما نفقات بيت المال العمومي فهي : ١ نفقات قتل الجيوش ومؤنهم وذخائرهم الى المديرية والمقاطعات ٢ اعطيات الجند (رواتب الجهادية) ٣ رواتب المستخدمين ٤ الصدقات

* بيت مال الملازمين * : ويراد به خزينة الملازمين وهم جند التعايشي الخصوصيين ومنهم حراسه وياورانه . يجمع دخل هذه الخزينة من محاصيل ارض الجزيرة (بين النيلين الابيض والازرق) واما نفقاتها فمحصورة في رواتب الملازمين * بيت مال الحسن لل خليفة * : وهو اشبه شيء بالخزينة الخاصة ودخله من المصادر الآتية : ١ معظم ما يفضل في خزائن المديرية بعد نفقاتها المعلومة ٢ محاصيل الجزائر الواقعة في النيل وفي جملتها جزيرة توتي تجاه الخرطوم ومحصول ارض الغنمية ومنها حلفاية وكلمين وكانتا قبلا من املاك الخاصة الخديوية ٣ عشر البضائع التي

تد من بربر الى ام درمان ٤ اثمان العبيد الذين يرسلون من المديرات ٥ محصول
اكثر البواخر والسفن. اما خرج بيت مال الخليفة فمحصور في ثقافات منزله الخصوصي



ش ١٠٤: خارطة الخرطوم وام درمان في زمن التماشي

بيت مال ورشة الحربية : ويشية خزينه الحربية عندنا دخله من : ١ غلة

جنائن الخرطوم ٢ محصول بعض السواقي بجوار الخرطوم ٣ العاج الوارد من
خط الاستواء . وخرجه من : ١ نفقات البحرية ٢ نفقات الترسانة ويسمونها بيت
الامانة ٣ استخراج ملح البارود وتلقيته ٤ نفقات معمل الاسلحة



ش ١٠٥ : عبد الله النعاشي يقطع النيل ويحرض رجاله على القتال

﴿ بيت مال ضابطة الدوق ﴾ : وهي خزانة الضابطة دخله من اموال السكيرين
والمقامرين التي يحكم النعاشي بضبطها ومن ضريبة الحوانيت . واما نفقاته فعلى ما يأتي :
١ رواتب الضابطة من الانفار والضباط ٢ نفقات بيت الضيافة وهو ليعقوب اخي
عبد الله النعاشي ٣ نفقات بناء السور الكبير لام درمان . هذه هي اقسام المالية من

الدخل والخرج اما المقادير التي تدخل وتخرج فلا تيسر معرفتها

٢ - النقود والتجارة

لما قام المهدي بدعوته ووفق الى فتح المديرية استولى على خزائنها واموال اهلها فكان ينفق بما وصل الى يديه من ذلك وهي النقود الدارجة في السودان على عهد الحكومة الميرية اهمها الريال المجيدي والريال ابو مدفع فلما اتسعت مملكته وفدت تلك الاموال اخذ في ضرب النقود باسمه اشار عليه بضربها احمد ولد سليمان ف ضرب نقوداً فضية شبيهة بالريال المصري نشرنا رسمها وجنيهاً شبيهة بالجنيهاً المصرية . ولكنهم لم يكونوا يضبطون المقادير اللازمة من كل معدن منها . وكان الذهب قليلاً بين ايديهم فكفوا عن ضرب الجنيه واكثروا من ضرب النقود الفضية ف ضربوا منها ضربات عديدة تعرف باسماء خاصة بها منها « ريال المهدي » وهذا احسنها كلها ومنها « مقبول » و « ابو سدر » وكلاهما من ضرب القيرافوي . و « ابو كيس » وعليه رسم رحمن متصاليين . و « العملة الجديدة » . على انهم اخذوا ينقصون مقدار الفضة بالنسبة الى النحاس شيئاً فشيئاً حتى صارت نسبة الفضة الى النحاس كنسبة ٢ الى ٥ وكانت في بادىء الراي ٧ الى ١ اي ان الريال كان يحتوي سبعة اجزاء من الفضة وجزءاً من النحاس وهو ريال المهدي فصار يحتوي جزئين من الفضة وخمسة من النحاس وذلك دليل على فقر السودان وفساد حكومته . على ان دار ضرب النقود كان يتخذها كبار الدراويش تجارة يكتسبون بها اموالاً طائلة لانها تعطى حكرأ او ضمانة ومن قوانينها ان براسها اثنان معاً يدفع الواحد منهما ستة الاف ريال كل شهر وما يضربانه من النقود يجب ان يكون مقبولا لدى التجار وغيرهم فاذا اعترض احد على صحتها او تمنع عن قبولها فعقابه الجلد اوسلب الاموال . فالريال صار يستبدله تجاراً درمان بنائية ريالاً من العملة الجديدة ويستبدلون الريال ابا مدفع بخمسة ريالاً فاضطروا ملافاة لما يلحقهم من الخسارة بهذه المعاملة ان يرفعوا اثمان بضائعهم حتى بلغ ثمن شقة البقعة الزرقاء التي يصطنعون منها ثياب النساء ستة ريالاً وكان ثمنها على عهد الحكومة المصرية ثلاثة ارباع الريال . واصبح رطل السكر (الرطل ١٤٤ درهماً) بريالين . ومن الغريب ان غلاء الاثمان قاصر على البضائع الواردة من مصر اما ما يجلب من السودان فاثمنه بخسة بالنسبة الى تلك فالجمل مثلاً يساوي ستين ريالاً والبقرة مائة ريال وارذب الذرة ستة ريالاً والخروف خمسة ريالاً فاكثر

٣ - قواته

وأما قواته ومقدارها كان عنده من الذخيرة والمؤونة قبيل ذهاب دولته فمعظمها من المشاة حملة السيوف والرماح وعددهم ٤٦٠٠٠ ومن الخيالة ٦٦٠٠ ومن العساكر الجهادية ٣٤٣٥٠ وجملة ذلك نحو مائة ألف وخمسة آلاف مقاتل وعدد الأسلحة ٧٤ مدفعاً و ٤٠٣٥٠ بندقية هذه قوات النعاشي الرسمية ولكنها كانت تتضاعف بما ينضم إليها من القبائل القائمة بنصرته

٤ - القضاء

كان القضاء منوطاً عندهم بالقضاة وكبيرهم يسمى « قاضي الاسلام » وجميعهم آلات صماء يد النعاشي فلا يصدر عن حكم إلا كما يوحى به اليهم ما خلا القضايا الطفيفة من الاحوال الشخصية وما شاكلها فتقضاة الدراويش بهذا الاعتبار بين جاذبين قوين ضميرهم والاحكام الشرعية من جهة وإرادة النعاشي من جهة أخرى وهالك اسما قضاء ام درمان عام ١٨٩٥

- | | |
|-----------------------|-------------------|
| (١) حسين ولد زهرة | من قبيلة الجمالين |
| (٢) سليمان ولد الحجاز | » » الحجاب |
| (٣) حسين ولد قيسو | » » الحمر |
| (٤) احمد ولد حمدان | » » العراقيين |
| (٥) عثمان ولد احمد | » » البطاحين |

(٦) عبد القادر ولد ام مريم وكان قاضي كلا كلا على عهد الحكومة المصرية

(٧) محمد ولد المفتي وهو قاضي المواد الجزئية بين الملازمين

وهناك قضاة آخرون للقبائل الغربية اذا حضروا الجلسة لا يصدر عن حكم بل يبدون رأيهم . اما شيخ الاسلام فهو حسين ولد زهرة المتقدم ذكره اول القضاة تلقى الفقه في مدرسة الجامع الازهر وهو اعلم اهل السودان كافة مع الميل الى العدالة وكثيراً ما اصدر احكاماً تنطبق على مقتضى الشريعة الفراء وتخالف ارادة النعاشي فاصبح النعاشي غير راض عنه تمام الرضى وقبلاً يدعوه لحضور الجلسات

واساس الاحكام عندهم الشريعة الاسلامية وتعاليم المهدي التي اشرنا اليها في كلامنا عن اوصاف المهدي وتعاليمه ويزعمون ان هذه التعاليم انما وضعها المهدي لاهياء ما كاد يندثر من احكام الشريعة الفراء بالاممال . وام تلك التعاليم الاعنة او بان محمد احمد هو المهدي المنتظر حقيقة ومن شك في ذلك فعقابه القتل

وواجبات فاضي الملازمين الحكم فيما يعرض بين الملازمين او بينهم وبين عامة الناس

وفي الحالة الثانية فالحق دائماً في جانب الملازمين . وهناك قاضيان ملحقان ببيت المال ينظران في القضايا المتعلقة بالاحكام الشرعية من جهة بيع الرقيق وشرائه . وعندهم قاض يقيم في السوق ليحكم في الامور النفيفة التي تعرض هناك

فتح ام درمان وذهاب دولة الدراويش
تلك حال حكومة الدراويش سنة ١٨٩٦ ثم توالى عليها النخس وجندت الحكومتان
المصرية والانكليزية لتهربها بمحملة مختلطة من الانكليز والمصريين بقيادة السردار



ش ١٠٦ : كيتشنر باشا بعد فتح ام درمان

كيتشنر باشا وجرت في اثناء الطريق من حلقا الى الخرطوم وقائع قاسى فيها الجند مشاق
عديدة من مجلتها واقعة الالبرة وفيها قبضوا على الامير محمود ابن عم النعاشي وقيد اسيراً
كما ترى في الشكل ١٠٢ مع نحو ٢٠٠٠ من رجاله وما كان معهم من الغنائم . واستعد
السردار من هناك للزحف على ام درمان
وبلغ النعاشي ذلك فجتمع ذوي شؤراء فاشار عليه بعضهم بالهجرة فغضب وامر بضرب

ذلك الناصح وقال « اني محارب حتى اقتل » وامر بالتحصين وبناء الطوابي لاتقاء نيران مدافع العدو التي ستطلق عليهم من الليل . ولم يجده ذلك نفعا فان الجنود المتحدة وصلت ام درمان في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ وخرج التعايشي للافانها . وبعد ثلاث هجمات متوالية اضطر التعايشي للفرار بعد ان ينس من الفوز وتحقق ان اخاه يعقوب قد مات .



ش ١٠٧ : الامير محمود ابن عم التعايشي وهو اسير

واحتل الجند المتحد ام درمان ورفعوا عليها الرايتين المصرية والانكليزية ولما علم السردار بفراره بعث في اثره كوكبة من السواري ومعهم سلاتين باشا برقا وارسل مدرعتين بحرا فعادوا ولم يدركوه

وفي اليوم التالي استولوا على اوراق الخليفة وكتبه من يثته . وامر السردار بنسف قبة

المهدي وبنش قبره وبعثت الجمعية الى معرض التحف في لندن وبعثت سائر عظامه . ثم قدموا بيت يعقوب اخي الخليفة وكانوا يظنون المال فيه فلم يجدوا شيئاً وتحققوا بعدئذ ان بعض رجال يعقوب لما تحققوا موته اتوا وخلعوا الابواب واخذوا الاموال . ثم ذهبوا الى بيت المال فلم يجدوا فيه ما يستحق الذكر الا ٢٠٠ قنطار عاج . ثم ذهبوا الى سجن الخليفة واطلقوا من كان فيه من المساجين وكلهم من موظفي الحكومة وعددهم نحو ١٤٠٠ رجل بين ملكي وعسكري

وبعد قليل نزل السردار كشنر باشا الى مصر ونال على هذا الفتح مكافأة جزيلة وسمي لورد الخرطوم ورفي الكولونيل ونجت بك مدير قلم الخبايا الى رتبة لواء وسمي ادجونت جنرال للجيش المصري . وحاولوا القبض على الثمايشي عبثاً وكانوا كلما طلبوه من مكان فر الى سواه حتى علم ونجت باشا في اواخر سنة ١٨٩٩ ان الثمايشي يتخفى للهجوم على ام درمان وعلم بمكانه فحمل عليه وحاربه في جديد حتى قتل في ٢٤ نوفمبر من تلك السنة وقتل معه الخليفة علي ود حلو واحمد فضيل والسنومي احمد اخو الخليفة من امه وهارون محمد اخوه وغيرهم وغنموا ما كان معهم من التخيصة والاموال وانقضت بذلك دولة العرايش وصارت السودان من ذلك الحين تحت سيطرة الدولتين الانكليزية والمصرية وسندكر نص الوفاق في كلامنا عن ولاية سمو الخديوي الحالي

عود الى ولاية توفيق باشا

قد فرغنا من الكلام على الحوادث السودانية الى اخرها وان تجاوزنا زمن الخديوي السابق رغبة في ترابط الحوادث فلنعد الى ما كان من احوال مصر بعد ما ذكرناه على اثر الحوادث العراية ونفي العرايين فنقول :

اول شيء باشرته انكلترا بعد قهر العرايين واعادة السيادة الى الجناح الخديوي انها انفذت اللورد دو فرين معتمداً من قبلها لتسوية المسائل المصرية وتنظيم تقرير بشأنها ولم يكن ذلك برضا الباب العالي . واخذ اللورد دو فرين منذ وصوله الى القاهرة يجتمع بالخديوي والوزراء ويتداول معهم في المسائل التي يجب النظر فيها بعد ان درس احوال البلاد ويبحث بنفسه عن الامور التي كان عاجزاً على وضعها . ثم حرر تقريره المشهور وارسله الى لندن في ٦ فبراير سنة ١٨٨٣ م بحث فيه بحثاً دقيقاً في حالة مصر السياسية والقضائية والمالية ودقق على الخصوص بديون الفلاحين . ثم شرع الانكليز في الغاء المراقبة الانكليزية الفرنسية للانفراد باهمل فكبر ذلك على فرنسا ولكنها لم تستطع امراً يمنع الغاءها فالتفت وجمعت



ش ١٠٨ : اللورد دوفرين

في مكانها باسم الحضرة الخديوية موظف مصري^١ دعوته مستشاراً مالياً وله الحق ان يحضر
في جلسات مجلس النظارة فتعين السير اوكلاند كولفن في هذا المنصب
اصلاحات جديدة

وفي اول مايو سنة ١٨٨٣ صدر الامر العالي بتشكيل المجالس الجديدة وغيرها على
هذه الصورة :

١ مجالس المديريات : مجلس في كل مديرية ويكون لها ان تقرر رسوماً فوق العادة
لصرفها في منافع عمومية تتعلق بالمديرية انما لا تكون قراراتها في هذا الشأن قطعية الا بعد
تصديق الحكومة عليها

٢ مجلس شورى القوانين : وفائده النظر في القوانين التي تسن حديثاً قبل نشرها
ولا يجوز اصدار قانون او امر يشتمل على لائحة ادارة عمومية ما لم يتقدم ابتداء الى هذا
المجلس لاخذ رايه فيه . وان لم تعول الحكومة على رايه فعليها ان تعلنه بالاسباب التي
اوجبت ذلك انما لا يترتب على اعلانه بهذه الاسباب جواز مناقشة فيها

٣ الجمعية العمومية : وهذه لا يجوز ربط اموال جديدة او رسوم على منقولات او عقارات او عوائد شخصية في القطر المصري الا بعد مباحثة الجمعية العمومية في ذلك وقرارها عليه

٤ مجلس شوري الحكومة : صدر الامر بتشكيله وتاجل بيان اغماله

ثم شرعت الحكومة في تنظيم الجيش المصري الجديد بعد ما الفت الجيش القديم على ما تقدم فانقبت من الضباط من لم يكن له بدء في الحوادث العراية واخذت بعد ذلك في تنظيم الجندرية والبوليس وجعلت السير افلن وود قائداً عاماً للجيش المصري وبأكر باشا قائداً للجندرية والبوليس فكان عدد الجندرية ٢٠٠٠ فارس و ٣٠٠٠ ماش . ثم تعين الجنرال السير افلن وود سرداراً للجيش المصري ورئيساً لاركان حربه . فاختر لمساعدته عدداً من الضباط الانكليز جعلهم في اركان حربه وعهد اليهم قيادة الفرق لتعليمها الحركات العسكرية

ثم نظمت المجالس المحلية ووضع لها قوانين عادلة وتعين لها رجال يقبضون على ازماتها وقد انصرف اليها ثم اللورد دوفرين فتشكلت لجنة تحت رئاسة نخريه باشا لانتقاء اللاتقين الذين يجب انظهم ليعهد اليهم بالعمل والادارة . واهم مجلس النظر في مسألة القضاة الاوريين فقررت لجنة التعديل ان يكون في كل مجلس ابتدائي اوريان وفي الاستئناف اربعة . وفي ٨ شعبان سنة ١٣٠٠ هـ (١٤ يونيو سنة ١٨٨٣ م) صدر الامر الخديوي بترتيب هذه المحاكم ولائحة قوانينها . ثم صدر الامر الخديوي بكل من القانون المدني والتجارة البرية والبحرية والمرافعات وتحقيق الجنايات

ثم اشارت انكلترا على مصر بعد تبديد جيش هيكل باشا باخلاء السودان . فقبلت ولم يقبل شريف باشا رئيس وزارتها فاستعفى وخلفه نوبار باشا في ٨ يناير سنة ١٨٨٤ وتكاثر الاشاعات على اثر ذلك عن مقاصد انكلترا بمصر وكثر القيل والقال حتى بين رجال انكلترا انفسهم . ثم عقد مؤتمر دولي في يونيو سنة ١٨٨٤ في لندن تحت رئاسة اللورد غرانفيل ناظر خارجية انكلترا للبحث في امور كثيرة تتعلق بمصر فقرر تعديلات كثيرة انتهت بلا نتيجة فلا حاجة الى ذكرها

وفي ذي القعدة سنة ١٣٠١ هـ (اوائل سبتمبر سنة ١٨٨٤ م) وفد على القطر المصري اللورد نورثبروك معتقداً من انكلترا للنظر في المسألة المالية واحوال الادارة الداخلية مستصحباً معه القاضي الهندي سميع الله خان بناء على رغبة اللورد في انتخاب قاض مسلم يصحبه الى مصر ويكون شريكاً له في هذه المهمة فتحدث الناس كثيراً بسبب قدوم هذا المعتد . اما هو فاخذ في ملاحظة ما آتى من اجله وطاف البلاد شهلاً

وجنوباً . وبعد ان قضى اياماً طويلاً عاد الى بلاده وحرر تقريراً رفعه الى حكومته فلم يحز قبولاً فنسجت عليه عناكب النسيان وعاد الباب العالي الى الاحتجاج على الاحتلال الانكليزي وبعد المخاطبة مع انكلترا تم الاتفاق في اكتوبر سنة ١٨٨٥ م على ارسال مختار باشا الغازي معقداً عن



ش ١٠٩ : مختار باشا الغازي

الدولة العلية في مصر وان ترسل انكلترا معه معقداً اسمه السير ووائف . فجاء مختار باشا وما زال . قميماً الى عهد قريب احتجاجاً حياً على الاحتلال الانكليزي

النقود المصرية الجديدة

ثم اهتمت الحكومة باصلاح نقودها باانشاء نقود جديدة وما زالت المسألة تحت البحث الى اواخر سنة ١٨٨٥ م فصدر امر طالع بتاريخ ٧ صفر سنة ١٣٠٣ هـ او ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٥ م مؤذن بضررها . وفي اواخر سنة ١٨٨٧ م ظهرت وتداولتها الايدي وهي مبنية على حساب الكسور العشرية تسهيلاً للمعاملة . وكيفية ذلك انهم

جعلوا قيمة الجنيه المصري مائة غرش كما كان قبلاً وقسموه الى الف جزء دعوا الواحد منها ملماً أي جزء من الف . فالللم هو جزء من الف من الجنيه المصري والعرش عشرة مليات والريال مائتا مللم (عشرون غرشاً) وهكذا . والجنيه واجزاؤه مصنوعة من الذهب والريالات واجزاؤها من الفضة والللم ومركباته الى ابي العشر مليات من النيكل . وقسموا الللم الى نصفين يعرف الواحد منهما بنصف عرش العرش وقسموا كلا من هذين القسمين الى نصفين يعرف الواحد منهما بربع عرش العرش أي جزء من اربعين من العرش وهي البارة وجميع اجزاء الللم مصنوعة من النحاس وترى في شكل ١١٠ مثال النقود المضروبة حديثاً وهذه القطعة تعرف بنصف ريال وقيمتها عشرة غروش او مائة مللم . وترى على احد وجهيها من الاسفل تاريخ سنة ١٢٩٣ هـ وهي السنة التي تولى بها السلطان عبد الحميد الخلافة العثمانية . ومن الاعلى رقم عشرة وهي السنة العاشرة من توليته وفيها ضربت هذه النقود . وترى على الوجه الاخر الطغراء العثمانية باسم عبد الحميد والى اسفائها رقم عشرة تحته حرف ش للدلالة على قيمة هذه القطعة اي عشرة غروش



ش ١١٠ : النقود المصرية الجديدة

اما قيم النقود الاجنبية بالنسبة للنقود المصرية فعلى الوجه الآتي :

اليرة الانكليزية تساوي	٢٠	٩٧	٩٧٥
» العثمانية	٣٠	٨٧	٨٧٧½
» الفرنسية (فانتى)	٠٦	٧٧	٧٧١½

ومضى عرفت قيم الليرات يمكنك استخراج قيم اجزاها

وفي السنة التالية (١٥ ابريل سنة ١٨٨٦) قررت الحكومة المصرية اقتضاء

ضرائب المنازل من الاجانب كما كانت تقتضيها من الوطنيين . وكان الاجاب معين منها الى ذلك الحين

وفاق بشأن الجلاء

وفي ١٧ ربيع آخر سنة ١٣٠٤ هـ او ١٣ يناير سنة ١٨٨٧ م ألح الباب العالي على الحكومة الانكليزية ان تعين زمن انجلاء جيوشها عن القطر المصري . فاجابت انها لا يمكنها ذلك الا متى استتب النظام فيها . وفي ٣ فبراير تقرر ان يكون جيش الاحتلال منحصراً في ثلاثة مراكز فيقيم في القاهرة ٢٩٠٠ جندي وفي الاسكندرية ٩٠٠ وفي اسوان ٤٠٠٠ وفي ١٥ جمادى الاولى او ٩ فبراير اقترح السير وولف معتمد انكلترا في الاستانة على الباب العالي الاقتراحات الآتية بما يتعلق بمصر وهي :

- ١ استقلال مصر تحت سيادة جلالة السلطان والغاء العهد والامتيازات الفصليّة
 - ٢ ان تكون حالة مصر من قبيل الحياد على مثال حالة بلجيكا
 - ٣ حرية المرور في قنال السويس في زمني الحرب والسلم
 - ٤ اخلاء انكلترا للقطر المصري بعد ان تجمع الدول على وجوب ذلك
- فتلقي جلالة السلطان هذه الاقتراحات بفتور وطلب ان يتقدم كل ذلك بتحديد انكلترا زمن الجلاء . وبعد النظر في هذه الاقتراحات مدة يومين رفضت
- و ٢٥ رجب سنة ١٣٠٤ هـ او ١٩ افريل سنة ١٨٨٧ م توفي شريف باشا رئيس مجلس النظار سابقاً وهو في اوربا يسعى في ترويح النفس فاسف الجميع على فقده وحملت جثته الى مصر ودفنت فيها

وفي ١١ شعبان او ٥ مايو منها عرضت انكلترا على الباب العالي ان يكون زمن احتلالها مصر خمس سنوات فطلب الباب العالي ان يكون ثلاث سنوات ولم يتقرر شيء . وفي اوائل يونيو عرض على الباب العالي وفاق بينه وبين انكلترا بشأن مصر وهالك نصه :

- ١ تبقى مصر كما هي حسب نصوص فرمانات السلطنة
- ٢ يبقى خليج السويس على الحياد وتضمن الدول سلامة مصر
- ٣ تبقى العساكر الانكليزية في مصر مدة ٣ سنوات وعند انقضائها يلبث الضباط الانكليز في رئاسة الجيش المصري سنتين
- ٤ لا تخرج انكلترا عساكرها من مصر بعد ختام السنة الثالثة من التوقيع على الوفاق اذا حدث اضطراب جديد في مصر داخلياً كان ام خارجياً
- ٥ يحق لانكلترا احتلال مصر بمساعدة العساكر العثمانية اذا وقع اختلال بها او خشي ان ترسل دولة اجنية عساكرها الى مصر

٦ تستدعي الدولة العلية وانكلترا بقية الدول للتصديق على هذا الوفاق وتطلبان من الدولة اجراء بعض التعديلات في المعاهدات الدولية المحولة للاجاب في مصر جملة امتيازات

وبعد المخبرات الطويلة بشأن هذا الوفاق رفض الباب العالي المصادقة عليه وفي ٩ يونيو سنة ١٨٨٨ سقطت الوزارة النوبارية وعهد الخديوي بتشكيل وزارة جديدة الى رياض باشا والناس ما فتئوا منذ اعتزال رياض باشا الاعمال بعد حادثة عرابي يشخصون اليه باصرارهم وقد احاطت به آمالهم لما اشتهر به من الحب للشعب المصري ورغبته في اصلاح البلاد ولما له من الولع الخاص بالزراعة وهو مشهور بذلك شهرة تضاهي شهرته في حب العام وتنشيط ذويه . ومن مبادئه حرية الضمير والصرامة في اتباع الحق من حيث هو . وكثيراً ما قاده ذلك الى التنحي عن قبول منصب الوزارة في الاحوال التي كان يخشى معها تقييد افكاره ومخالفة مبادئه . فعند ما سقطت الوزارة النوبارية لم يكن الناس يصدقون ان رياض باشا يقبل ان يشكل وزارة جديدة . فلما انبأهم البرق بجلوسه على دسها وتقلده اعمال نظارتي الداخلية والمالية كادوا يطربون على اجنحة الآمال وتناولت اعناقهم استطلاعاً لما سيكون من امر هذه الوزارة الجديدة

وفي ايام وزارته انشئت المحاكم في الصعيد وتم ترميم القناطر الخيرية . وقد ادار شؤون الحكومة بحزم وصدق نية لكنه اغضب كثيرين واضطر الى الاستقالة في ٢٤ مايو سنة ١٨٩١ خلفه مصطفى باشا فهمي وظلت مقاليد الوزارة في قبضته حتى تولى الخديوي الحالي



عباس باشا حلمي

الخديوي الحالي

ولد سنة ١٨٧٤ وتولى العرش الخديوي سنة ١٨٩٢



ش ١١١ : عباس باشا حلمي الخديوي الحالي

حياته الشخصية

هو بكر الخديوي السابق ولد في ١٤ يوليو سنة ١٨٧٤ ولما توفي والده سنة ١٨٩٢ كان سموه اعزه الله في مدرسة فينا . وكان قبل ذهابه اليها قد تلقى في مدرسة طابدين التي شادها والده له ولدولة شقيقه البرنس محمد علي . فلما اتما دروسها فيها ارسلها والدها الى مدرسة جنيف بسويسرة فمكثا فيها مدة يجتهدان في تحصيل العلوم . ثم برحاها الى فينا وانتظما في مدرستها الملوكية العليا . وفي اثناء اقامتهما في تلك المدرسة استأذنا والدهما

المرحوم بالنجول في أنحاء أوروبا لاستطلاع أحوال تلك المدينة من مصادرها . فزارا ألمانيا وانكلترا وروسيا وإيطاليا وفرنسا ولقيا من ملوك هذه الممالك ترحاباً حسناً وزارا الممالك الأخرى

وفي سنة ١٨٨٩ عادوا إلى مصر واستأذنا والدهما المرحوم في زيارة معرض باريس لذلك العام فاجابهما إلى ذلك فلقيا هناك ترحاباً جيلاً وعادوا إلى المدرسة . وفي سنة ١٨٩١ طأنا إلى مصر في أثناء راحة المدرسة ثم رجعا إلى المدرسة في فينا . وفي ٨ يناير من السنة التالية عام ١٨٩٢ جاءهما النبأ البرقي بوقاة الخديوي السابق فاصبح سمو أكبرهما مولانا الأمير خديويًا على مصر من ذلك اليوم . ثم جاءت رسالة الصدر الأعظم بتعيينه على ذلك العرش فأسرع إلى مقر حكومته فوصل الإسكندرية في ١٦ يناير المذكور فاحتفل القطر بقدمه احتفالاً يليق بمقامه

واشتهر سمو الخديوي بالنعطف المصريين إليه أكثر مما إلى كل خديوي سواء لما يلاقونه من دعة ولطفه وصدق محبته لهم . ويمتاز عصره عن عصور سائر أسلافه بنهضة الأعلام واتساع نطاق الصحافة وإطلاق حرية المطبوعات وتكاثر المطابع والجراند والمجلات والمكاتب وسائر عوامل النهضة العلمية

وهو أوسع الخديويين اطلاعاً على أسباب المدينة الحديثة لأنه تتقف في مدارس أوروبا مع كثرة أسفاره إليها وإلى الأستانة . ولد ولي عهده البرنس محمد عبد المنعم في ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٩ وقد عهد بتعالجه وتثقيفه إلى شكري باشا وهو من أحسن العارفين بما يقتضيه منصب أمير مصر من الأصول والقواعد التي يجب أن يروض بها ولي العهد وقد سافر سموه إلى الحرمين سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩) لقضاء فريضة الحج فبرح موكبته القاهرة في ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٧ (١١ ديسمبر سنة ١٩٠٩) فوصل جدة في ١٤ ديسمبر وحلت ركابه في مكة فزار مناسك الحج وادى فرائضه وكان موضوع الاحترام والاعجاب حينما حل ثم يم المدينة فادى الزيارة وبرحها في ١٥ يناير سنة ١٩١٠ فوصل مصر في ٢٥ منه فزيت له العاصمة زينة لم يسبق لها مثيل

الوزارات في أيامه

وقد تقلب في أيام سموه وزراء هذه أسماء رؤسائها وتاريخ تشكيلها :

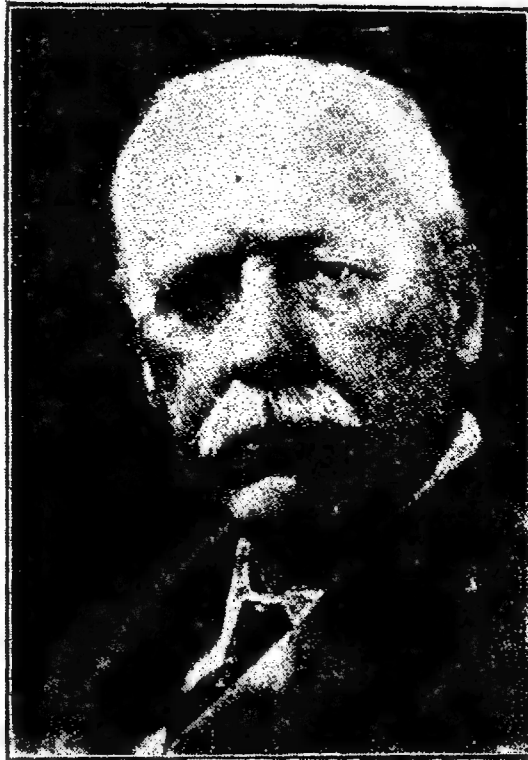
وزارة مصطفى باشا فهمي تشكأت في ١٤ مايو سنة ١٨٩١

« رياض باشا » ١٨ يناير ١٨٩٣

« نوبار باشا » ١٤ أبريل ١٨٩٤

وزارة مصطفى باشا فهمي تشكلت في ١١ نوفمبر سنة ١٨٩٥
 » بطرس باشا غالي » ١٠ » ١٩٠٨^(١)
 » محمد سعيد باشا » ٢١ فبراير ١٩١٠

وكل ما أجرته حكومة مصر على عهد الجناب الخديوي اتما جرى على ايدي وزرائه
 شأن الحكومات الدستورية الكبرى مع ما تقتضيه حالة مصر السياسية من قبول
 مشورة المختلين بلسان عميدهم . وكان العميد في اول حكم سمو الخديوي اللورد كرومر



ش ١١٢ : اللورد كرومر

وما زال اللورد كرومر في هذا المنصب الى ٦ مايو سنة ١٩٠٧ فابدلته انكلترا
 بالسير الدون غورست . وفي زمن اللورد كرومر تمكن نفوذ الانكليز في مصر وكثر
 نوابهم في الحكومة المصرية وهم المستشارون . ولا تخلو نظارة من مستشار او وكيل

(١) يمتاز تاريخ بطرس باشا غالي عن تواريخ سائر وزراء مصر انه مات مقتولاً عمداً بيد
 شاب اسمه ابراهيم الورداني تربس له وهو خارج من النظارة في رابطة النهار واطلق عليه عدة
 رصاصات مات على اثرها ثم حوكم القاتل وقتل

فضلاً عن المفتشين والمهندسين والقضاة ورؤساء المصالح ومديرها وغيرهم . فاعمال الحكومة المصرية يجريها الوزراء باسم الجنب الخديوي وبمصادقة سموه ومشورة الانكايين . وتسهلاً لتفهم الاعمال التي تمت على عهد سموه قسمها الى ابواب تبحث في كل منها على حدة فقول :

١ - الاعمال السياسية

نريد بهذا الباب ذكر ماجرى في زمن الجنب الخديوي مما يتعلق بالدول الاخرى وليس هو من قبيل ادارة البلاد الداخلية . واول تلك الاعمال تحديد نخوم مصر في فرمان الشاهاني . فقد صدر فرمان المذكور في ٢٧ شعبان سنة ١٣٠٩ او ٢٦ مارس ١٨٩٢ وفيه اختلاف عن فرمان الصادر للمرحوم توفيق الخديوي السابق من حيث حدود مصر الشرقية عند شبه جزيرة سيناء . فدارت الخبايا بين وزارة خارجية انكلترا والباب العالي بهذا الشأن حتى اصدر الصدر الاعظم ملحقاً تلغرافياً يخول الحكومة المصرية فيه ادارة شبه جزيرة سيناء مؤرخاً في ٨ ابريل من تلك السنة . وهذا نص فرمان المذكور بعد المقدمة :

فرمان الخديوي الحالي

« انه لدى وصول توقيعنا الهاموني الرفيع يكون معلوماً لكم انه بناء على ما قضى به الله من انتقال جنسكم محمد توفيق باشا خديوي مصر الى رحمة تعالى واعلاماً بمجمل التفاتنا ونظراً الى حسن خدامتكم وصدافتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا من ان لكم وقوراً ومعلومات تامة بمخصوص الاحوال المصرية وانكم كفء لاصلاحها وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المبينة في فرمان الشاهاني الصادر بتاريخ ٢ ربيع الثاني سنة ١٢٥٧ هـ والمبينة ايضاً في الخريطة الملحقة بالفرمان المذكور مع الاراضي المنضمة اليها طبقاً للفرمان الشاهاني الصادر بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٢٨١ هـ وذلك بمقتضى ارادتنا الشاهانية الصادرة في ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ هـ ولانكم اكبر اولاد جنسكم الخديوي المتوفى وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية توفيقاً للقاعدة المقررة بالفرمان الشاهاني الصادر في ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ هـ القاضي بان الخديوية المصرية تؤول الى اكبر الاولاد البكر فالبكر

« ولما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة اهليها ورفاهيتهم هي من المواد المهمة لدينا ومن اجل مرغوبتنا ومطلوبتنا كنا وجهنا فرماناً شاهانياً

لتحقيق هذه الغاية الحميدة بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٩٦هـ الى جنتمكان والدكم بتوليته الخديوية المصرية وضمناء المواد الآتية :

« ان جميع ايرادات الخديوية المصرية يكون تحصيلها واستيفائها باسمنا الشاهاني وحيث ان اهالي مصر ايضاً من تبعة دولتنا العلية وان الخديوية المصرية ملزمة بادارة امور المملكة الملكية والمالية والعملية بشرط ان لا يقع في حقهم ادنى ظلم ولا تعدى في وقت من الاوقات . فخدوي مصر يكون مأذوناً بوضع النظمات اللازمة الداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة . وايضاً يكون خديوي مصر مأذوناً بعقد وتحديد المشاركات مع مأدوري الدول الاجنبية بخصوص الجمرك والتجارة وكافة امور المملكة الداخلية لاجل ترقى الحرف والصنائع والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة والاجانب او الاهالي والاجانب مع امور ضابطة الاجانب بشرط عدم وقوع خلل بمعاهدات دولتنا العلية البوليقيقية وفي حقوق متبوعية مصر لها ولكن قبل اعلان الخديوية المشاركات التي تعتد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الى بابنا العالي . وايضاً يكون حازراً للتصرفات الكاملة في امور المالية لكنه لا يكون مأذوناً بعقد استقراض بوجه من الوجوه . وانما يكون مأذوناً بعقد استقراض بالاتفاق مع المدايين الحاضرين أو وكلائهم الذين يتعينون رسمياً وهذا الاستقراض يكون منحصراً في تسوية احوال المالية الحاضرة ومخصوصاً بها . وحيث ان الامتيازات التي اعطيت لمصر هي جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها الخديوية واودعت لديها فلا يجوز لاي سبب او وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها او بعضها او ترك قطعة ارض من الاراضي المصرية للغير مطلقاً ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠ الف ليرة عثمانية الذي هو الورك المقرر دفعه في كل سنة في اوانه . وكذلك جميع النقود التي تضرب في مصر تكون باسمنا الشاهاني ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ثمانية عشر الفا لان هذا القدر كاف لحفظ امنية بلاد مصر الداخلية في وقت السلم . ولكن حيث ان قوة مصر البرية والبحرية مرتبة كذلك من اجل دولتنا يجوز ان يزداد مقدار العساكر بالصورة التي تستدعي فيها حالة دولتنا العلية محاربة وتكون رايات العساكر البرية والبحرية والعلامات المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم . ويناح خديو مصر ان يعطي الضباط البرية والبحرية الى غاية رتبة امير الاي والمملكة الى الرتبة الثانية . ولا يرخص لخديوي مصر ان ينشيء سفناً مدرعة الا بعد الاذن وحصول رخصة صريحة قطعية اليه من دولتنا العلية . ومن اللزوم المحافظة على كل الشروط

السالفة الذكر واجتذاب وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادتنا السنية بإجراء المواد السابق ذكرها قد اصدرتنا امرنا هذا الجليل القدر الموشح اعلاه بخطنا الهيايوني وارسلناه »

« تحريراً في » ٢٧ شعبان المعظم سنة ١٣٠٩ من هجرة صاحب العزة والشرف »
 وهذا تلغراف الصدر الاعظم المقيم له :

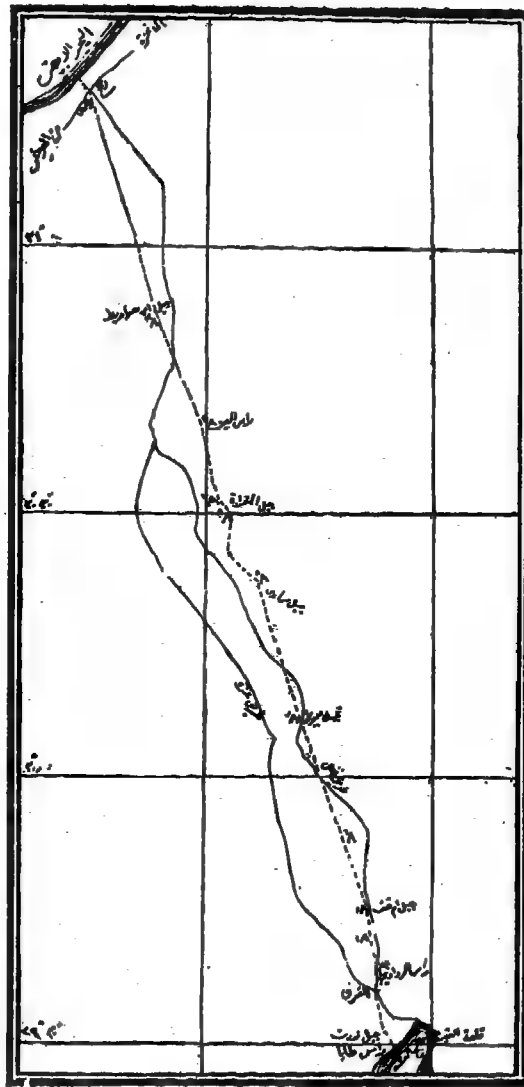
« معلوم لدى جنابكم العالي ان جلالة مولانا السلطان الاعظم كآ قد صرح للحكومة المصرية بوضع عدد كاف من الجند بمجبات الوجه والمويلح وطابا والعقبة الواقعة على شواطئ الحجاز . وكذلك في بعض جهات من شبه جزيرة طورسينا بسبب مرور الحمل المصري من طريق البر

» ولما كانت جميع هذه الجهات غير مبنية اصلاً في خريطة سنة ١٢٥٧ هـ المسلمة الى جنتمكان محمد علي باشا المدينة بها الحدود المصرية لذلك اعيد الوجه اخيراً الى ولاية الحجاز بمقتضى ارادة شاهانية كما اعيد اليها طابا والمويلح وضمت العقبة كذلك الان الى الولاية المذكورة . اما من جهة شبه جزيرة طورسينا فهي باقية على حالتها وتكون ادارتها بمعرفة الخديوية المصرية بالكيفية التي كانت مدارة بها في عهد جدكم اسماعيل باشا ووالدكم محمد توفيق باشا » اهـ

حدود مصر من الشرق

ثم وقع خلاف في اواخر سنة ١٩٠٦ على تلك الحدود الفاصلة بين مصر والشام وبعد مداوات طويلة بين مصر والباب العالي اتفق الجانبان على تعيين لجنة ينتدبها الباب العالي واخرى تنتدبها مصر . وقد انتخبت اللجنتان واجتمعتا على الحدود واقترتا على اتفاقية رسمية مؤرخة في اول اكتوبر سنة ١٩٠٦ وهذا نص موادها المتعلقة بالحدود وصورة الخريطة التي رسمت لايضاح ذلك :

المادة الاولى — يبدأ الخط الفاصل الاداري كما هو مبين بالخريطة المرفقة بهذه الاتفاقية من نقطة راس طابا الكائنة على الساحل الغربي لمخارج العقبة ويمتد الى قبة جبل فورت ماراً على رؤوس جبال طابا الشرقية المطلة على وادي طابا ثم من قمة جبل فورت يتجه الخط الفاصل بالاستقامات الآتية — من جبل فورت الى نقطة لا تتجاوز مائتي متر الى الشرق من قمة جبل فتحي باشا ومنها الى النقطة الحادثة من تلاقي امتداد هذا الخط بالعمود المقام من نقطة على مائتي متر من قمة جبل فتحي باشا على الخط الذي يربط مركز تلك القمة بنقطة المفرق (المفرق هو ملتقى طريق غزة الى العقبة



ش ١١٣ : خريطة الحدود بين مصر والشام

بـطـرـيـق نـخـل اـلـى العـقـبـة) و من قـطـة التـلـافـي المـذـكـورة اـلـى النـة الـتـي اـلـى الشـرـق مـن مـكان مـاء يـعـرف بـقـيـلة الرـدـادـي و المـطـلة عـلـى التـيـلة (بـحـث تـبـق التـيـلة غـرـبـي الـحـط) — و من هـنـاك — اـلـى قـة راس الرـدـادـي المـدـلـول عـلـيـها بـالـخـريـطـة المـذـكـورة اـعـلاه A_2 ٣ و من هـنـاك اـلـى راس جـبـل الصـفـرة المـدـلـول عـلـيه A_3 ٤ — و من هـنـاك اـلـى راس

القمة الشرقية لجبل ام قف الممدول عليها A ٥ ومن هناك الى نقطة ممدول عليها A ٦ الى الشمال من تميلة سويله ومنها الى نقطة ممدول عليها A ٨ الى غرب الشمال الغربي من جبل سماوى - ومن هناك الى قمة التلة التي الى غرب الشمال الغربي من بئر المغارة (وهو بئر في الفرع الشمالي من وادي ماين بحيث تكون البئر شرقى الخط الفاصل) - ومن هناك الى A ٩ - ومنها الى A ١٠ غربى جبل المقرأة - ومن هناك الى راس العين الممدول عليه A ١١ - ومن هناك الى نقطة جبل ام حواويط ممدول عليها A ١٢ ومن هناك الى منتصف المسافة بين عامودين قائمين تحت شجرة على مسافة ثلثائة وتسعين متراً الى الجنوب الغربي من بئر رفح والممدول عليه A ١٣ ومن هناك الى نقطة التلال الرملية في اتجاه مائتين وثمانين درجة (٢٨٠) من الشمال المغناطيسي (اعني ٨٠ درجة الى الغرب) وعلى مسافة اربعمائة وعشرين متراً في خط مستقيم من العامودين المذكورين - ومن هذه النقطة يمتد الخط مستقيماً باتجاه ثلثائة واربعة وثلاثين درجة (٣٣٤) من الشمال المغناطيسي (اعني ٢٦ درجة الى الغرب) الى شاطئ البحر الابيض المتوسط ماراً بثة خرائب على ساحل البحر الاحمر

المادة الثانية - قد دل على الخط الفاصل المذكور بالمادة الاولى بخط اسود منقطع في تسختي الخريطة المرفقة بهذه الاتفاقية والتي يوقع عليها الفريقان ويتبادلانها بنفس الوقت الذي يوقعان فيه على الاتفاقية ويتبادلانها

المادة الثالثة - تقام اعمدة على طول الخط الفاصل من النقطة التي على ساحل البحر الابيض المتوسط الى النقطة التي على ساحل خليج العقبة بحيث ان كل عامود منها يمكن رؤيته من العامود الذي يليه وذلك بحضور مندوبي الفريقين

المادة الرابعة - يحافظ على اعمدة الخط الفاصل هذه كل من الدولة العلية

والخديوية الجليلة المصرية

المادة الخامسة - اذا اقتضى في المستقبل تجديد هذه الاعمدة او الزيادة عليها فكل من الطرفين يرسل مندوباً وتطبق مواقع العمود التي تزداد على الخط الممدول عليه في الخريطة

المادة السادسة - جميع القبائل القاطنة في كلا الجانبين لها حق الانتفاع بالمياه حسب سابق عاداتها اي ان القديم يبقى على قدمه فيما يتعلق بذلك وتعطى التأمينات اللازمة بهذا الشأن الى العربان والمشاير وكذلك المساكين الشاهانية وافراد الاهالي والجنود من ينتمون من المياه التي بقيت غربي الخط الفاصل

المادة السابعة - لا يؤذن للعساكر الشاهانية والجنדרمة بالمرور الى غربي الخط الفاصل وهم مسلحون
المادة الثامنة - تبقى اهالي وعربان الجهتين على ما كانت عليه قبلاً من حيث ملكية المياه والحقول والاراضي في الجهتين كما هو متعارف بينهم « انتهى »
اتفاقية السودان

قد تقدم في كلامنا عن الحوادث السودانية ان السودان استرجع سنة ١٨٩٧ بمحملة مؤلفة من الجندين الانكليزي والمصري فاقتضى ذلك ان يكون للدولتين معاً. وقد وضعنا وفقاً بهذا الشأن وقعت عليه الحكومتان في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ هذا نص مواده :

١ - تطلق لفظة السودان في هذا الوفاق على جميع الاراضي الكائنة الى جنوبي الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهي :
اولاً الاراضي التي لم تحتلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢
ثانياً الاراضي التي كانت تحت ادارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان الاخيرة وفقدت منها وقتياً ثم اقتنتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد

ثالثاً الاراضي التي قد تفتتحتها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الان فصاعداً
٢ - يستعمل العلم البريطاني والعلم المصري معاً في البر والبحر بجميع انحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها الا العلم المصري فقط
٣ - تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية في السودان الى موظف واحد يلقب (حاكم عموم السودان) ويكون تعيينه بامر حال خديوي بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته الا بامر حال خديوي يصدر برضاء الحكومة البريطانية
٤ - القوانين وكافة الاوامر واللوائح التي يكون لها قوة القانون المعمول به والتي من شأنها تحسين ادارة حكومة السودان او تقرير حقوق الملكية فيه بجميع انواعها وكيفية ايلوتها والنصرف فيها يجوز سننها او تحريكها او نسخها من وقت الى آخر بمنشور بمن الحاكم العام وهذه القوانين والاورام واللوائح يجوز ان يسري مفعولها على جميع انحاء السودان او على جزء معلوم منه ويجوز ان يترتب عليها صراحة او ضمناً تحوير او نسخ اي قانون او اية لائحة من القوانين او اللوائح الموجودة
وعلى الحاكم العام ان يبلغ على الفور جميع المنشورات التي يصدرها من هذا القبيل

الى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة والى رئيس مجلس نظار الجنباب
العالي الخديوي

٥ - لا يسري على السودان او على جزء منه شيء ما من القوانين او الاوامر
العالية او القرارات الوزارية المصرية التي تصدر من الآن فصاعداً الا ما يصدر باجرائه
منها منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها

٦ - ان المنشور الذي يصدره حاكم عموم السودان ببيان الشروط التي بموجبها
يصرح للاوروبيين من اية جنسية كانت بحرية المتاجرة او السكنى بالسودان او تملك
ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا اية دولة او دول

٧ - لا تدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الاراضي المصرية حين
دخولها الى السودان ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة على البضائع القادمة
من غير الاراضي المصرية . الا انه في حالة ما اذا كانت تلك البضائع آتية الى السودان
عن طريق سواكن او اي ميناء آخر من مواني ساحل البحر الاحمر لا يجوز ان
تزيد الرسوم التي تحصل عليها عن القيمة الجاري تحصيلها حينئذ على مثالها من البضائع
الواردة الى البلاد المصرية من الخارج . ويجوز ان تقرر عوائد على البضائع التي تخرج
من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت الى آخر بالمشورات التي يصدرها
بهذا الشأن

٨ - فيما عدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة الحاكم المختاطة على اية جهة من
جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه

٩ - يعتبر السودان باجمعه ما عدا مدينة سواكن تحت الاحكام العرفية ويبقى
كذلك الى ان يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام

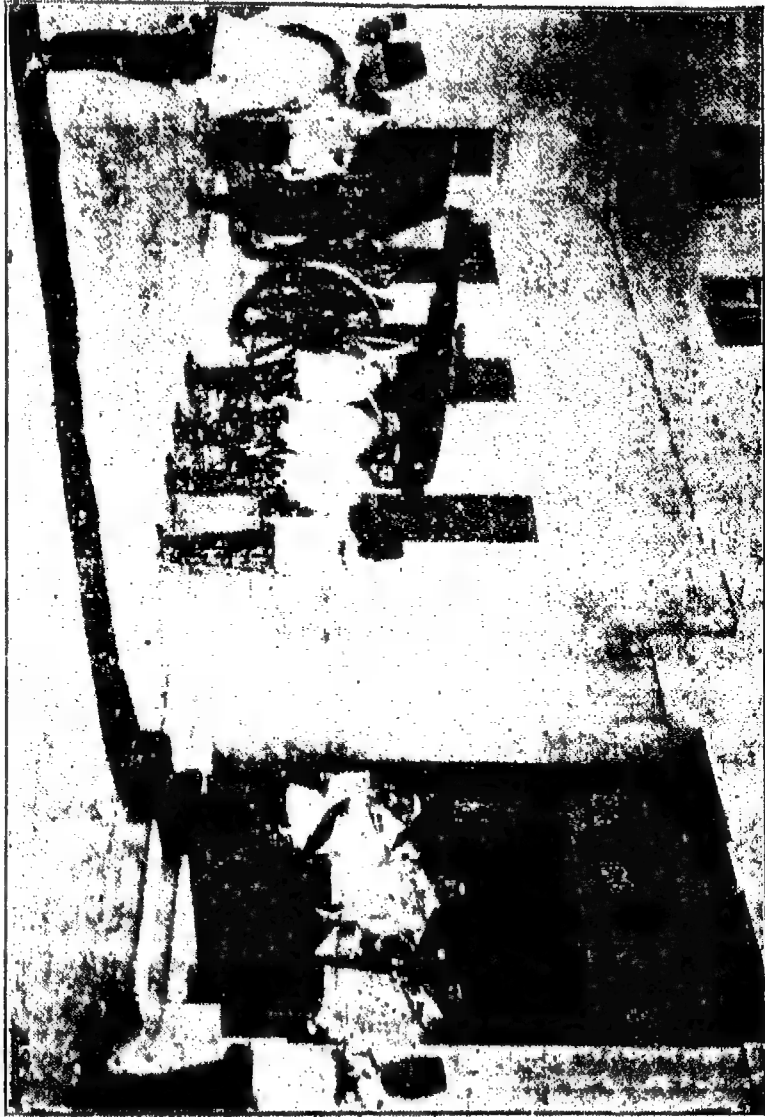
١٠ - لا يجوز تعيين قناصل او وكلاء قناصل او مأموري قنصلات بالسودان
ولا يصرح لهم بالاقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية

١١ - ممنوع منعاً مطلقاً ادخال الرقيق الى السودان او تصديره منه . وسيصدر
منشور بالاجراءات اللازمة اتخاذها لتنفيذ بهذا الشأن

١٢ - قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منها على تنفيذ
مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يوليو سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بادخال الاسلحة
النارية والذخائر الحربية والاشربة المقطرة او الروحية وبيعها او تشييلها » اه

تحريراً بالقاهرة في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩
(الامضاءات) « كرومر » « بطرس غالي »

ش ١١٤ : الجانب الخديوي يتر خطابه امام سراي الخرطوم



وشرف سمو الخديوي السودان سنة ١٩٠٢ وزار الخرطوم فتقبل بالاحتفاء
والاعظام وتلا في سراي الخرطوم خطاباً يمدح الرضى عن حالة السودان - وهذا رسم
سموه وهو يتلو الخطاب

الوفاق الانكليزي للفرنساوي

وبما يعد من قبيل الاعمال السياسية بمصر الاتفاق الذي عقد بين انكلترا وفرنسا في ٨ افريل سنة ١٩٠٤ فهو ذو شأن في سياسة مصر لان فرنسا اعترفت فيه باحتلال انكلترا مصر واطلقت يدها فيها وهذا نص الفقرة المتعلقة بذلك من الاتفاق المذكور : « نصحح حكومة جلالة الملك (انكلترا) انها لا تنوي تغيير حالة مصر السياسية . ونصحح حكومة الجمهورية الفرنسية انها لا تعيق عمل بريطانيا العظمى في مصر بطلب تحديد زمن الاحتلال الانكليزي او باي اسلوب آخر »

٢ - اعمال الادارية

يصعب تحديد ما جرى من الاصلاحات الادارية في عهد الجباب الخديوي ولكن يقال بالاجمال ان معظم ماتم في زمن الاحتلال من الاصلاحات تم في عهد سموه . استهلت حكومته اعزاه الله بالغاء السخرة وكانت المحابر جارية بشأنها من قبل وقد صدرت عدة اوامر عالية تتعلق بها حتى صدر الامر القاضي عليها في ٢٨ يناير سنة ١٨٩٢ وقد صدر بهذه المادة :

« تلغى السخرة في كامل انحاء القطر المصري :

وصدر امر سموه في هذا التاريخ بالغاء الضرائب التي كانت قد وضعت على الصنائع وفي ايام سموه النفي نظام البوليس الذي كان متبعاً في زمن الخديوي السابق بامر مال صدر في ٣ نوفمبر سنة ١٨٩٤ ووضع النظام الحالي بناء على لائحة رفعها المرحوم نوبار باشا . وفي ظل سموه عدلت الضرائب بامر مال صدر في ١٠ مايو سنة ١٨٩٩

وفي ايامه ألغيت الضرائب التي كانت على السفن المسافرة في النيل بامر مال مؤرخ في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٠٠ والقيت الدخولية وهي الضرائب التي كانت الحكومة تتقاضاها على الخضار والفاكهة ونحوهما بما يدخل المدن فألغيت من اول سنة ١٩٠٣ والنفي احتكار الملح في اول سنة ١٩٠٦ وفي عهد سموه صفت حسابات الدائرة السنية ويصمت البواخر الخديوية .

ومن الامور الادارية التي تمت في عهد سموه النفي الاداري الذي قرره الحكومة من عهد غير بعيد وقد افاد كثيراً

٣ — اعمال الزراعة

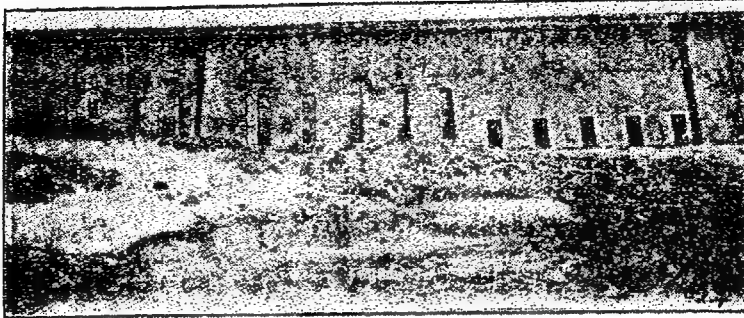
ان اعمال الزراعة التي شرعت بها الحكومة المصرية على يد مصلحة الري من اوائل عهد الاحتلال لم تظهر ثمارها الا في عهد الجناب العالي فبعد ان كانت مساحة الاطيان الزراعية اقل من خمسة ملايين فدان ناهزت سبعة ملايين . وكانت البقاع التي تزرع قطناً عند ولاية سموه نحو ٩٠٠٠٠٠ فدان فصارت نحو ١٥٠٠٠٠٠ فدان . وكانت غلة القطن سنة ١٨٩١ نحو ٦٠٠٠٠٠ قنطار فصارت في العام الماضي نحو سبعة ملايين قنطار . واخذت تتحول ملكية الارض الى الفلاحين وكان عدد مالكي الاطيان في اول ولاية سموه نحو ٧٥٠٠٠٠ انسان فاصبح عددهم ١٣٥٦٠٠٠ نفس . ولا يخفى ما يدل عليه ذلك من توزيع الثروة بين الناس . وفي ايامه انشئت مدرسة الزراعة وصارت هذه الصناعة تعلم قانونياً . وانشئت المعارض الزراعية وتألفت الشركات الزراعية والبنك الزراعي والنقابات الزراعية



ش ١١٥ : قنطار اسبوط

تمثيل النيل وخراناته من الجنوب الى الشمال ١ القنطار الخيرية في رأس الدلتا ٢ خزان
اسبوط ٣ خزان اصوان ٤ جزيرة فيلي وفيها خرائب انس الوجود ٥ الهويس
الذي تسير به السفن

ومن المشروعات الزراعية قناطر اسيوط وهي على ٢٥٠ ميلاً جنوب القاهرة
تولت انشاءها للحكومة شركة السير جون ايرد وشركاه بدأت فيها في شتاء عام ١٩٠٢
وانتهت منه في ربيع سنة ١٩٠٨ وهي كالقناطر الخيرية شكلاً ولكنها تمتاز عنها بان
القناطر الخيرية مبنية من القرميد وهذه من الحجر . طول قناطر اسيوط ٨٣٣ متراً
وعدها ١١١ قنطرة عرض كل قنطرة خمسة امتار عليها ابواب من الحديد . وعلو
القناطر من قاع النهر الى السطح ١٢ متراً ونصف متر ونخاتها عند القاعدة ٢٦ متراً
ونصف متر ونخاتها عند السطح سبعة امتار وثمانون سنتيمتراً . والغرض من هذه
القناطر اصلاح الري مدار السنة في مصر الوسطى والفيوم لانها اذا اقفلت اعاقت
جري الماء فيرتفع نحو ثلاثة امتار فوق ارتفاعه الاعتيادي فيزيد مساحة الاراضي
الزراعية نحو ٣٠٠٠٠٠ فدان تروى من ترعة الابراهيمية . وقناطر اسيوط هويس
لمرور السفن طوله ٨٠ متراً وعرضه ١٦ متراً



ش ١١٦ : خزان اسوان

اما خزان اسوان فهو اعظم مشروعات الري تولت انشاؤه الشركة المذكورة في
اوائل سنة ١٨٩٩ وانتهى في اواخر سنة ١٩٠٢ مواده من حجر الفرائيت والسمنت
والحصى . وبلغ وزن ما كانوا ينجزون عمله في اليوم الواحد ٢٦٠٠ طن طوله ٢٠٠٠
متر ويمتد من الجبل الشرقي الى الجبل الغربي . وعلوه يختلف من ٢٠ متراً الى ٤٠
باختلاف عمق قاع النهر . ونخاته عند قاعدته ٢٥ متراً ونخاته اعلاه او هو عرضه
من فوق ٧ امتار . وفي جدار الخزان ١٨٠ فتحة هي نوافذ عليها الابواب من
الحديد تختلف سعتها باختلاف مواضعها منها ١٤٠ نافذة مسطح الواحدة منها ١٤
متراً . واربعمون نافذة مسطح الواحدة منها سبعة امتار
وقد وصفنا كيفية استخدام في السنة ١١ من الهلال

٤ - النهضة المالية

ان النهضة المالية التي حصلت في زمن سموه لم يسبق لها مثيل من عهد بعيد . فتكاثر الذهب واثري الناس وتوسعوا في اسباب العيش ولا سيما في اواسط العقد الاول من هذا القرن بارتفاع اثمان الارضين فتألفت الشركات المالية العقارية والبنائية لاستثمار ارض البناء والاطيان الزراعية . ولولا تورط الناس في المضاربة لسلعت مصر من ردة الفعل الذي احدث الازمة المالية منذ بضع سنين . ومع ذلك فان ثمار النهضة المالية لا تزال باقية وهي ظاهرة في الحكومة وفي الامة وفي الاسواق التجارية وفي كل شيء كما يتضح ذلك من المقابلة

فميزانية الحكومة المصرية كانت سنة ١٨٩٢ نحو عشرة ملايين جنيه فاصبحت الآن نحو ١٦ مليوناً . وكانت الواردات التجارية سنة ١٨٩٢ قيمتها اقل من عشرة ملايين جنيه فزادت في اثناء النهضة المالية على ٢٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وبلغت في السنة الماضية نحو ٢٣٥٠٠٠٠٠٠ جنيه . وكانت الصادرات ١٣٥٠٠٠٠٠٠ جنيه فصارت نحو ٢٩٠٠٠٠٠٠٠ جنيه . وقد تكاثرا إنشاء بنوك الصيرفة واهمها البنك الاهلي انشئ سنة ١٨٩٨ ورأساله ٢٥٠٠٠٠٠٠ جنيه . والبنك الزراعي انشئ سنة ١٩٠٢ ورأساله خمسة ملايين جنيه وغيرها

ومن دلائل الثروة تكاثر الابنية واتساع المدن . وهذه القاهرة قد تضاعفت مساحتها مراراً عما كانت عليه قبلاً حتى كادت تتصل بضواحيها . غير ما انشئ فيها باثناء هذه النهضة من الابنية الفخيمة والقصور الباذخة . وعمرت الضواحي وانشئ بضواحيها بلد جديد لا مثيل له في سائر اقطار العالم لعني واحدة عين شمس

واستحدثت في ايام سموه بنك اقتصادي في مصلحة البوسطة المصرية منذ بضع سنوات بلغ عدد الذين اودعوا نقودهم فيه الى آخر العام الماضي ثيفاً و ٨٩٠٠٠٠ نفس وبلغ مقدار ما اودعوه ٣٥٧٠٠٠ جنيه استعانوا بها على امورهم

٥ - النهضة العلمية والحركة الفكرية

ان الحركة العلمية التي حدثت بمصر في اثناء العشرين سنة الاخيرة ظاهرة كالشمس بما انشأته الحكومة او ساعدت على انشائه من الكليات والمدارس في انحاء القطر او بما ادخلته من التعديل في طرق التعليم وخصوصاً من حيث اللغة العربية . فقد كانت هذه اللغة يكاد يقضى عليها في المدارس المصرية فانعشت الآمال باحيائها فاخذت

الحكومة في ارجاع التدريس اليها وابشت روح التعليم في انحاء القطر وكثر الساعون في انشاء المدارس من اهل اليسار في الاوياف - هذا من حيث المدارس الابتدائية اما التعليم العالي فاهم ما حدث منه في هذا العصر مدرسة القضاء الشرعي والجامعة المصرية وبذلت العناية في تحسين حال الازهر وغيره من المدارس الكبرى . غير عناية الحكومة بالمعاهد العلمية كالمتحف المصري والمتحف العربي ودار الكتب الخديوية ومن آثار الجنب الخديوي راساً في خدمة العلم والحياء الاجتماعية عناية في فن التمثيل فاولفد شاباً (جورج افندي ابيض) يتلقى هذا الفن على اربابه في فرنسا وقد عاد سنة ١٩١٠ ومعه جوق مثل عدة روايات في الاوبرا الخديوية على سبيل التجربة . ولا تزال عناية سموه موجهة الى تنشيط هذا الفن وحيائه في اللغة العربية واكبر ادلة الحركة الفكرية ظهرت في الصحافة بما اطلقته لها الحكومة من الحرية فتكاثر الجرائد والمجلات في ايام سموه وتشعبت مواضيعها وتألفت الاحزاب السياسية على اختلاف اغراضها ولكل منها جريدة او غير جريدة تنطق بلسانه . وتألفت الشركات المالية لانشاء بعضها . وكبر حجمها وظهرت صبغتها الوطنية وتنوعت مواضيعها وتألفت لها نقابة صحافية . ويقال بالاجال ان الصحافة المصرية بلغت في هذا العصر ارقى ما بلغت اليه في سائر الاعصر ^(١) بما صارت اليه من التأثير في الامة والحكومة . وقد رابت ان الحكومة المصرية كانت قد قيدت الصحافة بقانون انشائه سنة ١٨٨١ عرف بقانون المطبوعات فهذا القانون اخذت الحكومة في اهماله رويداً رويداً بعد الاحتلال واصبح في عهد الجنب الخديوي في حكم الملغى عرفاً . فرأت الحكومة بالعام الماضي (سنة ١٩١٠) ان تقيّد المطبوعات لاسباب اقتضت ذلك فوضعت قانوناً جديداً هو تعديل القانون القديم

ومن آثار الحركة العلمية ايضاً انشاء الجمعيات الادبية والعلمية وتأسيس الادبية الاجتماعية واهمها نادي المدارس العليا ونادي دار العلوم في القاهرة . ولا يكاد يخلو بلد من البلاد الكبرى من ناد او جمعية على اختلاف مواضيعها واتفق في اماره سمو الخديوي اضطراب احوال المملكة العثمانية والتغالب بين السلطان عبد الحميد واحرار مملكته . فكانت مصر ملجأً للفارين من الظلم او الطالين للرزق من سائر الامم ومن قبيل الحركة الفكرية في هذا العصر قيام نخبة من ادباء الشبان المسلمين

(١) تجد مقالة ضافية في تاريخ النهضة الصحافية في الهلال سنة ١٨ صفحة ٤٨٣

للاصلاح الديني وزعيمهم المرحوم الشيخ محمد عبده المصري المتوفى سنة ١٩٠٥
ومن هذا القبيل جنوح الناس الى الحكم الدستوري وارتفاع صوت الصحافة في
طلب الدستور وتوسيع اختصاص الشورى



ش ١١٧ : الشيخ محمد عبده

وزاد تألف الجمعيات الخيرية في زمن سموه وانتظمت لظارة الاوقاف وانصرفت
عنايتها الى حفظ الآثار وترميم المساجد وبناء المعابد والمستشفيات الخيرية آخرها
المستشفى العباسي . وتضاعفت نفقات الاوقاف الخيرية على المبرات والاحسان . فكانت
يوم تولى الاربكة الخديوية ٨ ٢٧٦ جنيهاً فأصبحت للعام الماضي ٦٥ ٧٧١ جنيهاً
وبالاجمال فان مصر بلغت في العصر العباسي الحالي ما لم تبلغ اليه في العصور الماضية
من حيث الرقي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والفكري في ظل سمو الامير ايده الله

(تم الجزء الثاني)

(وبه تم الكتاب)



فهرس الجزء الثاني

من تاريخ مصر الحديث

صفحة	صفحة	بيان
٨٦	٣	حالة مصر عند قدوم الفرنسيين
٨٨		فتح الفرنسيين مصر
٩٧		الديوان العمومي
١٠١	٤	د الخوصي
١٠٦	٩	واقعة ابو قير
١١١	١٦	سياسة نابوليون بمصر
١١٨	٢١	اصلاحات الفرنسيين بمصر
١٢٢	٢٢	حملة بونايرت على سوريا
١٢٩	٢٤	رجوعها الى مصر
١٣١	٢٦	عود بونايرت الى فرنسا
١٢٧	٣٠	مقتل كلاير
١٣٩	٣٢	الجنرال مينو
١٤٢	٣٨	انسحاب الفرنسيين من مصر
١٤٤	٤٢	من انسحاب الفرنسيين الى محمد علي
	٤٣	الدولة المحمدية العلوية
١٤٧	٤٤	محمد علي باشا (صبوته)
١٤٨	٤٨	ارتقاؤه من مناصب الاحكام
	٥٤	اعماله الحربية
١٥٥	٥٦	حرب الوهابيين
١٥٨	٦٨	مذبحة المماليك
١٦٣	٧٧	فتح السودان
١٦٥		حرب المورا
١٦٥		فتح سوريا
١٦٩	٨٢	خروج ابراهيم من سوريا
		الدولة العثمانية
		نشأة الدولة العثمانية
		سلطنة السلطان سليم بن بيازيد
		سليمان القانوني
		سليم بن سليمان
		مراد بن سليم
		محمد بن مراد
		احمد بن محمد
		مصطفى وعثمان
		مراد بن محمد
		ابراهيم بن احمد
		محمد بن ابراهيم
		سليمان واحمد
		احمد بن محمد
		محمود بن مصطفى
		عثمان بن مصطفى
		محمد بن مصطفى
		علي بك الكبير
		سلطنة عبد الحميد الاول
		د سليم الثالث
		الحملة الفرنسية
		فاذا جرد الفرنسيون على مصر

صفحة		صفحة	
٢٤٥	مصر والدولة العثمانية	١٧٣	اواخر ايامه
٢٤٦	مجلس النواب المصري		اصلاحة
٢٤٨	انكلترا وفرنسا	١٧٤	الاصلاح الاداري
٢٥٠	استفحال الثورة	١٧٨	» الزراعي
٢٥٤	حادثة الاسكندرية	١٨٠	» العسكري
٢٥٨	ضرب »	١٨٣	» التجاري
٢٦١	الاسكندرية بعد الضرب	١٨٧	» الصناعي
٢٦٢	مساعي العراقيين	١٨٧	» الصحي
٢٦٦	واقعة التل الكبير	١٩١	» العلمي
٢٦٨	دخول الانكليز القاهرة	١٩٥	صفاته ومناقبه
٢٦٩	حكاية العراقيين	١٩٨	ولاية ابراهيم باشا
	الثورة المهدوية أو الحوادث السودانية	١٩٩	» عباس الاول
٢٧٧	السودان من فتح محمد علي الى المهدي	٢٠٠	» سعيد باشا
٢٧٥	اسباب الثورة المهدوية	٢٠٢	» اسماعيل باشا
٢٧٨	نشأة محمد احمد المهدي	٢٠٣	ترجمة حياته
٢٨١	قيامه بالدعوة	٢٠٦	قناة السويس - تاريخها
٢٨٢	مناهضة الحكومة له	٢١٣	عود الى اسماعيل
٢٨٤	سقوط كردفان	٢١٤	الديون المصرية
٢٨٥	حكومة المهدي	٢١٦	اعماله وآثاره
٢٨٧	حملة هيكل باشا	٢٢٢	النهضة العلمية في ايامه
٢٩٣	السودان الشرقي	٢٢٥	صفاته
٢٩٤	اخلاء السودان	٢٢٨	ولاية محمد توفيق باشا
٢٩٦	غوردون باشا	٢٣٠	كيف كانت حالة مصر لما تولاه
٢٩٨	سقوط بربر ومهلك ستيوارت		الثورة الراية
٣٠٠	حصار الخرطوم	٢٣٥	العرب والترك
٣٠٢	سقوط »	٢٣٦	نشأة عرابي
٣٠٤	مقتل غوردون	٢٤١	فوز العراقيين
٣٠٦	موت المهدي وخلافة التعايشي	٢٤٢	تغير القلوب بين الحديوي والعراقيين

صفحة	صفحة	صفحة
٣٣٠	٣٠٧	اوصاف المهدي
٣٣٢	٣٠٩	تعاليم
٣٣٣	٣١٠	السودان الشرقي
٣٣٥	٣١٢	فتح مصر
٣٣٦	٣١٥	واقعة توشكي
٣٣٧	٣١٧	حكومة التعايشي
٣٤٠	٣٢١	النقود والتجارة
٣٤٣	٣٢٢	القضاء
٣٤٣	٣٢٣	فتح امدرمان وذهاب دولة الدراويش
٣٤٤		عود الى ولاية توفيق باشا
٣٤٦	٣٢٦	اصلاحات جديدة
٣٤٧	٣٢٨	النقود المصرية
		(تم فهرس الفصول وبليه الفهرس الابجدي)

اصلاح خطأ

صفحة	سطر	ج	خطأ	صواب
١١٨	٢٣	١	الفسطاط	حلوان
١٣٦	٢	١	الصوص	الفرص
٢٠٣	٢	١	مختار	مختيار

فهرس ابجدي

لاهم ما حواه هذا الكتاب من الاعلام والاغراض

صفحة	صفحة
١٢٧ ج ١	١٤٩ ج ١
١٢٧ ج ١	٢٣٥ —
١٩١ ج ١	٢٣٨ ج ١
٣٥ ج ١	٢٨٢ و ٢٢٨ ج ٢
١٠٦ ج ٢	٣٨ ج ٢
١٢٦ ج ١	« بن الاغاب صاحب افريقية ١٦٥ ج ١
٢٤ ج ١	« باشا البرنس ٢٦٧ ج ٢
٥١٢٤ ج ١	« الجوهرى امين الاحساب ٧٦ ج ٢
٦٠ ج ١	« بك شركسي من الممالك ٥٤ ج ٢
١٣١ ج ١	« بن صالح امير مصر ١٣١ و ١٣٣ ج ١
٢٢٧ ج ١	« بن الصوفي ١٥١ و ١٥٦ ج ١
٥٤ ج ١	« كنجيا من امراء الممالك ١٥ ج ٢
٣١١ ج ٢	« باشا بن محمد علي ١٦٣ — ١٦٩
٤٣ ج ٢	١٧٣ و ١٩٨ ج ٢
٢٢٣ ج ٢	« والي مصر ١٩ و ٢٢ و ٢٦
١٣٤ ج ١	٣١١ ج ٢
١٤٤ ج ١	٣٢٣ ج ١
١١٥ ج ٢	١٥٦ ج ٢
١٦٤ ج ٢	« كاتب الفرغاني المهندس ١٦٢ ج ١
١٤٣ و ١٤٧ و ١٥٠	« المدير صاحب الخراج ١٥٠ و ١٥٤ ج ١
١٧١ — ١٥٤ ج ١	ابو بكر بن الناصر . سلطنته ٣٤٠ ج ١
٢٩ ج ٢	ابو صالح (بحي بن داود)
٧٤ ج ٢	ابو طبق وعزل الباشوات ٦٩ ج ٢

- ١ ج ٥٧ « المكسوني
٢ ج ٢٠ « باشا والي مصر
١ ج ٨٦ « الاسكندرية. فتح ابن العاص لما ٨٦
١ ج ١٠٢ « فتحها ثانية
٢ ج ٢٥٤ « حادتها
٢ ج ٢٥٨ « ضربها
٢ ج ٨٩ « الاسكندرية فتح الفرنساويين لما ٨٩
١ ج ٧٥ « الاسلام. مبدا دوائه
٢ ج ٢٦٩ « اسماعيل باشا ايوب
« « الخديوي. ولايته ٢٠٢—
٢ ج ٢٢٧
« « الفرمان بولايته ٢٠٤ ج ٢
« « اعماله وآثاره ٢١٦-٢٢٥ ج ٢
١ ج ٤٥ « اسماعيل بك شيخ البلد
٢ ج ٧٦ و
١ ج ١٣٤ « اسماعيل بن عيسى امير مصر
٢ ج ١٦٣ « باشا بن محمد علي. مقتله
١ ج ٣٤٠ « بن الناصر. سلطنته
١ ج ١٨٤ « الاسماعيليه. طائفة
٢ ج ٢٢٠ « . المدينة تاريخها
١ ج ٣٥٥ « الاشرف اينال. سلطنته
١ ج ٣٥٢ « برس باي
١ ج ١٤١ « اشناس امير مصر
٢ ج ٢٠٠ « الاطيان استرجاعها من المتمهدين
١ ج ٩٣ « اعطيات الجيش
١ ج ٢٦ « اعتومر. ملك مصري
١ ج ٢٣١ « افتنك. نصر الدولة
١ ج ٥٩ « افرجيت الاول. بطليموس الثالث
٢ ج ٣٥ « حمد باشا الكورجي والي مصر
١ ج ١٨٣ « احمد بن كيغلع
« « محمد الاول. سلطنته ٢٦ ج ٢
« « الثالث ٤٤ ج ٢
« « المحمودي ٣٥٢ ج ١
« « مزاحم اير مصر ١٥٠ ج ١
٢ ج ٤٢ « احمد باشا الوزير والي
١ ج ١٥٣ « احمد الواسطي
٢ ج ١٩ « احمد باشا والي مصر
١ ج ٣٥٥ « احمد بن ينال. سلطنته
٢ ج ١٧٤ « الادارة ايام محمد علي
١ ج ٥٥ « ارتخاشارشا ملك اشور
١ ج ٢٣٢ « الارقيون. دولتهم
٢ ج ١٩١ « الارساليات العلمية ايام محمد علي
١ ج ٦٧ « ارКАДيوس امبراطور روماني
١ ج ٣٣٧ « الازبكية اصلها وانشاؤها
٢ ج ٢٢١ و
١ ج ١٢٠ « اسامة بن يزيد صاحب خراج مصر
٢ ج ٢٩٩ « استعراض جيش المهدي. كفيته
١ ج ٢٤ « استنس. ملك مصري
١ ج ١٣٣ « اسحق بن سايمان امير مصر
١ ج ١٦٧ « اسحق بن كنداج امير الموصل
١ ج ١٤٥ « اسحق بن يحيى الجيلي امير مصر
١ ج ٢٤٤ « اسد الدين شيركوه
١ ج ٤٩ « اسرحدون. ملك الخوري
١ ج ٦١ « اسكندر الاول. بطليموس التاسع
« الثاني. « المباشر ٦١ ج ١
« « باشا الشركشي والي مصر ٢١ ج ٢

- أفرجيت الثاني بطليموس السابع ٦٠ ج ١
 أفرقية . فتحها ١٠٣ ج ١
 الأفضل أمير الجيوش ٢٣١ ج ١
 أكتافيوس القائد الروماني ٦٢ ج ١
 الألبانيون . جند محمد علي ١٨٠ ج ٢
 الألفي والبرديسي من الممالك ١٥٠ ج ٢
 الألفي ومحمد علي ١٥٢ ج ٢
 الهامي باشا ١٩٩ ج ٢
 الياس بن منصور رئيس الأباضية ١٦٥ ج ١
 أمانجور التركي ١٥٢ و ١٥٣ و ١٦٠ ج ١
 أمبابة معركتها ٩٥ ج ٢
 أم درمان ٣٠٦ و ٣١٩ و ٣٢٣ ج ٢
 أمنمحتت ملك مصري ٢٩ و ٣١ ج ١
 امنوفيس ملك مصري ٣١ و ٣٨ و ٣٩ ج ١
 أموزيس ملك مصري ٣٥ و ٥٢ ج ١
 الأمين . خلافته ١٣٥ ج ١
 انتف عا . ملك مصري ٢٨ ج ١
 أنطونيوس القائد الروماني ٦٢ ج ١
 الانكشارية . تاريخهم ١٢ ج ٢
 الانكليز بمصر بعد اخراج
 الفرسان ١٤٠ ج ٢
 الانكليز . دخولهم القاهرة ٢٦٨ ج ٢
 أنوليس . اله مصري ٢١ ج ١
 أنوجورين الاخشنيد ١٨٩ ج ١
 أهرام الجيزة . بانيتها ٢٥ و ٢٩٠ ج ١
 أوسترنس ملك مصري ٢٩ و ٣٠ و ٣١ ج ١
 أوسوركون الاول ملك مصري ٤٦ ج ١
 أوليتس بطليموس الحادي عشر ٦٢ ج ١
 أوناس ملك مصري ٢٧ ج ١
 الأورانية . طاقتة ٣٣٢ ج ١
 اويس باشا والي مصر ٢٣ ج ٢
 ايبك الجاشنكير . سلطنته ٣١٠ و ٣١١ ج ١
 ايزيس . الهة مصرية ١٩ ج ١
 ايوب باشا والي مصر ٤٠ ج ٢
 ايوب بن شرحبيل أمير مصر ١٢١ ج ١
 باكباك أمير مصر ١٠٥ و ١٥٣ ج ١
 باكوريس ملك مصري ٤٩ ج ١
 بحر ابي النجا ٢٣٦ ج ١
 البجة . محاربتهم ١٤٤ ج ١
 بدر الجمالي أمير الجيوش ٢١٦ و ٢٢٥ ج ١
 البربر (أمة) ١١٣ و ٢١٧ ج ١
 بربر (مدينة) سقوطها ٢٩٨ ج ٢
 بردويل ملك الصليبيين ٢٣٧ ج ١
 البردي شجر البايروس ٤٦ ج ١
 البرديسي والألفي من الممالك ١٥٠ ج ٢
 برقة ضمها الى مصر ١٢٩ ج ١
 برقوق أمير مصر ١٥٣ ج ١
 برقوق سلطنته ٣٤٤ و ٣٤٥
 — ٣٤٨ ج ١
 البرقية . طاقتة من الامراء ٢٤٥ ج ١
 بشت . اله مصري ٢١ ج ١
 بركة الحبش . غرسها ١١٩ ج ١
 بركة خان بن بيبرس . سلطنته ٣٢٦ ج ١
 بركة قارون في الفيوم ٣١ ج ١
 بركة موديس ٣٢ ج ١
 برونس قاتل بوليوس ٦٣ ج ١

- البريد على الخليل ٣٢٢ ج ١
البريد المصري . تاريخه ٢١٩ ج ٢
البساسيري ٢٨٥ ج ١
بسامتيك الاول ملك مصري ٥٠ ج ١
بسامتيك الثاني > > ٥٢ ج ١
بشر بن صفوان امير مصر ١٢٢ ج ١
بشير الشهابي . الامير ١٦٦ و ١٦٩ ج ٢
البطالسة ٥٧ — ٦٤ ج ١
البطريرك ميخائيل وابن طولون ١٧٢ ج ١
بغداد . بناؤها ١٢٨ ج ١
بكار بن قتيبة القاضي ١٦٣ ج ١
بكير باشا والي مصر ٨٩ ج ٢
بلباي ٣٢٦ و ٣٥٦ ج ١
بنيامين البطريرك ٩٣ ج ١
بهاء الدين زهير القاضي ٣٠٥ ج ١
بهاء الدين قراقوش وزير صلاح الدين ٢٥٦ و ٢٧٢ و ٢٨٥ ج ١
بوغوص بك من اعوان محمد علي ١٨٦ ج ٢
بونابرت . سياسته بمصر ١١١ ج ٢
> منشوراته بمصر ٩١ و ١١٣ و ١١٧ ج ٢
و ١٢٠ و ١٢٢ و ١٢٥ ج ٢
بيازيد العثماني ٣٥٨ ج ١
يبرس الجاشنكير . سلطنته ٣٣٥ ج ١
يبرس البندقاري . سلطنته ٣١٨ ج ١
بيت المقدس . فتحه ٢٧٨ ج ١
ثر عفسة لابن طولون ١٥٥ ج ١
بيرام باشا والي مصر ٣٣ ج ٢
البيارستان المنصوري بالقاهرة ٣٢٨ ج ١
بينوتريس ملك مصري ٢٤ ج ١
تاريخ مصر الحديث . مصادره ٦٩ ج ١
تاريخ مصر العام . اقسامه ٩ ج ١
تاريخ مصر القديم . مصادره ١١ ج ١
تاكلوت الثاني ملك مصري ٤٦ ج ١
تائيس مدينة مصرية ٤٧ و ٩٧ ج ١
تتا ملك مصري ٢٣ ج ١
التجارة واصلاحها ايام محمد علي ١٨٣ ج ٢
تحرير الخادم بمصر ١٥٨ ج ١
تخوتمس ملك مصري ٣٦ و ٣٨ ج ١
التراويح . صلاتها بمصر ١٤٩ ج ١
تفنخت ملك مصري ٤٧ ج ١
تكين الخزري امير مصر ١٨١ ج ١
الذل الكبير . واقعته ٢٦٧ ج ٢
التلغراف . اول انشائه بمصر ٢٠٠ ج ٢
تخريفا . سلطنته ٣٥٦ ج ١
توت اله مصري ٢١ ج ١
توسر تسن ملك مصري ٢٤ ج ١
توفيق باشا . الفرمان بولايته ٢٣٠ ج ٢
توفيق باشا الخديوي ولايته ٢٢٨
— ٣٣١ ج ٢
توفيق بك محافظ سواكن ٢٩٣ ج ٢
توم اله مصري ١٩ ج ١
تي رجل مصري قديم ٢٦ ج ١
تيمور لنگ ٣٤٥ ج ١
الثورة المراهية ٢٣٤ — ٢٧٢ ج ٢
الثورة المهدوية . اسبابها ٢٧٥ ج ٢
نيودوسيوس الاكبر نصير النصرانية ٦٦ ج ١

- جابر بن الاشعث امیر مصر ۱۳۶ ج ۱
 جامع ابن طولون ۱۶۱ ج ۱
 الجامع الازهر. بناؤه وتاريخه ۱۹۹-۲۰۱ ج ۱
 الجامع الازهر. اعاده بنائه ۲۴ ج ۲
 الجامع الازهر دخول الفرنساويين فيه ۱۱۵ ج ۲
 جامع التتور لابن طولون ۱۵۵ ج ۱
 جامع الحاكم ۲۰۹ ج ۱
 جامع السلطان حسن ۳۴۱ ج ۱
 جامع الظاهر ۳۲۵ ج ۱
 جامع عمرو بن العاص ۹۴ ج ۱
 جامع عمرو. قديمه ۲۱۴ ج ۱
 جامع عمرو. قرآن فيه ۷۹ ج ۲
 جامع قلاوون ۳۲۹ ج ۱
 جانبلاط. سلطنته ۳۵۹ ج ۱
 جبل يشكر. حديثه ۱۶۱ ج ۱
 جرجس الجوهري ۱۱۷ ج ۲
 جعفر باشا الوزير والي مصر ۳۰ ج ۲
 جعفر باشا والي السودان ۲۷۳ ج ۲
 جغرافية مصر الحديثة ۷۱ ج ۱
 جغرافية مصر القديمة ۱۵ ج ۱
 جقمق. سلطنته ۳۵۴ ج ۱
 جلاء الانكاز عن مصر. وفاق به ۳۳۰ ج ۲
 جمال الدين الافغاني ۲۲۴ ج ۲
 الجمعية العمومية. انشاؤها ۳۲۷ ج ۲
 الجندی في الدولة الفاطمية. تاريخه ۲۱۷ ج ۱
 الجندیة اصلاحها ايام محمد علي ۱۸۰ ج ۲
 الجوهر الفارسي ۱۱۰ ج ۲
 جوهر القائد قاخ مصر ۱۹۲ ج ۱
 الجيزة. مدينة ۹۱ ج ۱
 جيش بن خاروبة. حكمه ۱۷۶ ج ۱
 الجيش المصري. الفاؤه ۲۶۹ ج ۲
 حاتم بن هرثمة امير مصر ۱۳۶ و ۱۴۴ ج ۱
 حاجي بن شعبان. سلطنته ۳۴۲ ج ۱
 حاجي بن الناصر. سلطنته ۳۴۰ ج ۱
 حافظ احمد باشا والي مصر ۲۳ ج ۲
 الحافظ بن محمد. خلافته ۲۳۸ ج ۱
 الحاكم بامر الله. خلافته ۲۰۷-۲۱۱ ج ۱
 حانون ملك غزة ۴۸ ج ۱
 الحبشة. حربها مع اسماعيل ۲۱۳ ج ۲
 الحبشة غزوها (راجع الاحباش) ۱۲۹ ج ۱
 الحبيون. امة قديمة ۴۲ ج ۱
 الحج. طريقه ۳۲۲ ج ۱
 الحجاج بن يوسف حصاره مكة ۱۱۸ ج ۱
 حجر رشيد والهر وغيلف ۱۳ ج ۱
 حدود مصر من الشرق ۳۳۷ ج ۲
 الحر بن يوسف امير مصر ۱۲۳ ج ۱
 حرجور. كاهن مصري ۴۴ ج ۱
 الحركة الفكرية في هذا العصر ۳۴۶ ج ۲
 حسان بن عتامة امير مصر ۱۲۵ ج ۱
 حسن بك الجداوي امير الحج ۶۴ و ۷۶ ج ۲
 حسن باشا الخادم والي مصر ۲۲ ج ۲
 حسين بك شيخ البلد ۵۵ ج ۲
 حسن قبطان باشا ۷۴ ج ۲
 حسن بن الناصر. سلطنته ۳۴۰ ج ۱
 حسن باشا والي مصر ۴۴ ج ۲

- حسن باشا الوزير والي مصر ٢٧ ج ٢
 حسين د د د ٢١ ج ٢
 حسين بن جميل امير مصر ١٣٤ ج ١
 الحسين بن علي . قيامه ١١٤ ج ١
 حسين باشا الوزير والي مصر ٣٦ ج ٢
 الحشاشون ٢٣٧ ج ١
 حصن بابل اودير النصاري ٨٩ و ٧٧ ج ١
 الحصين بن نعيم . محاصرته مكة ١١٥ ج ١
 الحفص بن الوليد امير مصر ١٢٣ و ١٢٥ ج ١
 الحكم على العربيين ٢٧٠ ج ٢
 الحكومة المصرية . نظامها ايام العثمانيين ١١ و ١٦ ج ٢
 حلوان (مصر) بناؤها ١١٨ ج ١
 حليم باشا البرنس ٢٤٨ ج ٢
 حملة انكليزية لانقاذ غوردون ٣٠١ ج ٢
 حميد بن قحطبة . امير مصر ١٢٨ ج ١
 حنظلة بن صفوان . امير مصر ١٢٢ ج ١
 حنو . رجل مصري قديم ٢٩ ج ١
 الحوثة بن سهل . امير مصر ١٢٥ ج ١
 الحوف . انتقاض ادله ١٣٤ و ١٣٨ ج ١
 حورع . ملك مصري ٢٩ ج ١
 حيان بن شريك امير مصر ١٢١ ج ١
 خان الخليلي بمصر ١٩٩ و ٣٣٠ ج ١
 الخراج . الزيادة فيه ١٣١ ج ١
 الخراطوم . حصارها ٣٠٠ ج ٢
 الخراطوم . خريطتها ٣١٩ ج ٢
 د . سقوطها ٣٠٢ ج ٢
 خزان اسوان . بناؤه ٣٤٥ ج ٢
 خزانة الكتب العزيز بالله ٢٠٦ و ٢٢٢ ج ١
 خسرو باشا . والي مصر ١٤٥ ج ٢
 الخصيب بن عبد الله امير مصر ١٣٥ ج ١
 خضر باشا والي مصر ٢٤ ج ٢
 الخطبة العباسية بمصر ٢٥٦ ج ١
 الخطوط الحديدية اول نشأتها بمصر ٢٠٠ ج ٢
 خفرع . ملك مصري ٢٥ ج ١
 الخلافة والعرب والترك ١٠ ج ٢
 خلف بن ملاعب الكلبي ٢٣٥ ج ١
 الخلفاء الراشدون . نفوذهم ١١٢ ج ١
 الخلفاء العباسيون في مصر ٣١٨ ج ١
 و ٩ ج ٢
 خايج امير المؤمنين سبب حفره ٩٩ ج ١
 الخايج . فتحه زمن الفرنساوية ١٠٩ ج ٢
 الخايج الناصري ٣٣٨ ج ١
 خليل البكري (الشيخ) ٩٨ ج ٢
 خليل باشا والي مصر ٣٥ ج ٢
 خليل بن قلاون . سلطنته ٣٣٠ ج ١
 خارويه بن احمد ١٥٤ و ١٧٢ ج ١
 الخوارزميون . اصلهم ٣٠٤ ج ١
 خورشيد باشا . والي مصر ١٥٠ ج ٢
 خورخي . اسم هرم ٢٤ ج ١
 خوش قدم . سلطنته ٣٥٦ ج ١
 خوط بن عبد الواحد بن يحيى امير مصر ١٤٥ ج ١
 خوفو . ملك مصري ٢٥ ج ١
 خونس . اله مصري ٢١ ج ١

- خير بك والي مصر ١١ ج ٢
 دارا . ملك الفرس ٥٤ ج ١
 دار الحكمة . للحاكم ٢١٠ ج ١
 داود باشا . والي مصر ١٩ ج ٢
 داود بن يزيد . امير مصر ١٣٣ ج ١
 دحية بن المعصب امير مصر ١٣١ ج ١
 ددكارع . ملك مصري ٢٧ ج ١
 الدراويش . لبسهم ٢٨١ ج ٢
 درويش باشا مندوب السلطان الى مصر
 ٢٥٤ - ٢٥٩ ج ٢
 الدستور . انشاؤه ٢٣٢ ج ٢
 دكاد اجبسيان جريدة فرنساوية ١١٨ ج ٢
 الدلاة . جند المغاربة ١٥١ و ١٨٠ ج ٢
 دلسيس صاحب مشروع القناة ٢١١ ج ٢
 دمياط . حروبها وفتوحها ٩٧ و ١٤٥ و ٢٥٧
 ٢٩٤ و ٣١٣ ج ١
 الدنياير المنعوشة اول امرها ١١٨ ج ١
 السواوين ايام محمد علي ١٧٢ ج ٢
 الدور الجاهلي من تاريخ مصر ٢٣ ج ١
 دوفرين . تقريره ٣٢٥ ج ٢
 الدولة الاموية . حكمها ١١٣ ج ١
 الدولة الطولونية . اصلها ١٤٣ و ١٨٢ ج ١
 الدولة العباسية قيامها وفسادها ١٢٦ و ١٢٧
 ١٩٤ ج ١
 الدولة الفاطمية . حضارتها ٢٦١ ج ١
 د . د . حكمها ١٩٢ - ٢٦١ ج ١
 د . د . مبدأها ١٨٤ ج ١
 الدولة الملكية القديمة ٢٣ ج ١
 دير النصاري او حصن بابل ٨٩ ج ١
 الديوان ايام العثمانيين ١٦ ج ٢
 الديوان المخصوصي زمن بونا برت ١٠١ ج ٢
 الديوان العمومي » » ٩٧ ج ٢
 ديوان المدارس ايام محمد علي ١٩١ ج ٢
 الدواوين المصرية زمن اسماعيل وقبله
 ٢١٤ و ٢٣٣ ج ٢
 ديوقليطيانوس مطارد للمسيحيين ٦٥ ج ١
 ذوالفقار بك من امراء المماليك ٤٧٤ و ٤٧٥ ج ٢
 الراضي بالله . خلافته ١٨٣ ج ١
 راغب باشا والي مصر ٥٣ ج ٢
 راغب باشا . وزارته ٢٥٦ ج ٢
 رضوان بك من امراء المماليك ١٥ ج ٢
 رضوان بك امير المماليك ٤١ ج ٢
 رع . اله مصري ١٨ ج ١
 الرعاة من ملوك مصر ٣٣ ج ١
 رعسيس الثاني . فرعون مصري ٤١ ج ١
 رفاعه بك الطمطاوي ١٩٣ ج ٢
 رفع على حدود مصر ٧٧ ج ١
 الرقيق . ابطال تجارته ورجوعها ٢٢١ و ٢٧٢
 ٢٩٦ ج ٢
 رياض باشا . وزارته ٢٣٣ ج ٢
 الريان بن الوليد فرعون مصري ٣٥ ج ١
 ريكلردس قلب الاسد ٢٧٢ ج ١
 زبير باشا ٢٦٠ و ٢٧٤ و ٢٩٤ ج ٢
 الزبير بن العوام من الصحابة ٧٩ ج ١
 الزراعة ايام محمد علي ١٢٦ و ١٢٨ ج ٢
 زكا الرومي امير مصر ١٨١ ج ١

- الزنج • نورهم ١٥٧ ج ١
 ساحة مابدين • مظاهرتها ٢٤٢ ج ٢
 السادات • الشيخ ١١٠ و ٧٥ ج ٢
 سالم بن سواده التميمي امير مصر ١٣١ ج ١
 سامرا • بناؤها ١٤١ ج ١
 سباقون • ملك مصري ٤٧ ج ١
 سبسكاف • د • د ٢٦ ج ١
 السبع السواقي • بناؤها ٣٣٧ ج ١
 سبك حطب الثالث ملك مصري ٣٢ ج ١
 ستيوارت رفيق غوردون ٢٩٥ ج ٢
 ستيوارت • مهلكه ٢٩٨ ج ٢
 سحورع • ملك مصري ٢٦ ج ١
 سدي الاميرال الانكليزي ١٣٥ ج ٢
 سرجون • ملك اشوري ٤٨ ج ١
 السري بن الحكم امير مصر ١٣٧ ج ١
 سعيد الايسر صاحب الجيش ١٧٣ ج ١
 سعيد باشا • ولايته ٢٠٠ ج ٢
 سعيد بن يزيد امير مصر ١١٥ ج ١
 سكينه بنت الحسين • وقتها ١٢٣ ج ١
 ملانير باشا في دارفور وبعده ٢٩٢ و ٣٠٥ ج ٢
 سلاطيس ملك مصر ٣٤ ج ١
 سلامش بن بيرس • سلطنته ٣٢٧ ج ١
 السلجوقيون • اصلهم ٢٣٢ ج ١
 سلطان باشا رئيس مجلس النواب ٢٤٧ ج ٢
 سليم بن بيازيد العثماني ٣٦ ج ١ و ٩١ ج ٢
 سليم بن سليمان • سلطنته ٢١ ج ٢
 سليم الثالث بن مصطفى • سلطنته ٧٧ ج ٢
 سليمان بن ابراهيم • سلطنته ٤٣ ج ٢
 سليمان العاجي قاتل كلابر ١٣٨ ج ٢
 د • بن عبد الملك • خلافته ١٢٠ ج ١
 سليمان باشا الفرناوي القائد ١٨١ ج ٢
 سليمان الفيومي • الشيخ ٩٩ ج ٢
 سليمان القانوني • سلطنته ١٦ ج ٢
 سليمان باشا والي مصر ١٩ ج ٢
 سنان باشا والي مصر ٢١ ج ٢
 سنخ كارع ملك مصري ٢٩ ج ١
 سوتر • بطلجوس الاول ٥٧ ج ١
 سوتر الثاني • بطلجوس الثامن ٦١ ج ١
 السودان • اتخاقت ٣٤٠ ج ٢
 السودان فتحه لمحمد علي ١٦٣ ج ٢
 السودان الشرقي • احواله ٢٩٣ ج ٢
 السودان • تاريخها الحديث قبل المهدي ٢٧٢ ج ٢
 السودان • اخلاؤها ٢٩٤ ج ٢
 السودان المصري • اقسامه ٧٣ ج ١
 سوريا • فتحها لابراهيم باشا الى خروجه منها ١٦٥ - ١٦٩ ج ٢
 سوريا • حمله بونابرت عليها ١٢٣ - ١٢٩ ج ٢
 سيني الاول • ملك مصري ٤٠ ج ١
 السيدة زينب • بناء مسجدها ٢٠٠ ج ٢
 سيروستريس • فرعون مصري ٤١ ج ١
 سيف الدين ططر • سلطنته ٣٥٢ ج ١
 « قطاز » ٣١٦ ج ١
 سيف الدولة ابن حمدان ١٨٧ ج ١
 سبالطويل ١٦٤ ج ١
 سيمور الاميرال ٢٥٨ و ٢٥٩ ج ٢

- الشافعي . الامام ١٣٧ ج ١
شاهين بك رئيس الممالك ١٥٣ ج ٢
شاو . الوزير ٢٤٣ ج ١
شجرة الدر مريم غياث الدين ٣٠٦ و ٣٠٩ ج ١
شرف الدين هبة الله ٣١٤ ج ١
شركس بك شيخ البلد ٤٧ ج ١
شريف باشا رئيس الوزارة ٢٣٢ و ٢٤٤
و ٢٦٥ ج ٢
شنق الاول . ملك مصري ٤٥ ج ١
شطا بن الهاموك صاحب دمياط ٩٧ ج ١
شعبان بن حسن . سلطنته ٣٤٢ ج ١
شعنصر . ملك اشوري ٤٨ ج ١
شميلبون والهيو غليف المصري ١٣ ج ١
شيبان بن احمد حكمه ١٧٩ ج ١
الشيخ المحمودي سلطنته ٣٥١ ج ١
صالح بن علي العباسي امير مصر ١٢٧ ج ١
الصالح بن الكامل . سلطنته ٣٠٤ ج ١
الصنافة بمصر . اقدمها ١١٨ ج ٢
« المصرية ايام اسماعيل ٢٢٠ ج ٢
صقاية ٢٢٩ ج ١
صلاح الدين الايوبي . صباه الى وزارة ٢٤٤
و ٢٥١ و ٢٥٤ ج ١
« « « . سلطنته ٢٦٦ و ٢٨٩
و ٣٤٠ ج ١
الصليبيون . حروبهم ٣٣٣ و ٣٣١ ج ١
« في القاهرة ٢٤٩ ج ١
صموئيل باكر في خط الاستواء ٢٧٤ ج ٢
الضابطه ايام محمد علي ١٧٧ ج ٢
ضاهر العمر صاحب عكا ٥٦ و ٦٠ و ٧٠ ج ٢
الضحاك بن قيس نصير بن الزبير ١١٦ ج ١
ضحية النيل ٩٢ ج ١
الضرائب في الدولة العباسية ١٣٠ ج ١
« « السودان ٢٧٦ ج ٢
ضرغام القائد ٢٤٤ ج ١
الطائف . جريدة العربيين ٢٥٠ ج ٢
طاهر بن الحسين . وفاته ١٣٨ ج ١
الطب والصحة اصلاحها ايام محمد علي
١٨٢ ج ٢
طرابلس الغرب . فتحها ١٠٠ ج ١
الطريقة السمانية في السودان ٢٧٩ ج ٢
طنج بن جف التركي ١٢٧ ج ١
طلائع بن رزيك . الملك الصالح ٢٤١ ج ١
طهراق . ملك مصري ٤٩ ج ١
طوسون باشا . حملته على الحجاز ١٥٨ ج ٢
طولون . اصله ١٤٣ ج ١
طومان باي الاشرف . سلطنته ٣٦١ ج ١
« « « ٣٥٩ ج ١
الظاهر بن الحافظ . خلافته ٢٤٠ ج ١
الظاهر بن الحكم « ٢١١ ج ١
« ركن الدين بيبرس سلطنته ٣١٨ - ٣٢٦ ج ١
عابس بن سعيد امير مصر ١١٤ ج ١
العاذل بن الكامل . سلطنته ٣٠٣ ج ١
« كتيبا « ٣٣١ ج ١
العاذل بن يوسف . خلافته ٢٤٢
- ٢٦١ ج ١
عباد بن ابراهيم امير مصر ١٣٨ ج ١

- عبادة بن الصامت الصحابي ٧٩ - ٨٣ ج ١
 العباس بن احمد بن طولون ١٦٤ ج ١
 عباس باشا الاول . ولايته ١٩٩ ج ٢
 « الخديوي الحالي ٣٣٢ - ٣٤٤ ج ٢
 العباس بن موسى . امير مصر ١٣٧ ج ١
 عبد الحميد الاول . سلطنته ٦٨ ج ٢
 عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ ١٠٤ ج ٢
 « بن عتبة امير مصر ١١٦ ج ١
 « « عدس من الصحابة ١٠٤ ج ١
 « « عمر بن قحزم امير مصر ١٩ ج ١
 عبد الرحمن باشا الوزير والي مصر ٤٣ ج ٢
 عبد العزيز السلطان قدومه لمصر ٢١٣ ج ٢
 « « بن برقوق . سلطنته ٣٤٩ ج ١
 « « مروان امير مصر ١١٧ ج ١
 عبد اللطيف البغدادى رايه بالا هرام ٢٩٠ ج ١
 عبد الله التعايشي مجيئه الى المهدي ٢٨١ ج ٢
 « « خايقة ٣٠٦ ج ٢
 « « حكومته ونظامها ٣١٧ ج ٢
 « « بن الزبير . قيامه ١١٤ ج ١
 « « سعيد امير مصر ١٠٣ ج ١
 « « الشرفاوي . الشيخ ٩٧ ج ٢
 « « بن عبد الرحمن امير مصر ١٢٩ ج ١
 « « عبد الملك امير مصر ١١٨ ج ١
 « « بن عمرو بن العاص ١١٧ ج ١
 « « باشا فكري ٢٤٧ ج ٢
 « « بن قيس بن الحارث امير مصر ١١٣ ج ١
 « « محمد العباسي امير مصر ١٣٤ ج ١
 « « المسيب ١٣٣ ج ١
 عبد الله نديم خطيب العراقيين ٢٤٤
 و ٢٦٨ ج ٢
 « « باشا والي عكا ١٦٥ ج ٢
 عبد الملك بن رفاعه امير مصر ١١٩ و ١٢٣ ج ١
 « « صالح . امير مصر ٣٣ ج ١
 « « مروان . خلافته ١١٨ ج ١
 « « موسى . امير مصر ١٢٥ ج ١
 « « عبدويه بن جبلة ١٣٨ ج ١
 عبيد الله بن المهدي ١٣٣ ج ١
 « « المهدي الفاطمي ١٨٤ ج ١
 « « عتور . اله مصري ٢١ ج ١
 عثمان بن احمد . سلطنته ٣٠ ج ٢
 عثمان بن جقمق ٣٥٤ ج ١
 عثمان باشارا في ناظر الجهادية ٢٣٧ و ٢٤٠ ج ٢
 عثمان بك شيخ البلد ٤٩ ج ٢
 عثمان بن عفان خلافته ومقتله ١٠٠ و ١٠٣ ج ١
 عثمان بن محمد . سلطنته ٥٤ ج ٢
 عرابي . نشأته ٢٣٦ ج ٢
 عرابي في القاهرة ٢٦٧ ج ٢
 العرابيون - فوزم ٢٤٠ ج ٢
 العرابيون . محاكتهم ٢٦٨ ج ٢
 العرب . قطع العطاء عنهم ١٤١ ج ١
 « « والترك بمصر ٢٣٤ ج ٢
 العزيز بالله . خلافته ٢٠٣ - ٢٠٦ ج ١
 « « بن يوسف . سلطنته ٢٨٩ ج ١
 « « حجة بمصر ١٢٩ و ١٣١ و ١٥٢ ج ١
 « « عقبة بن طاهر . امير مصر ١١٤ ج ١
 عكا حصار الفرنسيين لها ١٢٧ ج ٢

- العلم . اصلاحاته ايام محمد علي ١٩١ ج ٢
 علي باشا والي مصر ٣٢ ج ٢
 « بن ابي طالب . خلافته ١٠٥ ج ١
 « « الاخشيدي . حكومته ١٩٠ ج ١
 « باشا الجزائر والي مصر ١٤٩ ج ٢
 « « السلحدار « ٢٥ ج ٢
 « بن سليمان امير مصر ١٣٢ ج ١
 « « شعبان . سلطنته ٣٤٣ ج ١
 « باشا الصوفي والي مصر ٢٠ ج ٢
 « « « ٢٠ ج ٢
 « بك الكبير . استقلاله بمصر ٥٦-٦٧ ج ٢
 « بك الكبير . نشأته ٥٢ ج ٢
 « كخيا الطويل . من الامراء ١٥ ج ٢
 « باشا مبارك وزير المعارف ٢٢٣ ج ٢
 « بن موسى . مبايعته ١٣٧ ج ١
 « يحيى الارمني امير مصر ١٤٤ و ١٤٥ ج ١
 عمر بن الخطاب ٧٥ ج ١
 عمر بن عبد العزيز . خلافته ١٢١ ج ١
 « « غيلان صاحب الخراج ١٣٣ ج ١
 « « قحزم الخولاني ١١٥ ج ١
 عمرو بن العاص فاتح مصر ٧٦-١١٠ ج ١
 عمير بن الوايد امير مصر ١٣٨ ج ١
 عبته بن اسحق « ١٤٥ ج ١
 عهد الامان للمصريين من ابن العاص ٨٤ ج ١
 عهد الشهيد عند الاقباط ٣٣٧ ج ١
 عيسى بن ابي العطاء امير مصر ١٢٤ ج ١
 « « دينار امير الاسكندرية ١٥٣ ج ١
 « « لقمان امير مصر ١٣٠ ج ١
 عيسى النوشري امير مصر ١٨١ ج ١
 « « بن منصور « ١٣٨ و ١٤٤ ج ١
 « « يزيد الجلودي امير مصر ١٣٨ ج ١
 غالب شريف مكة ١٦١ ج ٢
 غوردون باشا في خط الاستواء ٢٧٤ ج ٢
 « « لاخله السودان ٢٩٤ ج ٢
 « « . نقوده ٣٠٠ ج ٢
 « « . مقتله ٣٠٤ ج ٢
 الفارس اقطاعي ٣١٣ ج ١
 الفاطميون . نسبهم ٢٠٠ ج ١
 الفاز بن الظافر . خلافته ٢٤١ ج ١
 فتاح . اله مصري ٢٣ و ١٨ ج ١
 الفتنة بين العبيد والاثراك ٢١٩ ج ١
 فرج بن برقوق . سلطنته ٣٤٨ و ٣٥٠ ج ١
 الفرما . مدينة مصرية ٧٧ ج ١
 فرنسا والمسألة العراقية ٢٥١ ج ٢
 الفرنساويون انسحابهم من مصر ١٤٢ ج ٢
 الفرنساويون اخراجهم من مصر ١٣٣ -
 ١٤٣ ج ٢
 الفسطاط عاصمة مصر ٨٩ و ١١٧
 و ١٢٩ و ١٥٢ و ٢٥٠ و ٢٥٣ ج ١
 الفضل بن الربيع . دسيسته ١٣٥ ج ١
 فيلوماتر . بطليموس الرابع ٥٩ ج ١
 فيلاذفوس « الثاني ٥٨ ج ١
 فيلوماتر « السادس ٦٠ ج ١
 قاسم باشا والي مصر ١٩ ج ٢
 « « بك شيخ البلد ٤٤ ج ٢
 قانون المطبوعات ٢٤٧ ج ٢

- القاهر بيدرا . سلطنته ١ج٣٣٠
 « بن المعتضد . خلافته ١ج١٨٢
 القاهرة المعزية . بناؤها وتاريخها ١٩٥
 و ١٩٨ و ٢٧٤ج١
 قايت باي . سلطنته ١ج٣٥٧
 القائم بامر الله الفاطمي ١ج١٨٤
 قبالات الاراضي ١ج ٩٤
 قبة الهواء . اصل بناؤها ١ج١٣٦
 القبط . خروجهم من سخا ١ج١٢٩
 قحط عظيم في السودان ٢ج٣١٦
 القرامطة . اصلهم ١ج١٢٨
 قرة بن شريك امير مصر ١ج١١٩
 القضاء عند التعايشي ٢ج٣٢٢
 القطائع . بناؤها و خرابها ١٥٢ و ١٧٩ج١
 قطر الندی بنت خارويه ١ج١٧٦
 القطن . نقله الى مصر ٢ج١٧٨
 القلائس . لبسها ١ج١٣١
 قلاون . سلطنته ٣٢٣ و ٣٢٧ و ٣٣٠ج١
 قلعة القاهرة . بناؤها ١ج٢٧٣
 قليدوروث ملك النوبة ١ج١٠٣
 قناة السويس . تاريخها ٢٠٦ — ٢١٣ج٢
 قناطر اسيوط ٢ج٣٤٤
 القناطر الخيرية . بناؤها ١ج١٧٨
 قناطر السباع ١ج٣٢٥
 قنسو ابو سعيد . سلطنته ١ج٣٥٩
 « خسمية . سلطنته ١ج٣٥٩
 « الغوري . سلطنته ١ج٣٦٠
 قنطرة الخليج الكبير . بناؤها ١ج١١٨
 قورش . ملك الفرس ١ج ٥٣
 قيس بن سعد صاحب راية الانصار ١ج١٠٧
 « قبيلة . انتقالها الى مصر ١ج١٢٣
 القيسية . قتلهم ١ج١٣٤
 كاترينا الثانية . امبراطورة الروس ٢ج٦٢
 كافور الاخشيدي امير مصر ١٨٧ و ١٩١ج١
 الكامل بن العادل . سلطنته ١ج٢٩٦
 كايه خوس . ملك مصري ١ج ٢٤
 كتاب النبي . صورته ١ج ٧٦
 كتشنر باشا . قاتح ام درمان ٢ج٣٢٣
 كجك بن الناصر . سلطنته ١ج٣٤٠
 كردوفان . سقوطها ٢ج٢٨٤
 الكعبة . احراقها ١ج١١٥
 كلاير . ولايته على مصر ١٠٨ و ١٣٢ج٢
 « . مقتله ١ج ١٣٧
 كلوت بك الدكتور ٢ج ١٨٧
 كليوبيطرا ابنة انطيوخوس ١ج ٦٠
 « بنت اوليتس ١ج ٦٤ و ٦٢
 كبيز . ملك الفرس ١ج ٥٣
 الكنعانيون امة قديمة ١ج ٤٢
 كنوم اله مصري ١ج ٢١
 الكنيسة هيكل مصري ١ج ٢٥
 كنيسة ابي سرجة ١ج ٩٠
 كوريه ديجيت جريدة فرنساوية ١ج١١٨
 كوكه . هرم ١ج ٢٣
 كيدر الصفدي امير مصر ١ج ١٣٦
 لابرانسا . بناء مصري ١ج ٣٢
 لولو غلام ابن طولون ١ج ١٦٦

- لويس التاسع ملك الصليبيين ٣٠٥
 و ٣٠٧ و ٣٠٩ ج ١
 الليث بن الفضل امير مصر ١٣٤ ج ١
 لينان باشا المهندس ١٧٩ ج ٢
 ما . اله مصري ٢٠ ج ١
 مارستان ابن طولون ١٥٦ ج ١
 ماريث باشا مؤسس المتحف المصري
 ٢١٦ ج ٢
 الماسونية الوطنية . انشاؤها ٢٢٣ ج ٢
 مالك الهندي امير مصر ١٤١ ج ١
 المأمون الخليفة ١٣٢ و ١٣٧ و ١٣٩ ج ١
 مبايعه المهدي . صورتها ٢٨٣ ج ٢
 المتحف المصري . تاريخه ٢١٦ ج ٢
 المتقي لله الخليفة ١٨٦ ج ١
 المتوكل على الله خلافته ١٤٤ ج ١
 مجاعات . وصفها ٢١٢ و ٢٢٤ و ٢٩٢
 ٣٤٢ ج ١
 مجالس القضاء ايام محمد علي ١٧٧ ج ٢
 مجالس القضاء الاهلي . اصلها ٢١٨ ج ٢
 المجالس المختلطة . اصلها ٢١٨ ج ٢
 مجالس المديرية . انشاؤها ٣٢٦ ج ٢
 مجلس حسبي القاهرة . انشاؤه ٢١٨ ج ٢
 مجلس شورى الحكومة . تشكيله ٣٢٧ ج ٢
 مجلس شوري القوانين ٣٢٦ ج ٢
 مجلس المعارف ايام محمد علي ١٩١ ج ٢
 مجلس النظار . اول انشائه ٢١٥ ج ٢
 مجلس النواب . اصله بمصر ٢١٨ ج ٢
 مجلس النواب . اجتماعه ٢٤٥ و ٢٤٦
 ٢٤٩ و ٢٤٩ ج ٢
 محفوظ بن سليم صاحب الخراج ١٣٤ ج ١
 حكمة القضاء زمن بونايرت ١٠٤ ج ٢
 محمد باشا والي مصر (اشخاص مختلفة)
 ٢٤ و ٢٧ و ٣١ و ٣٣ و ٤٣ و ٥٨ ج ٢
 محمد بن ابراهيم . سلطنته ٤٢ ج ٢
 محمد بن ابي بكر . مقتله ١٠٥ - ١١٠ ج ١
 محمد بن ابي حذيفة من الصحابة ١٠٤ ج ١
 محمد بن اتمامش صاحب الرقة ١٦٤ ج ١
 محمد باشا بن احمد باشا والي مصر ٣٧ ج ٢
 محمد احمد المهدي . اصله ومنشأه ٢٧٨ ج ٢
 محمد الاخشيدي (بن طغج) حكمة
 ١٨٥ - ١٨٩ ج ١
 محمد بن الاشعث امير مصر ١٢٨ ج ١
 محمد بن حاجي . سلطنته ٣٤٢ ج ١
 محمد باشا حيدر والي مصر ٤١ ج ٢
 محمد بك ابو الذهب ٥٨ - ٦٧ ج ٢
 محمد بن زهير امير مصر ١٣٣ ج ١
 محمد بن السري امير مصر ١٣٨ ج ١
 محمد بن سليمان امير مصر ١٣٠ ج ١
 محمد الشريف استاذ المهدي ٢٧٩ ج ٢
 محمد باشا الصوفي والي مصر ٢٨ ج ٢
 محمد بن ططر . سلطنته ٣٥٢ ج ١
 محمد بن طغج امير مصر ١٨٢ ج ١
 محمد بن عبد الرحمن امير مصر ١٣٠ ج ١
 محمد بن عبد الملك امير مصر ١٢٢ ج ١
 محمد عبده الشيخ ٣٤٨ ج ٢
 محمد علي باشا . اصلاحاته ١٧٤ - ١٩٥ ج ٢

- محمد علي باشا . حكمه ١٤٧-١٩٩ ج ٢
 محمد علي . صفاته و مناقبه ج ٢
 محمد علي . فرمان بولايت ١٧٠ و ١٧٢ ج ٢
 محمد علي باشا الحكيم ج ٢
 محمد كريم حاكم الاسكندرية ٨٨-١١٠ ج ٢
 محمد بن قايت باي . سلطنته ٣٥٩ ج ١
 محمد بن كنداج امير مصر ج ١
 محمد باشا الكورجي والي مصر ٢٧ ج ٢
 محمد المهدي الكبير . الشيخ ج ٢
 الحمل . اصله ج ١
 محمود باشا سامي البارودي ٢٤٠-٢٧٢ ج ٢
 محمود الثاني . سلطنته ج ٢
 محمود بن مصطفى سلطنته ٤٨ ج ٢
 محمود باشا والي مصر ج ٢
 مختار بك اول فاخر المعارف ١٩١ ج ٢
 مختار باشا الغازي ج ٢
 المدارس ايام محمد علي ج ٢
 المدرسة الحربية ايام محمد علي ١٨٠ ج ٢
 د . الطبية بمصر . تاريخها ١٨٩ ج ٢
 د . المصرية في باريس ١٩٤ ج ٢
 مراد بك من المماليك ٨٩-١٣٧ ج ٢
 مراد بن احمد . سلطنته ج ٢
 مراد بن سليم د ج ٢
 المراقبة المالية ج ٢
 مرزوع ملك مصري ج ٢
 مروان بن الحكم . خلافته ج ١
 د . بن محمد . خلافته ج ١
 مري ملك الصليبيين ج ٢
 مريع . ملك مصري ج ٢
 مزاحم بن خاقان امير مصر ١٤٩ ج ١
 مسح ارض مصر ١٣٤ و ٣٣٣ ج ١
 المستعلي بن المستنصر ج ١
 المستعين . الخليفة ٣٥٠ و ٣٥١ ج ١
 د . بن محمد . خلافته ١٤٧ ج ١
 المستكفي بالله . خلافته ١٨٧ ج ١
 المستنصر بن الظاهر . خلافته ٢١٢
 — ٢٣١ ج ١
 مسلة المطرية ج ١
 مسلة بن عبد الملك حاصر القسطنطينية ج ١
 مسلة بن عقبة محاصره المدينة ١١٥ ج ١
 د . بن يحيى امير مصر ١١٤ و ١٣٣ ج ١
 مسيح باشا والي مصر ٢٢ ج ٢
 المشهد الحسيني ج ١
 مصر والباب العالي ٢٤٥ و ٢٥١ ج ٢
 مصر . حيواناتها ج ١
 مصر . فتحها الاسلامي ج ١
 مصر . فتحها ثانية ١٠٩ ج ١
 مصر . الفتح العثماني ٣٦١ ج ١
 مصر . حالها عند قدوم الفرنسيين ٨٦ ج ٢
 مصر سكانها . احصائهم ج ١
 مصر . لماذا جرد الفرنسيون عليها ج ١
 مصر ٨٢-٨٥ ج ٢
 مصر . زروعاتها ج ١
 مصر . وصف ابن العاص لما ٨٥ ج ١
 مصر القديمة . جغرافيتها ج ١

- مصر ايم . اصلها ١٥ ج ١
المصريون القدماء ديانتهم ١٨ ج ١
المصريون عند قدوم الفرنساوية ٨٦ ج ٢
مصطفى بن احمد . سلطنته ٥٥ ج ٢
مصطفى باشا لفعلي والي مصر ٣٠ ج ٢
مصطفى باشا البستانجي والي مصر ٣٨ ج ٢
مصطفى بن محمد . سلطنته ٤٣ و ٣٠ ج ٢
مصطفى باشا . والي مصر (الثاني) ١٩ ج ٢
المطابع ايام اسماعيل ٢٢٠ ج ٢
المطبعة الاهلية ١٩٥ ج ٢
المطرية . محلة قرب القاهرة ٢٩ ج ١
المطلب بن عبد الله امير مصر ١٣٧ ج ١
المظفر بن كيدر امير مصر ١٤١ ج ١
معاوية بن ابي سفيان ١٠٦ - ١١٤ ج ١
معاوية بن حديج السكوني ١٠٩ و ١١١ ج ١
معاوية بن يزيد . خلافته ١١٥ ج ١
المعز بن باديس ٢١٣ و ٢٣٠ ج ١
المعز لدين الله . خلافته ١٩٢ ج ١
المعز بن المتوكل . خلافته ١٤٨ ج ١
المعتصم . خلافته ١٤١ ج ١
المعتد . خلافته ١٥١ ج ١
المعظم بن صالح . سلطنته ٣٠٧ ج ١
المغيرة بن عبد الله امير مصر ١٢٥ ج ١
المقوقس ١٥٧ ج ١
المقايس بمصر ٩١ و ١٢٠ و ١٣٩
و ١٤٧ و ١٥٥ ج ١
المقتدر بن المعتض . خلافته ١٨١ ج ١
المقداد بن الاسود من الصحابة ٧٩ ج ١
مقصود باشا والي مصر ٣٨ ج ٢
المقوقس صاحب مصر ٧٧ و ٨٠ و ٨٤ ج ١
المكتبة الخديوية . تاريخها ٢١٧ ج ٢
المكتفي . خلافته ١٨١ ج ١
الملك الصالح طلائع ٢٤١ ج ١
الملكية . طائفة مسيحية ٦٧ ج ١
الممالك . الامراء ١٥ ج ٢
الممالك اصلهم ١٤٢ و ٣٠٨ و ٣٤٤ ج ١
الممالك عند قدوم الفرنساوية ٨٦ ج ٢
الممالك . الكيد بهم ١٤٤ و ١٥٠ ج ٢
الممالك . منبجهم ١٥٨ ج ٢
. منا . اول ملوك مصر ٢٣ ج ١
المنابر في الكور . اول من اتخذها ١٢٥ ج ١
منارة الاسكندرية ١٥٦ ج ١
المنائر . اول احداثها ١١٤ ج ١
المنتصر بن المتوكل . خلافته ١٤٦ ج ٢
منتوحتب . ملك مصري ٢٩ ج ١
منشور المهدي ٢٨٥ ج ٢
المنصور بن العزيز . سلطنته ٢٩١ ج ١
المنصور لاجين ٣٣٣ ج ١
المنصور بن محمد . خلافته ١٢٨ ج ١
المنصور بن يزيد الرعيني امير مصر ١٣٠ ج ١
المنصورة . بناؤها ٢٩٩ ج ١
منف . بناؤها ٢٣ ج ١
منفتاح الاول . ملك مصري ٤٣ ج ١
منكورع . ملك مصري ٢٦ ج ١
منيفس اله مصري ٢٤ ج ١
المهتدي . خلافته ١٥١ ج ١

- المهدي الخليفة العباسي . خلافته ١٣٠ ج ١
 المهدي السوداني . تعاليمه ٣٠٩ ج ٢
 المهدي السوداني . حكومته ٢٨٥ ج ٢
 المهدي السوداني حوادثه ٢٧٢-٣٢٥ ج ٢
 المهدي . موته واوصافه ٣٠٧ ج ٢
 المهدي الكبير . الشيخ ٩٨ ج ٢
 المهدي . مدينة الفاطميين ١٨٤ ج ١
 المهديون في الاسلام ٢٧٥ ج ٢
 موت . اله مصري ٢٠ ج ١
 موتسي بك مؤسس البريد المصري ٢١٩ ج ٢
 مؤتمر الاسنانة للمسألة العربية ٢٥٧ ج ٢
 و ٢٦٤ ج ٢
 مؤتمن الخلافة ٢٥٥ ج ١
 المورا . حربها ١٦٥ ج ٢
 الموسكي . اصله ٢٨٨ ج ١
 موسى بن بفا ١٦٠ ج ١
 موسى بن ابي العباس امير مصر ١٤١ ج ١
 موسى بن علي امير مصر ١٣٠ ج ١
 د د د بن رباح امير مصر ١٣٠ ج ١
 د د عيسى د ١٣٣ ج ١
 د د كعب د ١٢٨ ج ١
 د د مصعب د ١٣١ ج ١
 د الهادي . خلافته ١٣٢ ج ١
 د باشا والي مصر ٣٣ ج ٢
 الموفق والمعتمد ١٥٧ ج ١
 د وابن طولون ١٥٩ و ١٦٩ ج ١
 المولد النبوي زمن فرنساوية ١٠٩ ج ٢
 مياه القاهرة . جرها بالاناييب ٢١٧ ج ٢
 ميزانية الحكومة المصرية لسنة ١٨٢١
 ١٨٤ ج ٢
 الميزانية ومجلس النواب ٢٤٨ ج ٢
 منو . الجنرال ١٣٩ ج ٢
 نابوليون . استعداده على مصر ٨١ ج ٢
 ناصر الدولة ٢٢٣ ج ١
 الناصر بن قلاون . سلطنته ثلاث مرات
 ٣٣١ - ٣٣٩ ج ١
 ناصيف باشا . القائد العثماني ١٣٥ ج ٢
 نبته . هيكل مصري ٣٩ ج ١
 نجم الدين ايوب والد صلاح الدين ٢٦٧ ج ١
 نحاو الثاني . ملك مصري ٥١ ج ١
 نخروفس . د د ٢٤ ج ١
 نزار واقفتكين ٢٣١ ج ١
 نفيس . اله مصري ٢٠ ج ١
 نفيس . ملك مصري ٢٣ ج ١
 نقود الدراويش ٣٢١ ج ٢
 النقود المصرية ايام العثمانيين ٣٦ ج ٢
 د د الجديدة ٣٢٨ ج ٢
 نكتايتس . ملك مصري ٥٥ ج ١
 نلسن قائدا الاسطول الانكليزي ١٠٦ ج ٢
 النهضة العلمية ايام اسماعيل ٢٢٢ ج ٢
 د د في عصر عباس باشا ٣٤٦ ج ٢
 النهضة المالية في مصر ٣٤٦ ج ٢
 نوان ميامون ملك اثيوبيا ٥٠ ج ١
 نوبار باشا ١٩٤ ج ٢
 النوبة . فتحها ١٠٣ ج ١
 النوبة . محارباتهم ١٥٦ و ١٩٠ ج ١

٢٧٦ ج ١	واقعة حطين	نور الدين زنكي صاحب دمشق ٢٤٥
١٧٤ ج ١	واقعة الطواحين	٢٦٢ و ٢٧٠ ج ١
٣٣٣ ج ٢	الوزارات في ايام الخديوي الحالي ٣٣٣ ج ٢	نور الدين علي بن ايبك. سلطنته ٣١٥ ج ١
١٩٥ ج ٢	الوقائع المصرية . انشاؤها	نيتوقريس . ملكة مصرية ٢٧ ج ١
٣١٤ ج ٢	ولد النجومي لفتح مصر	هارون بن خارويه . حكمه ١٧٧ ج ١
١٢٣ ج ١	الوليد بن رفاعه امير مصر	هارون الرشيد . خلافته ١٣٢ ج ١
١١٩ ج ١	الوليد بن عبد الملك . خلافته ١١٩ ج ١	هاشم بن عبد الله امير مصر ١٣٤ ج ١
١٢٤ ج ١	» » يزيد . خلافته ١٢٤ ج ١	الهاشمية مدينة العباسيين ١٢٧ ج ١
١٥٨-١٥٥ ج ٢	الوهايون . اصلهم وتعاليمهم ١٥٥-١٥٨ ج ٢	هرثمة بن اعين امير مصر ١٣٣ ج ١
١٦٣ ج ٢	الوهايون . حربهم ١٦٠ - ١٦٣ ج ٢	هرثمة بن نصر » » ١٤٤ ج ١
٢٦٥ ج ٢	وولسي قائد الجند الانكليزي ٢٦٥ ج ٢	هرقل ملك الروم ٦٧ و ٧٥ ج ١
١٢٤ ج ٢	يافا . قتل حاميتها	هشام بن عبد الملك . خلافته ١٢٣ ج ١
١٣٠ ج ١	يحيى بن داود امير مصر	هفتكين الشراي ٢٠٣ ج ١
١٢٨ ج ١	يزيد بن حاتم المهلب امير مصر ١٢٨ ج ١	الهلالي من خراج مصر ١٥٠ ج ١
١٢٢ ج ١	يزيد بن عبد الملك . خلافته ١٢٢ ج ١	همدان . قبيلة ٩١ ج ١
١١٤ ج ١	يزيد بن معاوية . خلافته ١١٤ ج ١	الموارة . قبيلة ٦٠ ج ٢
١٤٩ و ١٤٥ ج ١	» » عبدالله امير مصر ١٤٥ و ١٤٩ ج ١	هوروس . اله مصري ١٩ ج ١
١٢٤ ج ١	» » الوليد . خلافته ١٢٤ ج ١	هولاكو التتري . فتح بعلناد وغيرها
٦٧ ج ١	اليعاقة . طائفة مسيحية ٦٧ ج ١	٣١٦ و ٣١٧ ج ١
٢٠٣ و ١٩٧ ج ١	يعقوب بن كلس . الوزير ١٩٧ و ٢٠٣ ج ١	هونوريوس . امبراطور روماني ٦٧ ج ١
٤٥ ج ١	يعنخي . كاهن مصري ٤٥ ج ١	الهيروغليف المصري . حله ١٢ ج ١
١٣٥ ج ١	اليانية والقيسية ١٣٥ ج ١	هيكس باشا . حماته ٢٨٧ ج ٢
٣٥٤ ج ١	يوسف برس باي . سلطنته ٣٥٤ ج ١	الوائق . خلافته ١٤٤ ج ١
١٤٣ و ١٣٣ ج ٢	يوسف باشا الصدر الاعظم ١٣٣ و ١٤٣ ج ٢	الوجاقات من الجند ١١ ج ٢
٢٨٣ ج ٢	» » الشلاي ٢٨٣ ج ٢	واضح مولي ابي جعفر امير مصر ١٣٠ ج ١
٦٣ ج ١	بوليوس قبصر . القائد الروماني ٦٣ ج ١	واقعة توشكي ٣١٥ ج ٢

هذه السلسلة تضم :

- ١ - فتح العرب لمصر
- ٢ - تاريخ مصر إلى الفتح العثماني
- ٣ - الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي
- ٤ - تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي
- ٥ - تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم اسماعيل
- ٦ - تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر
- ٧ - ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا
- ٨ - تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا (مجلدات)
- ١٠ - فتوح مصر وأخبارها
- ١١ - تاريخ مصر الحديث مع فذلكلة في تاريخ مصر القديم (ج ١) (ج ٢)
- ١٢ - قوانين الدواوين
- ١٣ - تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث
- ١٤ - الحاكم المصري في الشام
- ١٥ - تاريخ الخديوي محمد
- ١٦ - آثاء الزعيم

Bibliotheca Alexandrina



0354360

MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مطبول

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٥٧٥٦٤٢١ 6 Talat Harb Sq. Tel. : 5756421